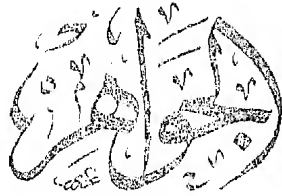


١٧١



## في تفسير القرآن الكريم

استعمل على جواب الشيخ العلامة ابن أبي عمير

تأليف

الاستاذ الحكيم الشيخ طهطاوي جوهرى  
المدرس بالجامعة المصرية ومدرسة دار العلوم سابقا  
متبع الله المسلمين بيمينه آمين

## الحمد لله رب العالمين

طبع مطبعة

مصطفى السباعي الحسيني وأولاده بمصر

وتفوق الطبع محفوظاً لهم

وباشطه محمد امين عمران

شوال سنة ١٣٤٨ هـ

وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## تفسير سورة الاحزاب

( هي مدنية )

( وآياتها ثلاث وسبعون — نزلت بعد آل عمران )

( وهي ثلاثة أقسام )

( القسم الأول ) في تفسير البسملة

( القسم الثاني ) في مقدمة السورة ، وفي مناسبتها لما قبلها ، وفي غزوة الأحزاب من أول السورة الى قوله تعالى — وأرضا لم تطوها وكان الله على كل شيء قديرا —

( القسم الثالث ) في أحكام أزواج النبي ﷺ وما أشبه ذلك من قوله تعالى — يا أيها النبي قل لأزواجك — الى آخر السورة

﴿ القسم الأول في تفسير البسملة ﴾

سأذكر هنا تفسيرها من ﴿ وجهين ﴾ الوجه الأول ﴿ بيان كيف كانت الرحمة فيها ملخص سورة السجدة السابقة على هذه لتوازن الرحمة فيها هناك بالرحمة في هذه السورة وأن ذكرها في أول كل منهما لمناسبة الرحمة التي جاءت في أثناء آيات السورة وما قدمناه في أول سورة السجدة في تفسير البسملة لم نذكر فيه بيان هذا المعنى بل ذكرنا هناك أولا الفرق بين صفة العبد وصفة الرب وضررنا مثلا بالحقول والشمس وأبنا الرحمة في الحقول والطيور والأنعام والأشجار في البر والبحر ومعاني أسماء الله الحسنى في نفس الحقول ، وأن الانسان يدهش من عجائب المادة ، وأن الشرور كلها مقدمات للرحمات ، وأن الشرور لم تكن إلا بالقصد الثاني لا الأول وأن العداوات وامتلاء الجو بالمواد الفاسدة إنما ذلك لينفرت الناس على الأرض فتكون الحياة والسعادة . هذا هو الذي تقدم في تفسير البسملة في سورة السجدة . ولما تم الكلام على سورة السجدة وجب أن نبين



كيف كانت الرجة في البسملة مثيرة لما فيها من الرحمت والنعم لذلك نقول  
تقدم في تفسير البسملة في أول سورة الروم ما يبرح به النفوس ، وتفسر له الصدور ، وتطمئن له الأبواب  
من الحكمة الجيبة والآيات البديعة إذ استبان هناك أن آلام الكسر والضرب وآلام الجرح والجوع وآلام  
سائر الأمراض إن هي إلا مذكرات ومنبهات لما يجب عمله من الدواء والغذاء . وأقول الآن ان ذلك البيان  
هناك مناسب لاعتباره قتال الأمم في تلك السورة بجراح وأضرارا لها

وتقدم في سورة لقمان في تفسير البسملة هناك أن العقول آلاما وأمراضا كالأجسام فكما أن الأجسام  
في ذوبان وسيلان مستمر هكذا العقول مضطربات اضطراب الأجسام فالجسم والروح فرسارهان في الذوبان  
والملاشاة والأغذية والأدوية للأجسام والعلوم السكونية أغذية الروح وعلوم الأخلاق وتهذيب النفوس أدويتها  
وهذا هو الذي جاء في سورة لقمان ، أمافي سورة السجدة المتقدمة فاني أقول ما يناسب ما جاء فيها من الرحمت .  
ابتداء سبحانه بذكر أن الكتاب لا ريب فيه ، وبذكر خلق العوالم في أيام معدودات . ثم انه أخذ يدبر تدبير  
الملك المستوى على عرشه لرعيته . العظيم الجلال فلا يعوزه نصير وليس شفيع عنده مقام إلا باذنه ، واسع العلم  
وقد استوى عنده الباطن والظاهر والقائب والحاضر بخلاف ملوك الأرض فهم لا يعلمون الغيب وهو غالب قاهر  
عزيز الجانب ، ذورجة واسعة ، لم يدع في ملكه مخلوقا إلا أحسن صورته وزوّقه وجهه وسوّاه ، ومن أعجب  
العجب أن هذا الانسان البديع الصنع . الجليل الوجه ، الواسع العقل ، الحسن الاقتان ، لم يكن إلا من طين  
وذلك الطين عجن بماء وامتزج به الهواء والنور وعناصر كثيرة ، وبارسال أنوار السكواكب المشرقات وأهمها  
الشمس ودورانها حالا بعد حال سويت خلقته ونظمت أعضاؤه ، فالسموات والأرض المذكورات في أول  
السورة ودوران السكواكب بتدبير من استوى على عرشها ، ذلك كله مقدمات وأسباب جعلت لبداع النظام  
وأظهار الحسن والجمال في صور الانسان ، ومن هذه الأجسام الانسانية اتخذت خلاصة مائة بها كان النسل  
أجيالا وأجيالا ، ومن أبدع ما في تلك الصورة الانسانية الحواس التي جعلت في هذه الأجسام في مقابلة السكواكب  
في السماء فالسكواكب تشرق بنورها فتضيء السبل والحواس بها يمتاز الظلام من النور والحواس المرّة والطيب  
من الخبيث ، فتدبر الملك المستوى على عرش هذه الأكوان قضى أن يكون في جسم الانسان نظير ما في الجسم  
العام . الجسم السكلي مشرق بالنور والأرواح العالية وهذا الجسم الحيواني والانساني له مشرقات مبنات لما  
هو في حاجة اليه ومن أهمها الاسماع والابصار

ولاعجب في ذلك فان الاصول تتبعها الفروع . فكما كان في السكواكب أنوار هكذا في أرضنا أنوار إمامنا  
الأرض بالبتول والغاز ، واما من النبات كالزيت ، واما من الحيوان كالشمع والشحم ، واما من السكر بابه  
وهكذا فهذه أنوار جزئية تحاكي الأنوار السكوية المشرقة من الشمس . فهنا شبه الفرع وهي الأرض أصله  
وهي الشمس بعض المشابهة ، وهكذا ما في الأرض من صناعة غالبا إلا وهي في حاجة الى آلات بدورات كما  
تدور الأرض حول الشمس . الأرض تدور حول الشمس ( كما تدور الشمس ) وتدور حول نفسها لتقبس  
الأنوار منها ليحيا ماعليها ، فهكذا نرى الانسان يدير أنواعا وسواقي ومجالات القطر الجاريات في الطرق الحديدية  
ومجالات أخرى في آلات الحرث والطحن والدرس والحياطة ، وهكذا جميع أحوال الحياة آلاتها كلها دائرات  
دوران الأرض حول نفسها ، فالأرض تدور لأجل استمداد الحياة لما عليها والآلات تدور لا كمال تلك الحياة  
بالصناعات المختلفة ، إذن لا عجب اذا قلنا ان في جسم الانسان والحيوان حواس مشاكاة لما في السماء ولكن  
المشاكاة هنا لحواس الملائكة . ومعنى هذا أن الأرض كما كان فيها أنوار كأنوار الشمس تضيء بالليل كالسكر بابه  
هكذا فيها نفوس مدبرات لها حواس مشاكاة لما في تلك العوالم السكوية من ملائكة مدبرات لها ، وكل  
هذه المعاني تؤخذ من قوله تعالى - يدبر الأمر من السماء الى الأرض - فهناك شمس ومدورات دائرت تدبرها

أرواح عالية أصواتها مستمرة لا يتجدد واستعداد مخافات على أمثال أرضنا هكذا هنا مسابيح كما تقدم ونفوس  
بنى آدم مدبرات وآلات مدورات دارات لأحداث صنائع ، فالتدبير الثاني يشبه التدبير الأول . فالتدبير إذن  
من السماء الى الأرض

ومن عرف الأنوار السكينة في السموات والأنوار الجزئية في الأرض في جسم الانسان فهو حري أن يشكر  
مبدعها بالعلم والحكمة أولاً ثم بالعمل بحيث يكون هو نفسه مشرق نور للناس نافعاً لهم والا فكأن روحه  
أدنى مرتبة وأخس من حاسة من حواسه التي تبين له ما هي منوطة به من الترق بين الحر والبرد والمرو والخالج  
وما يدهش له اللب وتعارفيه العقول أن هذا النوع الانساني قليل الشكر لجهله بهذه النعم وغفلته التامة  
عن هذا الابداع ، وقد ظن هذا الجهول أننا خلقناه وخلقنا السموات والأرض عبثاً بلا فائدة . كلا .  
فالمقدمات لها نتائجها فإذا أنكر البعث فذلك لضلالة ، وسيقف هذا المسكين خاضعاً ذليلاً خاشعاً أمام خالقه وهو  
كليل الطرف حسير وهناك يقول « هاأنذا أبصرت وسمعت فأرجعني لأعمل صالحاً » ولكن ليعلم الناس اني  
وضعت كلا في مركزه وجعلت له سبيلاً يسلكها وطريقاً يسير فيها ، فالؤمن نفسه استعانت للإيمان  
والكافر لا يخالف استعداداه وأنا عدل أضع كل امرئ فيما استعد له ولو كان هذا ظلماً لكائنات المعادة والأحشاء  
في الحيوان مظلومة بالنسبة للحواس . كلا . فلكل رتبة وخاصة بها انتظم العالم وللمؤمن علامات منها أنهم  
يحبونني ولذلك يودون أن تراج الأستار بيني وبينهم فلذلك يقوون بالليل ليناجوني وهناك أعطيهم في حال  
التهجد أنواراً وأسراراً وحبا لا يعرفه سواهم وقد أخفيت لهم ما لا يعلمه أحد بخلاف أعتاب النار وهذا قانون  
عام في الأمم . ويقول « ألم تر إلى بني اسرائيل وقد كان منهم هداة صبروا فقالوا إذا أيقنوا »

فلما اطلع على هذا صاحي العالم قال حسن ما خلصت به أكثر هذه السور ولكن أين أهم ما يدور البحث عليه  
فيها . قلت « ثلاث مسائل » تسوية خلق الانسان وموته وبعثه ، ولا جرم أن هذه الثلاث متلاحقات متصلات  
أخذ بعضها برقاب بعض . فلأحدثك عن التسوية أولاً ثم عن أخواتها ، الله أكبر ، ها هوذا جسمي رمى ركب ؟  
أهم ما ركب منه الفحم والاكسوجين والهيدروجين والنيتروجين وهو الاوزون ، هذه الأربع أعمدة تقام عليها  
هياكل كل حيوان ونبات في الأرض وما هو الفحم (الكربون) ؟ إن هو إلا جسم اذا عرضناه للنار اتحد  
مع الاكسوجين فأصبحا جسماً غازياً يشبه الهواء في أنه غاز ولا يشبهه في طبعه فهو جسم سام محرق ، وأما  
الاكسوجين فهو جسم غازي يشبه الهواء من حيث هيئته ولا يشبهه من حيث طبعه ، فادخل أي معمل من  
معامل الطبيعة في الشرق والغرب وقل لهم أروني الاكسوجين فيثبث يرونك زجاجات فيها غاز كالهواء تماماً .  
فهناك اذا أوقدت شمعة وأدخلتها في زجاجة من تلك الزجاجات انقادت حالا وأضاءت ضوءاً مشرقاً واذا أدخلت  
هذه الشمعة المتقدة في قارورة لاشئ فيها سوى الهواء فانها يقل ضوءها لا انه يزدهي كما هي الحال في زجاجة  
الاكسوجين ، وأما الهيدروجين فهو شفاف كالاكسوجين ولكنه أخف منه بل أخف من جميع العناصر  
المعروفة ومتى اتحد بالاكسوجين تكوّن الماء ، وأما النيتروجين فهو مثلهما معا من حيث انه غاز شفاف ولكن  
خواصه تخالفهما معا ، واذا اتحد بالاكسوجين تكوّن من اتحادهما حوامض شديدة الفعل ومن أهمها  
وأعظمها (الحامض النتريك) أي ماء الفضة أي الذي يذيب الفضة ويذيب أكثر المعادن ويميت الأنسجة  
الحيوانية والنباتية ، هذا هو النيتروجين فهو باتحاده مع الاكسوجين يكون متلفاً مهلكاً بخلاف الهيدروجين  
فانه باتحاده مع الاكسوجين يعطي الحياة وذلك هو الماء . الله أكبر . سبحانك اللهم خلقتنا وعلمتنا من أجل  
التعليم ، فاذا سمعنا في الآثار أن لك ملكاً نصف جسمه من نلج ونصفه من نار فلا تلج يطفئ النار ولا النار  
تذيب الثلج ، فهذه أجسامنا معاشر أهل الأرض فيها عناصر منها ما يهلك ومنها ما يحيي وهي مجتمعات في  
جسمي ، ولا جرم أن شرط الاحياء والامانة موجود وهو الاتحاد ، فهذه العناصر الأربعسة متحدة في جسمي .

قالا كسوجين متحد بالهيدروجين وبهما معا كان الماء في جسمي والنيتروجين متحد بالا كسوجين وبهما معا ماء الفضة ، وهذا هو السكون الذي كشفه الألمان أيام الحرب العظمى فانهم استعملوا هذا المركب وهو (حامض النيتريك) في المفرقات والمهاجمات في الحرب ثم حوّلوا ذلك كله بعد الحرب الى سماء

عجبا يارب ، جسمي فيه مائة الحياة وهو الماء من أ كسوجين وأودروجين ، وجسمي فيه مائة الموت وهو الاكسوجين المتحد مع النيتروجين فساكن منهما ماء الفضة وهو (حامض النيتريك) ذلك المهلك المميت مخرب الحصون والقلاع ثم انه يحوّل الى سماء فيكون مصدرا للزرع جالبا للرزق . وهناك ملخص تلك المركبات

- (١) الاكسوجين مع الهيدروجين يكون منهما الماء
- (٢) الاكسوجين مع النيتروجين يكون منهما ماء الفضة
- (٣) الاكسوجين مع الفحم يكون منهما غاز سام
- (٤) الهيدروجين بالكربون يتكوّن منهما غاز قابل للاشتعال

فليس في هذه المتحدات مافيه حياة لإحالة واحدة وهي اتحاد الاكسوجين بالاودروجين والبقية مهلكة سامة محرقة ، فلما اجتمعت الأربع حدث منها أمر عجيب . حدثت حياة دائمة بالتناسل والنظام المدهش ، فيا عجبا تسوية وانتظام وابداع وبهجة منظر وحسن اتساق نشأ كل من مواد سامة مهلكة . إذن الحياة مشتقة مما به الموت . فيا للعجب غازات سامة تتحد وتتكاثف فتصير أشكالا منظمة فيها عقول منظمة لهذا العالم . هذه تسوية الانسان وهذا قوله تعالى - ثم سوّاه ونفخ فيه من روحه - وأنا أيها الذكي بعد هذا البيان لم أعطك سرا ما من أسرار التكوين لأن ذلك السر لم أطلع عليه ولو اطلعت عليه لنتعت من افشائه لك لأنه فوق متناول العقول . فما علاقة الروح الحية المشرقة النور المنبعثة من جانب ذي الجلال القدسي بهذه المواد السامة وأيّ شيء هو غاز الاكسوجين والاودروجين والاوزون والفحم حتى تطمئن النفس فيها وتسكن . سبععان من عامنا وأطمانا على عجائب أجسامنا ، أنا أكتب هذه الساعة وأنا أعجب من جسمي المجموع من أجسام هوائية غازية لا تستقر على حال مهلكة ، فيأتيها الروح الساكنة في جسمي هاأنذا خاطبك وأنا القائل وأنا السامع لأن لي لسانا ولي أذنين ، فأنا القائل باللسان وأنا السامع بالأذن . فأقول لك أنت لست من هذا العالم ، انه عالم مضطرب قد استقررت في هذا الجسم المضطربة المنهية أجزاءه ، وهل هو إلا تلك العناصر المفرقة المهلكة جنودتها ونظمها يد قاهرة غالبية الى حين ثم ترجع هذه العناصر الى حالها مع جنسها ، ثم انك أنت ترجعين الى عالمك تستقرين هناك فسمعيك وبصرك اللذان جعلاك ما هما إلا بصيص نور من نورك قد أضاء لك في الأرض وتمام نورك يكون بعد الموت ، ألم تسمعي قوله تعالى - وجعل لكم السمع والأبصار - الخ وقوله حكاية عن الأرواح في تلك الحال إذ تقول - ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا لعمل صالحا إنا موقنون - إذن سمعك وبصرك الآن ليسا كسمعك وبصرك هناك . فالسمع والبصر هناك يورثان اليقين لأن السمع أتم والبصر أتم لا يتراعهما من هذه العناصر المتشاكسة المتحاربة المهلكة

هذه ياروحى أسرار ما تحسّن فيك من لذة وألم . الألم واللذة احساسان ناربان . تألمين بالجوع والعطش وبايذاء الأعداء والأمراض وتستلذين بالغذاء والماء والنعيم المبين ، وما اللذة والألم إلا لغتان من اللغات التي أنزلت في هذه الأجسام ولها نطق وافصاح أصريح وأبين من افصاح اللسان ، اجتمعت هذه العناصر في جسمي وأسكنت فيها فأخذت هذه العناصر تنطق لك بنطق فصيح بعد أن كانت بكاء خرساء وهي ملقاة في الأرض فقالت لك تارة احسدرى البرد وتارة احسدرى الحر فاحساسك بالبرد نطق أفصح من نطق اللسان واحساسك بالحر كذلك وهكذا ذوقك الطعام والشراب واستلذاذك بهما افصاح وتبيان لك فهذا استبان أن كل ذلك رجبات لأنها بان وكلام فاللذة كلام والألم كلام وجميع النعم والنعم والموت

والحياة كلها كلمات مفصحات مبيّنات مذكرات ، وأى رحمة أجل من الذكرى والبيان إذ حياتنا كلها رحمة استوى فيها الألم واللذة وموتنا رحمة لإخراجنا من هذه المواد المضطربة ، هذا هو بعض سرّ القسمية في أوّل هذه السورة ، فهذه العوالم في جسمك وفي خارجه ناطقات اليوم منصفحات مبيّنات ، ألم تقرئى - قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شئ - هذا نوع من النطق ، نطق جاء من الكائنات بلا حرف ولا صوت ونحن نسمعه لامن طريق الأذن بل نسمعه من سائر أجسامنا

اللهم انك علمتنا وأرقتنا نطق المخافات ، وأفهمتنا نرايا سيرا من كتابك وفهمنا ذلك الكلام الفصح الذى أودعته في أجسامنا وفي الطبيعة وأدركنا بعض سرمانطق به الجاود والأيدى والأرجل إذ يقال للجاود - لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شئ - فهاهى ذه الأشياء تنطق للبارى والفاجر منا وكل يسمع ذلك النطق واسكن لايعقله إلا الأفقون . وهذا سرّ قولك - قليلا ماتشكرون -

لايحيط بما تنطق به هذه العناصر إلا أرواح أرقى من أرواحنا القاصرة لأنها أرواح جزئية فلذلك احتجنا لمن يذكرنا من الأنبياء ولين يعلمونا من الحكماء ولين يداوون أجسامنا من الأطباء وهكذا فتختص كل طائفة بعمل عسى أن يقرّبوا من السكّال وماهم ببالقيه في هذه الأرض فكان لابدّ عندنا من كل علم ولابد من طوائف تخصص لها كما انه لابد بعد الموت من نفوس أعلى منا تقرأ نفوسنا وأخلاقنا وتعلمنا على مقتضى ذلك في تلك الدار بأمر خالقها وعلمها بسبب ضعفنا عن الاستيعاب لأننا محبسون في أقفاص نارية سمية منعنا عن تمام الحرية والاستقلال ، ومنا في هذه الأرض من اختصوا بدرس الجاود والأيدى فعرفوا مسامهما وخطوطهما فشهدت على المجرمين في هذه الحياة الدنيا كما تقدّم في هذا التفسير . وهذا أمر شائع في جميع حكومات العالم ومنها حكومتنا المصرية . شهدت جاودنا في حياتنا الدنيا وشهدت خطوط أيدينا وذلك من التسوية البهيمية . أليس أمر هذا القرآن عجيبا . يذكر التسوية في خلق الانسان هنا ويذكرها في ﴿سورة القيامة﴾ في قوله تعالى - بلى قادرين على أن نسوي بنانه - ويقرأ هذه الآية أحد علماء الألمان في هذه السنين فيسأل لم أسلمت أيها العالم ؟ فيجيب قائلا قرأت في القرآن المنزل على ذلك النبيّ العربى الأيمى - بلى قادرين على أن نسوي بنانه - وقد أصبحت جميع الحكومات لا يستقر قرار الأمن فيها إلا بدراسة نظام البنان ومسامه ، ولم يجد الناس وجلين في السكرة الأرضية تتشابه أناملهما في مسامهما ونظامها ، فلم اختص البنان بالذكر ؟ وعلم البنان لم يكن ليعرفه الناس إذ ذاك ولم تدركه الحكومات السابقة بل لو عرفوا ذلك لم يعرفه أهل الحجاز ومنهم هذا النبيّ الأيمى ، فهذا القول انما جاء من مصدر أعلى من عقولنا التى في الأرض فلذلك آمنّت به وصدقت . انتهى كلامه

وهذا الافصاح والبيان من العناصر في أجسامنا يدخل فيه جميع خواص العقاقير في الأدوية ونواميس الوجود ، فاذا خرجنا من هذه المادّة أشرقت عقولنا وظهرت لها الحقائق على ما هي عليه كل على قدر طاقته الفاجر والصالح وهذا قوله - ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا فاعمل صالحا انا موقنون - أى أما في الحياة فانتا كنا محجوبين ولم ندرك سر الوجود ولذلك يقال هناك أيضا - فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد - ويقال - اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا -

هذه شذرة من قصة هذا الانسان ومبدأ خلقته وأحواله وموته وبهته والحد لله رب العالمين . كتب صباح يوم الأربعاء (٦) من شهر نوفمبر سنة ١٩٢٩ م انتهى الكلام على البسملة مع تلخيص سورة السجدة فلننظر في الكلام الآن على تفسير البسملة في أوّل «الأحزاب» للموازنة بين السورتين من حيث الرحمة التى تضمنتها البسملة وتخللت آيات السورة

لقد تكررت البسملة في أول كل سورة ودرج المسلمون قديما وحديثا على التسمية في طعاهم وشراهم ثلثائة وألف سنة فترى جهلاءهم وعلماءهم ، كبارهم وصغارهم لا يعملون عملا إلا بالتسمية سنة محمدية وشريعة اسلامية طلبا لثواب الله وتقرّبا اليه وزا في لديه ، فثلاث سنة من خير السنن ، وخصلة من أجلّ الخصال

لقد تقدّم الكلام على البسملة في الفاتحة وفي غيرها من السور مثل (الزوم ولقمان والسجدة) ولكن بقي لها بقية لابد من تداركها . وحكمة يجب اظهارها ، ونعمة حق على ابدائها لهذه الأمة المستكنة المضطهدة لفشو الجهالة وظهور الخطل في آراء عامتها ، والغفلة في نظام دراستها ، والنوم على التقليد الأعمى ، وتغيّر ظل السكسل والجهل المبين الذي هو من يحومون لبارد ولا كريم ، أبت النبوة الحمديد الشريفة أن تذرنا نتخطى في ديجور الظلام فعمدنا أن الأعمال لاتصح إلا بالنيات وأن لكل امرئ امرئ مانوى ، وماهى النية ؟ هى رغبة العلم ووليدة الفهم فن تعلم فهم ومن فهم أحب ومن أحب الكمال ومحاسن الفضائل شاقته ومن اشتاق هم بالعمل ونواه وهناك تكون الأعمال على مقتضى تلك النيات والمعارف السابقة ، فليس في مجرد التسمية (بلا علم بمواطن الرحات ومحاسن الجلال في المخلوقات وبهجة العوالم الربانية والآيات الحكيمية والابداع وحسن التصوير والتدقيق) منتهى مقاصد النبوة ولا مبلغ ما تريده من العلماء العاملين . لأن اكتفينا من العامى في صلاته وصيامه وما كاه ومشربه بالتسمية والحمدلة المفضلين لنقول لعلماء الأمة وعقلائها ونابغها ليسكن الدرس واعمال الفكر ومعرفة الجلال في هذه العوالم حتى توقنوا بالرحات ايقانا علميا تفصيليا كالذى في هذا التفسير

علم الله أن المسلمين سينامون نحو ألف سنة عن التفكير في مخاوقاته وينسون جيل صنعه فأنزل البسملة في أول كل سورة وكررها مائة وأربع عشرة مرة في القرآن ويكررها المسلمون في صلاتهم فقرأناها تعبدنا وقلنا كفى ، لاتقوم الأمم بمجرد الحكامات وانما قيامها بما تضمنته من المعاني وما حوته من حكمة ومعنى جيل . لما وقف أكثر المتقدمين من العاقبة وصغار العلماء على القشور وجسدوا على الألفاظ جودا مهيا نسي أكثر الناس في العصور المتأخرة روح معنى التسمية واكتفى الخطباء على المنابر والوعاظ في المساجد بذكر نعيم الجنة وعذاب جهنم حتى استقرّ لدى كثير منهم أن ربنا نجب العبادة له خوفا من ناره وخشية من سطوته فحسب لاحبا فيه ولا ابتهاجا برحمته الواسعة فأصبح المسلم إذ ذاك ما بين حاكم يسطو عليه لاختاقته مثل ما حصل بمصر أيام المماليك البرية والبحرية وغيرهم من أبنائهم الذين فتكوا بأبناء البلاد أيام حكم الترك الى أن أبادهم المغفور له محمد على باشا ، وما بين خطيب لا يتجدد سبيلا للوعظ غير جهنم في الآخرة بحيث لا يرى مأمامه من الرحات ولا ما حوله من النعم التي أسبغها الله على الانسان والحيوان ، وما بين المسلم والمؤدّب الذي يضربه بالعصا أيام التعليم ، ياسبحان الله ان الأمة أيام تقهرها يكون أساوبها في الدين وفي الحكومة وفي نظام التعليم على وتيرة واحدة فلقصور الحكومات عن تمام النظام لاتجد لها مناصا من الاضطهاد . ولجهل المعلم لا يعرف غير العصا وسوء المملكة وقلة العلم يقتصر الوعاظ في أكثر أقوالهم على التحذير من عذاب جهنم وبئس القرار

علم الله ذلك لأنه قدره قبل أن يخلق العالم فأنزل البسملة في أول كل سورة وعممها بالسنة الشريفة المحمدية ليقول لنا اليوم

« أيها المسلمون . لأن كنت أنا ذا رحمة وغضب في الآخرة بالجنة والنار لقد أسبغت النعم عليكم في الدنيا ظاهرا وباطنا وأحطتكم فيها بالمنذرات والمخاوف والآخرة في نعيمها وحجيمها نتيجة حياتكم هذه فن غفل عن رحمتي الواسعة في الدنيا وجهل ما أحطته به من الجلال والنعم فاني عدل حكيم أدله في الدنيا جزاء وفاقا ، وليس هذا الاذلال للانتقام . كلا . وانما هو نتائج ، ألم تقرؤا - و يعطى كل ذى فضل فضله - فكيف أهب رحمتي لمن لم يكن أهلا لها ، بل كيف أسبغ نعمتي على من لم يطلبها ؟ ولا تطلب الابنية . ولا تية إلا بالعلم ، فالعلم بالمخلوقات حولكم يجعلكم لها عاشقين والعشق تتبعه نية التحصيل والنية يتبعها العمل »

هذا سر من أسرار تكرار البسملة في أول كل سورة ، وأنه ليخيل إلى الآن أن عقلا كبيرا من العقول العظيمة في البرزخ اطاع على هذه الأمة الاسلامية فقال عجباً أليس في هؤلاء رجل رشيد ، كرّر الله البسملة وكررها عنهم وخاضتهم ، ألم يتفكر منهم رجل في حكمة هذا التكرار ، أليس التكرار لعظم المقدار والحاجة إلى هذا المكرر ، تكرار القرآن ليس كتكرار كلام البشر . فأين الباحثون عن حكمته ؟ هنا كررت آية - ويل يومئذ للكذابين - في ﴿ سورة المرسلات ﴾ . ذلك لأن جرم التكذيب عظيم . وكررت آية - فبأى آلاء ربكما تكذبان - في ﴿ سورة الرحمن ﴾ لأن أصر النعم عظيم وهو تكرار البسملة في أول السور . تهويل العقاب على التكذيب ناسبه تكرار الآية المقدمة جلال النعم والرحمات عظمت العناية بها في ﴿ سورة الرحمن ﴾ وغيرها تكررت آية الآلاء وجعلت البسملة في أول كل سورة من القرآن

رتب الامام الشافعي رضي الله عنه أعضاء الوضوء كما رتب في الآية وهذه دقة في الملاحظة واستمسك بالدين فهل في خطة الانصاف ومهيج العدل ونور العقل أن يحرص أوائلنا هذا الحرص على آي التنزيل حتى انهم يوجبون فرائض لأمر منوى وهو التقديم والتأخير . ثم اننا نحن المتأخرين نرى آلاء الله قد عمت الكورة الأرضية ونسمع البسملة وآية الآلاء تكرر تكراراً كثيراً ثم لانفكر في الحكمة ولا نقول لماذا هذا التكرار ولم يقف مسلم عالم من أهل الاسلام يوماً ويقول تقديم وتأخير في آية الوضوء أنتج وجوباً شرعياً ، وتقديم وتأخير في آية ذكر الله فيها المهاجرين والأنصار احتج بها أبو بكر الصديق يوم سقيفة بني ساعدة وقال « أسألكم قبلكم وقدئنا في القرآن عليكم فنحن المهاجرون وأنتم الأنصار ، فنحن الأمراء وأنتم الوزراء الخ » . وبني على ذلك أصراً واقفاً وهو خلافة الخلفاء الأربعة والأمويين والعباسيين وبنى الحسن والحسين وغيرهم من آل البيت وبقية قریش . كل ذلك لتقديم وتأخير . يحصل هذا كله أيام آبائنا الأولين . ثم اننا اليوم نسمع البسملة تذكراً فيها الرحمة مكررة مرتين وفيها كلمة الرحمن التي لا تطلق إلا على الله . ونسمع آية سورة الرحمن المكررة . ومن عجب أن آية الآلاء المكررة عشرات المرات لم تسكن إلا من السورة المسنونة باسم (الرحمن) والرحمن مذكورة في البسملة . إذن هذه النعم المذكورة في (سورة الرحمن) ايضاح لمعنى البسملة كأن الله يقول « البسملة المكررة في غدوكم ورواحكم تفسيرها يكون بنعمتي » . وابتدأها بأعظم نعمة وهي

(١) تعليم القرآن ، فأعظم نعمة إذن هو العلم

(٢) ثم خلق الانسان والشمس والقمر والنجوم والشجر والسماء والأرض والفاكهة والنخل والحطب والمشارق والمغارب والبحار والؤلؤ والمرجان والفلك في البحر

يا عجباً . أيها المسلمون . أليست هذه النعم في ﴿ سورة الرحمن ﴾ والرحمن اسم من أسماء ثلاثة في البسملة فوا أسفاه على أمة ضاعت ودول هلكت ونعم ذهبت . الرحمة التي في البسملة فصلت في ﴿ سورة الرحمن ﴾ ولقد ابتدأها الله بنعم الدنيا ثم أتبع ذلك بنعم الآخرة وتحلل ذلك التخويف بالعذاب في آيات قليلة ليدلنا أولاً أن نبتدئ بتعليم الناس هذه النعم الدنيوية مثل ما في هذا التفسير . أقول أنا بأعلى صوتي أيها المسلمون يجب وجوباً لا شبهة فيه أن أول تعليم المسلم من الآن يكون في كتب يذكر فيها جلال هذه العالوم بحيث يلد الطالب منظرها وجماله من شجر وحجر وكوكب ونهر . هذا واجب في الكتب وفي الحقول وعلى شطوط الأنهار كما أنزل الله في ﴿ سورة الرحمن ﴾ ففي سورة الرحمن ذكر الله نعم السموات والأرض والبحار وليس معنى هذا أن نكتفي بمعاني هذه الآيات . كلا . وانما المقصد أن ندرس عالوم السموات والأرض بهيئة جميلة لاسيما لأطفالنا الصغار لاننا نقول لهم أيها الأطفال المساكين احفظوا سورة الرحمن ونحوها فحسب بل نريهم صور ما ذرأ الله من الجبال والبهاء والأزهار والأنهار ونفهمهم ذلك بمبارة رشيقة جميلة ثم نتبع ذلك بذكر الآية واذن نكون أدينا ما وجب علينا . الله أكبر . أفليس تكرار البسملة في أول السور وتكرار آية الآلاء في (سورة الرحمن)



وسرد نعم الدنيا أولاً ثم نعم الآخرة في نفس السورة التي ابتدأت بالرحمن . ثانياً أقول أليس ذلك كله يوجب علينا أن نفعل ما تقدم في تعليم الناشئين ويكون ذلك الوجوب ألزم وألزم بحسب الدليل وبحسب النتيجة من وجوب ترتيب أعضاء الوضوء ومن وجوب كون الأصراء من قریش الذين استنتجوا من مجرد التقديم والتأخير وإذا وجب ذلك اليوم بهذا الدليل فليس لنا فضل في استنتاجه لأنه آيات واضحات لا يعوزها أعمال فكر . في آيات ﴿سورة الرحمن﴾ مسندات الى ذلك الاسم الذي في البسملة يكرره المسلم صباحاً ومساءً في غصده ورواحه . فأما أبو بكر رضى الله عنه والشافعي فقد أتيا بما يدق عن الأفهام اعظم منحة الله لهما والله ذو الفضل العظيم

اللهم إنك أنت الذي صرفت عقول الأمم الاسلامية المتأخرة المتفرقة في الأرض بعد القرون الثلاثة التي هي خير القرون عن الخلطة المثلثي في التعليم التي يقتضيها القرآن لأنك عدل فانك أبحث الغنائم لهم ليصرفوها في منافع أهل الأرض ، وحاد الخلف عن طريق السلف الصالح فلم يفعلوا ما فعله أبو بكر وعمر وعثمان وعلى من التجاني عن المال والزهد فيه وصرفه في مصارفه الحققة وهي اسعاد أهل الأرض وعمارتها لأنهم خلقاؤه فيها . وعكف الذين سموا أنفسهم خلفاء بعد تلك القرون وكذلك الأصراء التابعون لهم على الخمر والفسوق وأشاعوا ذلك وأذاعوه في أواخر دولهم في الشرق وفي بلاد الأندلس في الغرب . لذلك صرفت عقول العلماء عن هذه المباحث العالية غالباً لأن الأمم التي تقرأ العلوم الأرضية والسماوية تفتح لها أبواب الرجات على مقدار ما يتعلمون ويعملون فأعطيتهم نعماً علمية وعملية على مقدار أخلاقهم ولم تفتح الباب لهم على مصراعيه لئلا يستبدوا بعبادك فانطبق على كثير من متأخريهم آية - خلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا - ، وتنادوا في ذلك حتى أحرق (علي بن تاشفين) من المرابطين كتب الامام وأذى المنصور بالله يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن الرابع من خلفاء الموحدين ببلاد المغرب ابن رشد . ذلك الذي نادى بأعلى صوته بين المسلمين يقول « أيها المسلمون . علم التوحيد على هذا الخط ضار بكم أجمعين لماذا حدثتم عن طريق القرآن الذي وصف هذه الأفلاك والأشجار ، وما هذه الطرق العقيمة في التوحيد ، وهل من جادة الصواب أن يكون التعريف أخفى من المعرف والله يدركه العاوي بغريزته . وهذا التوحيد الممزوج بالفلسفة الصعبة يشكك المسلم في دينه » ثم أخذ ينشر آيات من القرآن من ﴿سورة النبأ﴾ ليدلهم على طريق التوحيد الحق . وقد نقلت ذلك بالتطوير في كتابي ﴿نظام العالم والامم﴾ فاقرأ هناك

فهذا العالم المخلص للأمة الاسلامية هو وأمثاله اضطلعهم المسلمون ، فلما مات بعد أن أخرج من محبسه بسنة طاق المسلمون علوم الحكمة وصاروا غالباً صوفية ذوى وجدان منذ سبعة قرون . ذلك ان تلاميذ ذلك العالم جأوا علمه الى أوروبا كما أوضحته في غير هذا المقام من هذا التفسير حتى اننا نحن الآن قد حرمانا من أكثر كتبه فانه وان عثرنا على خمسة كتب مطبوعة بالعربية مثل (التهافت) و (فصل المقال) و (الكشف عن مناهج الأدلة) والقسم الرابع من كتاب (ما وراء الطبيعة) و (بداية المجتهد) فانا حرمانا من كتبه التي باللاتينية أو العبرية وهي (٢٨) كتاباً كلها في الحكمة ذكرها الاستاذ (لطفي جعه) المحامي في كتابه ﴿تاريخ فلاسفة الاسلام في المشرق والمغرب﴾ لانطيل بذكرها . انتشرت كتبه في أوروبا إذ ذاك وأخذ القوم يدرسونها ثم انتقلوا من هذه الكتب الى أصولها وهي باللغة اليونانية ثم ارتقوا بعد ذلك فأخذوا يفكرون بعقولهم ويستنتجون من نفس الطبيعة . الله أكبر . هذا مقصود القرآن وهذا معنى بسم الله الرحمن الرحيم ترك متأخرو المسلمين النظر في جمال الله ولم يسمعو انصح حكماهم فهربت الحكمة الى أوروبا فافعلوها وفهموها وانتقلوا الى أصولها في اليونان ثم الى الأصل الحقيقي وهو هذا العالم الذي خلقه الله فربتوا تعليمهم على مقتضاه ودرسوا لصبيانهم في مدارسهم على مناهج التي ذكرها الله في سورة الرحمن وهي الآلاء أي آلاء الله

في الأرض والسماء من شجر ونبات ونهر وحجر ونجم . فهذا هو الذي يدرسه الأمريكي والانجليزى والألمانى والمجرى واليونانى والصينى الآن . لماذا هذا كله ؟ لأنهم فكروا في الدنيا ، ولماذا لأنهم اطلعوا على أصول فلسفة اليونان التى بنى عليها فلسفته (ابن رشد) التى استبهرت من مكانها بسبب ظهور خاتم الأنبياء الذى أرسل رحمة للعالمين . يا عجباً . نبينا ﷺ رحمة للعالمين . وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين . فهو رحمة لأنه علمنا وتعليمه أثار فلسفة أهل الأرض وامتدت الحركة العلمية الى وقتنا الحاضر فقرأنا كتب أوروبا فوجدنا تعاليمهم على مقتضى سورة الرحمن . فقرأنا أيها الذكى كتبهم تجددها كسورة الرحمن التى هى فى الحقيقة كبيان لاسم الله الرحمن التى يتبرك بها المسلم كل صباح وكل مساء ، فهو ﷺ رحمة من الله الرحمن الذى علم القرآن وشرح فى نفس هذه السورة عجائب السموات والأرض

انى أنا وأنا أكتب هذا القول فى غاية العجب ، فوالله لم تكن هذه الموافقات وعجائب الحكمة القرآنية لتخطر لى عند ما أمسكت بالقلم ولكن الله عز وجل هو الملمم المتفضل ، بأمثال هذا عرفت أن فى القرآن من السر ما لم نحلم به الآن . إن ربى لطيف لما يشاء .

ومن ألفت مائى القرآن والعبادات أن الفاتحة مبتدأة بالثناء على الله وذكر رحمة وهو كابتداء ﴿سورة الرحمن﴾ والرحات المفصلة فيها ، وتجدد المسلم فى التشهد يصلى على نبينا ﷺ وعلى ابراهيم ليكون ذلك أولاً مزرعة للشواب الراجع للعباد من طريق العبادة للخاصة والعوام وتذكرة عند العلماء باتجاه ابراهيم للذى فطر السموات والأرض بعد نظره فى الكواكب ، فهو على منهج (سورة الفاتحة) نظر أولاً وعبادة آخرى وبهذا كسر الأصنام وهذه الملة ابراهيم ولذلك درج على طريقه نبينا ﷺ فكسر الأصنام ، فهذا تذكرة بأمرين الابتداء بمحاسن الطبيعة كالخليل ونبذ العادات الجامدة والارتقاء بالعقل كالخليل ومحمد ﷺ

#### ﴿ تلخيص ما تقدم ﴾

لما وصلت الى هذا المقام حضر صاحبي العالم الذى اعتاد مناقشتى فى التفسير فقال لقد أجبت فيما شرحت هنا فانك قد أثبت أن النظام عند متأخرى المسلمين كان استبدادياً غالباً ، فظلم من حكمهم وجهل من خطبائهم وضباوة من دعاة المعلمين ، يضربون صغارهم بالعصى وأن هؤلاء لم يفتح لكثير منهم باب الرحمة على مصراعيه لأنهم حادوا عن طريق آباؤهم لأنهم جعلوا أن حكم الأمم لشهوات أنفسهم ، وانهم تهادوا فى الجهل حتى أذلوا حكماءهم . وأن ابن رشد أفاد كيف يتعلم الأطفال فى مدارسهم وأن تعليمه على نمط القرآن وأن علمه انتقل الى أوروبا ولما قرؤوه فهموا وقرأوا أصله باليونانية ثم فكروا بأنفسهم ، وهادى ذه تعاليمهم الآن أصبحت هى نفس ما طلبه (ابن رشد) من المسلمين بقراءة هذه العوالم المحيطة بأهل الأرض وهى نفس ما جاء فى سور كثيرة ومنها سورة الرحمن ، والله تعالى جعل النبى ﷺ رحمة للعالمين ، وهذه هى الرحمة العامة إذ تتعلم أوروبا بالآن وأمريكا واليابان بالطريقة الحديثة بسبب ابن رشد وغيره من المسلمين الذين لولاهم لم يرجع هؤلاء القوم الى كتب اليونان والى العقل الانسانى والاجتهاد الفردى وهذه من أجل المعجزات فى زماننا . وكل هذا تقتضيه البسمة ولماذا تكررت فى سور القرآن وما فعلوه موافق لما فهمته أنت الآن من وجوب ابتداء التعليم شرعاً فى الاسلام فى كتب جيلة فيها صور العوالم السماوية والأرضية تبياناً لمعنى سورة الرحمن وسورة النبأ وغيرهما وهذه الكتب تكون فيها مواضيع مختلفة جيلة يفرح بها الشبان ثم يخرجهم الأساتذة فينظرون نفس هذه المناظر بأنفسهم فى الخواص وشطوط الأنهار والحقول . هذا يؤخذ من كلامك ، ولقد جعلت لك فى ذلك امامين أبابكر الصديق رضى الله عنه والشافعى بما استنتجا من تقديم وتأخير ﴿مسألتين﴾ سياسية وعملية وافدت أن دليلك أنت لا يعوزه طول تفكير لوضوحه . أماد ليلاهما ففهيما دقة لا يعرفها إلا من على شاكلتهما أقول ، والله ان هذا كله حسن ونعمة عظيمة لأن المسلمين اليوم هم الأمة الوحيدة فى العالم التى تباعدت

عن طريق كتاب الله تعالى في أساليب التعاليم ، وأنا أقول والله مامن عالم أو أمير أو عاقل في أمة الاسلام يقرأ هذا إلا وهو يسارع حالا الى هذا النظام لأن هذا القول حجته قائمة ونتائجه واضحة ولكني أسألك ﴿سؤالين﴾ الأول ﴿انك قلت ان الفرنجة لما قرؤوا فلسفة (ابن رشد) رجعوا الى أصلها باليونانية ، والرجوع لليونانية جعلهم ينظرون بعقولهم . فهل الرجوع لمثل هذه الأحوال لا بد منه﴾ الثاني ﴿انك قلت ان كتب الفرنجة في تعليم أطفالهم جيلة ترجع الى سور القرآن بوجه عام والى (سورة الرحمن) بوجه خاص وهى مبتدأة بالرجعة المذكورة في البسملة التى كلامك الآن فيها ، وأن من قرؤا على هذا النمط يفتح الله لهم أبواب رحته في الدنيا على مقتضى ماوصلوا اليه ، فأريد أن تذكر نموذجاً من كتبهم ، نعم ان المقام طال ولكن المقام يحتاج ايضاحه الى إجابة على هذين السؤالين . فقلت أما رجوع الفرنجة الى الفلسفة اليونانية فهو واجب على كل من قرؤا الفلسفة العربية . فقال ولماذا ؟ قلت لأن كتبهم كثيرة وعلماءهم أكثر والترجمة يدخلها التحريف بل انتخريف ، فلذلك وجب الرجوع الى أصل اليونانية على من درس الفلسفة بالعربية (متى أمكن ذلك) في ذلك الزمان . فقال هل تذكر مثالا واحدا مما جاء في العربية ضارا بالعقول مع انه باليونانية كان نافعا . فقلت أظن ان هذا يخرجنا عن الموضوع . فقال ولكن هو حسن ومفيد الآن . فقلت أنت تعلم أن الفلسفة التى نقلت الى العربية من اليونانية قد جاء فيها ان العالم قديم . فقال هذه محور فلسفتهم . فقلت هذا من مخزبات الدهر . فقال وكيف ذلك . قلت ألم تقرأ ما ذكرته سابقا عن طيماوس الحكيم مع سقراط فانه برهن على أن العالم حادث مع ان الرجل قبل الميلاد بخمسمائة سنة . ولوأن هذا القول نقل الى اللغة العربية لم يكن هذا الخلط في علم التوحيد والجدال ، ولم نسمع أبا العلاء يقول وهو لا يعلم برهان طيماوس مامعناه

قالوا إله بلا مكان \* ولا زمان ألا فقولوا

هذا كلام له خبيء \* معناه ليست لنا عقول

فقال أى والله هذان البيتان أسمعهم مامن جميع الشبان في الأندية ومحال شرب القهوة والخمر والطعام الفرنجية في مصر والشاب منهم مجرب بملابسه وماكله الفرنجية وفسوقه وخمره فهو فرح طرب لأنه عثر على كنز ثمين وهو أن الديانات كلها خاطئة بسبب هذين البيتين . فقلت ولكن هذا القول الذى قاله علماء التوحيد هو نفسه الذى قاله طيماوس فيما تقدم وقد رأينا نحن في كلام الفرنجة الذين اطلعوا على الفلسفة باليونانية . ألم ترى طيماوس فيما تقدم كيف يقول « ان العالم حادث » . والله لم يكن في زمان ولا في مكان لأن الزمان ماهو إلا بحركات الفلك فان الليل والنهار نعرفهما بالشمس والشمس ولا قر قبل خلق الأفلاك وهكذا لا مكان لأن المكان ماهو إلا سموات وأرضون ولا سموات هناك ولا أرضين . وهذه المسألة أصبحت اليوم معروفة لأن علماء العصر الحاضر كلهم أجمعوا على أن هذه العوالم كلها كانت غازا منتشرا ثم صارت سموات وأرضين . فرأى طيماوس هو رأى علماء العصر الحاضر . إذن كون الله لا يحكم عليه زمان وليس في مكان قضية واضحة ظاهرة لأنه لم يكن زمان قبل هذه الأفلاك ولا مكان . إذن هذان البيتان اللذان جعلنا للتكم والسخرية خاطئان خياليان والعقل هو الذى يحكم على أرباب الخيال . فاولا اطلع القوم على آراء اليونان باللغة اليونانية لم نعرف ماذا قالوه وبه أدركنا الحقيقة ودفعنا تلك الآراء التهكمية التى يتسلى بها صغار العقول من الشبان والشابات في بلاد الاسلام . هذا جواب سؤالك الأول

وأما نموذج كتب المطالعة لأطفالهم تطبيقا على ماتقدم وموافقة للقرآن وسورة الرحمن وللبسملة لتكون نبينا ﷺ رجة للعالمين . فان ماتقدم في هذا التفسير فيه غنية لأولى الألباب . وسترى في ﴿سورة يس﴾ عند آية - سبحانه الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم وما لا يعلمون - رسم ورقة شجرة وكيف كان فيها آلاف وآلاف من الفتحاح وتحتها ما يشبه الحجرات . وأن الحيطان الشفافة

والسقوف المرسومة بما يشبه اللبنة في أبنيتنا المعتادة . وفي وسط تلك الحجرات مادة سائلة يعوم فيها مادة خضراء تلون تلك السقوف . فهناك ستشاهد تلك الحجرات البهجة التي تعد بمئات الألوف في الورقة الواحدة وترى أن الورقة هي رثة النبات وابداعها في غاية الاتقان والجمال والغراب فكيف تكون عشرات الملايين منها في ورقة واحدة ؟ ثم كيف تكون هي معدة لتغذية الشجرة بالمواد السكر بونية على شريط أن يساعدها ضوء الشمس

فلما سمع صاحبي ذلك قال هذا أمر عجيب جدا ولكنني الآن أسألك في أمر غير هذا . أسألك في نفس كتب الأطفال وأما هذه فأما هي تعاليم الكبار تناسب أمثال هذا التفسير فلنرجعها إلى أن نطلع عليها في ﴿سورة يس﴾ فقلت هاك نموذج هو كتاب صغير يسمى ﴿القراءة الملوكة﴾ كان يدرسه التلاميذ في بلادنا المصرية في عهد الاحتلال على أساليب تنالهم في بلادهم . ولست أذكره إلا على سبيل المثال فاني أريد أن توضع كتب الدراسة في بلاد الاسلام بعد الدرس والتحريض من ذوي العقول الكبيرة الذين اصطفاهم الله من قراء أمثال هذا التفسير . فهناك مواضع ذلك الكتاب بحسب ترتيبها

(١) العنكبوت (٢) الصبي والعصفور (٣) الأرنب (٤) العنكبوت (٥) التبريد في الاستيقاظ من النوم (٦) النحل (٧) نظم في النحل (٨) الأوز (٩) قل الصدق (١٠) أنعم صباحا أيها الطائر (١١) الذئب (١٢) صدى الصوت (١٣) أنعم صباحا أنعم مساء (١٤) القط وطار الكناري (١٥) الزنبار والنحلة (١٦) الحصان (١٧) السحاب والمصباح (١٨) معلومات عامة نافعة في الحيوان (١٩) الجمل (٢٠) تاريخ كلب (٢١) القانون الذهبي (٢٢) الحمار (٢٣) قصة النحلة والحل ولدها (٢٤) الدب الأسمر (٢٥) الأسد والفأر (٢٦) الحروف (٢٧) الغراب والاربع (٢٨) الجندي والحسان (٢٩) الدب الأبيض (٣٠) الثعلب والعنز (٣١) هارف نافعة (٣٢) الدب في المدرسة (٣٣) القيطس وهو حوت عظيم جدا (٣٤) الأرنب والسلحفاة (٣٥) السريخ والبطيخ (٣٦) الصبي والخوخ « البرقوق » (٣٧) العصفور الدوري (٣٨) الأسد (٣٩) النمر (٤٠) الفهد (٤١) حمار الحبشة (٤٢) المعادن (٤٣) الأطفال (٤٤) الملك والمملكة (٤٥) طائر بحري (٤٦) نبات الشاي والقهوة

هذه المواضع هي مواضع الكتاب الانجليزي المذكور ولم أترك منه إلا عدد الأصابع لعدم أهميته . فهذا أيها الأخ هو النهج الذي نهجه القوم في مدارسهم لأطفالهم بحيث يشرحون الحيوان أو النبات ثم يستخرجون بعض حكمه كأن يذكرهم بنشاط النحلة وانسكال الأرنب على سرعة جريه واجتهاد السلحفاة وكأن يذكرهم عند ذكر عوم صفار الطيران الله هو الذي علمهم بلاأساتذة وهكذا فلايتجون كتابا صغيرا مثل هذا حتى يكونوا قد علموا مبادئ العلوم بحكايات ومناظر مشوقة وأحبوا الحيوان والبحث فيه وعطفوا عليه وتعلموا أخلاقا مما يذكرهم به المدرسون

فلما سمع ذلك صاحبي قال لقد أحسنت أيما احسان وشرحت صدرى ولكنني أسألك آخر سؤال وهو لم اخترت هذا الموضوع في هذه السورة في تفسير بسملتها . فقلت ان في هذه السورة آية - ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين - وفيها آية - يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ﴿ وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ﴾ وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا - وفي سورة التوبة انه ﷺ - بالمؤمنين رؤوف رحيم - فهو ﷺ رحيم بالمؤمنين ومراج للناس منير وأول السورة بسم الله الرحمن الرحيم . فآلة رحمن رحيم وهو ﷺ رؤوف رحيم بالمؤمنين بل هو خاتم الأنبياء مرسل للناس قاطبة وباب رسالته مفتوح لجميع الأمم فيكون لهم رحمة . فتفسير الرحمة في هذه السورة باظهار العلوم المخزونة في خزان الأمم الاوروبية منذ أيام اليونان ونشرها بين المسلمين وتعليم المسلمين للاوروبيين ثم تمقيح هؤلاء لها بالبحث

ثم رجوعها ثانيا لنا الآن لتسقط بعد نومنا الميق . كل ذلك رجة بنا نحن المؤمنين بل رجة بالعالم قاطبة فهو في آية أخرى يقول - وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين -

فتعال صاحبي . هذه رحمة للناس ﷺ فأريد الساعة أن تذكر لي رحمة بالحيوان حتى يعلم المسلمون أن درس المسلمين على منهج يقرب من المنهج المتقدم خير وأعظم فقلت جاء في كتاب « تيسير الوصول الى جامع الأصول » مانصه

### ﴿ كتاب الرحمة \* وفيه ثلاثة فصول ﴾

#### ﴿ الفصل الأول في الحث عليها ﴾

عن ابن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ « الراحمون يرحمهم الله تعالى . ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء ، الرحم شجرة من الرحمن من وصلها وصله الله ومن قطعها قطعها الله تعالى » أخرجه أبو داود الى قوله من في السماء والترمذي بهما (الشجرة) بكسر الشين الموحدة وفتحها بعدها جم القراءة المشبهة كاشتباك العروق

وعن جرير رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « لا يرحم الله من لا يرحم الناس » أخرجه الشيخان والترمذي . وفي أخرى لأبي داود والترمذي عن أبي هريرة رضى الله عنه قال ﷺ « لا تنزع الرحمة إلا من شقي »

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال « قبل رسول الله ﷺ الحسن بن علي رضى الله عنهما وعند الأقرع بن حابس ، فقال الأقرع إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدا ، فنظر اليه رسول الله ﷺ ثم قال من لا يرحم لا يرحم » أخرجه الخمسة إلا النسائي . وزاد رزين « وأملك ان كان الله نزع منكم الرحمة »

#### ﴿ الفصل الثاني في ذكر رجة الله تعالى ﴾

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « لما قضى الله الخلق ، وعند مسلم لما خلق الله الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش . ان رحمتي تغلب غضبي » أخرجه الشيخان والترمذي . وعند البخاري رحمة الله في أخرى « ان رحمتي غلبت غضبي » وعند الشيخين في أخرى « سبقت غضبي » وعنه رضى الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ « جعل الله الرحمة مائة جزء فأمسك عنده تسعة وتسعين وأزل في الأرض جزءاً واحداً فمن ذلك الجزء تتراحم الخلائق حتى ترفع الدابة حافوها عن ولدها خشية أن تصيبه » أخرجه الشيخان والترمذي

وعن سلمان الفارسي رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « إن لله مائة رحمة ، فمنها رحمة يتراحم بها الخلائق بينهم وتسعة وتسعون ليوم القيامة » أخرجه مسلم . وله في أخرى « ان الله تعالى خلق يوم خلق السموات والأرض مائة رحمة كل رحمة طباق ما بين السماء والأرض ، فجعل منها في الأرض رحمة واحدة فيها تعطف الوالدة على ولدها والوحش والطير بعضها على بعض فاذا كان يوم القيامة أكملها الله تعالى بهذه الرحمة » وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال « قدم على رسول الله ﷺ بسبي فاذا امرأة من السبي تسبي قد تحلب ثديها إذ وجدت صبيا في السبي فأخذته فألزقته بطنها فأرضعته . فقال ﷺ أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار ؟ قلنا لا والله وهي تقدر على أن لا تطرحه ؟ قال فאלله تعالى أرحم بعباده من هذه بولدها » أخرجه الشيخان

#### ﴿ الفصل الثالث فيما جاء من رحمة الحيوان ﴾

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « بيننا رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش

فوجد بها فنزل فيها فشرب ثم خرج وإذا كلب يابئث يأكل الثرى من العطش . فقال الرجل لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ منى فنزل البئر فلاحظه ثم أمسكه بفيه حتى رقى فسقى الكلب فشكر الله تعالى له فغفر له . قالوا يا رسول الله وإن لنا في البهائم أجرا ؟ قال في كل كبد رطبة أجر . أخرجه الثلاثة وأبوداود . وفي أخرى « إن امرأة بغيا رأت كلبا في يوم حار يطيء بئر قد أدلج لسانه من العطش فنزعت له موقها فغفر لها به » . هكـ الكلب وغيره إذا أخرج لسانه من شدة العطش والحرق وكذا أدلج لسانه والثرى التراب الندى والمراد هنا التراب طاقا ، والسكبد الرطبة كل ذات روح ولا تكون رطبة إلا إذا كان صاحبها حيا ، والبئى المرأة الزانية ، والموق الخلف

وعن ابن عمر رضى الله عنهما . قال قال رسول الله ﷺ « دخلت امرأة النار في هرة ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض » أخرجه الشيخان . (خشاش الأرض) هوامها وحشراتنا وعن عبد الله بن جعفر رضى الله عنهما . قال « كان أحب ما استتر به رسول الله ﷺ لحاجته هدف أو حافش نخل ، فدخل حائط الرجل من الأنصار فإذا فيه جبل فلما رأى النبي ﷺ حنّ وذرفت عيناه فأتاه رسول الله ﷺ فسح ذفراه فسكت ، فقال من رب هذا الجبل ؟ فقال فتى من الأنصار هو لى يا رسول الله . فقال أفلا تتقى الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها فانه شكى إلى انك تجيعه وتدبسه » أخرجه أبوداود . الهدف ما ارتفع من الأرض من بناء وغيره ، وحافش النخل نخلات مجتمعات ، والحائط البستان وذفرى البعير الموضع الذي يعرق من قفاه خلف أذنيه ويجعل فيه القطران وهما ذفران ، وتدبسه تتبعه بكثرة استعماله

وعن أبي هريرة رضى الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ « لا تتخذوا ظهور دوابكم منبرا إنما سخرها الله لكم لتبلغكم إلى بلد لم تكونوا بالفيه إلا بشئ الأنفس ، وجعل لكم الأرض فعليها فاقضوا حاجتكم » أخرجه أبوداود . (شئ الأنفس) جهدها وشدة ما نالقيه عند مقاساة الأمور الصعبة وعن عبد الرحمن بن عبد الله عن أبيه رضى الله عنه قال كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فرأينا حجرة معها فرخان لها فأخذناهما فجاءت الحجرة تعرش ، فلما جاء رسول الله ﷺ قال من فجع هذه بولدها ردوا ولدها إليها ، ورأى قرية نمل قد أحرقناها فقال من أحرق هذه ؟ قلنا نحن ، قال انه لا ينبغي أن يعذب بالنار إلا رب النار . أخرجه أبوداود

(الحجرة) بضم الحاء المهملة وتشديد الميم نوع من الطير في شكل العصفور ، وقوله (تعرش) بالعين المهملة والشين المهملة أى ترفرف وترخى جناحيها وتدنون من الأرض لتقع عليها ولا تقع ، وروى تفرش بالفاء من فرش الجناح وبسطه

وعن محمد بن اسحق ، عن رجل من أهل الشام يقال له أبو منظور عن عمه عن عامر الرام أخى الخضر قال انا لببلادنا إذ رفعت لما رايات وألوية فقلت ما هذا ؟ قالوا لواء رسول الله ﷺ فأتيته وهو جالس تحت شجرة وقد اجتمع اليه أهبابه فجلست إليهم فذكر النبي ﷺ الأسقام والأمراض . فقال ان المؤمن اذا أصابه السقم ثم أعفاه الله عز وجل منه كان كفارة لما مضى من ذنوبه وموعظة له فيما يستقبل . وان المنافق اذا مرض ثم أعفى كان كالبعير عقله أهله ثم أرسلوه فلم يدر لم عقابه ولم أرسلوه . فقال رجل ممن حوله يا رسول الله وما الأسقام والله ما مرضت قط ؟ فقال له قم فليست منا . أخرجه أبوداود . والألوية جمع لواء وهى الراية الكبيرة دون الأعلام . وأعفاه وعافاه بمعنى واحد

وعن أبي هريرة رضى الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ « قرصت نملة نبيا من الأنبياء فأمر بقرية النمل فجرفت فأوحى الله تعالى اليه ان قرصتك نملة أحرقك أمة من الأمم تسبح » أخرجه الخمسة إلا الترمذى



(وقرية النمل) مسكنها . انتهى ما جاء في الكتاب المذكور  
ثم قال صاحبي . لقد استوفيت هذا المقام وشرحت صدرى . فقلت الحمد لله رب العالمين . كتب في ليلة  
الخميس (٥) سبتمبر سنة ١٩٢٩ م وبهذا تم الكلام على القسم الأول في تفسير البسملة

### ( القسم الثاني )

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا \* وَاتَّبِعْ  
مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا \* وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ  
وَكِيلًا \* مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمْ اللَّائِي تُظَاهَرُونَ  
مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ  
وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ \* أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ  
فَاِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ  
قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا \* النَّبِيُّ أَوْلىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ  
وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا  
إِلَىٰ أَوْلِيَاءِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا \* وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ  
وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا \* لِيَسْأَلُ  
الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا \* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ  
اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا  
تَعْمَلُونَ بَصِيرًا \* إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ  
الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا \* هَٰكَذَا بُشِّرَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا \*  
وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا \* وَإِذْ  
قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ  
يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا \* وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ  
أُفْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْنَهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا \* وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ

قَبْلَ لَا يُؤْتُونَ الْأَذْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا \* قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُقْتَمُونَ إِلَّا قَلِيلًا \* قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا \* قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هُمْ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ النَّاسَ إِلَّا قَلِيلًا \* أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِالسِّنَةِ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا \* يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْتَأْذِنُ عَنْ أَنْبَاءِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا \* لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا \* وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا \* مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ سَلَفُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا \* لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا \* وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِخِيْلِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا \* وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَافِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا \* وَأَوْرَثَكُمُ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَّوْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا \*

### التفسير اللفظي

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يا أيها النبي اتق الله) أي يا أيها المخبر عنا المأمون على أسرارنا أثبت على تقوى الله ودم عليها (ولا تطع الكافرين والمنافقين) ولا تساعدهم على شيء واحترس منهم \* روى أن أبا سفيان وعكرمة بن أبي جهل وأبا الأعور السلمي قدموا المدينة بعد قتال أحد فنزلوا على عبد الله ابن أبي \* وأعطاهم النبي ﷺ الأمان على أن يكلموه فقالوا أرفض ذكر آلهتنا وقل أنها تنفع وتشفع وساعدهم المنافقون على ذلك فهم المسلمون بقتلهم فزالت أي اتق الله في نقض العهد ولا تطع الكافرين من أهل مكة والمنافقين من أهل المدينة فيما طلبوا ولذلك لما قال عمر أئذن لي يا رسول الله في قتلهم قال إني أعطيتهم الأمان قال عمر أخرجوا في لعنة الله وغضبه (إن الله كان عليا) بالمصالح والمفاسد (حكيا) لا يحكم إلا بما تقتضيه الحكمة (واتبع ما يوحى إليك من ربك)

في الثبات على التقوى (إن الله كان بما تعملون خبيراً) أى لم يزل عالماً بأعمالكم وأعمالكم (وتوكل على الله) وكل أمرك إلى تدبيره (وكفى بالله وكيلاً) حافظاً موكولاً إليه الأمور كلها أى اكتف بالله وكيلاً . وإذا كان الله لك وكيلاً فلا تخف من أحد فهو ناصر لك فاست في حاجة إلى المنافقين والكافرين إذ لا يجمع بين المتضادين إطاعة غير الله وإطاعة الله إذ ليس الإنسان قلبان حتى يطيع بأحدهما ويعصى بالآخر . وإذا كان للإنسان قلب ففى اتجه لأحد الشقين صمد عن الآخر ، فطاعة الله تصد عن طاعة سواه وهو يقوم بأمر من توكل عليه ، هكذا ليس تجتمع الزوجية والامومة في امرأة والبنوة الحقيقية والتبني في إنسان واحد فإذا ظاهر الرجل زوجته أى قال لها أنت على كذا ظهر أى فذلك حكم سيأتى في ﴿سورة المجادلة﴾ فاما أن تحرم عليه إلى أداء الكفارة واما أن تطلق ، فهذا القول ليس بحق إذ لا يجتمع كونه زوجها وكونها أما ، فاما أن تكون زوجته واما أن تكون أما . هكذا للتبني لا يكون ابناً حقيقة . وذلك أن زيد بن حارثة وهو رجل من كلب سبي صغيراً فاشتراه حكيم بن حزام لعمة خديجة فلما تزوجها رسول الله ﷺ وهبته له فطلبه أبوه وعمه وغير فاختار رسول الله ﷺ فأعتقه وتبناه . وكانوا يقولون زيد بن محمد فلما تزوج ﷺ زينب وكانت تحت زيد قال المنافقون تزوج محمد امرأة ابنه وهو ينهى عنه فقال الله ليس يجتمع النقيضان بنوة لابنوة فزيد ليس ابناً بل هو دعى بجمعه أدعياء وهو فعيل بمعنى مفعول وهو الذى يدعى ولداً وهذا الجمع شاذ لأن بابه ما كان بمعنى فاعل كمشق وتقى وأشقياء وأتقياء وهذا قوله تعالى (ما جعل الله لرجل من قليلين في جوفه وما جعل أزواجكم اللائى تظاهرون منهن) في تظاهرون قرأت وفيها معنى التجنب فعدى بمن (أمهاتكم وما جعل أدعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم) لا حقيقة له في الأعيان كما يقول الهاذى (والله يقول الحق وهو يهتدى السبيل) والله يقول ماله حقيقة مطابقة له وهو يهتدى السبيل إلى الحق . وسيأتى بعد تمام السورة في الرسالة المسماة ﴿السر الحبيب﴾ حكمة زواج النبي ﷺ زينب وحل زواجها وما يترتب على ذلك من نظام التشريع مع الحكمة في تعدد الزوجات في الإسلام وزوجات النبي ﷺ (ادعوهم لآبائهم) أى نسبهم اليهم (هو أقسط عند الله) وهذا تعليل له (فان لم تعلموا آباءهم فآخوانكم) أى فهم آخوانكم (في الدين ومواليكم) أى فسموهم بأسماء آخوانكم في الدين وأوليائكم فيه وقولوا هذا أخى ومولاي بهذا التأويل (وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به) ولا إثم عليكم فيما فعلتموه من ذلك مخطئين قبل النهى أو بعده نسياناً أو سبق لسان (ولكن ما تعمدت قلوبكم) أى ولكن فيما تعمدت قلوبكم الجناح (وكان الله غفوراً رحيماً) لغفوه عن الخطئ ، ولما كان المؤمن أخ المؤمن في الدين كما صرح وكان ﷺ ليس أباً لزيد بن حارثة أعقب ذلك ببيان منزلة النبي ﷺ من الأمة كلها . يقول الله ليس محمد أباً مختصاً بواحد منكم بل أبوة عامة وأنتم أخوة في الدين وأزواجه أمهاتكم بل هو أولى بكم من أنفسكم لأن أهل الأرض خلقوا فيها وهم غافلون عن العالم العلوى الذى هو الحياة الحقيقية فأنزل الملائكة بالوحى على الأنبياء فهم في الحقيقة آباء لكم ومحمد ﷺ منهم وأبوة الأنبياء أشرف من أبوة الآباء إذ بها الحياة الحقيقية والأخرى بها الحياة الثانية ، لذلك كان أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهى منزلة لم ينلها الآباء الجثانيون ، فإذا حضهم على الجهاد فذلك لارتقاءهم الروحى وهذا قوله تعالى (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم) لما تقدم بيانه فإذن كيف يستأذن الناس آباءهم وأمهاتهم لما أسره ﷺ بغزوة تبوك وهو أشفق من الآباء بل هو أولى بالمؤمنين الخ (وأزواجه أمهاتهم) منزلات منزلتهن في التحريم واستحقاق التعظيم \* روى البخارى ومسلم عن أبى هريرة قال ان رسول الله ﷺ قال « مامن مؤمن إلا وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة اقرؤا إن شئتم - النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم - فأما مؤمن ترك مالا فليترسه عصبته من كانوا ومن ترك ديناً أو ضياعاً فليفتح الضاد أى عيالا فليأتنى فأنا مولاه » ومعنى عصبته الميت من يرثه سوى من له فرض مقدر . وقد تقدم في ﴿سورة النساء﴾ وهذا قوله تعالى

(وأولوا الأرحام) وذوو القربات (بعضهم أولى ببعض) في التوارث (في كتاب الله) أي فيما فرضه الله (من المؤمنين والمهاجرين) أي وأولوا الأرحام بحق القرابة أولى بالميراث من المؤمنين بحق الدين والمهاجرين بحق الهجرة وذلك نسخ لما كان في صدر الإسلام من التوارث بالهجرة والموالات في الدين فهذه الآيات فيها رجعت الأمور إلى نصابها فليس للإنسان وجهتان معا مع أن له قلبا واحدا ، وليس للمرأة أن تكون أما وزوجة ، وليس الدعوى ابنا ، وليس المهاجر والمؤمن أولى بالميراث من ذوي الأرحام (إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفا) لما نسخ الله الميراث بالخلف والوفاة والهجرة وأصبحت الورثة بالقرابة أباح الوصية هؤلاء كما أباحها لغيرهم بالثلث فقال ولكن أن توصوا لمن تتولونهم من المعاقدين أي ولكن توصيتكم هؤلاء مشروعة أو جائزة (كان ذلك في الكتاب مسطورا) أي كان ما ذكر في الآيتين ثابتا في اللوح المحفوظ . ولما كان ما تقدم مفيدا أن النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم لأنه يرفعهم إلى عالم الأرواح أعقبه بذكر الأنبياء السابقين الذين هم آباء للآدم السابقين فقال (و) اذكر (إذ أخذنا من النبيين ميثاقهم) على الوفاء بما حوا (ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم) فهؤلاء أشهر أرباب الشرائع وآباء الأمم وقدم عليهم إيدانا بأن أمته ستكون أرقى الأمم أدبا وأخلاقا لأن رقى الأمة تبع لنبيها (وأخذنا منهم ميثاقا غليظا) مؤكدا ، وانما فعلنا ذلك (لنسأل الصادقين عن صدقهم) فيسأل الأمم كما يسأل الأنبياء ، فالأنبياء صادقون في التبليغ والأمم التابعة لهم صادقة في تصديق الأنبياء . فكل هؤلاء مسئول . فالأنبياء عما قالوه لقومهم والمصدقون لهم عن تصديقهم وهل قاموا بما وجب عليهم ؟ فاثاب المؤمنين (وأعد للكافرين عذابا أليما) واعلم أن سؤال الأمم عن صدقها يدعو إلى السؤال عن أعمالها لأن الإيمان وحده لا يكفي كما قال تعالى - أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ؟ ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين - وعليه لا بد من الأعمال والجد ومن أهمها الجهاد والجهاد أمر عام يشمل فروع الحياة كلها . فالعلم جهاد والأعمال كلها جهاد وقتال العدو جهاد . لذلك أعقبه بذكر غزوة الخندق وهي الأحزاب . والكلام عليها منحصر في ﴿ ثلاثة فصول ﴾ الفصل الأول ﴿ في ملخص الكلام عليها ﴾ الفصل الثاني ﴿ في تفسير الألفاظ ﴾ الفصل الثالث ﴿ في ربط هذه الغزوة بما قبلها من الآيات وانها أشبه بما كان في الأمم السابقة من امتحان الأمم وتذكيرها وفقا لما جاء في قصص الأنبياء في القرآن

### ﴿ الفصل الأول ﴾

ان نذرا من اليهود قدموا على قريش في شوال سنة أربع من الهجرة بمكة فدعواهم إلى حرب رسول الله ﷺ وقالوا لهم ان دينكم خير من دينه ثم جاؤا غطفان وقيسا وعيلان وحالفوا جميع هؤلاء أن يكونوا معهم عليه فخرجت قريش وقائدها أبوسفیان وغطفان وقائدها عينة بن حصن بن حذيفة بن بدر والحارث ابن عوف ومسعر بن ربيعة بن نوبة بن طريف وغيرهم . فلما سمع رسول الله ﷺ بذلك خط الخندق حول المدينة بإشارة سلمان الفارسي وهو يومئذ حرّ إذ قال يا رسول الله إنا كنا بقراس إذا حوصرنا ضربنا خندقا علينا فعمل فيه رسول الله ﷺ والمسلمون وأحكموه وقد أقطع لكل عشرة أر بعين ذراعا فخرجت لهم صخرة بيضاء من بطن الخندق فكسرت حديدهم وشقت عليهم . فلما علم بها رسول الله ﷺ أخذ المعول من سلمان وضربها به ضربة صدعتها وبرق منها برق أضاء ما بين لابتيها يعني المدينة حتى كأنه مصباح في جوف بيت مظلم فكبر رسول الله ﷺ تكبير ففتح وكبر المسلمون وهكذا مرة ثانية وثالثة فكانت تضيء وكان التكبير . ثم قال رسول الله ﷺ ضربت ضربتي الأولى فبرق البرق الذي رأيتم فأضاء له منها قصور الحيرة ومدائن كسرى كأنها أنياب السكّاب . وأخبرني جبريل أن أمّتي ظاهرة عليها ، ثم ضربت ضربتي الثانية فبرق البرق الذي رأيتم فأضاء لي منها قصور قيصر من أرض الروم كأنها أنياب السكّاب فأخبرني جبريل أن

أمتى ظاهرة عليها . ثم ضربت الثالثة فبرق البرق الذي رأيتم أضاء لى منها قصور صنعاء كأنها أنياب السكّاب فأخبرنى جبريل أن أمتى ظاهرة عليها فأبشروا . فاستبشروا المسلمون . وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده . فقال المنافقون ألا تعجبون بمنىكم ويعسكم الباطل ويخبركم أنه ينظر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وأنها تفتح لكم وأنتم إنما تحفرون الخندق من الفرق لاستطيعون أن تبرزوا فنزل ما سأتى . وإذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض - الخ ونزل - قل اللهم مالك الملك - الآية

ولما اجتمع هؤلاء الأحزاب الذين حاربهم اليهود وأتوا الى المدينة رأوا الخندق حائلا بينهم وبينها فقالوا والله هذه مكيدة ما كانت العرب تكيدها . وهناك كانت مصادمات بين القوم كرا وفرا . فن المشركين من كان يقتحم الخندق فيرمى بالحجارة ويقتل . ومنهم من كان يقتحمه بفرسه فيصيبه الموت وهكذا . ثم ان نعيم بن مسعود بن عامر من غطفان أتى رسول الله ﷺ فأعلمه انه أسلم وأن قومه لم يعلموا بذلك فقال ﷺ إنما أنت فينا رجل واحد فخذل عنا ان استطعت فان الحرب خدعة فأتى قريظة وقال لهم لا تحاربوا مع قريش وغطفان إلا اذا أخذتم منهم رهنا من أشرفهم يكونون بأيديكم تقيّة لكم على أن يقاتلوا معكم محمدا لأنهم رجعوا وسئموا حربه فانكم لا تقدرون عليه . وذهب الى قريش والى غطفان فقال لهم ان اليهود يريدون أن يأخذوا منكم رهنا يدفعونه لمحمد فيضرب أعناقهم وهم يتحدون معه على قتالكم لأنهم ندموا على ما فعلوا معه من نقض العهد وتابوا وهذا هو المخرج الذى اتفقوا عليه . فهناك تحاذل اليهود والعرب وحصل الفشل بسبب ذلك . وفى ذلك الوقت بعث الله ﷻ ريحا فى ليل شاتية شديدة البرد فجعلت تكفى قلوبهم وتطرح آنيهم وقد قام ﷻ يصلى هونا من الليل ثم يلتفت ويقول هل من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم فعل ذلك ثلاث مرات ولم يقم رجل واحد من شدة الخوف وشدة الجوع وشدة البرد فدعا حذيفة بن اليمان فذهب الى القوم فسمع أباسفيان يقول يا معشر قريش انكم والله ما أصبحتم بدار مقام لقد هلك الكراع والخلف وأخلفتنا بنو قريظة وبلغنا عنهم الذى نكره ولقينا من هذه الريح ماترون فارتحلوا فأتى مرتحل . فلما رجع أخبر رسول الله ﷻ فضحك حتى بدت أنيابه فى سواد الليل . انتهى الفصل الأول

### ﴿ الفصل الثانى ﴾

قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءكم جنود) أى الأحزاب المتقدم ذكرها وهم نحو اثني عشر ألفا (فأرسلنا عليهم ريحا) هى ريح الصبا (وجنودا لم تروها) الملائكة وقد خرج النبى ﷺ اليهم فى ثلاثة آلاف والخندق بينهم ومضى على الفريقين شهر لا حرب بينهم إلا التراب بالنبل والحجارة حتى أرسل الله عليهم الريح كما تقدم فأخصرتهم وسفت التراب فى وجوههم وأطفأت نيرانهم وقلعت خيامهم وماجت الخيل بعضها فى بعض فقال طليحة الاسدى أما محمد فقد بدأكم بالسحر فالتجاء التجاء كما تقدم (وكان الله بما تعملون) من حفر الخندق (بصيرا) رائيا . وقوله (إذ جاءكم) بدل من - إذ جاءكم - (من فوقكم) من أعلى الوادى من قبل المشرق وهم بنو غطفان (ومن أسفل منكم) من أسفل الوادى من قبل المغرب وهم قريش (وإذ زاغت الأبصار) مالت عن مستوى نظرها حيرة وشخوصا (وبلغت القلوب الحناجر) هذا إما تمثيل أو أن الرئة تنفتح من شدة الروع فتكاد ترتفع الى رأس الحنجرة ويرتفع القلب بارتفاعها اليها . والحنجرة منتهى الحلقوم وهو مدخل النفس الذى وراء المريء وهو مدخل الطعام والشراب (وتظنون بالله الظنونا) الأنواع من الظن . فالظن يعلم أنه امتحان فيخاف الزلل والمنافق وضعيف القلب يقولان ما حكى الله عنهما . وألف الظنونا أثبتنا بعضهم تشبيها للفواصل بالقوافى ولم يزلها بعضهم وهو القياس (هنالك ابتلى المؤمنون) فظهر المخلص من المنافق والثابت من المتردد (وزلزلوا زلزلا شديدا) من شدة الفزع (وإذ يقول المنافقون) عطف على الأول (والذين فى قلوبهم مرض) هم قوم لا بصيرة لهم فى الدين كان

المنافقون يستميلونهم بإدخال الشبه عليهم (ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا) كما تقدم (وإذا قالت طائفة منهم) وهم عبد الله بن أبيّ وأصحابه (يا أهل يثرب لأمقام لكم) أي يا أهل المدينة لا قرار لكم هنا (فارجعوا) من عسكر الرسول ﷺ إلى المدينة (ويستأذن فريق منهم النبي) وهم بنو حارثة (بقولون ان بيوتنا غورة) أي ذات غورة أي خالية من الرجال نخاف عليها سرق السراق (وما هي بغورة) بل هي حصينة (إن يريدون إلا فرارا) أي ما يريدون بذلك إلا الفرار من القتال (ولو دخلت عليهم المدينة أو بيوتهم) (من أقطارها) من جوانبها سواء أكان الداخل هم الأحزاب أم غيرهم (ثم سألوا الفتنة) أي الردة ومقاتلة المسلمين (لأنها) لأعطوها (وماتلبثوا بها) أي وماتلبثوا بالمدينة بعد إعطاء الفتنة (الإيسير) إلا قليلا حتى يهلكوا (ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار) وهم بنو حارثة عاهدوا رسول الله ﷺ يوم أحد حين فشلوا ثم تابوا ألا يعيدوا مثله أبدا (وكان وعد الله مسئولا) عن الوفاء به يجازى عليه (قل إن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتال) فإن لكل امرئ مائة سبق بها القضاء فلا بد من تنافذه على حسب ما سبق به القضاء من قتل أو غيره (واذن لا تمتنعون إلا قليلا) أي وبعد الفرار لا تمتنعون إلا مدة آجالكم وهو قليل (قل من ذا الذي يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءا) أي يعصمكم بسوء (أو أراد بكم رحمة) ولا يجدون لهم من دون الله وليا (ينفعهم) (ولا نصيرا) يدفع الضر عنهم (قد يعلم الله المعوقين منكم) المتبطين عن رسول الله ﷺ وهم المنافقون (والقائلين لاخوانهم) من ساكني المدينة (هلم إلينا) أي ارجعوا إلينا ودعوا حمدا ﷺ فلا تشبهوا معه الحرب فانا نخاف عليكم الهلاك والقائلون هذا القول هم اليهود أرساوا إلى المنافقين فقلوا لهم ما الذي يحميكم على قتل أنفسكم بيد أبي سفيان ومن معه فانهم ان قدروا عليكم هذه المرة لم يبقوا منكم أحدا وانا نخاف عليكم وأتم اخواننا وجيراننا فهلموا إلينا فأقبل عبد الله بن أبيّ ابن ساول وأصحابه يثبطون الناس فلم يزد المؤمنون إلا ثباتا واحتسابا . وقوله (ولا يأتون البأس إلا قليلا) أي لا يأتي الحرب المنافقون إلا أتيانا قليلا حال كونهم (أشحة عليكم) بخلاء عليكم بالمعونة النفسية والمالية (فاذا جاء الخوف رأيتمهم ينظرون إليك تدور أعينهم) في رؤسهم من الخوف والجبن (كالذي يغشى عليه من الموت) أي كدوران عين الذي قرب من الموت وغشيتة أسبابه فانه يذهب عقله ويشخص بصره فلا يطرف (فاذا ذهب الخوف) أي زال (سلفوكم) آذوكم ورموكم في حال الامن (بالسنة حداد) ذربة تفعل فعل الحديد إذ يطلبون الغنيمة ويقولون انا شهدنا معكم القتال فلستم أحق بالغنيمة منا . وقوله (أشحة على الخير) حال أي خاطبوكم حال كونهم أشحة على المال كما هم أشحة بأنفسهم ومالهم فلا قتال لديهم ولا اتفاق وهم شديدوا الحرص على الغنيمة (أو لئلا لم يؤمنوا) حقيقة بل هم مسلمون بالظواهر (فأحبط الله أعمالهم) أي أبطلها باضرارهم الكفر (وكان ذلك) احباط أعمالهم (على الله يسيرا) هينا (يحسبون الأحزاب) لجبنهم وجزعهم (لم يذهبوا) أي لم ينهزموا ولم ينصرفوا مع أنهم قد انصرفوا (وان يأت الأحزاب) كرة ثانية (يودوا لو أنهم بادون في الأعراب) أي يمتنى المنافقون لجبنهم أنهم خارجون من المدينة إلى البادية عائشون بين الأعراب ليأمنوا على أنفسهم ويبتزلوا ما فيه الخوف من القتال (يسألون) الركبان والقادمين اليهم من المدينة (عن أنباءكم) عما جرى عليكم (ولو كانوا فيكم) ولم يرجعوا إلى المدينة وكان قتال (ماقاتلوا إلا قليلا) رياء وسمعة (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) الاسوة القدوة وهو المقتدى به والمؤتمى فاقتدوا به اقتداء حسنا فانه كسرت ربايعيته وجرح في وجهه وقتل عمه وأوذى بضروب الأذى فصبر . وقوله (لمن كان يرجو الله واليوم الآخر) متعلق بقوله - حسنة - أي حسنة لمن يرجو ثواب الله ونعيم الآخرة (وذكر الله كثيرا) وقرن بالرجاء ذكره وهي تؤدى إلى ملازمة الطاعة (ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله) إذ قال تعالى - أم حسبكم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم - الخ وأيضا - أحسب الناس أن يتركوا - الخ وقال ﷺ



« سيدت الأمر باجتماع الأحزاب عليكم والعاقبة لكم عليهم » وقوله أيضا « انهم سائرُونَ اليكم بعد تسع  
 أو عشر » (وصدق الله ورسوله) وظهر صدق خبر الله ورسوله (وما زادهم) الخطب والبلاء (إلا إيماناً وتسلماً)  
 أى إيماناً بما وعده الله وتسلماً لمقاديره (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) من الثبات مع الرسول  
 والمقاتلة لتكون كلمة الله العليا (فمنهم من قضى نحبه) أى فرغ من نذره ووفى بعهده وصبر على الجهاد حتى  
 استشهد والحب الذى هو بمعنى النذر استعير للموت لأنه كمنذر لازم فى رقبة كل حيوان ، وذلك مثل حزة  
 ومصعب بن عمير وأنس بن النضر (ومنهم من ينتظر) الشهادة كعثمان وطلحة (وما بدلوا) العهد (تبدلاً)  
 شيئاً من التبديل كما بدل المنافقون \* روى أن طلحة ثبت مع رسول الله ﷺ يوم أحد حتى أصيبت يده  
 فقال ﷺ أوجب طلحة ، فليخص ما تقدم أن قوما صدقوا ما عاهدوا الله عليه وقوم بدلوا بنقض العهد  
 (ليجزى الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم) فيهديهم الى الايمان (إن الله  
 كان غفوراً رحماً \* ورد الله الذين كفروا بغيظهم) ولم يشف صدورهم فهم فى حق (لم ينالوا خيراً) ظفرا  
 (وكفى الله المؤمنين القتال) بالريح والملائكة (وكان الله قوياً) فى ملكه (عزيزاً) فى انتقامه (وأترل الذين  
 ظاهروهم من أهل الكتاب) أى عاونوا الأحزاب من قر يش وغطفان وهم بنو قريظة (من يصابهم) من  
 حصونهم جمع صيصية وهى ما يتحصن به ، ويقال أيضاً لقرن الثور والظبي واشوكة الديك لأن ذلك كله للتحصن  
 من العدو (وقذف فى قلوبهم الرعب) الخوف (فريقا يقتلون وتأسرون فريقاً) \* روى أن جبريل أتى  
 رسول الله ﷺ صبيحة الليلة التى انهزم فيها الأحزاب فقال يا محمد اتزع لامتك والملائكة لم يضعوا السلاح  
 إن الله يأمرك بالسير الى بنى قريظة وأنا عامد اليهم فأذن فى الناس أن لا يصلوا العصر إلا بنى قريظة فاصروهم  
 إحدى وعشرين أو خمساً وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار فقال لهم تنزلون على حكمى فأبوا فقال على حكم  
 سعد بن معاذ فرضوا به فحكم سعد بقتل مقاتليهم وسبى ذراريهم ونساءهم ، فكبر النبي ﷺ فقال حكمت  
 بحكم الله من فوق سبعة أرقعة فقتل منهم ستمائة أو أكثر وأسروهم سبعمائة . واعلم أن هذه الرواية ذكرها  
 المفسرون ولم ترد فى الصحاح كلها . ثم قال تعالى (وأورثكم أرضهم) مزارعهم (وديارهم) حصونهم  
 (وأموالهم) نقودهم ومواسيهم وأثاثهم (وأرضاً لم تطؤوها) بعد تكبير ومكة وفارس والروم والقسطنطينية  
 وغيرها من كل أرض تفتح للمسلمين (وكان الله على كل شئ قديراً) فيقدر على ذلك  
 روى البخارى عن سلمان بن صرد قال سمعت رسول الله ﷺ يقول حين أجلى الأحزاب « الآن  
 نغزوهم ولا يفزونا ، نحن نسير اليهم »

وروى البخارى ومسلم عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ كان يقول ﴿ لا إله إلا الله وحده لا شريك  
 له ، أعز جندة ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده ، فلا شئ بعده ﴾ انتهى الفصل الثانى فى تفسير الألفاظ  
 ﴿ الفصل الثالث فى اتصال هذه القصة بما تقدمها فى أول السورة وفى سور القرآن كله ﴾

لقد ذكر الله فى القرآن قصص الأنبياء وأمرهم أن يذكروا قومهم بأيام الله ومنهم موسى عليه السلام  
 وقصته ذكرت غير مرة فى القرآن وآخرها ذكر ما جاء فى آخر ﴿ سورة السجدة ﴾ قبل هذه إذ قال تعالى  
 - ولقد آتينا موسى الكتاب فلا تكن فى حيرة من لقائه - الخ ثم جاء فى أول هذه السورة ذكر موسى  
 إذ قال - وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح - الخ ثم سوى بين الأنبياء وتابعيهم فى سؤالهم  
 عن عهودهم التى عاهدوها ، فالأنبياء مسئولون لتوبيخ المكذبين والمؤمنون مسئولون عما عاهدوا الله عليه  
 هل صدقوا وثبتوا فى إيمانهم جاهدوا وصبروا أم هم منافقون مذنبون ؟ ولقد جاء فى ﴿ سورة ابراهيم ﴾  
 - ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أن أخرج قومك من الظلمات الى النور وذكروهم بأيام الله - فذكرهم بالشدائد  
 التى لاقوها من فرعون وبالنعم التى أنعم بها عليهم وكروجهم من ذل العبودية وانهم ورثوا الأرض التى وعدوا

بها ، هكذا أمر النبي ﷺ أن يذكر المسلمين بغزوة الأحزاب والانعام عليهم بنجاتهم منهم كما أنعم على بني إسرائيل بنجاتهم من فرعون ، فانظر كيف يقول لموسى - وذكرهم بأيام الله - ويقول الله للمسلمين في القرآن - يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم - ويقول موسى - يا بني إسرائيل اذكروا نعمة الله عليكم إذ أنجاكم من آل فرعون - وهنا يقول الله سبحانه - اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها -

إن السورة قد ابتدئت بذكر الدوام على طاعة الله وعدم الميل مع المنافقين والكافرين أى اتحاد الوجهة النفسية والعملية فى الاعتقاد وفى الدعوى وفى الزوجة فإن اعتبار الزوجة أما واعتبار الدعوى أبنا جمع بين المتناقضين كاجتماع طاعة الله وطاعة غيره . إن الله تعالى أرسل الرسل وهم صادقون وأتباعهم مسؤولون عن عهودهم فهل يوفون بعهودهم ، أم يكونون كالمنافقين الذين يجمعون بين المتناقضين ؟ قول مصدق وعمل مكذب كما يجعل الدعوى أبنا والزوجة أما . إن هذه القاعدة عامة فى الرسل وأتباعهم وهكذا هذه الأمة . إن الله لا يترك الناس أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون . إن الله ابتلى المسلمين بالغزوات ومنها غزوة الأحزاب فمنهم من صدقوا ما عاهدوا الله عليه ومنهم من بدلوا ، فهذا الامتحان والابتلاء فى الاسلام تطبيق على القاعدة العامة فى قوله - وأخذنا منهم ميثاقا غليظا - ليسأل الصادقين عن صدقهم -

يقول الله . إن هذه القاعدة عامة فى الأرض فلا بد أن تناولوا حظكم منها فننظر أتصدقون ، وإذا كنا آتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني إسرائيل وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا . هكذا يا محمد ستكون أنت وأتباعك من صبروا منهم يكونون أئمة . وقوله - فلا تكن فى مرية من لقائه - فيه إشارة الى هذا المعنى من طرف خفى كأنه قال آتيناك الكتاب كما آتيناها وسيكون لك نصر وأتباع هداة كما نصرناه وأيدناه ﴿ أئمة الاسلام اليوم ﴾

فعلى المسلمين أن يتدبروا هذه الغزوة ويتفكروا فيها فانها لم تذكر فى القرآن لمجرد التبرك . إن الله خلق الناس على هذه الأرض ليعدهم الى الرقى الى عالم أرقى من هذا العالم ولارقى إلا ﴿ بأمرين ﴾ تهذيب جسمى وتأديب عقلى فلا بد من نعم ونعم وخير وشر وعز وذل وصحة ومرض والمروء بين ذلك يربى ولا علم له بالترية ويؤدب ولا علم له بالتأديب . إن كل عمل نعمه فى الحياة يبعدها عن المادة ويقرّبنا من عالم الأرواح فكل صناعة تتقنها وعلم ندرسه وعمل نتقنه يرقى نفوسنا فيجعلها صانعة ذات حكمة ما . ولقد جاء الاسلام وأمرنا الله بالجهاد وأمر نبينا نفسه أن يجاهد فكأن حياته كلها جهادا . فعلينا أن نقصدى به . علينا أن نكون حياتنا كلها جهادا يحرم علينا التواني والكسل . الجهاد يستلزم جميع العلوم والصناعات . يستلزم علم الرياضيات والطبيعات والإلهيات . يستلزم علم السياسات وعلم الاقتصاد وعلوم الحرب كلها واستخراج المعادن من الأرض وعلم الزراعة وعلوم العالم قاطبة . إن العلوم كلها والصناعات أشبه بحلقة مفرغة لا يدرى أين طرفاها . فاذا اطاعت على ما كتبته فى ﴿ سورة البقرة ﴾ عند قوله تعالى - لا يكف الله نفسا إلاوسعها - وأن العلوم كلها والصناعات لا ينفك بعضها عن بعض عرفت أن الجهاد يكون بها كلها وأن الامم عليها أن تخص كل امرئ فى الصناعة أو العلم الذى هو أليق به . فالجهاد فى الاسلام يشمل جميع دوائر الحياة . ألا ترى الى رسول الله ﷺ كيف قال لنعيم بن مسعود لما جاءه وقد أسلم سرا ﴿ إنما أنت فينا واحد نخذل عنا ﴾ نفصه بما هو أقوى عليه وهو التخذيّل وقد نفذ الأمر فذهب الى بنى قريظة والى قريش وغطفان وأوقع بينهم الفشل . أليس هذا بعينه هو علم السياسة . أليس علم السياسة اليوم هو هذا بعينه . أليست الأمم تفتح المدارس لتربية الشبان لامثال هذا . أليس هذا من الجهاد . لا لابل هو سرّ الجهاد . أوليس صانع المدفع وسائق القطار وسفير الدولة وكناب الجيش وأمثالهم مجاهدين . إن الجهاد يشمل سائر فروع الحياة ومتى بطل فرع منها بطلت كلها . فاذا لم يكن قطرات تسير بالجنود لم يكن جهاد ولا قطرات إلا بالحديد ولا حديد إلا بالتجارة ولا

ولا تجارة إلا بالزراعة ولا زراعة إلا بالامن ولا أمن إلا بحكومة منظمة ولا حكومة منظمة إلا بعلاقاتها مع الأمم  
ولاعلاقة لها مع الأمم إلا بحفظ كيائها والدب عن حياضها

اللهم إن هذا هودينك . وإنى قد أوضحت الأمر في هذا التفسير . وإنى قد أدبت ماعلى . فألهم اللهم قراء  
هذا التفسير وأمثاله أن يجاهدوا فيك حق جهادك ويرجعوا مجد هذه الأمة ويكونوا رحمة للعالمين ويهدوا  
الأمة لمستقبلها الزاهر وسعدها الباهر ومجدها الفاخر وليعلموا الأمة انها خلقت لانارة البصائر وتطهير السرائر  
واقامة الشعائر واسعاد الأمم وحفظ الذمم وانهم خلقوا ليكونوا رحمة للعالمين وهذا نتيجة ظهوره على الدين  
كله لأن الله لا يظهر ديننا على الديانات إلا اذا كان رحمة عامة وهذا هوديننا في مستقبل الزمان . انتهى القسم  
الثاني من السورة

### ( الْقِسْمُ الثَّالِثُ )

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّمِكُنَّ  
وَأَسْرُحْكِنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا \* وَإِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ  
لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا \* يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ يُضَاعَفْ  
لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا \* وَمَن يَقُمْتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ  
صَالِحًا نُوفِيَ بِأَجْرِهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا \* يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ  
إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَحْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا \* وَقرن في  
يُؤْتِيكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِنَّ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ  
وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا \* وَآذُكُمْ  
مَا يُتْلَى فِي يُؤْتِيكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا \* إِنَّ الْمُسْلِمِينَ  
وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ  
وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ  
وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً  
وَأَجْرًا عَظِيمًا \* وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمْ  
أَخِيرَةٌ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا \* وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ  
اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَخُفِيَ فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ  
وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَمَا قَضَى زَيْنُهَا مِنْهَا وَطَرًا زَوْجَنَا كَمَا لَكُنَّ لَا يَكُونُ

عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا \*  
 مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ  
 قَدَرًا مَقْدُورًا \* الَّذِينَ يُدْعُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى  
 بِاللَّهِ حَسِيبًا \* مَا كَانَ يُدْعَى أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَسَكِنْ رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَكَانَ  
 اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا \* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا \* وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً  
 وَأَصِيلًا \* هُوَ الَّذِي يُصَلِّيْ عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ  
 بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا \* تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا \* يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا  
 أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا \* وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا \* وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ  
 بِأَنَّهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا \* وَلَا تَطِيعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى  
 اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا \* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ  
 أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا فَمَعَهُنَّ وَسَرَاحُهُنَّ سَرَاحًا حَسِيلًا \*  
 يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي ءَاتَيْتَ أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ  
 عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عُمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ  
 وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ  
 الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ  
 حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا \* تُرْجَى مِنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوَى إِلَيْكَ مِنْ تَشَاءُ وَمِنْ أُبْغَيْتَ  
 بِمَنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقْرَءَ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَ وَيَرْضَيْنَ بِمَا ءَاتَيْتَهُنَّ  
 كُلَّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا \* لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا  
 أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ  
 رَقِيبًا \* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرِ  
 نَازِلٍ مِنْهَا وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَسْتَسِينِ لِحَدِيثٍ إِنْ  
 ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَعِجِ مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَعِجِ مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ

مَتَاعًا فَسْتَلَوْهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ  
 تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكَرُوا أَرْوَاحَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا \*  
 إِنْ تَبَدُّوا شَيْئًا أَوْ خِفْتُمْهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا \* لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا  
 أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ  
 أَيْمَانُهُنَّ وَاتَّقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا \* إِنْ اللَّهُ وَمَلَائِكَتُهُ يُصَلُّونَ عَلَى  
 النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا \* إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ  
 اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا \* وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ  
 مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا \* يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ  
 الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا  
 رَحِيمًا \* لَنْ يَذَّكَّرَ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ  
 بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا \* مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِلُوا قَتِيلًا \* مَنَّةَ  
 اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا \* يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ  
 إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا \* إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ  
 لَهُمْ سَعِيرًا \* خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا \* يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ  
 يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ \* وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا  
 السَّبِيلَ \* رَبَّنَا إِنَّا أَتَيْنَاكَ بِكَبِيرٍ \* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا  
 لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا \* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ  
 آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا \* يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ  
 وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا \* إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ  
 وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا \* لِيُعَذِّبَ  
 اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ  
 اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا \*

إن القسم السابق قد مضى في جهاد الرجال وحفظ الثغور . فلما أتمّ الكلام عليه أخذ سبحانه يشرح جهاد النساء كأن يترك الفاحشة ، وأن يقتلن لله ولرسوله ، وأن يفيض أزواج النبي ﷺ على الأمة العلم الذي عرفنه من النبوة ، وكأن يأمرن جميع النساء بالحجاب الشرعي والآداب العامة وما أشبه ذلك من كل حكم يختص بالنبي ﷺ أو بأزواجه أو بما يحوم حول ذلك من احترامه وحفظ حرمة واجتناب أذاه

وفي هذا فتح باب للجهاد الأكبر بعد اتمام الكلام على الجهاد الأصغر كما قال ﷺ ﴿ رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر جهاد النفس ﴾ فان التدبير المنزلي ونظام العائلات واقامة الشعائر كل ذلك جهاد عظيم أكبر من جهاد العدو . ألا ترى الى قول (أرسطاطاليس) لالاسكندر ﴿ إن الناس يستملون الشدة ولكنهم لا يستملون الرخاء ﴾ يريد ان الناس يقدرّون على مكافأة الحروب ولكنهم اذا أبطرتهم النعماء لا يتكلمون بها بل تفرقواهم وتضيع نخوتهم ويذهب مجدهم ولذلك أكد عليه أن يراعيه في أحوالهم ويشغلهم فان لم يشغلهم أيام الامن هلكوا واضاعت دولهم ، فهكذا ههنا لما أتمّ الله الكلام على الجهاد أخذ يشرح الآداب المنزلية والأحوال الاجتماعية ، فاذا لم تنظم ذل الحياة للأمة

ولقد مضى مثل هذا في ﴿سورة البقرة﴾ فانه بعد أن ذكر أحكام الطلاق والعدة والرضاع والخرو والميسر واليتامى وما أشبه ذلك من كل عمل للناس في أمهم أعقبه بذكر القتال فقال - ألم ترالى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف - الح فهنالك ذكر القتال بعد النظام الداخلي وهنا عكس الأمر اشارة الى أن كلامهم في نفسه مطلوب في وقته لافضل لا آخر عليه فان لم يكن نظام داخلي فلانظام للحرب ، ومن أهملوا الدفاع عن مدنهم اختلت أحوالهم وضاعت مدنهم وفي هذا القسم فصول

﴿ الفصل الأول في خطاب النبي ﷺ لأزواجه بالزهد في الدنيا ، والاخلاص لله وأن وزرهن وأبرهن ضعف غيرهن ، ووجوب ملازمتن البيوت ، وعدم التبرج واقامتن الصلاة . وإيتائهن الزكاة ﴾

قوله تعالى ( تردن الحياة الدنيا ) أى السعة والتنعيم فيها ( وزيتها ) زخارفها ( أمتكن ) أعطكن المتعة . ومعلوم أن المتعة تستحب لكل مطلقة إلا المفوضة قبل الوطء ( وأسرحكن ) أسراحا جيلا ( طلاقا من غير ضرار وبدعة ) ( أجرا عظيما ) أى تستحقرونه الدنيا وزيتها ( فاحشة ) كبيرة ( مبدنة ) ظاهرقبحها ( ضعفين ) ضعف عذاب غيرهن أى مثليه لأن الذنب منهن أقبح فزيادة قبح الذنب تتبع زيادة فضل المذنب والنعمة عليه ولذلك جعل حد الحر ضعف حد العبد وجعل ذنب العالم أشد من ذنب الجاهل وعوب الأنبياء على ما لا يعاتب عليه غيرهم ( وكان ذلك على الله يسيرا ) لا يمنعه عن التضعيف كونهن نساء النبي ( ومن يقنت منكن ) ومن بدم على الطاعة ( نؤنها أجرا مريتين ) مرة على الطاعة ومرة على طهرن رضا النبي ﷺ بالانصاعة وحسن المعاشرة ( وأعتدنا لها رزقا كريما ) فى الجنة ( لسنن ) كأحد من النساء ) أصل أحد واحد بمعنى الواحد وهو فى النبى عام للذكر والمؤنث والواحد والكثير أى لسنن بكجماعة واحدة من جماعات النساء ( إن اتقين ) مخالفة حكم الله ورضا رسوله ( فلا تخضعن بالقول ) فلا تجبن بقولكن خاضعا لينا مثل المربيات ( فيطمع الذى فى قلبه مرض ) جفور ( قولوا معروفنا ) حسنا بعيدا عن الربة ( وقرن فى بيتكن ) من وقرير وقارا أو من قرير مع تصرف بخذف الأولى من رأى اقرن ونقل كسرتها الى القاف فتخذف همزة الوصل ، ويصح أن يكون من قارىقارا اذا اجتمع ( ولا تبرجن ) ولا تنبخرتن فى مشيتكن وتسكرن أولا تظهرن زينتك وتبرزن محاسنكن ( تبرج الجاهلية الأولى ) تبرجا مثل تبرج النساء فى أيام الجاهلية القديمة وهى جاهلية الكفر قبل الاسلام ، أما الجاهلية الأخرى فهى جاهلية الفسوق فى الاسلام ( وأطعن الله ورسوله ) فى سائر ما أمركن به ونهاكن عنه ( الرجس ) الذنب المندس لعرضكن ( أهل البيت ) نصب



على النداء أو المذبح (ويظهركم) من المعاصي ، واعلم أن تخصيص أهل البيت بعلي وفاطمة والحسن والحسين رضى الله عنهم أجمعين لم يقم عليه دليل وإذا ثبت الأحاديث الواردة في ذلك فهي لاتفيد التخصيص وقوله (من آيات الله والحكمة) أى من القرآن والسنة (إن الله كان لطيفا) علما بفواضل الأشياء (خبيرا) علما بحقائقها أى هو عالم بأفعال الكثر وأقوال الكثر . انتهى تفسير ما يحتاج اليه من الألفاظ في هذا الفصل من قوله تعالى - يا أيها النبي قل لأزواجك - الى قوله - إن الله كان لطيفا خبيرا

﴿ لطيفة ﴾

ورد أن سبب نزول آية التخيير أن النبي ﷺ لم يأذن يوما لأحد بدخول منزله إلا أبا بكر وعمر فدخلا فوجدها جالسا وحوله نساء وهو واجم ساكت فأخذ عمر يضطجكه ويقول يا رسول الله لقد رأيت بنت خارجة سألتني النفقة فقلت اليها فوجأت عنقها فضحك النبي ﷺ فقال هق - ولى كما ترى يسألني النفقة فقام كل من أبا بكر وعمر الى عائشة وحفصة يوبخانهما ويضربانهما ويقولان تسألن رسول الله ﷺ ما ليس عنده ثم اخبر رسول الله ﷺ نساء شهرا أو ٢٩ يوما حتى نزلت هذه الآية - يا أيها النبي قل لأزواجك - الى قوله - للمحسنات منكن أجرا عظيما - قال فبدأ بعائشة فقال يا عائشة إني أريد أن أعرض عليك أمرا أحب أن لا تجعلي فيه حتى تستشيرى أبويك ، قالت وما هو يا رسول الله ؟ فتسلا عليها الآية ، فقالت أفيك يا رسول الله استشير أبوى بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة ثم اختارت الباقيات اختارها فشكرهن الله فأنزل - لا يحل لك النساء من بعد -

﴿ حكم الآية ﴾

إذا خير الرجل امرأته فاختارت زوجها

- (١) لا يقع شئ عند عمر وابن مسعود وابن عباس وأكثر الأئمة
- (٢) ويقع طلاق واحدة عند زيد بن ثابت ، وفي رواية عن علي
- (٣) وان اختارت نفسها وقع طلاق واحدة رجعية عند عمر بن عبد العزيز وابن أبي ليلى وسفيان والشافعي رضى الله عنه

(٤) وطلقة بائنة عند أصحاب الرأي ، وفي رواية عن علي

(٥) وثلاث طلاقات عند زيد بن ثابت والحسن ومالك

﴿ الفصل الثاني في الصفات التي يجب على الرجال والنساء أن يكونوا عليها من المسلمين ، وفي قصة زينب بنت جحش زوج النبي ﷺ من قوله - إن المسلمين والمسلمات - الى قوله - وكفى بالله حسيبا - ﴾ ههنا ذكر الله ﴿عشر صفات﴾ للرجال والنساء وهى ﴿الاسلام﴾ وهو الانقياد لحكم الله ﴿الايمان﴾ أى التصديق بما يجب أن يصدق به ﴿القنوت﴾ أى المداومة على الطاعة ﴿الصدق﴾ فى القول والعمل ﴿الصبر﴾ على الطاعات وعن المعاصي ﴿الخشوع﴾ أى التواضع لله بالقلوب والجوارح ﴿التصدق﴾ بما وجب على الانسان من ماله وبما هو مستحب ﴿الصيام﴾ المفروض أو هو وغيره ﴿حفظ الفرج﴾ عما لا يحل ﴿كثرة الذكر لله﴾ باقلب واللسان ، فهؤلاء الذين اتصفوا بهذه الصفات العشر - أعد الله لهم مغفرة - لما اقترفوا من الصغائر لأنهن مكفرات لها - وأجرا عظيما - على طاعتهم

﴿ ذكر أم المؤمنين زينب بنت جحش رضى الله عنها وزواجها لزيد بن حارثة ثم طلاقها منه ﴾

وزواجها للنبي ﷺ

خطب رسول الله ﷺ زينب بنت جحش بنت عمته أميمة على مولاه زيد بن حارثة فأبت وأبى أخوها

عبد الله ، ولقد كانت رضى في أول الأمر إذ ظنت أنه صلى الله عليه وسلم خطبها لنفسه فلما علمت بالحقيقة أبت وهذا قوله تعالى (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة) أى وماصح لرجل مؤمن ولا امرأة مؤمنة (إذا قضى الله ورسوله) أى رسول الله (أمرا) من الأمور (أن تكون لهم الخيرة من أمرهم) أى أن يختاروا من أمرهم ما شاؤوا بل عليهم أن يجعلوا رأيهم تبعاً لرأيه والخيرة ما يتخير (ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً) بين الانحراف عن الصواب ، واعلم أن الله عز وجل يعلم مستقبل الأمم الإسلامية وأن للنسب دخلاً عظيماً ، وأن الأمم يعثر بها الاضمحلال والخراب بسبب تفرق أهوائها ، وتفرق أهوائها إنما يكون بالدواعى المذمومة ، وأنه لا مصيبة أنسى ولا فتق أوسع ولا مدح أعظم من تصدع المسلمين وتفرق شملهم وتفرق كلهم بانباع ذوى الأنساب المتصلين بذوى الشرف والعلم لاسيما المسلمين بصاحب الشرع صلى الله عليه وسلم . علم الله ذلك فقطع الأمر قبل حصوله وبته قبل وجوده وأظهره بمظهر لا مدخل للشك فيه إذ أوحى إلى نبيه أنى من ورك زينب ابنة جحش بعد أن يطلقها زيد ، ألا وإن الله يعلم أن ابننا سيكون لأسامة اسمه زيد وأنه سيكون له القدر المعلى في الفزوات أيام أبى بكر ، فلو أن الأمر بقي بلا إيضاح غملى وتشرىح فعلى لجاز لأسامة أن يدعى بالخلافة وسيأتى تفصيل هذا وأمثاله فى ﴿رسالة تعدد الزوجات﴾ التى ستذكر فى آخر هذه السورة

أقول . لما أوحى الله إلى النبي صلى الله عليه وسلم أن زينب ستكون زوجته ألقى الكراهة فى قلب زيد لما كانها كارهة له ، فلما جاء زيد وقال أنى أريد أن أطلقها قال له - أمسك عليك زوجك واتق الله - فمات به الله تعالى وقال له لم قلت - أمسك عليك زوجك - وقد أعلمتك أنها ستكون من أزواجك وهذا قوله تعالى (و) اذكر (إذ تقول للذى أنعم الله عليه) بالاسلام (وأنعمت عليه) بالاعتناق والتبني وهو زيد بن حارثة حين قال لك أنى أريد أن أفارق صاحبتى وقلت له أراك منها شئ فقال لا والله يارسول الله ما رأيت منها إلا خيراً ولكنها تعظم علىّ بشرفها وتؤذيني بلسانها (أمسك عليك زوجك) زينب وهو مقول لقوله تقول (واتق الله) فى أمرها فلا تطلقها ضراراً وتعللاً بتكبرها (وتخفى فى نفسك ماله الله مبدية) وهو أنك ستتكبرها وأن زيداً قبل ذلك سيطلقها (وتخشى الناس) تهيرهم إياك به (والله أحق أن تخشاه) ان كان فيه ما يخشى فترى من هذا أن الله عاتبه على إخفاء ما أعلمه الله وهو أنها ستكون زوجته ، وإنما أخفى ذلك استحياء أن يخبر زيداً أن التى تحتك وفى نكاحك ستكون زوجتى وذلك مقدمة لذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم ليس أباً أحمد من الرجال \* روى مسلم عن أنس قال ﴿لما انقضت عدة زينب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد اذهب فاذكرها علىّ ، فانطلق زيد حتى أنها وهى تخمر عيناها فأبلغها ، فقالت ما أبأ بصانعة شئاً حتى أؤامر ربى فقاست إلى مسجدنا ونزل القرآن وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل عليها بغير إذن ، قال أنس فلقد رأيتنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أطعمنا الخبز واللحم حتى امتد النهار فخرج الناس وبقى أناس يتحدثون فى البيت بعد الطعام فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل حجر نسائه واتبعته وهو يسلم عليهن فانطلق يدخل البيت وذهبت لأدخل معه فالتقى الستر بينى وبينه ونزل الحجاب﴾ انتهى المقصود من الحديث ملخصاً

ولقد كانت زينب تقول للنبي صلى الله عليه وسلم أنى لأدل عليك بثلاث ، مامن امرأة من نسائك تدل بهن . جدى وجدك واحد ، وإنى أنكحنيك الله فى السماء ، وأن السفير جبريل عليه السلام وهذا قوله تعالى (فلما قضى زيد منها وطراً) حاجة بحيث ملها ولم يبق له فيها حاجة وطلقها وانقضت عدتها (زوجناكها) أى جعلناها زوجة لك بلا واسطة عقد (لكيلا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطراً) لأن حكم النبي صلى الله عليه وسلم وحكم أمته واحد إلا فيما خصه الدليل (وكان أمر الله مفعولاً) قضاءؤه ماضياً وحكمه نافذاً (ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له) قسم له وقدر كما تقول فرض له فى الديوان كذا ومنه فروض العسكر لأرزاقهم ، سن الله ذلك (سنة الله فى الدين خلو من قبل) من الأنبياء وهو فى الحرج عنهم فيما

أباح لهم (وكان أسرار الله قدرا متقدرا) قضاء مقتضيا وسكنا مستونا ، ثم وصف الذين خافوا بقوله (الذين يلبغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله) تعرض بعد التصريح (وكفى بالله حسيبا) كافيا للخوف أو محاسبا فينبغي أن لا يخشى إلا منه

﴿ لطيفة ﴾

هذه الآية تفرض على الناس الشجاعة الأدبية ، وقول الحق ، وإعلان الأمة بالحقائق ، وإذا أمر النبي ﷺ بأن لا يكتفم أسرار الأبد من ظهوره ولا ضرر في كتابه ، فكيف يكتفم الناس العلوم ولا يظهرونها للأمة وهاتين أولاء الآن في زمان أحوج إلى اظهار الحقائق من كل زمان

يا أمة الاسلام . نزلت هذه الآية وعوتب النبي ﷺ في أمر لا ضرر في كتابه . انظروا انظروا . كم مصيبة نزلت بالاسلام والعلماء يخافون أن يجهروا بالحقائق . إن الله جعلنا تابعين للنبي ﷺ فإنه هو الذي يؤمننا من الخوف . قولوا للمسلمين كفى خوفا وجهالة . كفى نوما . فكروا في هذه الدنيا ونظامها . اقرؤا العلوم التي عرفتها الأمم . إن القرآن طافح بها . قولوا للرؤساء كفى تعظما . كونوا أيها الرؤساء خادمين للأمة . كفى تحاذلا وتهاونا . لاتعالوا بالأنساب لتجعلوا الناس عبيدكم حتى أصبحتم عبيد الفرنجة . قولوا لأبناء النبي ﷺ الذين لهم ملك أن لا ينأوا عن رفق الأمة فإن هذا الملك لن يدوم وستأخذ هذه الفرنجة لجهل الشعب . حرام أن يجعل الناس جهلاء لأجل أفراد من الأمة . الشعب كله يجب أن يتعلم . يجب التصريح بذلك وإذاعة الحقائق والافعال العلماء معاقبون أشد عقاب ولاسيما من قرأ مثل هذا التفسير فإنه مسؤول عن إذاعته بين الناس

﴿ الفصل الثالث في فضل النبي ﷺ وعموم رسالته ﴾

( من قوله تعالى - ما كان محمد أبا أحد من رجالكم - الى قوله - وكفى بالله وكيل - )

قال تعالى (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم) على الحقيقة فإذن لا تثبت حرمة المصاهرة كما في زيد بن حارثة ، وهو وإن كان أبا لظاهر والطيب وإبراهيم والقاسم فهم لم يلبغوا الحلم (واسكن رسول الله) فهو إذن أبوأخته من حيث انه شقيق ناصح لهم واجب التوقير والطاعة عليهم (وخاتم النبيين) فهو آخرهم الذي ختمهم أو ختموا به \* قال ابن عباس يريد لو لم أختم به النبيين لجعلت له ابنا فيكون بعده نبيا ، وعنه قال ان الله لما حكم أن لا نبي بعده لم يعطه ولدا ذكر ايصير رجلا (وكان الله بكل شيء علما) فيعلم من يليق بأن يختم به النبوة وكيف ينبغي أن يكون شأنه . يقول مؤلف هذا التفسير ان تكرار القول في عدم نبوة زيد وخلق السبب العملي الموجب لذلك ذو شأن عظيم في قضية النبوة لولا هذا التأكيد والتكرار والتقوية لادعى قوم أن زيدا نبي بعد موت رسول الله ﷺ . ان الله احتاط لذلك أشد احتياط . ومن العجب أن أمة الاسلام مغرمة بالأنساب وبالأشخاص في بعض الجهات وهذا من أضل الجهالات التي ابتلى بها المسلمون . فكيف دخل في آل بيت النبوة من دعي . وكف ادعى قوم انهم من السلالة الهاشمية وبنوا على ذلك الرياسة على الناس وأضلوا كثيرا اذا لم يكونوا أهلا للرياسة بالعلم والعمل المؤهلين لها . إن فضل المؤمن بعمله واتباعه وبصدقته وبعده والنسب أمر ثانوي . إن الله لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك وقد أمرنا أن نحمده على ذلك لأن الولد يشغل عن غيره فلاولده ولا شريك ولا ناصر له بل هو رب العالمين ، فهو عدل حكيم ، ولما أراد تكميل رسوله ﷺ قال - ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وانما هو أب للجميع منه يستضيء كل مستعد للإضاءة ، فأما الابوة البشرية فليس فيها هذا النظام إذ قد يلد الفاضل فاسقا ولذلك أعقبه بقوله (يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا) \* قال ابن عباس « لم يفرض الله عز وجل على عباده فريضة إلا جعل لها حدا معلوما ثم عذر أهلها في حال العذر غير الذكر فإنه لم يجعل له حدا ينتهي اليه

ولم يهزأ أحدا في تركه إلا مغلوبا على عقله ، وأمرهم به في الأحوال كلها فقال تعالى - فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم - وقال تعالى - واذكروا الله كثيرا - يعني بالليل والنهار، في البر والبحر وفي الصحة والسقم ، وفي السر والعلانية ، وقيل الذكر الكثير ألا يشاء أبدا (وسبحوه بكرة وأصيلا) أول النهار وآخره خصوصا ، والمقصود من التسييح أن يكون الذكر على وجه التعظيم والتفريه عن كل ما سواه ، والمقصود من ذكر طرفي النهار المداومة لأن ذكر الطرفين يفهم منه الوسط أيضا ، ويدخل في ذلك صلاة الصبح والعصر ، ومن أدخل في الأصيل صلاة الظهر وما بعدها إلى العشاء فقد توسع في المعنى ، ويدخل أيضا « سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم » ويكون من التكثير هنا أن الظاهر والجنب والحائض والمحدث يقولها (هو الذي يصلي عليكم وملائكته) الصلاة من الله الرحمة ومن الملائكة استغفار للمؤمنين ، ومن رحمته تعالى اشاعة الذكر الجليل للعبد في عبادته والثناء عليه (ليخرجكم من الظلمات إلى النور) يعني أنه برحمته وهدايته ودعاء الملائكة أخرجكم من ظلمة الكفر إلى نور الإيمان (وكان بالمؤمنين رجيا) حتى اعتنى بصالح أمرهم واستعمل في ذلك ملائكته المقربين (تحياتهم) أي تحية الله تعالى للمؤمنين (يوم يلقونه) يوم لقائه عند الموت وعند الخروج من القبر وعند دخول الجنة (سلام) أي يسلم الرب عليهم ويسلمهم من جميع الآفات \* روى عن ابن مسعود قال « إذا جاء ملك الموت لقبض روح المؤمن قال ربك يقرئك السلام » واعلم أن السلامة من الآفات في هذه الدنيا مستحيلة ولذلك جعلوا مبدأها عند الموت اللهم إلاقوما أدركوا سر هذا الوجود ودرسوه وعرفوا أن الرحمة تفرغ ظاهره وباطنه وظاهر الآخرة وباطنها وفهموا ذلك وتحققوه حتى صارتمزجا بنفوسهم ، فقل هؤلاء يرون الوجود كله سعادة ، وكل ما يحل بهم أو يغيرهم أو يسمعون منه من أنواع الآلام فانهم يفهمونه كله على وجهه يشرح صدورهم ويرون أنه حكمة نامة ونظام جميل ويوقنون أنه ليس في الامكان أبدع من ذلك ، وهؤلاء قد سمعوا السلام من الله في الحياة قبل الموت في هذه الدنيا وأنسوا برهم ولكن هذا الوجدان عزيز الوجود لأنه يعز على الناس أن يعقلوا شياطين وجنا وأبالسة ونيرانا جهنمية ويقولوا إن هذه رحمة ، فأما أولئك الأفذاذ فلهم دراسة أتم ومعرفة أعم وعلم أكمل وعرفان أعم ويصبح الوجود عندهم كأنه إنسان واحد وحيوان واحد ، وهذه من لوازمه أو عمل من أعمال هيئته لا بد منه - والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم - وقوله (وأعد لهم أجرا كريما) هو الجنة (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا) على من بعث إليهم بتصديقهم وتكذيبهم ونجاتهم وضلالهم وهذه حال مقدرة (ومبشرا) لمن آمن بالجنة (ونذيرا) لمن كذب بالنار (وداعيا إلى الله) أي إلى توحيدهِ وطاعته (بإذنه) بأمره (وسراجا منيرا) يستضاء به في ظلمات الجهالات ويقتبس من نوره أنوار البصائر فراقب أحوال أمتك (و بشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا) على سائر الأمم سيغيرون نظام النوع الانساني من الظلم إلى العدل كما في نهضة الاسلام الأولى ، وسيصلحون شأن الأمم المنهكة في الضلالة في مستقبل الزمان بعد زماننا كما قال تعالى - ليظهره على الدين كله - وبهذا يكون ثوابهم في الآخرة عظيما (ولا تطع الكافرين والمنافقين) ودم على مخالقتهم (ودع أذاهم) إيذاءهم إياك ولا تحتفل به (وتوكل على الله) فانه يكفيكم (وكفى بالله وكيلا) حافظا وموكولا إليه الأمر في الأحوال كلها

﴿ لطيفة ﴾

اعلم أن الله عز وجل لما قرأ أمر النبوة وأن محمدا ﷺ ليس أبا لأحد من الرجال ، وأن النبوة أبوة عامة ، وأكد ذلك بالقول والفعل لقطع أطماع الرجال في الاعتزاز بذلك أعقبه بذكر ما به يتفاضل الناس وتعظم أقدارهم ويشرفون في الدنيا والآخرة فأمر بذكر الله كثيرا وتسميحه وأنه سبحانه يرحم المؤمنين رحمة خاصة بالهداية وأنه يحيمهم بالسلامة والأمان ويدخلهم نعيمًا مقيمًا ، وأتبع ذلك بخطاب النبي ﷺ أنه سراج

والسراج يقتبس منه السراج ، فالأنبياء يستضاء بهم وتعرف بأنوارهم المشكلات في دياجي ظلمات الجهالات كما يستضاء بالسراج في الطرقات ويقتبس من أنوارهم كما يقتبس من السراج سرج أخرى ، ولذلك تجدد العلماء في كل أمة نابهين لأنبيائهم مقتبسين من أنوارهم مرشدين لأمتهم وليس الأب الجسمي كذلك ، إن الأب الجسمي يلد ابنا ولادة مادية ، والأنبياء يلدون ولادة نورية ، وهذا هو الذي يرشده ذكر السراج في هذا المقام ، فالأنبياء يلدون بهذا المعنى وخلفاؤهم هم المقتبسون منهم وعليه فليس أحد أولى بالأنبياء ممن اقتبسوا من أنوارهم والا فان نوحا قد كفر به ابنه وقال الله له ... إنه ليس من أهلك انه عمل غير صالح - فرجعت ولادة الأنبياء الى الاقتباس منهم والى الاهتداء بهديهم ، فمن اكتفى بالنسب الجسمي للأنبياء فهو ضال مضل كاذب على الله ، فاذا ادعى أحد اخواننا وأبناء أعجمنا الشرفاء أن النسب وحده يرفعه عند الله فان هذه الآية تسكذه والا فلماذا هذا التأكيد كله والتذكير ، فلاشرف لامرئ إلا بالاقتباس من الأنوار العلمية ، ذلك هو الشرف الحقيقي في الدين - والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم -

إن العرب في الجاهلية وأكثر الناس في هذه الحياة الدنيا شرقا وغربا لا يصدقون بعالم غير عالم الأجسام ولا يعقلون أن هناك أرواحا لطيفة تدبر أهل الأرض وتهديهم ، فانظر كيف ذكر الله هنا انه هو يرحم المؤمنين ورجته عامة لهم ولغيرهم من حيث الحياة الجسمية ، فأما رحمة الهداية فهي خاصة بهم ، فهكذا أرشدنا الى أنه سبحانه لم يدع هذا العالم للأرواح شريفة تقوم بالتدبير والتعليم كما نرى أنفسنا على هذه الأرض تقوم بالأعمال الجسمية والعقلية ، إن جميع الأرواح لها عمل فلاشئ في الوجود معطل ، واذا كانت أرواحنا اليوم قائمة بتدبير هذه الأجساد فان لها بعد الموت أعمالا تناسب تربيتها في هذه الدنيا ، فالضالون هنا يضلون غيرهم إما طبعاً وإما قصداً لقصد الشر والايذاء ، وهكذا النفوس الطيبة هنا ترجع الى عالم الأرواح وهي في مركزها الذي خلقت فيه في الدنيا من حيث الإصلاح والتعليم بالالهام والتي قبلها بالوسوسة

وأهلك تقول ومالنا ولهذا المبحث ، ان الآية فيها ذكر الملائكة وانهم يصلون على المؤمنين أي يستغفرون لهم ، فأى مناسبة لذلك ؟ أقول لك على رسلك . اعلم أن هذا القرآن نزل للناس بأمور غائبة عن العقول لا يصدقها الناس تصديقا حقا ولكنهم يؤمنون به إيماناً والايقان شئ واليقين شئ آخر ، ولقد ظهر اليوم في العالم الغربي هذا العلم . وقد تقدم في هذا التفسير اني نقلت لك ما ذكره العلامة (أوليقرلودج) الذي هو أشهر عالم طبيعي في أوروبا إذ قال « انه أصبح موقنا بسبب تحضير الأرواح اننا نعيش في عوالم من الأرواح نسبتنا اليهم كنسبة النمل لنا من حيث الادراك والعقل ، وهم يهتمون بأمرنا ويسعون في مصالحنا ، وعلم الأرواح اليوم شاع وذاع بأوروبا ، وقد اتضح فيه أن أرواحنا بعد الموت صائرة الى نحو ذلك فهي إما ملهمة للخير أو ساعية للشر فكأنها ملحقه بعالم الملائكة وعالم الشياطين ، وتجدر نظير هذا في تفسير الامام الرازي في سورة ابراهيم وسورة النازعات إذ قال في الثانية ﴿ إن الروح الانسانية هي التي نصير من المذبات أصرا ﴾ أي انها قد تلحق بعالم الملائكة ، ولقد قسم المعلم الفيلسوف (الان كاردك) الأرواح الى طبقات ثلاث وهي الأرواح السفلية والعلوية والبنقية ، وقال ان السفلية هي التي في مؤخر الدرجات والمادة متسلطة عليها ، فهي في الحياة محبة للشر والفساد ، وفي الموت ملقية للشر والعداوات بالوسوسة ، ويقال في العلوية انها متسلطة على المادة ومحبة للخير ومنها الصالحة وهي تحب الإصلاح العام وعمل البر والهام البشر أفكارا صالحة ومعارفها محدودة وأدبها أكثر من علمها ، ومنها الأرواح الحكيمة وهي ذات أخلاق حسنة ولكن علومها أوسع ومنها الأرواح الرفيعة وهي التي جمعت بين الكمال العلمي والأدبي ، وهذه لا تعطى تعليمها إلا لمن يطلب الحق بخالص نية وقال في السفلية انها هي التي بلغت ذروة الكمال وتجردت من كل نقص ولم يعد للمادة أدنى تأثير فيها فأصبحت ناظرة لله مغتبطة به ، ولن ينجيها الانسان إلا اذا كان ذا فضيلة سامية وقلب مجرّد من كل أمر ذميم ونقص

أرضى مآدى ، واستنتج العلماء من ذلك أنه ليس كل إلهام نأخذ به لأن معارف الأرواح الملهمة ليست في درجة واحدة فكم من إلهام ناقص يضر العمل به اهـ

هذا ما يدور في مخافل العالم الاوروي في اليوم ، فانظر كيف يخبر الله أن الملائكة يسألون علينا أى لاخراجنا من الظلمات الى النور ، وانظر كيف ترى أن علماءنا رجعهم الله قالوا ﴿ ان هناك وسوسة وإلهاما من الملائكة ﴾ وكيف يقول الامام الرازى والقزالي ورجال اخوان الصفاء ﴿ إن ارواحنا ملهقة بعد الموت بعالم الشياطين والملائكة إلهاما وسوسة ﴾ وكيف يقرر ذلك نفسه العلامة (الان كاردك) في أوروبا والمسلمون لا يعلمون انظر كيف يظهر سر القرآن في أوروبا والمسلمون في الشرق ناظمون ، كيف يقول (كاردك) المذكور « إن الأرواح النقية التي لم يبق لها مأرب في المادة تهاين الله وهي به مغتبطة » يقولها هذا الافرنجى من علم الأرواح وهو لم يسمع قول الله تعالى - وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة - فعبر الله سبحانه عن نقاة الروح من كل رجس بنضارة الوجوه ، ومتى نضرت الوجوه نظرت الله فكان ارواحنا ترتقى من عالم الى عالم وراء درجات وتتخطى في الجنان درجة بعد درجة حتى تصل الى أعلى السجرات وتكون الى ربها ناظرة ، وفي أثناء مرورها على النيران تكون مرسوسة شريرة ، وفي أثناء مرورها على الجنان تكون ملهمة للخير مملئة وتصعد الى أن ترى ربها ، ولا معنى لرؤية الله والنظر اليه إلا بزيادة الكشف للمعبر عنه في الحديث بأننا نراه كما نرى القمر ليلة البدر ، فالعامة يظنونه نظرا بصريا والخاصة يرونه أرقى وأوسع من نظر البصر بل نظر البصر ضعيف ضئيل مآدى ، أفليس المسلمون أولى بهذه العلوم ومعرفة الأرواح حتى يدركوا سر هذه الآيات

أما أنا فاقول : الحمد لله الذى جعل في قدامتنا من بحشوا ودققوا وذكروا مثل هذا القول ، ولولا أنهم ذكروه كما قلته لك لم يتجاسر أحد أن ينقل عن أوروبا مثل هذا لئلا يفت ذلك خروجا عن الدين ، والأمة اليوم في مبدأ نهضة جديدة ، فلن تقبل حديثا إلا اذا وصل بقديمتها ثم تأتى أجيال يستقلون بالرأى ويكونون أوسع حرية إذ يرون الحق فسيحوا والعلم منتشرا . فالحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله . وصلى الله على نبينا وآله وصحبه وسلم

﴿ النصل الرابع في المطلقة قبل الدخول وفيما يحل للنبي ﷺ من النساء . وفي بعض الأحكام المناسبة لذلك من قوله تعالى - يا أيها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات - الى قوله - واثنتين الله إن الله كان على كل شئ شهيدا - ﴾

قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن) تجامعوهن (فإنكم عليهن من عدة تعتدونها) تستوفون عددها . وليس تخصيص المؤمنات محضا للحكم بل هو عام وذكرهن لفائدة تخير النطف لا تخصيص الحكم (فتموهن) أى اعطوهن ما يستمتعن به وقد تقدم ايضاحه في ﴿سورة البقرة﴾ وذلك التمتع إما فرضا اذا لم يكن سعى لها مهر وأما ندبا اذا كان سعى لها المهر فيكون التنصيف وجوبا والتمتع سنة (وسر حوهن) أخرجوهن من منازلكن لأنهن ليس عليهن عدة (سراحا جيلا) من غير ضرار ولا منع حق

﴿ لطيفة ﴾

اذا طلق الرجل امرأة قبل النكاح لا يقع الطلاق لظاهر الآية لأنه سبحانه قال - اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن - ولم يقل طلقتم ثم نكحتم ، فلو طلق قبل النكاح عليه سواء أكان لامرأة معينة أم لكل امرأة فإن الطلاق لا يقع ، وهذا رأى الأكثرين كابن عباس وعلى وجابر ومعاذ وعائشة والشافعى ، وقال ابن مسعود وأصحاب الرأى والنخعي يقع الطلاق ، وقال مالك وربيعة والأوزاعي « إن عين امرأة

ثم قال تعالى (يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن) مهورهن لأن المهر أجر على البضع وليس التقييد بإيتاء المهر مجعلا إلا لإيتاء الأفضل والافلاحل ليس متوقفا على ذلك التحجيل كما لا يتقيد إحلال المماوكة بكونها مسببة في قوله (وماملكت يمينك مما أفاء الله عليك) من السبي مثل صفية وجويرية وإنما كان التقيد بذلك لأن المشترا لا يعرف بدء أمرها وما جرى عليها وقوله (وبنات عمك وبناات عماتك) وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك) المعينة هنا ليست للقران بل لوجودها فحسب كقوله تعالى حكاية عن بلقيس - وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين - فيجعل له <sup>صلى الله عليه وسلم</sup> بنات العم والعمة من بنى عبد المطلب وبنات الخال والخالة من بنى عبد مناف بن زهرة بشرط أن يكن هاجرن من مكة الى المدينة والتقييد بالهجرة إما للعجل وإما للأفضل ويؤيد الأول قول أم هانئ بنت أبي طالب «خطبنى رسول الله <sup>صلى الله عليه وسلم</sup> فاعتذرت اليه فعذرني ثم أنزل الله هذه الآية فلم أحل له لأني لم أهاجر معه» ثم عطف على ماسبق قوله (وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين) يقول الله أعلمناك حل امرأة مؤمنة تهب لك نفسها ولا تطالب مهرًا كأم شريك بنت جابر العاصرية أوميمونة بنت الحارث أوزيغب بنت خزيمه الأنصارية أوخولة بنت حكيم وذلك مشروط بأن يريد النبي نسكاحها فان لم يقبله فلا تحل ، وقوله - خالصة لك - أى بالمره وهى حال من الضمير فى وهبت . وقوله - لك من دون المؤمنين - أى انه يجب المهر على غيرك وان لم يسمه أو نفاه

﴿ حكم من تهب نفسها ﴾

إذا وهبت امرأة نفسها للنبي <sup>صلى الله عليه وسلم</sup> فالأمر ظاهر انه ينعقد نكاحا بلا ولى ولا شهود ولا مهر لقوله تعالى - خالصة لك - وأيضا له الزيادة على الأربع ويجب عليه تخيير النساء وحده . وقال بعض العلماء بل لا ينعقد له إلا بلفظ النكاح أو التزويج كما فى حق سائر الأمة لأنه عبر بلفظ الاستنكاح فالاختصاص انما هو فى ترك المهر فأما من وهبت نفسها لغيره <sup>صلى الله عليه وسلم</sup> فانه لا ينعقد نكاحها بل لابد من لفظ الانكاح أو التزويج وهو قول سعيد ابن المسيب والزهرى وربيعة ومالك والشافعى . وقال النخعي وأهل الكوفة ينعقد بلفظ التملك والهبة وقوله تعالى (قد علمنا ما فرضنا عليهم فى أزواجهم) أى من شرائط العقد ووجوب القسم والمهر بالطء اذا لم يسم (وماملكت أيماهم) أى ما أوجبنا من الأحكام فى ملك اليمين . وهذه الجملة معترضة بين قوله تعالى - خالصة لك من دون المؤمنين - وقوله (التي لا يكون عليك حرج) أى أحللنا لك أزواجك وماملكت يمينك والموهوبة واختصاصك بذلك لكيلا يكون عليك ضيق والجملة الاعتراضية تفيد أن ذلك ليس للتوسيع عليه وحده والتضييق على المسلمين بل هناك معان تقتضى التوسيع عليه والتضييق عليهم نارة وبالعكس أخرى وسترى ايضاحه فى ﴿رسالة تعدد الزوجات﴾ الملاحقة بهذه السورة . وقوله (وكان الله غفورا) أى لما يعسر التحرز منه (رحما) بالتوسعة فى مظان الحرج (ترجى من تشاء منهم) أى تؤخرها وتترك مضاجعتها (وتؤوى اليك من تشاء) وتضم اليك وتضاجعها (ومن ابتغيت) طلبت (ومن عزلت فلا جناح عليك) أى ومن دعوت الى فراشك وطلبت صحبتها من عزلت عن نفسك بالارجاء فلا ضيق عليك فى ذلك (ذلك) التفويض الى مشيئتك (أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزنن ويرضين بما آتيتن كاهن) أى أقرب الى قرّة عيونهن وقلة حزنهن ورضاهن جميعا لأنهن اذا علمن أن هذا التفويض من عند الله اطمأنت نفوسهن وذهب التفاير وحصل الرضا وقرت العيون (والله يعلم ما فى قلوبكم) وهذا وعيد لمن لم يرض منهم بما دبر الله فى ذلك (وكان الله عليما) بما فى القلوب (حليما) لا يعاجل بالعقوبة فعلى الناس أن يحذروه روى عن أبي رزين قال « لما نزلت آية التخيير أشفقن أن يطلقن فقلن يابني الله اجعل لنا من مالك



ونفسك ماشئت ودعنا على حالنا فأرجأ منهنّ خبسا وأرى اليه أربابا » انتهى باختصار وسنوضحه في رسالة ﴿ تعدد الزوجات ﴾ الآتية . وكذا ما بعده مفصل هناك وهو قوله تعالى (لا يحل لك النساء من بعد) من بعد التسع (ولأن تبدل بهنّ من أزواج) فتطلق واحدة وتنكح مكانها أخرى (ولو أعجبك حسنهن) حسن الأزواج المستبدلة وهي أسماء بنت عميس امرأة جعفر بن أبي طالب لما استشهد جعفر أراد ﷺ أن يخطبها فنهى عن ذلك (إلا ما ملكت يمينك) وقد ملك بهد هؤلاء مارية القبطية (وكان الله على كل شيء رقيبا) أى حافظا وهذا يدل على جواز النظر إلى من يريد الإنسان نكاحها به قال رسول الله ﷺ « إذا خطب أحدكم المرأة فإن استطاع أن ينظر إلى ما يدعوه إلى نكاحها فليفعل » أخرجه أبو داود . وعن المقبرة بن شعبة قال « خطبت امرأة فقال لي النبي ﷺ هل نظرت إليها ؟ قلت لا . قال انظرا إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما »

هذا وقد تقدم حديث أنس بن مالك . وقوله في الحديث مالم يخصه « ان القوم طعموا في ولية زينب بنت جحش وخرج قوم وبقى آخرون . ففرج النبي ﷺ وخرج معه أنس حتى جاء حجرة عائشة ورجع فاذا هم جلوس فرجع حتى بلغ حجرة عائشة وظن أنهم خرجوا فرجع ورجع معه أنس فاذا هم قد خرجوا فضرب النبي ﷺ بينه وبين أنس بالستر وأنزل الحجاب وسمع أنس النبي ﷺ يقول (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم) أى إلا وقت أن يؤذن لكم (إلى طعام) متعلق بمؤذن حال كونكم (غيرناظرين إناه) أى غير منتظرين نضجه ووقت ادراكه (ولكن إذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا) تفرقوا ولا تمسكوا والآية لأولئك الذين يتعينون طعام رسول الله ﷺ فيدخلون ويقعدون منتظرين لادراكه فهي لهم ولا مشاهم ولولا ذلك لمنع من يدخل بيته بالأذن لغير الطعام ومن عكث بعد الطعام لمهم ولا قائل به فافهم (ولا) تمسكوا (مستأنسين لحديث) لحديث بعضهم بعضا أو لحديث أهل البيت بالسمع له (ان ذلكم) اللبث (كان يؤذى النبي) لتضييق المنزل عليه (فيستحي منكم) من إخراجكم (والله لا يستحي من الحق) يعنى أن إخراجكم حق فينبى أوت لا يترك حياء كما لم يتركه الله ترك الحي فأمركم بالخروج (واذ سألتموهن متاعا) شيأ ينتفع به (فأسألوهن) المتاع (من وراء حجاب) ستر به روى أن عمر رضى الله عنه قال يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب فنزلت هذه الآية (ذلكم أطهر لقلوبكم وفلوبهن) من الخواطر الشيطانية (وما كان لكم) وماصح لكم (أن تؤذوا رسول الله) أى تفعلوا معه ما يكرهه (ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا) من بعد وفاته أو فراقه وخص التي لم يدخل بها لما روى أن أشعث بن قيس تزوج المستعينة في أيام عمر رضى الله عنه فهم برجها فأخبر بأنه ﷺ فارقها قبل أن يمسه فترك من غير تكبير (ان ذلكم) أى إيذائه ونكاح أزواجه (كان عند الله عظما) ذنبا عظيما ثم بالغ في الوعيد لحرمته ﷺ فقال (ان تيسدوا شيأ) كنسكاهن على ألسنتكم (أو تخفوه) فى صدوركم (فان الله كان بكل شيء عليما) فيعلم ذلك فيجازيكم به (لا جناح عليهن في آباءهن ولا أبناءهن ولا أخوانهن ولا أبناء أخوانهن ولا نساتهن) يعنى النساء المؤمنات (ولما ملكت أيماهن) من العبيد والاماء أو من الاماء خاصة . انظره في ﴿ سورة النور ﴾ (واتقين الله) فيما أمرتن به (إن الله كان على كل شيء شهيدا) لا يخفى عليه خافية به روى انه لما نزلت آية الحجاب قال الآباء والأبناء والأقارب يا رسول الله أونسكاهن من وراء حجاب فنزلت ولم يذكر العم والحال لأنهما بمنزلة الوالدين . انتهى الفصل الرابع

﴿ الفصل الخامس في وجوب تعظيمه ﷺ ومن تعظيمه أن يصلى عليه ، وأن لا يؤذى في أهله ، وضرب مثل بالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا ، وذكر التكليف الذى لم يكلف بها أحد إلا الانسان لشهوته وغضبه ونوازعه الكثيرة وهى الأمانة ، وهو من قوله تعالى - ان الله وملائكته يصلون على النبي - الى آخر السورة ﴾

اعلم أن العالم المشاهد كله منتظم ، فالأعلى يسبغ النعمة على الأدنى ، والأدنى مطيع للأعلى . ومثال ذلك الملوك والوزراء والأمراء ومن دونهم . فكل من هؤلاء يستمد الأمر من هوفوقه ثم يصل الأمر الى الزارع والتاجر والعامل . فهؤلاء جميعا يعطون مالا للمحافظين عليهم ويعيشون فى أمن بتدبيرهم . فالأمراء يتناولون أجورهم من الرعية والرعية محفوظة بتدبيرهم . فالأمة كالجسم . فالعين تستحسن أزهار الربيع فيساعد القدم والساق على النقلة الى هناك فى الحقول والبساتين . فالعين والرجل تشاركتا فى العمل . هكذا الأمة عاليها وسافلها متشاركون وان كانوا لا يعلمون بل الأمم كلها فوق الأرض مشتركة ولكن أكثر الناس لا يعلمون اذا عرفت هذا فى العالم المشاهد فانظر الى ما نحن فيه وتأمل . ألم تقرأ فيما صرّ فى هذه السورة ان الله يصلى علينا وملائكته . أليس معنى ذلك أنه سبحانه يرحمنا وملائكته يستغفرون لنا . ورحمة الله العائمة تشمل البهائم والكافر . وانما القصد رحمة الهداية . فأنه يهدينا ورسوله فأما الملائكة فهم الملهمون لنا بلا واسطة كالألهامات التى يحس بها كل منا . وهذه الإلهامات لا بد لها من قانون ولا قانون إلا الدين والدين بالوحي والوحي من الملائكة الى الأنبياء . فاذا قال الله انه يرحمنا وملائكته وسائط فى إيصال رحمة الهداية لنا فذلك يدخل فيه الأنبياء ، ألا ترى الى قوله تعالى - ليخرجكم من الظلمات الى النور - فلم يذكر النبي ﷺ اكتفاء لوضوح المقام والا فنخرج لنا من الظلمات الى النور المصرح بها غير مرة فى القرآن سوى الأنبياء فاذن الله وملائكته ورسوله يصلون علينا . فالنور من الله والملائكة وسطاء والأنبياء مبلغون وهكذا العلماء بعدهم الى أن يصل الى جميع المسلمين كما قال تعالى - شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط - . اذا علمت هذا فانظر فى قوله تعالى هنا (إن الله وملائكته يصلون على النبي) كما صلوا عليكم وصلى هو عليكم أيضا وعلى من أنعم عليه بنعمة أن يشكرها وشكر النعمة أن تدعوه . فمن لم يشكر الناس لم يشكر الله ، وخير الناس المنعمين الأنبياء ولذلك قال (يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه) لأنه صلى عليكم أى أعلمكم بوجي الملائكة والعلم بوجوب مغفرة الذنب اذا عمل به ويخرج الناس من ظلمة المادة الى نور عالم الأرواح فتكون الصلاة على النبي ﷺ أى الدعاء له شكر على نعمة العلم التى جاءت على يديه . فاذا أضيف الى ذلك انقياد المسلم وتسليمه لما جاء على لسانه من الشرائع كان قائما بالشكر خير قيام ولذلك قال (وسلموا تسليما) أى انقادوا لأوامره انقيادا كما قال تعالى - قل لأسألكم عليه أجرا إلا المودة فى القربى - أى التقرب لله . ولا جرم أن امتثال أمر الله فى شريعته وصلاة المسلم على نبيه قيام بالشكر لأن ذلك هو المطلوب . إن مقصود الأنبياء رقى أهمهم بانقيادهم للأوامر والنواهي ، وتجوز الصلاة على غيره تبعاله وتكره استقلاله لأن الصلاة فى العادة شعار الرسل كما لا يقال « محمد عز وجل » ثم وجوب الصلاة إما فى العمر مرة أو فى كل صلاة فى القشهد الأخير أو كلها ذكر والأول قول الأكثر والثانى قول الشافعى واحدى الروايتين عن أحمد والثالث قول الطحاوى من الخفية والحاوى من الشافعية وهو ضعيف . والجمهور ان هذا مستحب . والواجب « اللهم صل على محمد » وما زاد سنة . والمعنى الآخر فى السلام التحية أى حيوة بتحية الاسلام . يقول الله ادعوا له بالرحمة وحيوة تحية الاسلام أى قولوا ﴿ السلام عليك أيها النبي ﴾

إن الصلاة على النبي ﷺ والانقياد لأوامر الله والتسليم عليه ﷺ هما يرفع العبد درجات ، كيف لا وهو فى حال الصلاة عليه قد ترك الغيبة ولا مست روحه ذكر نفس طاهرة فى عالم الكمال ، إن الصلاة

على النبي ﷺ عمل من الأعمال الحيدة له حسنات مذكورات مشهورات في الأحاديث ، إن الدعاء الذي  
بالرحمة التي هي معنى الصلاة بزيده رفعة وهو ردين تبعه متواصلون في عالم الأرواح ، وكلما زاد رفعة  
ازداد أتباعه لعلاقة الرابطة ، إن بين الأرواح عالمها وسافاتها لصلية متناسبة كالصلة بين السكواكب والشموس  
وبين جميع ماحولها ، ان تذكر الأنبياء والسلام على الصالحين وعلى آل الأنبياء كل ذلك تذكرة لعلاقة النفوس  
الطاهرة بعد الموت في العالم الروحي ليؤهل نفوسنا الى المقام معها هناك حتى لا تستوحش النفس عند مفارقة  
الدنيا ، إن كل هذا يطلب به الاستيحاء من هذه المادة والانساس بعالم الأرواح ، يقول المسلم ﴿ السلام  
عليك أيها النبي ﴾ ثم يسلم على نفسه وعلى الصالحين من جميع الأمم ويصلي على نبيينا ويذكر إبراهيم وأمثال ذلك ،  
كل هذا ليأنس بتلك الأرواح ، إن عالم الأرواح عالم الحياة كما ان عالم المادة عالم الموت ولذلك يحتم المسلم الصلاة  
فيستعيد من عذاب القبر وعذاب النار وفترة الحياة وفترة الممات وفترة السجاليين والكاذبين ، وهذه كلها من  
علائق الدنيا والمادة ، فأما عالم الأرواح فهو عالم الجمال والبهاء والكمال ، ولما كان اعظام النبي ﷺ يقضى  
بالأولى ألا يؤذى أعقبه بقوله (إن الذين يؤذون الله ورسوله) بأن يرتكبوا ما يكرهانه من الكفر والمعاصي  
ومنهم من كسر رباعيته ، ومنهم من قال هو شاعر ومجنون (لهم الله) أبعدهم من رحمته (في الدنيا والآخرة  
وأعد لهم عذابا مهينا) يهينهم مع الإيلام (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا) بغير جنابة  
استحقوا بها (فقد احتملوا بهتاننا وإثما مبينا) ظاهرا وذلك كما حصل في مسألة عائشة وكايداء على رضى  
الله عنه ، وكما كان الزناة يمشون في طرق المدينة يتبعون النساء اذا برزن بالليل لقضاء حاجتهن ولم يكونوا  
ليعرفوا الحرة من الأمة . ولذلك نزل قوله تعالى (يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين  
عليهن من جلابيبهن) جمع جلباب وهي الملاءة التي تشتمل بها المرأة فوق السرعة والجار أو هي كل مايستتر به  
من كساء وغيره . قال ابن عباس « أمر نساء المؤمنين أن يغطين رؤسهن وجوههن بالجلابيب إلا عينا  
واحدة ليعلم الناس أنهم حرائر » وذلك قوله تعالى (ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين) أى لا يتعرض هن  
أحد (وكان الله غفورا) لما سلف (رحما) بهباده إذ يراعى مصالحهم في الجزئيات كما في السكيات (لئن لم  
ينته المنافقون) عن نفاقهم (والذين في قلوبهم مرض) ضعف إيمان (والمرجعون في المدينة) يرجفون  
أخبار السوء مثلا اذا خرجت سرايا رسول الله ﷺ يوقعون في الناس انهم قتلوا أو هزموا أو يقولون قد  
أناكم العدو ونحو ذلك (لنغرينك بهم) لنحرسنك بهم ولنسلطنك عليهم (ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلا)  
أى إلا زمانا قليلا حال كونهم (ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا) سن الله ذلك (سنة الله في الذين  
خلوا من قبل) من الأمم الماضية وهو أن يقتل الذين نافقوا الأنبياء وأرجفوا أينما ثقفوا (ولن تجد لسنة الله  
تبديلا) يسألك الناس عن الساعة) تعنتا (قل إنما علمها عند الله) لم يطلع عليها ملكا ولا نبيا (وما يدريك  
لعل الساعة تكون قريبا) شيئا قريبا (إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرا) نارا شديدة الانتقاد  
(خالدين فيها أبدا لا يجدون وليا) يحفظهم (ولانصيرا) يدفع العذاب عنهم (يوم تقلب وجوههم في النار)  
تصرف من جهة الى جهة كاللحم يشوى على النار (يقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا) في الدنيا (وقالوا  
ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا) وهم رؤس الكفر الذين زينوه لهم (فأضلونا السبيلا) أى عن سبيل الهدى  
(ربنا آتهم) أى السادة والكبراء (ضعفين من العذاب) أى ضعف عذاب غيرهم (والعظيم لعنا كبيرا) لعنا  
متتابعا (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا) فظهره الله مما قالوه فيه (وكان  
عند الله وجيها) كريما ذا جاه وقدر . أوحظيا عنده لا يسأل شيئا إلا أعطاه فهو مستجاب الدعوة . فقد اتهمه  
قوم بقتل هرون لما خرج معه الى الطور فبات هناك فخلته الملائكة وصروا به عليهم حتى رأوه غير مقتول  
أو أحياء الله فقال لهم ذلك . وأيضا قد مر في (سورة الشعراء) أن قارون حرص بغيا على قدفه بنفسه فعضمه الله

من كذبها . أو قذفه بعيب في بدنه كبرص أو أذرة وكان كثيرا المسترحياء فأطعمهم الله عليه فبرأه الله عما قالوا  
 وقوله ( يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ) في ارتكاب ما يكرهه فضلا عما يؤذى رسوله ( وقولوا قولا سديدا )  
 صوابا عدلا صدقا ( يصلح لكم أعمالكم ) يتقبل حسناتكم ( ويغفر لكم ذنوبكم ) ومن يطع الله ورسوله فقد  
 فاز فوزا عظيما ) أي ظفر بالخير العظيم . جاء في رواية البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود قال « لما كان يوم  
 حنين أثار رسول الله ﷺ ناسا في القسمة كالأقرع بن حابس مائة من الإبل ومثله عيينة بن حصن وأعطى  
 ناسا من أشرف العرب وأثرهم في القسمة فقال رجل والله إن هذه قسمة ما عدل فيها وما أريد بها وجه الله  
 فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ تغير وجهه كأنه الصرغ بكسر الصاد وهو صبغ أحمر يصبغ به الأديم ، ثم قال  
 فمن يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله ؟ ثم قال يرحم الله أخى موسى قداؤذى بأكثر من هذا فصبر » انتهى ملخصا  
 ثم قال تعالى ( إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها ) خفن منها  
 ( وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا ) اعلم أن للفسرين ( رأيين مشهورين ) في هذه الآية ( أولهما )  
 إن الله خلق في هذه الأجرام فهما وقال أن يحملن هذه الأمانة بما فيها وذلك انكسر ان أحسنن جوزيتن  
 وإن عصيتن عوقبتن قلن يارب نحن مسخرات لامرك لا نزيدن أبدا ولا عقابا ، وتلك الأمانة هي الوفاء بالعهود  
 والودائع وجميع ما حمله المكلف من التكاليف القوية والفعلية وهذا القول يناسب قوما ( الرأي الثاني ) أن  
 هذا القول من المجاز المركب ، يقول الله أن هذه السموات والأرض والأنهار والجبال والنبات كلها  
 وكذلك الملائكة ، كل هؤلاء مسخرون لأعمال على مقدار الاستعداد ، فالشمس والقمر والجبال والأنهار  
 والأرض كلها قائمات بما خلقت له لاتحيد عنه شعرة - أن كل من في السموات والأرض إلا آتى الرحمن  
 عبدا - والبهائم ليس عندها من العقل ما به يصح التكليف ، فهذه الخواص كلها تأتي طبايعها أن تسلك  
 بعمل ما وإنما عملها يكون على حسب جبلتها ، والجبال والغرائز غير عاصية فإن النحل والنمل والعنكبوت  
 والطيور كل جماعة من هذه قائمات بأعمالهن بلا خلل في النظام كما ترى في مسدسات النمل وفي نسيج العنكبوت  
 وفي تربية الطيور لأفراخها ، وفي أن كل طائر إذا خرج من البيضة أتبع أمه وسار معها كأنه تعلم ذلك قبل خلقه  
 وهكذا تسير الكواكب كلها وكذا الأرض لا اختلاف لسيرها ولا اختلال لنظامها فليس شيء من ذلك كالإنسان  
 - بل الإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره - ويخرج من بطن أمه ضعيفا ثم يتعلم شيئا فشيئا حتى يبلغ  
 أشده وله اختيار في الأعمال يتصرف بعقله في الآه ور ولذلك تختلف أفراده اختلافا كثيرا لتنوع تعاليمهم  
 وقدرهم وتميزهم وأخلاقهم واجتهادهم وإنما كفاهه لأنه ابتلى بقرى الغضب والشهوة اللذين هما صفتا البهائم  
 وهو به قله يرقى عنها إلى ذروة الكمال ، فالشهوة والغضب يصرفانه في أمور كثيرة ، ويوقعانه في الفجور  
 والكبرياء وغيرهما وتتنازع الأهواء ، فاذن كفاهه بالشرائع لأنه كان ظلوما بأنواع الشهوات وفنون الغضب  
 التي تقذف به في المهادى ، جهولا بما يجب عليه ، فهذه الأمانة وهى التكاليف والأمانات والودائع كالحواس  
 الخمس والأعضاء والمواهب كلها جعلها الإنسان لحاجته إليها في ردع ظلمه وجهله ، وتكون نتيجة ذلك أمرين  
 تعذيب المنافقين والكافرين والمنادقات والكافرات لأنهم لم يقوموا بحمل الأمانة حق القيام وأثابة الله المؤمنين  
 والمؤمنات وأن يتوب عليهم وهذا قوله تعالى ( ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفورا رحيما )  
 حيث عفا عن فرطتهم وأثاب على طاعتهم . وههنا ( سبع لطائف )

( اللطيفة الأولى ) في سر تعدد الأزواج وتعدد أزواج النبي ﷺ وهى رسالة ألقاها الملائكة وطبعت سنة

١٣٣٣ هجرية للرد على قوم اعترضوا على الإسلام

( اللطيفة الثانية ) في قوله - وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء علما -

( اللطيفة الثالثة ) في قوله تعالى - يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا -

(الطيفة الرابعة) في قوله تعالى - يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بأذنه وسراجا منيرا -

(الطيفة الخامسة) في قوله تعالى - يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم -

(الطيفة السادسة) في ما يخص السورة كلها وفيما قبلها وما بعدها

(الطيفة السابعة) في معنى - وحملها الإنسان -

﴿ الطيفة الأولى في سرّ تعدد الأزواج في الاسلام ، وتعدد أزواج النبي ﷺ ﴾  
وهي رسالة ألفها المؤلف للرد على قوم اعترضوا على الاسلام في هذا المقام ، وهذا نصها

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### ﴿ المجلس الأول ﴾

( محاوره دارت بيني وبين صديقي محمود أفندي طلعت أبو مسلم القاضي بالجامع الأهلية )

(المدره) أيها الاستاذ . كثرا القيل والقال في أمر تعدد أزواج النبي ﷺ ونحن معاشر المسلمين ولا سيما علماء القانون لا يزال بعضنا في شك مريب مما ذكر ويذكر في كل آن في المسألة ، ولقد تر بصنا قولك فلم نحس لك من خبر ، ولم نسمع لك من ركر ، فأقبل بعضنا على بعض متسائلين متخافتين بيننا قائلين : لولا ان الأمر عسير عليه ليس له فيه مقنع ، وعقبة كأداء ليس لديه لها مطلع ، ما أغمض الجفن على القذى ، ولا بقي في غطاء عن الأمر مع كثرة الطلب والالاح المتوالى عليه من الفرق المختلفة عزين

(الاستاذ) لم أذكر القول فيما مضى إلا لأعمال متراكمة ودروس مترادفة . يشغلها سائمة . تتبعها كلاله . ولم أشأ أن أقف موقف الراد على فريقين . أوقائل متهور . أومدح يتبين جهله . فالقرين لقرينه ومنسوب والشئ يذكر بضده والمراء يتحدث مع نده . انما تر بصت هذه المدة حتى تبين الحقيقة واضحة باصعة وتكون رسالتى قائمة بنفسها . ولأقف على أكثر ما يحول في الخواطر حتى يكون الدواء على مقدار الداء . والجواب على مقدار السؤال (المدره) كيف تزوج النبي ﷺ تسعا وقد حرمت الشريعة ما زاد على الأربع . وأنت خير بأن من صرن على القانون يختلجه الشك والريب اذا رأى أن المشرع قد اختص بما لم يبيحه لغيره ؟ وكيف يتزوج تسعا ويمنع غيره مما زاد على الأربع وسنن الأنبياء تأبى ذلك . ألم ترالى ما حكى الله تعالى عن شعيب - وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت - وههنا المخالفة واضحة ؟

انا معاشر المتعلمين يستعصى علينا أن نفهم جواز مخالفة القانون ولو بحجة الخصوصية التي كثيرا ما سمعناها من شيوخنا وقرأناها في الكتب فنبينا ﷺ يتبعه نحو خمس النوع الانساني وسيرته قدوة للأمة (الاستاذ) اهل النبي ﷺ تزوج هؤلاء السيدات قبل تحريم ما زاد على الأربع وهن عائشة وميمونة وصفية وحفصة وهند وزينب وجويرية ورملة وسودة

(المدره) ما نهى أن يفعل معهن مثل ما أمر الحارث بن قيس قال أسأمت وعندى ثمان نسوة فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال اخترمنهن أربعا . أخرجه أبو داود . وهلا فعل هو كما أمر غيلان بن سلمة الثقفي ؟ أسلم وله عشر نسوة في الجاهلية فأسلمن معه فأمره رسول الله ﷺ أن يختارمنهن أربعا . أخرجه الترمذي وروى أن نوفل بن معاوية أسلم وتحتة خمس نسوة فقال عليه الصلاة والسلام أمسك أربعا وفارق واحدة ، والنبي ﷺ كان عنده تسع فهو وسط بين ابن قيس وبين ابن سلمة . أفما كان الأجدر أن يفارق خسا ويبقى أربعا ؟ (الاستاذ) قد أعددت ثلاث اجابات لك في كاتهن (١) شاهد مقنع

(١) كاة بضم الكاف وتشديد اللام للمؤنث في بعض اللغات

(المدره) هات أولاها

(الاستاذ) لقد حرّم الله عليه أن يتزوّج غيرها وأن يستبدل بهنّ من أزواج ، فكان للمسلم بكل من الأربعة غيرها بحيث يتزوّج غيرها ويطلقها والرسول محرم عليه ذلك ، قال الله تعالى - لا يحلّ لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهنّ من أزواج ولو أعجبك حسنهنّ إلا ما ملكت يمينك - ، قال البيضاوي لا يحلّ لك النساء بعد اليوم حتى لومات واحدة لم يحلّ له نكاح أخرى ولا أن تبدل بهنّ من أزواج فتطلق واحدة وتنكح مكانها أخرى ، وقال ابن عباس « ان النبي ﷺ لما خيرهنّ فاخترن الله ورسوله شكرهنّ الله ذلك وحرّم عليه النساء سواهنّ ونهاه عن تطليقهنّ وعن الاستبدال بهنّ » فيبين منه أن القانون قد اشتدّت وطأته عليه فجعل هنّ أن يأمن الطلاق والاستبدال وسواهنّ لا يأمن طلاقا ولا استبدالاً ، فكثرة العدد له تقابل الحصر والمنع ، وقلة العدد عند المسلمين مقرونة بالتوسعة استبدالاً وطلاقاً ، فلئن ضيق على المسلمين في السكّم فقد ضيق عليه في الكيف ، ولئن وسع عليه في السكّم فقد وسع عليهم في الكيف . فالسواة متعادلة ضيقاً وسعة

(المدره) لقد قال هذا القول قبلك أحد الكتاب ولم يكن لدينا واقعا موقع الماء من ذى الغلة الصادى فالقانون لم يزل كالمحترم وهو عند الله والناس المحترم ، فليكن منهج المساواة أقرب من هذا وأدعى للطمأنينة فإنا قد أصبحنا في زمن لا نعرف فيه للمحاباة معنى ولا نعد مثل هذا إلا تلمسا لجواب من أى باب . نعم هذا فيه مساواة في الحقيقة ولكن يصبح القانون نوعين لا قانونا واحد

(الاستاذ) لو طلق نساءه ﷺ لكان ذلك خلا في السياسة . وسواء في التسيير ، وتفريقا للكلمة ، وبخلا بالجاء على مستحقه ، والأنبياء أحق الناس بالكياسة والفضل والسماحة . من ذا ترى أحقّ بالطلاق من نسائه ، عائشة بنت أبي بكر . أم حفصة بنت عمر بن الخطاب ، أم زينب ابنة جحش الاسدية ، أم أم سلمة بنت أبي أمية الخزومي ، أم أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب ، أم صفية بنت حيي بن أخطب ، أم ميمونة بنت الحارث الهلالية ، أم سودة بنت زمعة بن الأسود ، أم جويرية بنت الحارث المصطلقية ؟ فوالله لئن طلق عائشة بنت أبي بكر لزلات القلوب وكان ذلك أمرا إذا تكاد الأفئدة تنفطر منه وتنشق المرائر ، أئى يكون ذلك وأبو بكر رفيقه في الغار ، وداعى أهل الضلال والكفر للإسلام . وصاحبه الأول ، ومؤاسيه بنفسه وماله ، أئن فعل ذلك لكان أسوة سيئة لنا ، ولكان الغدر بالأصحاب ، من خلال أولى الألباب ، ولئن طلق حفصة بنت عمر بن الخطاب لكان ذلك نقطة سوداء في جبين الشرف . وسبة شنعاء في وجه الأدب . وكفرانا للنعيمين . وطفينا على الصحابة الصادقين . فبأها من فضيحة يخجل لها وجه الزمان . ويسود لها الحدثان . ويندى لها جبين الفضيلة . وينتصر بها جنود الرذيلة . ويشمت لها جماعة الأعداء . ويتمزق بها عن المصلح شمل الأخلاء . ألم ترالى ماورد في السيرة الحلبية ومثله في البخارى بزيادة وحذف في مختلف الروايات . عن عمر رضى الله تعالى عنه انه ذكر أن بعض أصدقائه من الأنصار جاء اليه ليلا فدقّ عليه بابا وناداه قال عمر ففرجت اليه فقال حدث أمر عظيم فقلت ماذا ؟ أجاءت غسان . لأنا كنا حدثنا أن غسان تعزل الخيل لغزونا . فقال لا بل أمر أعظم من ذلك وأطول . طلق رسول الله ﷺ نساءه . فقلت خابت حفصة وخسرت . كنت أظنّ هذا كائنا حتى اذا صليت الصبح شددت على ثيابي ودخلت على حفصة وهي تبكي . فقلت أطلعكّن رسول الله ﷺ ؟ قالت لا أدري هو هذا معتزلا في هذه المشربة . وفيه انه استأذن على النبي ﷺ ثلاث مرّات وفي كل منهنّ يجيبه الغلام بقوله ذكرتك له فصمت . قال فلما كانت المرة الرابعة وقال لي مثل ذلك وليت مدبرا . فاذا الغلام يدعوني . فقال ادخل قد أذن لك فدخلت فسلمت على رسول الله ﷺ فاذا هو متكئ على رمل حصير قد أثر في جنبه ﷺ . فقلت أطلعت يا رسول الله نساءك . قال

فرجع رأسه إلى وقال لا . فقلت الله أكبر ( الحديث مطولا ) وفيه قال عمر فقلت أأستأنس يا رسول الله . قال نعم جلست . وقلت يا رسول الله قد أثر في جنبك رمل هذا الحصيد وفارس والروم قد وسع عليهم وهم لا يعبدون الله فاستوى عليه السلام جالسا وقال : أفشك أنت يا ابن الخطاب . أولئك قد عجبت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا فقلت : أستغفر الله يا رسول الله ( ولقد اقتطفنا من الحديث ما يليق بالقام ) فانظر كيف كان عمر وصاحبه يظنان أن طلاق نسائه أشد من غزوة الأعداء وحاول البلاء . ثم يفرق ويدهش ويستأذن . ثم يرد وهو يوجس في نفسه خيفة وكأنه ظن أن غضب الله ولعنته ، وجهنم وخزنتها ، والزبانية وسلطانها ، تحيط به وبابنته لو طلقها النبي . وروى أنه كانت جفوة بين حفصة والنبي صلى الله عليه وسلم فباع أباهما عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم طلقها فبنا التراب على رأسه وقال ما يعبا الله بعمر وابنته بعدها . فنزل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم من الغد وقال : ان الله يأمرك أن تراجع حفصة رحمة لعمر - أي تصالحها . وقال عمار بن ياسر رضي الله عنه أراد النبي أن يطلقها فقال له جبريل عليه السلام إنها صوامع قوامه وإنها زوجتك في الجنة . فهل ترى بعد هذا طلاق عائشة أم حفصة فقال أما هاتان فطلاقهما فتنة ومحنة ومفسدة أي مفسدة

(الاستاذ) فهل ترى طلاق أم سلمة المسماة بهذا زوج أبي سلمة عبدالله بن عبد الاسد بن غنم النبي صلى الله عليه وسلم وهي برة بنت عبد المطلب وكان زوجها أخاه من الرضاع مات أبو سلمة ومعها أربع بنات برة وسلمة وعمره ودرة فأوها النبي صلى الله عليه وسلم إليه وتزوجها بعد أن اعتنرت إليه وقالت أفى امرأة مسنة ، وأفى أم أيتام ، وأفى شديدة الغيرة ، فأجابها على لسان رسوله بقوله : لا يتام أصعهم إلى وأدعو الله أن يذهب عن قلبك الغيرة ولم يعبا بالسن بل كانت تلك المزهديات والعقبات من أقوى التوائى للاسراع في طلبها عطفًا عليها ، ورحمة بيناتها ووصلة لرحمها ، ومعرفة بحق أخيه من الرضاع ، وإيواء لصغارها من بعده . أفترأى يطلق بعد ذلك ، ولو أنه فعل لكان أصرا نسكرا واستضعافا لا إيتام ، واستخفافا بصلة الأرحام ، واحتقارا لشأن اللاجئات إليه اللاتي يستحقن معونته أم يطلق زينب ابنة جحش امرأة زيد الذي تبناه صلى الله عليه وسلم وتزوجها بعد طلاق زيد رمزا إلى ما يقع في بلاد المسلمين كل آن من بعده اذ يصطفى الدعوى بعد النسب ، ويقصى القريب ، فيكون الخلل في السياسة والخلل في الرياسة ، والاسلام وان سوى بين الناس وجعلهم اخوة في أعمالهم الدينية والدنيوية فقد نظر من وجه آخر إلى الكياسة في السياسة . فلقد يصدق المولى ولقد يكذب نعم صدق زيد وصدق ابن زيد أسامة . نعم هؤلاء واضربهم كانوا من أجل الانصار بل قواد الجيوش المدافعين عن حوزة الاسلام وبيئته بالقنا والسيف ، كل ذلك مسلم ولكن نظر النبي نظرا أدق وعلمه الله بالوحى ما جهله الملوك العباسيون كالمقتصر والترك فجعلوا المولى أولى بالمناصب ، وأحق بالكراسي ، وأجدر بحفظ السياسة ، والاستبداد بالرياسة ، - فحق القول على أكثرهم فهم يعمهون - . نظر ذلك كله النبي فأمر الله أن يتزوج زينب وألقى في روعها بغض زيد فلما شكازيد انفتحا منه ، وجفوتها له ، وشمخها بأنفها خيلاء وكبرا اذ كانت من صميم قریش وهو مولاهم قال له أمسك عليك زوجك واتق الله ولامه الله على ما كنتم في نفسه من أنه أمر قبل ذلك واخبر بأنه سيتزوجها فقال له - وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه -

ذلك لان يصدع بالأمر ولا يخاف في الله لومة لائم فكيف يخجل من تغيير ما ظهرت عواقبه الوخيمة بعد ذلك واستبان ضرره ، فلقد كان للترك في دولة بني العباس من الفتك بالملوك ، وتسميل العيون ، وقطع الرقاب ما تشعرون منه الجلود ولكم شدة خوار الروس واستنزلوا قرابة النبي بعد عز من مراتبهم بشهوة عرضت ، ونعمة بدت ، وضغينة كاذبة يبتدعونها ، وأغراض ذميمة يتبعونها ، ولآثام يقتربونها . وكذلك أولئك الجنود المختلفون والفرق المتشاكسون المسمون الانكشارية علموا أنهم من وشيجة غير الترك ومن عنصر لا يتصل معهم ولا يلتئم فاتحدوا للنفقة ثم أتوا صفا وأهلكوا الحرث والنسل في أنحاء الدولة وقد استنام الترك لذلك العقارب والحيات كما



استقام العرب قبلهم لفلان المعتصم الذين تناسوا وتكاثروا وأوقبوا الدولة في حيص بيص ففرقت شذر مذر ، وشرقت كل هزق ، وأصبحوأ أحاديث للأمام الحاضرة والقابرة ، ذلك ما كان يرمز اليه زواج زينة ابنة جحش ذلك هو السر المصون ، والجوهر المكنون ذلك أصل سياسة الله في الاسلام جهلها الناس ، ولأن علموا فلفقد غشى على أعينهم الطمع ، وذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون وها هنا قال المدره للاستاذ أن أوان الانصراف ، فلنعد غدا صباحا ، وان موعدنا الصبح ، - أليس الصبح بقريب -

### ﴿ المجلس الثاني ﴾

جاء الاستاذ والمدره وقال الاستاذ هاتين أولاه فرغنا من الكلام على زينب ابنة جحش أم المؤمنين رضي الله عنها فنقول اليوم أترى أن يطلق أم حبيبة وهي رمة بنت أبي سفيان بن حرب ! وهي التي نبذت دين أمها هند وأبيها أبي سفيان فخل قریش زعيم القوم وكبير العشيرة أبي معارية . هاجرت مع زوجها عبيد الله بن جحش الى أرض الحبشة الهجرة الثانية فولدت له حبيبة وبها كانت تسمى فتنصر زوجها هناك وثبتت هي على الاسلام فانظر كيف رزئت بهجر أبيها ثم بفراق أهلها وقومها وعاشت قوماسود اللون يخالفونها في العقيدة وهم الحبشيان ثم تنصر زوجها فهل بعد ذلك من عجن تصب واحن وعذاب واصب . فإذا فعل النبي ﷺ ليكافئها أرسل عمرو بن أمية الضمري الى النجاشي رحمه الله ، فزوجه ﷺ إياها وأصدقها النجاشي عن النبي ﷺ أر بعمة دينار والذي تولى عقد النكاح عثمان بن عفان وجهزها النجاشي من عنده وأرسلها مع شرحبيل بن حسنة فهل يكافئها بمثل هذا ويرفع عنها الضيم الذي توالى عليها بسبب الاسلام ويشرفها ويرفع رأسها بين قومها ثم بعد ذلك يفارقها . ان هذا امار وأى عار ، بل اثم كبير ، وزلة لا يغفرها الدهر ، ولا يرضاه الصعلوك الغر ، فما بالك بمن هو القدوة الأعظم ، والسيد الاكرم . أم يطلق جويرية بنت الحارث بن ضرار سيد بني المصطلق واسمها برة التي تزوجها ﷺ بعد أن أعتقها . ولما رأى المسلمون أنه ﷺ تزوج جويرية قالوا في حق بني المصطلق أصهار رسول الله فاعتقوا ما بأيديهم منهم قال في الامتاع ولما تزوجها ﷺ خرج الخبر الى الناس وقد اقتسموا رجال بني المصطلق وملكوهم ، ووطئوا نساءهم ، فقالوا أصهار رسول الله فاعتقوا ما بأيديهم من ذلك السبي فهل يطلقها بعد أن شرفت قومها بزواجه فرفعوا رؤوسهم بين القبائل . أفيجوز في شرعة الفضيلة أن ينكسوا رؤوسهم بين الملا صاغرين ، ويعيروا بالخيبة والتعاسة خاسمين .

المدره - هذه المعاذير التي ذكرتها اقناعية لا تروى من غلة ولا تشفى من علة ولكنها تقوم بحجة وقتية ، ويجتزئ بها أواسط الناس ، فأما الاذكياء فانهم يبقون وعندهم بعض ريب وقلق واضطراب .

(الاستاذ) - ولماذا .

المدره - ان ماجاز أن يكون شأنه مع نسائه يجوز أن يكون مع سراة العرب واشرافهم فلقد يستج كل بما يزرأ نساءه من المصائب ، وما ينتابهم من النوائب ، وما يعترى احبابهم والحبائب : من تنكيس الرؤس ، وحلول البؤوس . وذلل النفوس . وشماتة الاعداء . وحزن الاخلاء .

(الاستاذ) - ليس شأن سراة العرب وصعاليكهم كشأن النبي ﷺ ، ولا وقائعهم كوقائعه . فالطامة هنا كبرى وهي متوجهة للامة ونظامها كما أوضحت لك فيما مضى وكيف تنسى عمر وما حثا من التراب على رأسه وهو ركن مهم في الاسلام . وكيف قال هو وصاحبه ان طلاق نساءه أشد من احتدام وطيس الحرب ، وضرب الهام ، وإعمال السيوف ، والقنا يقرع القنا ، وأمواج المنايا تتلاطم .

تم قال الاستاذ فإذا كنت تفعل لو كنت مكان النبي ﷺ .

(المدره) - أنتهج خطة الحيلة بحيث أسلط القانون على الناس ثم لا أمس شرف هؤلاء السيدات بسوء .

(الاستاذ) - وكيف ذلك .

(المدره) أما كهن زمام انفسهن . وأخيرهن . فأكون قد مهدت لنفسي العذر . وقطعت لسان العذل فلو طلقت احداهن نفسها لم يسود وجهها بما يقول الناس ان النبي أبغضها فنبذها وأبى مقام النبوة بمسه سوء من فراق سيدة لم تختره .

(الاستاذ) قد فعل النبي ذلك اذ قال الله له (يا أيها النبي قل لازواجك ان كنتم تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعنن وأسرتعنن سراحا جيلا . وان كنتم تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله أعد للحسنات منكنا أجرا عظيما) . فبدأ بعائشة فقال يا عائشة اني أعرض عليك أمرا أحب ألا تتجلى فيه حتى تستشيري أبويك قالت وما هو يا رسول الله ! فتلا عليها الآية قالت أفيك يا رسول الله أستشير أبوي . بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة ، وأسألك ألا تخبر امرأة من نسائك بالذي قلت . قال لا نسألي امرأة منهن إلا أخبرتها ان الله لم يبعثني معنتا ولا متعنتا ، ولكن بهتني معلما ومبشرا .

(المدره) هذا كلام حسن فإذا كان بعد ذلك .

(الاستاذ) اختاره نساؤه كهن ، وحرم عليه استبداهن وطلاقهن ، كما تقدم وسمين أمهات المؤمنين . وأعطين هذه المنزلة السامية في التاريخ والامم جيلا بعد جيل الى يومنا هذا

(المدره) هل كان نساء النبي يقدرن هذا المجد قدروه . وهل يرين أن المجد والشرف والاسم والصيت فضلا عن الدار الآخرة أرقى وأرفع وأعز من المال والشهوات الحيوانية . وهل من حوادث تؤيد ذلك حتى نقول انهن كن يردن الله والعزة والشرف والآخرة وحتى يضرب الذكر صفحا عما نعلمه من انهن كن يطلبن منه النفقة وان ذلك كان من أسباب هجره لمن شهرا كاملا لمغاضبتن له فكان ذلك من أسباب نزول آية التخيير

(الاستاذ) نعم كن يقدرنه حق قدره ألم تر الى أخت دحية التي ماتت من الفرج لما علمت أن النبي ﷺ

تزوج بها ولما نزلت آية التخيير أشفقن أن يطلقن فقلن يابني الله اجعل لنا من مالك ونفسك ماشئت ودعنا على حالنا . ألا ان للنساء نفوسا كما للرجال : يحببن الشرف كما يحبون ويسعين للحياة والذكر والأجر وعلاو الهمة كما يسعون . لقد برهنت النساء في كل زمان على ان فيهن من تفضل الموت على العار بل انهن أرق شعورا ، وألطف أفئدة ، وأشد قبولا لموعظة ، وأكثر تقديرا لفضيحة ، وأوفى ذمما اذا صدقن العشير . فانظر كيف قضت أخت دحية السكبي نحبها لما فاجأها من خبر زواجها بالنبي فقل لي رعاك الله . أكان ذلك لمال والنبي ﷺ كان بنام على حصير ، وبأكل الشعير ، ولا يبالي بالخطام ، ونساؤه يطلبن منه النفقات . ويقلن له كل يوم هات . أم لشهوة وعنده كثير من العقيلات الفريديات وهو قائد حرب ومعلم تلميذ وقائم ليل . وصائم

نهار . وقاض بين خصوم . ومفرج هموم . فماذا يكون حظ النساء منه . كلا وإنما ذلك الشرف والمنزلة الرفيعة في الدين والدنيا فلا عجب اذا قالت سودة بنت زمعة دعني حتى أموت تحت كنفك وقالت هي والباقيات لا تقتلنا بالفراق والطلاق رضينا بالقوت ورضينا بما تصنع معنا من ترك قسمة على اتنا أمهات المؤمنين واتنا لانسكح

بعدك حتى نزل قوله تعالى (ترجى من تشاء منهم وآتوى اليك من تشاء ومن ابتغيت من عزاء فلا جناح عليك ذلك أدنى أن تقرأ عينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتن كاهن والله يعلم ما في قلوبكم وكان الله عليما حلما)

قال البيضاوي ترجى من تشاء منهم تؤخرها وتترك مضاجعتها وآتوى اليك من تشاء وأضم اليك وتضاجعها وهناك أقوال أخرى غير هذا لا حاجة لها في موضوعنا وقال مخاطبا للمؤمنين (وما كان لكم أن تؤذوا رسول

الله ولا أن تنكحوا أزواجهن بعده أبدا) فسكان له بعد ذلك على ما ارتضين واشترطن معه أن يترك القسمة لمن يشاء ويرضين منه بما يرضاه فكانت الآية على وفق ما اشترطن وعلى ما تراضين عليه لما نلن من شرف . وما أحرزنه من نحر . الى أبد الدهر .

المدره - لم حرمت أزواجه على المسلمين من بعده . وهلا أباح الله زواجهن أسوة بالناس .  
 (الاستاذ) ان من الحكمة التي أودعت ذلك أن في التحريم سدا لباب الفتنة وحفظا للسياسة وتوحيداً  
 للحكامة . فلو أن إحداهن تزوجت برجل لتطاول للتدخل في السياسة وافعل بأدنى سبب ولأى وسيلة ما فعلته  
 عائشة فقد أذاها اجتهداها الى محاربة على مطالبة بدم عثمان يوم الجمل ولاناقة لها في الخلافة ولاجل ولسكنها  
 رضى الله عنها أذاها اجتهداها الى النهى عن المنكر في نظرها واجتهداها . فلو أن إحداهن تزوجت برجل  
 لتطاول للرئاسة بحجة زوجية أم المؤمنين . ولما كان له قدم صدق في الخلاف في مواطن السياسة . هذا فضلا  
 عن اكرام النبي ﷺ وتعظيمه فكان التحريم لحكمة بالغة وحجة نيرة وآية باهرة وبيئة للبطل دافعة  
 وللحق جامعة . فهل بقى في صدرك أيها المدره حرج ؟ ألم يعذر الله والنبي وقد فعل مالا مطعم بعده في اعذار  
 ولا بقيت سبيل لعالم نطاسي وخربت لودعى فيختار . بل قطعت الأسباب . ولا ملجأ لعاقل بعد ذلك أن  
 يلج من أى باب ؟

(المدره) لم يبق لى إلا باب واحد أله . ومحجة واحدة أسلكها . فهلا اتخذ ذلك فرصة ونحى منهن جماعة  
 للعبادة خاصة وللدراسة العلم والحكمة . واصطفى منهن أربعا ليكون جامعا للخصلتين مؤديا للغرضين محيا  
 للسنتين . فالتمروكات للدين والعبادات وذكر القرآن ومدارسته وفهم الأحاديث وحفظها على أن يقمن بهداية  
 الخلق . وارشاد الناس الى الحق . والمصطفيات يكن على عدد الزوجات لاسائر الناس ليكون ذلك قاطعا لألسنة  
 للملحدين . وارشادا للضالين . وحجة في هذا الزمان

(الاستاذ) قد كان كل ذلك واختص النبي بأربع ولم يزد عليهن . وأبقى الباقيات يتذاكرن القرآن  
 والحكمة . ففي النسق والخازن والسيرة الحلبية ما يفيد ذلك . قال في السيرة الحلبية مانصه رحمته وقد كان أربعا  
 النبي ﷺ من نسائه خنساء سودة وصفية وجويرية وأم حبيبة وميمونة . وآوى اليه أربعا عائشة وزينب  
 وأم سلمة وحفصة . ألا نحب لم اختار أربعا ولم يزد عليهن ؟ فأما في ذكرهن الحكمة واحترامهن وعبادتهن  
 فافقرا ما قال الله - وقرن في بيوتكن ولا تخرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن  
 الله ورسوله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا \* واذكرن ما يتلى في بيوتكن  
 من آيات الله والحكمة إن الله كان لطيفا خبيرا \* إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين  
 والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات  
 والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة  
 وأجرا عظيما . أمرهن بالصلاة والزكاة وأن يعاملن بالحكمة ويذكرن ما عسى أن يعلمن الناس ويكون قدوة  
 كما كانت أم سلمة وعائشة يعرفن كثيرا من الأحاديث وتروى عنهن . وكما كانت زينب بنت جحش صناع اليد  
 ماهرة في الخرز وصنع الخفاف فكانت بعده ﷺ تخرز وتدبغ الجلود وتبيع وتتصدق بالتمن على الفقراء  
 والمساكين فكانت قدوة . وياليت بنات المسلمين يعلمن ذلك . ليتهن يعلمن أن بعض الصناعات كانت مما قام  
 به زوجات النبي ﷺ كما تفعل الأمم المتمدينة الآن في أوروبا والشرق واليابان

(المدره) عجب . إذن كانت تلك مدرسة

(الاستاذ) نعم هما مدرستان فأول مؤسس لمدارس المعلمين والمعلمات في الاسلام النبي ﷺ . وهنا  
 انفض الاجتماع وانصرفا على أن يعودا من الغد

### ﴿ المجلس الثالث ﴾

(الاستاذ) ذكرنا أمس أن أول مؤسس في الاسلام لمدرسة المعلمين والمعلمات النبي ﷺ وهذه مدرسة  
 السيدات . أما مدرسة الرجال فهو المسجد والرجال هم الطلاب وهم أهل الصفة منهم أبوهريرة وصهيب وسلمان

وعمار وأشاهم ويقال انهم يملكون أو يملكان ياخذون الصدقات ويحفظون القرآن ويتعلمون الدين عسى أن يكونوا معلمين كما كانت أمهات المؤمنين معلمات فيما بعد . فهل بقي بعد ما تقدم قول لقائل ؟ أليس في ابعاد تلك السيدات عنه بحجة أو بغير حجة بعد ما ذكر قصوة وشدة لاخل لها ؟ ألم يبين للشعب أن لامطمع له في الاختصاص ولو كان جائزا له فساواهم في الأربع وأرضى الباقيات أن يرجأن اختيارا منهن وقصرهن على العبادة والتعليم فالطلاق إذن طريق وعر ومسلك خبيث بل معرّة يأنف منها العاقل والجاهل فضلا عن الصالح والعالم والنبي ﷺ لو أنه فاجأهن بالطلاق قسرا لكان ذلك أشبه بما صنع عمر من بعده إذ فاجأ جبلة بن الأيهم آخر مولى الغسانيين بالشام وقال له لنقتص منك لهذا الاعرابي الصعابك فلنكسر سنك كما كسرت سنه . ولم يتد عمر في ذلك ولم يترقب حتى يجد له مخرجا من عفوا أو قبول أرش ولم يطاوله ففرّ (جبلة) ومعه ستون ألفا من رجاله الى بلاد الروم فتنصروا . ذلك لصرامة عمر في القانون ولم يتر بص حتى تتيح له الفرص مخرجا . فما فعل النبي ﷺ لامفرّ منه ولا مخلص . فليس في الامكان أبدع مما كان (المدره) واهّاك . ثم واهّاها . لقد أتيت بالمحب . وعلمت منك ما لم يكن ليخطر على بال . وإن في بيانك لسحرا . فما الجواب الثاني ؟

(الاستاذ) أما الجواب الثاني فقل : ان أولئك الفر وهم غيلان ونوفل بن معاوية والحارث بن قيس أسلموا بعد نزول آية التحريم فيكونون قد اعتنقوا الدين بجميع نواحيه وأوامره . فتعديد العدد واجب عليهم . فأما أولئك الذين أسلموا قبل التحريم وهم جوع وافرة وألوف مؤلفة وريون كثير . فما قرأنا ولا رويانا أن أحدا منهم فارق مازاد على الأربع . ولو كان ذلك لنقل اليها واتصل بنا . وأمر تعدد الزوجات ليس ييسر وانما هو أمر اجتماعي يؤثر في أحوال الأمة ونظام الأسرات . بل نظام الاجتماع ليس يصح إلا بعد نظام الأسرات . فلوائه أمر بفراق مازاد على الأربع جميع من أسلموا قبل التحريم ما خفي علينا ولتعدد النقل وكثرت الشواهد والدلائل وعليه يكون ﷺ واحدا من جم غفير من المسلمين أسلموا وعندهم جمع الكثرة من النساء ولم يطلقوهن فليس يعقل أن تكون تلك الألوف المؤلفة والجوع المختلفة والفرق المتفرقة المنتشرة في جزيرة العرب يمتنعون عما زاد على الأربع بعد التحريم من القحطانيين والنزاريين ويختص بذلك أربع النبي وأولئك الثلاثة ويكون كل أولئك الذين أسلموا قبل نزولها غير متجاوزين الأربع وفيهم السراة المثلون والشجعان الجاحجين والقروم القماقيم والسادة الصماصيم وذوالبأس والشدة الذين هم أقدر الناس على الشهوات واحراز العقيلات الفاتنات فهذا كاف وحده لمنع هذه الشبهة

ثم قال الاستاذ : أما الجواب الثالث فلنضرب الذكر صفحا عما تقدم وكأن الجوابين السابقين لم يكونا لاسيما أن الاجماع قام على أن ذلك خاصية له ﷺ والاجماع حجة فيسقط الجواب الثاني بذلك ونقول : انه مامن دين إلا وقد أحاطت بالقائم به شكوك في لفظه أو فعله أو نتائجه . فانظر في سير الأنبياء السابقين واللاحقين تر أن لكل واحد منهم ولكل قائم بعمل من سائر الناس في أحواله وأعماله (وجهين) وجه ينال نوراً وتبين فيه الحقائق واضحة جليلة وآخر تنعكس فيه الحقائق على طائفة من الناس وتسود وجوههم فيلج الشك في قلوبهم ولا يؤمنون حتى يروا العذاب الأليم . وهذا في المشاهدات معلوم . يرى الناس الأشجار على شواطئ البحار ذات ظل في الماء منعكس أعلاه أسفله وأسفله أعلاه ولا حقيقة لهذا وانما ظله مرآته على سطح الماء فيخيل للناس انه متدل الى أسفل ويرون النار المتقدمة من بعيد كبيرة وهي صغيرة ويرون الشبح فوق الجبل صغيرا وهو كبير . ويرون الزجاج المصدوع أبيض ولا يبايض وانما هو ضوء الشمس أو غيره وتبين الحقائق عند التدقيق ومثل هذا في المسموع عن الأنبياء . ألا ترى الى قصة الخضر عليه السلام إذ اقتلع لوحا من السفينة فلامه موسى عليه السلام . فلما أن تبينت الحقيقة أدرك أن - فوق كل ذي علم عليم - وأن الوجه الذي

ترأى له أسود . وأن المقصد أغاثة اليتامى بعباب السفينة لئلا يأخذها الملك غصبا  
وما كان ذلك الا للأخذ بطواهر الأمور ، وانعكاس الحقائق في المرويات كما عكست في المراثيات . وفي  
قصة داود وسليمان مقبر فقد كان لاولهما (٩٩) امرأة وآخرها المئات من الحور الحسنات - كأنهن البياقوت  
والمرجان - فما حاج به قصره ، وازدانت بهن حجره ، وحكم سليمان ، ومزمار داود ، عمت أرجاء المعمورة ،  
وأنت تعلم أن اليهود والنصارى والمسلمين يهيمون الأرض وهم نحو نصف النوع البشرى نحو (سبعمئة مليون)  
يؤمنون بـداود وزبوره ومزاميره وترى اليهود والنصارى يتلونها آتاء الليل وأطراف النهار ، يتاجون ربه  
بكثرة وعشيا ، متضرعين بما في المزامير من الآيات ، ولا يجدون في صدورهم ما يجد الناس اليوم مما توج به  
بحار الأنفس ، وقواميس العقول . وتغلى به مراحل التعصب اليوم لبضع من النساء كن عند آخر الأنبياء عليه السلام  
عاشت الأنفس بفطرتها أن الديانات والملل لا تتصدع بمثل هذه التشابهات التي قديها وزها الدليل والبحث فلا  
يعبأون بمثل تلك الشكوك . إذ هو مما يبدل بعض النفوس وجها أسود بادئ الرأي . ولوحق الامرالاديب .  
ودقق الاريب . لوجدا العالم كله ليس يخلو من الوجهين في ظواهر الأمر وعند التحقيق يتجلى لالعوج فيه  
ولاشبه - ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت - ولأضرب لك مثلا بالشمس ترسل أشعتها الذهبية فيكون  
منها حياة الحيوان . وقوام النبات . واستضاءة الطرق والمسالك . وجرى الأنهار بحراراتها . ومع ذلك لانعم  
زاريا عليها . عابا لها . لوجهها المسود في نظره لحكمة لم يفقهها . وآية لم يدركها . هاجرة لدغته . أوج  
سموم آذنه . أوضربة شمسية في رأسه أصمته . أوز يادة حرارة في عينه أعجمته . لاستعداد في نفسه . وضعف  
في جسمه . وخلة في المزاج

ومن يك ذا فم مريض \* يجحد صرا به الماء الزلالا  
فلا عيب على الشمس المضيئة . انما العيب على القوابل الرديئة . فيعمى إذ ذاك عن فضائلها . ويحكم  
بالجزئي الموهوم على الكل والعموم . وقد دق ذلك الجزئي فلم يحط به علما فكان النظر جزئيا لا كليا .  
بل وهما لاعقليا . فالأنبياء والمصلحون كالشموس . وعالمهم كالاضواء والأنوار . والملاحدون أصابهم حرها  
لضعف عقولهم وإدراكهم

ومن يتطلب جاهدا كل عثرة \* يجدها ولم يسلم له الدهر صاحب  
فلا ضرورة اذن لما صح من الجوابين السابقين لإردا لما يقال على السنة أولئك الثرثارين والافبالله قل لي كتاب  
الله بين أيدينا وما لنا ولهذه الاضاليل والسخافات . مضت الرسل وكانوا يتزوجون العدد الجم من النساء  
ولا اعتراض عليهم حسب شرائعهم وأزمانهم وأممهم لا تعترض ولا نسخط . قتل الانسان ما أجهله . قتل الانسان  
ما أظلمه . قتل الانسان ما أقل علمه . وما أتعس نفسه . يتركون مآلديهم . ويأتون بخيلهم ورجلهم  
وصفوفهم . ليحاربوا ديننا في مسألة عرضية لاجهورية . وثانوية لأولية . اللهم ان عبادك في الارض يملكون .  
وأكثرهم فاسقون : يتبعون الشهوات في لهجة الدين . فوالله لا يريدون وجه الله . انما هو وجه الشيطان .  
وخبث النفوس . وجهل العامة . اللهم ان أكثر الناس ظالم كفار . اللهم اننا خلقنا في أم يسير سوادهم مع  
الاهواء . يساقون كما تساق الأنعام . ما حججهم الا المغالطات . كل يسعى لملاء بطنه . وسد نهيمته . وشهوة  
فرجه . وسلخ جلود الامم الضعيفة . وذبحها على انساب الأمم القوية . فسلاح العلم أذكى سلاح وأمضاء .  
وهو طليعة جيش المدافع والسهام  
(المسره) قد تجلت الحقيقة . وتلا لأ نورها . ووضح الحق . واستبان السبيل وانى أريد الكلام على  
تعدد الزوجات وجعلها أربعا .

(الاستاذ) لها وقت آخر وانصرفا وهما فرحانان مستبشرين

## (المجلس الرابع)

(المدره) قد اتفقنا في الاجتماع الفائت أن نأخذ بآطراف الاحاديث بيننا في أمر تعداد الأزواج للمسلمين ولكن اليوم تبدت لي شبهة فلا قدمها بين يدي ذلك السؤال

(الاستاذ) أنا لافهم أنت مؤمن أم كافر . فان كنت كافرا فلا شأن لي معك ، وان كنت مؤمنا فلندع المقال . الا وان نبوته ثابتة عقلا ألا ترى الى مقاله كارليل المؤرخ الانجليزى في كتاب الشجاعة والشجعان وكيف برهن كما برهن شراح العقائد النسفية بالتأنيج والتمثيلات . قال كارليل : (رجل بنى بيتا حسن البنيان . متين التركيب . قائم الجدران منتظم الاركان . ثم بقي البيت ألفا ومائتى سنة لم ينهدم منه ركن . ولم تسقط من أعلاه شرفة . وهولا يزال يزداد جودة مهما تقدم عهده . وبعد أمده . فهل يثنى به دعى في البناء - الباني محمد ﷺ والبيت الاسلام فاذا ثبت لديك نبوته فاضرب بالشكوك عرض الحائط وهناك أدلة التجربة لجرب قوله في الحديث وفيما أنزل عليه من القرآن وانظر هل تكون النتيجة كما أخبر الدين أو ماذا تكون . فان صدقت النتائج فالقول حق - فاذا قال (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وأن الله لمع الحسنيين) فاعمل بها وانظر النتائج - هذه أمور قد فرغ العلماء والكتاب منها ، وجرى بها وصدقوها ، فكن على آثارهم . واقتد بهم على ما هم . تفز كفوزهم .

(المدره) أنا مؤمن ولكن أسألك ليطمئن قلبي . ولأحاج الجاحدين

(الاستاذ) الجاحدون اذالم يؤمنوا فلنترك الجدال معهم .

(المدره) حقا ولكن بعض الشبان يحار فيها لعموم المضلين . أذنب الاوربيين في بلادنا . اذ قد أتوا صفا . وقالوا لقد أفلح اليوم من استعلى

(الاستاذ) وغلامه - ماذا يقول أذنب الاوربيين .

(المدره) يقولون ان النبي ﷺ كان مغرما بشهوة النساء وقد استبدلوا بحديث في طبقات ابن سعد انه جىء له بقدر فأكل منها فأعطى قوة أربعين رجلا في الجلاع وهذا الكتاب يسمى كتاب الطبقات الكبير تصنيف محمد بن سعد كاتب الواقدي رحمه الله وطبع في مدينة ليدن بمطبعة برييل وهو خمسة عشر جزءا وصححه علماء ألمانياون بأمر من الجمعية الكبرى الأكاديمية الملكية الهولندية سنة ١٣٢٢ فيه ان المؤلف روى عن محمد بن عمر عن رجل يسمى موسى بن محمد بن ابراهيم عن أبيه قال ان النبي ﷺ قال كنت من أقل الناس في الجلاع حتى أنزل الله علي (الكفيت) تصغير الكفت فما أرى يده من ساعة الا وجدته وهو قدر فيها لحم . وفي رواية لقيني جبريل بقدر فأكلت منها فأعطيت الكفت قوة أربعين في الجلاع .

(الاستاذ) تبسم ضاحكا وقال : أهذا حديث النبي .

(المدره) نعم . ضحك الاستاذ . ثم استهزأ بالقول وسخر . وقال أما أن تصدق ما في القرآن من آيات : واما أن تصدق هذا الكلام : يقول الله (وانك لعلى خلق عظيم) ويقول (وأرسلناك رحمة للعالمين) ثم يأتي أذنب أوروبا . وصغار العقول وذبان العلماء . يقولون انما جاء يعلم الناس قوة الجلاع بأكل لحم في قدر وفي المثل العاوى اذا كان المتكلم مسلوب العقل . فلا سامع فؤاد يعقل . ونهى وارب . يميز الحق من الباطل . في يقول الله على لسانه (أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون) ثم يقال كان يعلم الناس علم الشهوات . هذا ضلال مبين .

(المدره) ماقلت معقول فماذا تصنع في الحديث .

(الاستاذ) الحديث مزور مكذوب وقد أخطأ ابن سعد في كتاب الطبقات الكبير

(المدره) ان هذا الكتاب اجمع وأحسن كتاب في سيرة النبي وأصحابه والتابعين واذا لم تثق به فم تثق .

(الاستاذ)

(الاستاذ) الحديث مكذوب موضوع

(المدره) غضب غضبا شديدا كيف تقول مكذوب ومابرهانك

(الاستاذ) تبسم ضاحكا هذا الحديث مروى عن عمي نصار بائع الفول المدمس أمام باب الصعايدة بالازهر

(المدره) أخرج من الجد الى الهزل

(الاستاذ) ماقلته لك حق

(المدره) الحديث في طبقات ابن سعد وهو في القرن الثالث وهذا الرجل في أوائل هذا القرن الرابع عشر

فليس ماتقول مقبولا

(الاستاذ) اسمع أيها الصديق : اذا أثبت لك أنه مروى عن رجل يشابهه في صنعه أراد أن يشتر

بيدع الهريسة (القمح المدقوق المطبوخ في القدور) كالمدمس فماذا تقول ؟

(المدره) أقول : إن أذنب الاورويين جميعا قوم لاخلق لهم وانهم صعاليك الأمم يريدون بنا شرا

ولسنا نذم إلا الكذابين الضالين منهم . فأما حكاؤهم وعظماؤهم وأجلاؤهم فلهم عندنا مقام عظيم

(الاستاذ) أنعطني عهدا ؟

(المدره) قال نعم

(الاستاذ) - قال العقيلي : حدثنا معاذ بن المشي . حدثنا سعيد بن المعلى . حدثنا محمد بن الحجاج عن

عبد الملك بن عمير عن ربيع بن خراش عن معاذ بن جبل قال قلت يا رسول الله : هل أوتيت من الجنة بطعام

قال نعم : أوتيت بهريسة فأكلت فزادت في قوتي قوة أر بعين وفي نكاحي أر بعين . قال وكان معاذ

لا يعمل طعاما إلا بدأ بالهريسة . قال العقيلي : هذا حديث وضعه محمد بن الحجاج اللخمي وكان صاحب هريسة

وغالب طرقة تدور عليه وسرقه منه كذابون . أليس يا صديقي هذا نصا على أن هذا الرجل هو المخترع وأخذه

كثير عنه بأسانيد اخترعوها وألفاظ غيروها . أولم أكن صادقا في قولي لك انه مثل عمي نصار بائع المدموس

فهذا اشتهر بالدموس وذلك اشتهر في هريسة فكسب مالا عظيما بهذا الكذب . وذبان أورو با يتبعون ذلك

الفحش والحقارة والدناءة ليضحكوا على عقول الجهلاء . وقال ابن عدى : هذا الحديث روى عن سلام بن

سلمان عن نهشل ونهشل كذاب وسلام متروك صرى وأن أحدهما سرقه من محمد بن الحجاج وركب له اسنادا

وقال الأزدي : هذا الحديث روى من طريق إبراهيم بن محمد وإبراهيم هذا ساقط . فنرى انه سرقه وركب له اسنادا

(المدره) الآن قد اكتفيت فلك الشكر والثناء على ما أوفيت . إذ قد حصص الحق . وانقشعت

غياب الشك - وقيل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا - وانى لأعجب كيف يكذبون على

رسول الله ﷺ

(الاستاذ) الموعد غدا في المجلس الخامس ان شاء الله تعالى

( المجلس الخامس )

( انتظم المجلس الخامس وتناجى الاستاذ والمدره )

(المدره) وعدت أيها الاستاذ أن تفيض في الكلام على الأحاديث الموضوعة وكيف تسنى لامرئ أن

يكذب على رسول الله ﷺ

(الاستاذ) لا تعجب من قولي . فكم من عجب في هذا الانسان فلقد طغى وبنى وكذب قديما وحديثا

ولم يفر من شئ إلا أحاطه بشروره وألبسه من أثواب زوره . ونسج بعناكب بهتانه على حقائقه . وانكم أثبت

في طيب أرض الحقائق من شوك قتاده وحسك عناده وعضاه اختلاقه فاذا رأيت الأمم الحاضرة والجرائد



السائرة تختلق إفكا وتفتري إنما فهكذا كانت فرق من السابقين وعززون من الأولين يتقوّلون على النبي ﷺ لأغراض يقصدونها وآثام يجتريونها ومقاصد يؤمونها ومناصب يرتقونها وممالك يحكمونها وظلمات يقترفونها . ألم تر الى ما روى عن عبد الله بن يزيد المقرئ قال :

(١) رجع رجل من أهل البدع عن بدعته فجعل يقول : انظروا هذا الحديث عمن تأخذونه فانا كنا اذا تراءينا رأيا جعلناه حديثا

(٢) وعن ابن لهيعة قال : سمعت شيخا من الخوارج تاب ورجع فجعل يقول : ان هذه الأحاديث دين فانظروا عمن تأخذون دينكم . فانا كنا اذا هوينا أمرا صيرناه حديثا

(٣) وعن حماد بن سامة قال : حدثني شيخ من الرافضة قال : كنا اذا استحسنا شيئا جعلناه حديثا (٤) وعن أبي أنس الحراني قال : قال المختار لرجل من أصحاب الحديث . ضع لي حديثا عن النبي ﷺ انه كان بعنده خليفة مطالبا بكرة ولده وهذه عشرة آلاف درهم وخلعة ومركوب وخادم ، فقال له الرجل : أما عن النبي ﷺ فلا ، ولكن اختر من شئت من الصحابة وسخط من الثمن ماشئت (المدره) إن شئت أن توضح هذا الأخير فاني لاني حاجة اليه

(الاستاذ) ان المختار كان أميرا على الكوفة مطالبا بأثر الحسين رضي الله عنه ظاهرا طالبا للملك باطنا وفي المنزل « أسرى حسوا في ارتقاء » وفيه أيضا « بعلة الورشان يأكل رطب المشان » وفي المثل أيضا « فلان محزن بق لينباع » أي يطرق ليئب . ولقد كان من خدعته انه يخلق إفكا ويتظاهر بخوارق العادات وكان من حديثه انه يوما ما كان محاربا فقال لقومه ستفرون من العدو بذنوبكم ، فاذا كانت الهزيمة فستأتي الملائكة في صورة الجاثم البيض دون السحاب فيها تنصرون ، ثم أعطى بعض خواصه تلك الجاثم البيض التي رباها ، فلما كان الغد وقعت الواقعة وانشقت جوعهم وكانت واهية لكثرة العدو فأطلق أصحاب الجاثم البيض فاجتمعوا وأنوا صفا وغلبوا العدو ومزقوه شرمزق ، وكان من جملة احتياله ونصب شره انه ورصد نفاخه ومبرم حبال اشراكه أن جعل لذلك العلامة في الحديث مالا وافرا وهدايا ثمينة توافق مرامه وتواقي أن يقول انه خليفة بعد النبي ﷺ مطالب بأثر ولده (يعني سيدنا الحسين رضي الله عنه وأرضاه) فأني الشيخ عليه ذلك حفظا للدين ورضاء لله عز وجل

(٥) ومن الوضعين قوم وضعوا الأحاديث في الترغيب والترهيب ليحشوا الناس بزعمهم على الخير ويزجروهم عن الشر ، ومضمون هذا أن الشريعة ناقصة وتحتاج الى تيمم بزعمهم ، فعن عبد الله النهاندي قال : قلت لعلام خليل هذه الأحاديث التي تحدث بها من الرقائق ، من أين أتيت بها ؟ فقال وضعناها لترقى بها قلوب العامة . قال ابن الجوزي : غلام خليل كان يتزهد ويهجر الشهوات ويتقوت الباقلاء صرفا وغلقت أسواق بغداد يوم موته فحسن له الشيطان هذا الفعل القبيح . وسئل عبد الحبار بن داود النخعي فقال كان أطول الناس قياما بليل وأكثرهم صياما بنهار وكان يضع الحديث وضعا . وكان أبو بشر أجد بن محمد الفقيه المروزي من أصلب أهل زمانه في السنة وأذبه عنهما وأخفهم لمن خالفها وكان مع هذا يضع الحديث ويقبله وعن أبي عمار المروزي قال : قيل لأبي عصمة بن أبي مرثمة المروزي من أين لك عن عكرمة عن ابن عباس في فضائل القرآن سورة سورة وليس عند أصحاب عكرمة هذا ، قال اني رأيت الناس أعرضوا عن القرآن واشتغلوا بفقهاء حنيفة ومغازي ابن اسحق فوضعت هذا الحديث حسبة . وكان وهب بن حفص مرسل الصالحين . مكث عشرين سنة لا يكلم أحدا . قال أبو هريرة كان يكذب كذبا فاحشا . وعن يحيى بن سعيد القطان : ما رأيت الكذب في أحد أكثر منه فيمن ينسب الى الخير . فاذا كان هذا حال الزاهدين والأتقياء فما بالك بالفجرة الأشرار

ومن الوضعيين قوم كانوا يتقربون للأنبياء والأمراء كفيث بن إبراهيم فإنه حين دخل على المهدي وكان المهدي يتب الحمام فقبل له حدث أمير المؤمنين فقال حدثنا فلان عن فلان أن النبي ﷺ قال « لا سبق إلا في خف أو حافر أو جناح » فأمر له المهدي ببذرة . فلما قام قال المهدي انه كذاب وأنا حملته على ذلك . ثم أمر بذبح الحمام ورفض ما كان فيه .

ومن الوضعيين من كان يضع الحديث في ذم من يريد ان يذمه كما حكى عن سعد بن طريف انه وأى ابنه يحيى فقال مالك فقال ضر بنى المعلم فقال أما والله لا حدثتهم حديثي عكرمة عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ قال : معلو صبيانكم شراركم . وقيل لمؤمن بن احمد ألا ترى الى الشافعي والى من تبعه بخراسان فقال حدثنا احمد بن عبد الله بن معدان عن أنس قال قال رسول الله ﷺ : يكون في أمتي رجل يقال له محمد بن ادريس أضر على أمتي من ابليس . وقيل لمحمد بن عكاشة السكرماني : ان قوما يرفعون أيديهم في الركوع و بعد رفع الرأس من الركوع فقال أنبأنا السيب بن واضح حدثنا عبد الله بن المبارك عن يونس عن يزيد عن الزهري عن انس قال : قال رسول الله ﷺ من رفع يديه في الركوع فلا صلاة له .

### ( اقسام الوضعيين )

ان الوضعيين ثمانية أقسام :

(١) الزنادقة قصدوا افساد الشريعة وإيقاع الشك في قلوب العباد والتلاعب بالدين كعبد الكريم بن أبي العوجاء قال ابن عدي لما أخذ ابن أبي العوجاء الى محمد بن سليمان بن عامر فأمر بضرب عنقه قال : والله لقد وضعت فيكم أربعة آلاف حديث أحل فيها الحرام وأحرم فيها الحلال وعن جعفر بن سليمان قال سمعت المهدي يقول : عندي رجل من الزنادقة وضع أربعة مائة حديث فهي بحول في أيدي الناس

(٢) قوم كانوا يقصدون بوضع الحديث نصرة مذهبهم كما تقدم عن عبد الله بن يزيد المقرئ .

(٣) قوم وضعوا للترغيب والترهيب كما ذكرته لك اجالا فيما تقدم والمثال في ذلك ما يروى عن ابن عدي حدثنا احمد بن حفص السعدي حدثنا ابراهيم بن موسى حدثنا خاقان السعدي حدثنا أبو مقاتل السمرقندي عن عبد الله بن نافع عن ابن عمر مرفوعا من زار قبر أبيه أو أمه أو عمته أو خالته أو أحد من أقربائه كانت له كحجة مبرورة ومن كان زائرا لهم زارت الملائكة قبره . قال ابن حبان ليس لهذا الحديث أصل وأبو مقاتل حفص بن سليم يأتي بالاشياء المنسكرة . وقال ابن عدي حدثنا عبد الرحمن بن عبد المؤمن حدثنا احمد بن صالح المسكي حدثنا علي بن عباس الحمصي حدثنا سليمان بن أرقم عن ابن سيرين عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ : حسنوا كفان موتاكم فانهم يتزاورون في قبورهم قال بعض العلماء هو موضوع وصححه آخرون من طريق غيره وقال عبد الوهاب بن المبارك الحافظ أنبأنا شهر بن حوشب بن عبد العزيز الجبلي أنبأنا أبو حامد محمد بن همام حدثنا محمد بن سليم حدثنا ابراهيم بن هذبة عن أنس أن رسول الله ﷺ شيع جنازة فلما صلى عليها دعا بشوب فبسط على القبر وهو يقول : لا تطلعوا في القبر فانها أمانة فاعل وعسى تحل العقد فيجلى له وجه أسود واهله يحل العقد فيرى فيه حية سوداء مطوية في عنقه فانها أمانة وعسى أن يقبله فيعود اليه دخان من تحته فانها أمانة . هذا موضوع وأكثر رواته مجهولون وابراهيم بن هذبة كذاب وقال الخطيب أخبرني أبو الفرج الطنجيري أنبأنا عبد الله بن عثمان الصنفار أنبأنا ابو محمد بن الحسن بن أبي الحسين بدر بن عبد الله مولى المعتز بالله حدثنا أبو القاسم انس بن محمد بن علي الطحان حدثنا محمد بن بشر الارطباني حدثنا محمد بن معمر حدثنا حميد بن جاد عن مسعر بن كدام عن عبد الله عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ : دفن البنات من المسكرات . قال لا يصح وحيد يحدث عن الثقات بالنا كبر وروى من طريق آخر وهو منكر قال الشيخ السيوطي سمعت شيخنا عبد الوهاب بن الانماطي الحافظ يخلف بالله عز وجل انه ما قال رسول الله ﷺ

شيئا من هذا قط .

(٤) قوم استجازوا وضع الاسانيد اكل كلام حسن كما حكى عن محمد بن سعيد أنه قال : لا بأس اذا كان كلام حسن ان نضع له اسنادا

(٥) قوم كان يعرض لهم غرض فيضعون له الحديث كالتقرب للولك كما تقدم عن غياث والمهدي .

(٦) قوم وضعوا أحاديث قصدا للاغراب ليطلبوا ويسمع منهم قال أبو عبد الله الحاكم منهم ابراهيم بن اليسع وهو ابن أبي ضبة كان يحدث عن جعفر الصادق وهشام بن عروة فيركب حديث هذا على حديث ذاك تستغرب تلك الأحاديث بتلك الاسانيد .

(٧) قوم شق عليهم الحفظ أو رأوا أن المحفوظ معروف فأتوا بما لا يعرف مما يحصل مقصودهم وهؤلاء منهم القصاصون الذين لا يرجع لهم الا بالأحاديث الموضوعة .

(٨) الشعاذون وأغلبهم يحفظون الموضوع وروى السارقطني عن أبي حافظ البستي دخلت تاجردان « مدينة بين لركة وحران » فحضرت الجامع فلما فرغنا من الصلاة قام بين أيدينا شاب فقال حدثنا أبو خليفة حدثنا الوليد حدثنا شعبة عن قتادة عن أنس قال قال رسول الله ﷺ : من قضى لمسلم حاجة فعل الله به كذا وكذا فلما فرغ من دعوته قلت له رأيت أبا خليفة ؟ قال لا قلت له كيف تروى عنه ولم تره فقال ان المناقشة معنا من قلة المروءة انا أحفظ هذا الاسناد الواحد وكلما حفظت حديثا ضممته الى هذا الاسناد .

### ﴿ فصل ﴾

قال ابن الجوزي والوضاعون خلق كثير من كبارهم وهب بن وهب القاضي ومحمد بن السائب الكلي ومحمد ابن سعيد الشامي المصلوب وأبوداود النخعي واسحق بن نجيح الملطي وعباس بن ابراهيم النخعي والمغيرة بن شعبة الكوفي واحمد بن عبد الله الجريباري ومأمون بن احمد الهروي ومحمد بن عكاشة الكرماني ومحمد بن القاسم الطائسكاني ومحمد بن زياد اليشكري

وقال النسائي الكذابون المعروفون بوضع الحديث أربعة ابن أبي يحيى بالمدينة . والواقدي ببغداد . ومقاتل ابن سليمان بخراسان . ومحمد بن سعيد المصلوب بالشام . وقال الحافظ سهل بن البراء ثم وضع أحمد بن الجريباري ومحمد بن عكاشة الكرماني ومحمد بن تميم الداري على رسول الله ﷺ أكثر من عشرة آلاف حديث

### ﴿ اعتراف الكذابين ﴾

قد أقدم جماعة من الكذابين على كذبهم وتصلوا من ذلك . عن ابن أبي شيبة قال كنت أطوف بالبيت ورجل درائي يقول ﴿ اللهم اغفر لي وما أراك تفعل ﴾ قلت يا هذا قنوطك أكثر من ذنبك فقال دعني فقلت له أخبرني فقال اني كذبت على رسول الله ﷺ خسين حديثا فطارت في الناس وما أقدر أن أرد منها شيئا وقال ابن طهجة دخلت على شيخ وهو يبكي فقلت وما يبكيك قال وضعت أر بعامة حديث أدخلتها في الناس فلا أدري كيف أصنع فعند ذلك قال

(المدره) : كفي قد شربنا من هذا النهر حتى ارتوينا فحسبنا ما علمنا .

### ﴿ الكلام على تعدد الزوجات بين المسلمين ﴾

واني أرجو أن تفيض الكلام على تعدد الزوجات عند المسلمين فليس على الاسلام والمسلمين أشد انتقادا ولا أسر مذاقا ولا أعظم وقعا من هذه فهي التي أطالت ألسنة القادحين وأطمعتهم في هذا الدين فأوضح القول فيه ايضا والتمس في القول نهجا وسطا لا رمزا ولا شططا بين ذلك متخذ المساواة سبيلا وان شئت فليكن الإيجاز أحسن تأويلا

(الاستاذ) لقد غصت المجالس بهذه الكلمة واستفاض بها الحديث من الشرقيين والغربيين ولن تجالس

امراً من بنى التأميز أو السين أو الطونة أو من الانسان أو الطليان وكان من المفرمين بالديانات الافاجاك بهذا الحديث ولقد والله عجبت لهذا الانسان كيف يتعالى حتى يصل مستوى الفضيلة والشرف وينحط حتى يستنزل عن دركات البهائم والدواب والحشرات . هذا الانسان أيها العزيز مخلوق غريب ترى الاوروبى عالماً بكثير من الشؤون طائراً في الجو جارياً على الارض بالصناعات عاتماً في البحر ساجحاً فيه بهمله حتى اذا دخل في مجادلات الدين هالك أمره فأيقنت أن هذا الانسان المسمى بالمتهمين مقلد يستتلى كما تستتلى الجنيبة

عاب الاسلام بمسألة عمرانية من آلاف المسائل الصحيحة وياليت شعري لو أنها كانت ثلثة في الدين لم تكن فتيلافى الاعتذار ولم تقم حجة على ضعفه ولم يكن ثمة سبيل لاعتقاد وهنه فكيف وهى كما سنوضح من مستلزمات الاجتماع ومقومات هذا النوع الانسانى . التعدد المعتدل على ماسترى من اعمدة المدنية المقبلة ومن عقاير الامراض الاجتماعية المزمنة تعدل مزاج هذا النوع أيما تعديل ، وتقومه أحسن تقويم ، فزاج الانسان اليوم منحرف من الضرر واصابة الحى من تعفن الاخلاط وتراكم ادراجه وتتابع آلامه ومسألة اجتماعه المتولى من عو يصات المسائل وكبرياتها فلا فؤ فى القول واتسمع ولتع ولأقدم المقدمة قبل ذلك فأقول:

(١) اعلم أن المقرر فى الطبيعة كما هو المعلوم فى سائر الدول والممالك أن عدد الذكور فى الميلاد يساوى عدد الاناث تقريباً كما أوضحت فى كتابنا (اين الانسان) وعليها بنينا نظام الأمم المقبلة ان صحت عزيمة الانسان وأراد التخلص من خطته والتخلص من شططه وخطيئته فلو أنك استقصيت مواليد الامم أمة أمة والبلدان بلدة بلدة لرأيت هذه الجيبة الغريبة وهى التساوى بين الجنسين محكمة مطردة صادقة فلتقرأ مواليد بلدتك أو أى بلدة تجاورك أو أى مملكة احصت ذكورها واناثها تجد التساوى تماماً الا قليلا لخلل عرض ، وضعف ومرض ، وأحوال استثنائية ، وأمور فجائية هذا هو القانون العام وهذه اس بنينا عليه ما لهذا الانسان من نظام طبيعى فى اخلاقه وسياسته وصناعاته وحكومته وكيف ازغت الحكومات وضلت السياسات واضمحلت الجماعات وكفهرت الاجواء واختلفت الانواء وتواثبت الشبات ونقضت العهود والامانات كل ذلك لجهل الانسان بفطرته وزيفه عن جادته فاقراء فى كتاب «اين الانسان» تر العجب العجيب مما لا محل له فى ذهنك هنا وانما نريد من ذلك ان هذا الانسان تساوت ذكره باناثه فلم تتطلب أمة من أخرى نساءها اضطراباً ولم يكن من زلة طبيعية واحدة من هذا السبيل بل كل ذلك بمقدار فلم نسمع أن أمة من الأمم القديمة أو الحديثة مهماطال عليها القدم كانت مواليدها يوماً ما جميعاً اناثاً أو ذكوراً بل العدل مستمرداً فلهذه أول مقدمة .

(٢) المقدمة الثانية انى قرأت فى احدى صحائف (اللورد كرومر) الذى كان عاملاً للأونكلينزى فى مصر فى صحيفته السنوية ان تعداد الزوجات بين المسلمين لا يزيد عن خمس فى المائة ثم نقل عن آخر من السائحين من بعده فقال انهم لا يزيدون عن ثلاثة فى المائة هذان هما الاصلان اللذان ابني عليهما النتائج الآتية . فاذا تقرر هذان الاصلان نقول . منذ سنين معدودة عدت أمة الانكلينز نساءهم فزاد مقدارهم خمس عشرة امرأة فى كل الف رجل وامرأة فتكون من هذه الزيادات آلاف ومن الآلاف مئات الآلاف وصاحوا وورلوا وندبوا حظهم من الطبيعة وقسطهم من العدل وقالوا ان هذا الباب أين نضعهن ومن يعولهن وماذا نضع فيهن وزلات ارض نادى العموم زلزالها وأخرجت ارض الهموم أثقالها وقال سادات الانجلينز ما لها فيومئذ حدثت الجرائد أخبارها أن عدد النساء ازداد وما تغنى المدافع والجنود هذا ما كان من أمة الانكلينز فى التعداد العام ولعمرك ما من أمة الأصابع موت الابطال فى ساحات الوغى وفقد الرجال مما يقل تعداد رجالها عن نساها وهذه الحرب المستمرة الآن شاهد عدل فيكم من نساء ايمت قد فقدن النصير واعزهن العشير فقلت الرجال وكثرت النساء وقد بلغنا عن التعايشى خليفة المهدي السودانى انه ذبح الرجال واستحيا النساء فكنت ترى فى القرية الواحدة بضعة شيوخ وأطفال وآلاف من النساء وقد صح فى الحديث عن سيد الرسل ﷺ اذ قال فى اشراط الساعة :

وتكثر النساء ويقل الرجال حتى يكون للخمسين امرأة القيم الواحد عجب أمر النبوة يذكر أيام المسيح الدجال وإن أول أيامها يساوي سنة وثانيها يساوي شهرا وثالثها يساوي اسبوعا الخ مشاكاة لحال السكره الارضية جذو القنفة بالقنفة كما في رسالتنا على هلال رمضان فانظرها وهاهنا تذكر أشرار الساعة ويدكر انه يكون للخمسين امرأة القيم الواحد مطابقا لحالنا الحاضرة في هذه الايام السود اذ يفنى الرجال ويبقى النساء ولا عائل لمن ولقد عملا صراخ الانكياز وعويلهم من خمس عشرة امرأة زادت في كل الف رجل وامرأة اعلة عارضة في النسل وطاريء من الضر على ارحام النساء وأصلاص الرجال ومناهج التريبة وطرق الاغذية وماشا كل ذلك فما بالك بهذه الحروب الطاحنة والاضغان الظاهرة وقد جندل الابطال وعم النكال واصطدم أعظم الأمم قوة وأشدهم بأسا في العراك والقتال فطاحت تلك القماقيم الججاج وبادت تلك الصناديد الفواتك والصماميم الصوائل فأصبحوا لا ترى الامساكنهم وحرمهم الفوات الحرائر البوائر العوانس

(المدره) لقد أطلت في هذا المقام وخرج القول الى الاجهام فان حاصل الأمر يرجع الى أن الرجال وان سادوا النساء عددا فقد ينقصون عنهن بالطبع كما حصل نادرا بانجلترا وقد يكون بالمصائب في الحروب والاحوال العارضة العامة لسائر الناس وأنا لا أرى هنا مجيزا لتعدد الزوجات فان انقانون العام لا يكون لمثل هذه الاحوال العارضة والامور الطارئة على انه لو ان ذلك يكفي في التشريع لعارضه تشتت الاسرات وتفرق الجماعات بتعدد الامهات في الاسرة الواحدة وهل أتاك حديث الأزواج وبؤسهم والزوجات ونسكد عيشهن وابناء الضرائر وضعفهم وسوء العيش والشجار والعراك والتقاضى في المحاكم وسوء العشرة كل ذلك الشر لا يقاوم الخير الناجم من زواج تسلك الأيبي اللاتي مات أزواجهن واذا اجتمعت علتان يتبع الاخف وهذه الشرور الكثيرة في الاسرات أنسكى من ضرر عدد من النساء فقدن العائل وعشن على غير طائل وهن أرامل

(الاستاذ) لقد تهملت ولم تتمهل حتى أتم القول فاصغ لما أقول موجزا : ان أكثر الرجال سائرون على هذا النهج الطبعى يتزوجون بامرأة واحدة والقليل انقسموا قسمين فقريق أصبح شديد الشهوة قوى البنية كثير المال مغرما بالنساء بالطبع وفريق ترك النساء اما هذا دينيا كالرهبان وأما ضعفا عارضا واما فقر امدقعا واما غما وهما وهذا صنف دائم ثابت في نوع الانسان فضلا عن الحرب والنكال في الأمم فهذا يدحض ما أشرت اليه من أنه نادرا أو عارض يزول فلا مناص من جواز التعدد لأن النساء اللاتي لا عائل لمن يقابلن الفريق الأول من القسمين السابقين وهم الشهوانيون فلوانا حرما التعدد لاصبحنا وجهها لوجه أمام الخطر الداهم الذى طغى سيله وطم وعم فساده من أوروبا فأغرق الشرق سيله الجارف ألا وهو الزنا الرسمى كما هو في مصر الآن وسعى له سائر الممالك المتمدية لأن ذلك الغنى يطلب أكثر من امرأة وتلك النسوة البائسات الجميلات يتطلبن الرجال للقوت والشهوات فلو حجرونا عليهم وعليهن وجب ان نخصص أما كن للفجور كما هو حاصل الآن فطاحت العفة وضاع الشرع وذهبت المروءة أما الاسلام فلتعجب ولتنظر أباح تعدد الزوجات فزال الخطر المحقق وكانت العفة والشرف والنسل الشريف . انظر اليس التعداد كان خمسة في المائة أو ثلاثة في المائة أى ثلاثين في كل ألف ومن عجب أن هذا العدد الاحصائي يوافق ما قدمناه فان هذا المقدار في الالف يقابل المتقاعدين في كل أمة عن الزواج وهو القدر الذى يجتمع فيه الخصال الثلاثة الشباب والفراغ والجدة وهي مفسدة للرء أى مفسدة

فانظر وتعجب كيف جعل الاسلام هذه المفسدة مصلحة واستبدل الزوجات بالبغايا وابناء الرجال الاشراف المتهمين العالمين بابناء الزنا المتردين والمخنوقين والعفة بالحناء والامانة بالخيانة والصيانة بالأهانة أباح الاسلام تعدد الزوجات ! فإذا جرى تقدم أولئك الاقوياء أولئك الاغنياء المسرفون فخدوا أيديهم الى من عندنا من النساء اللاتي لاقيم لمن فترجوهن واقفلوا بيوت الحنا ومحال العهر والفحش . شهد (اللورد كرومر) في تقريره ان هذا العدد لم يزد . جعل الله لكل رجل امرأة فضعف بعض الرجال أومات فقام غيره فالتخذ نظيره من النساء

وعاقلهن وهل جعل المسلمين يعددون أو كلهم وهل المعددون استوتجوا النساء حتى فتد عددهم كلام كلام .  
 لسببين الأول انهم يخلق الله الا امرأة واحدة نظير كل رجل فالمثروكات نظير المالكين والضعفاء الثاني : اننا  
 لم نسمع أن رجلا ما أراد ان يتزوج فوق واحدة من النساء فلم يجدها لم نسمع هذا في تاريخ أمة من الأمم حتى  
 التي أباحت العدد المطلق الى ما لا يحصى فها هنا ان الحكمة الالهية حفظت نظام العالم  
 أما ما يقال من سوء العشرة وفساد المنازل بين الاخوة فهذا كلام ناشئ من جهل القائلين به وعدم تبصرهم  
 فليس كل أخوين من أميين متشاكسين ولا كل أخوين من أم واحدة متعابين . ان واحدا من ذوى قرابتي  
 رأيته يحب أخاه لأبيه ولما مات ذلك الأخ بكى عليه قريبي أكثر من أخى الميت الشقيق فحببت لكذب القوم  
 الصراح وجهلهم الفاضح على ان الحسد في الاخوة أمر طبعي وانما يهذب العلم والربية والادب والدين ولو كانت  
 المشاجرة والعداوة بين الاسرة علة لمنع التعدد لقلنا فليرزق نوع الانسان من فوق سطح الكرة الارضية فالأهم  
 كلها في ضغائن والافراد متشاكسون ولو سلمنا جدلا ان العداوة كائنة فالبناء خير والشر العارض لا يمنع الخير  
 العظيم وهو ازدياد عدد الأمة وظهور الرجال فيهم على ان أكثر من نراهم في الأمة هم أبناء أولئك الاقوياء  
 المترفين الاغنياء الذين يعيشون ليلدوا كما ان آخرين يعيشون ليعلموا ويؤلفوا . قوم يلدون أجساما وآخرون  
 يلدون عقولا كم من رجل في البلاد المصرية خلف ثلاثين ذكرا أو أربعين ومنهم من بلغ أبناءه وأبنائهم  
 عددا وافرا فاختلطت عليه الاسماء . ما أسوأ الأم القبيحة الجاهلة التي تقول لاقوياها لا تتزوجوا علنا وتزوجوا  
 سرا لتموت أبناءكم في المراحض ما أجهل تلك الأم ما أقل علمهم ما أكثر جهلهم ما أضح العلم وما أجهل  
 أولئك في علم الاجتماع فالحق والحق أقول ان العالم الانساني اليوم يعوزه الفلاسفة والحكماء ليعرف كيف  
 يعيش فان نظرياته ضئيلة ضعيفة يحيا ويموت على عادات موروثه ومناهج مرسومة يقلدها تقليد العميان  
 ويتبعها اتباع الصبيان ويذم ما ليس من عادته وفي التنزيل - بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما ياتهم تأويله  
 كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين - يقولون تعدد الزوجات أفسد المجتمع الاسلامي  
 وباللهجب لو أن التعدد افساد لم يكن الثلاثون في الالف شيئا مذكورا حتى يفسد الالف ومن ذا الذي ضل عقله  
 وزاغ بصره فحكم بفساد الالف اذا فسد منهم ثلاثون هذا قول من في قلبه مرض وعلى عينه غشاوة فكيف  
 وقد استحال الفساد صلاحا وأضحى الثلاثون في الالف أو الخمسون منها اصلاحا لباقيها يلدون لهم البنين والبنات  
 ويخرجون القواد والعلماء والعقائل والفتيات وهم أقدر في الغالب على التربية والتعليم لما احرزوا من ثروة وما  
 أوتوا من مال فيأبى شعري كيف تسنى للأُم أن يقولوا للمرأة افعلي الخنا اذا اخترته سبيلا وكوفي زانية اذا رأي  
 لديك وصفا وقتك ويأبى الرجل الخنا لك الزنا واخترنا لك الخنا وآتيناك منا قوة القانون على أن تغازل  
 من تشاء من الفتيات فأى فتاة فضعتها وأفرعتها وأى امرأة أزلت صونها ومددت يدك الى سترها فزقته والى  
 بيت شرفها فهدمته وكان ذلك على اختيار منها ورضا فانا لكم معينون وان أتمر ذلك وأد البنين والبنات  
 وقلة النسل العام في الأمة وان فاق أعداؤها عددا فاعتلوا عليها عند الغلبة بكثرة عددهم وصفوف جيوشهم ثم  
 تقول تلك الأم أنفسها أيها المرأة وبأبها الرجل أيا كما ان تجتمعا اجتماعا شرعيا فلا يكن عندك أيها الرجل  
 منهم ثلاث أو أربع احذروا ذلك فانها عادة المتوحشين ولوصفت الأعراض وأقفلت بيوت الخنا وقت أيها الرجل  
 على امرأتك فأقتها وكسوتها ورجتها نحن نحرم عليك ذلك وعليك أيها المرأة نحرمه تحرما بآنا ولما كنا في الوقت  
 نفسه نبيحه على سبيل الفجور والخنا فاجع يارجل من شئت من النساء ولو ألفا مادام ذلك سفاحا وإيا كما أن  
 تجتمعا اجتماعا شرعيا ولو أدى ذلك الى حياة البنين والبنات وكثرة القواد والمؤلفين والعلماء تركا النسل حتى  
 يغلب العدو المفاجيء الداهم رضينا بالخنا رضينا بالزنا رضينا بقلة النسل وكثرة العقم رضينا أن يكون نسبنا الى  
 عددنا العام كنسبة عدد الفرنسيين الى الالمانيين لما في الاولين من اهمال أمر الزواج وفي الآخرين من الحرص

عليه وانما علينا اذا حكمنا أمة من الأمم ورأيناها تنكأ ولادة بقوانين بلادها علينا أن نستخدمها ونطير منها ونشفق ونسومهم سوء العذاب ونوجس شرا من كثرة نسلها ونوسل رسلنا وطلائع استعمارنا ونصطفى الحكام من صفار النفوس المتواضعين ونوحى اليهم ان قبحوا لهم هذه الشريعة البيضاء سودرها في وجوههم افهموا افئدتهم بالسوء والجدل والمناقشة وهوشوا عليهم لعلهم يرجعون عن التعدد بل لعلهم يزنون ولعله يقتل نسلهم فستمكن من حكمهم كما قال هنري الفرنسى فى كتابه عن الجزائر اذ قال ﴿ قعدنا هؤلاء المسلمين كل مرصد وسدنا عليهم السبل وأحطناهم بسراق من نار لعلهم يقاوم فلم تقدر حتى انخر سلطناها عليهم وهى السلاح الفذ لمحاربة الشرقيين ففهمه الاسلام ان يشرب حبه فى قلوبهم أو يقتل أ كبادهم فهم يتناسلون والفرنسيون لا يتناسلون ﴾ حارت والله تلك الأمم . حارت فى محاربة النسل فى الأمم المستعمرة حسدوها على الفضيلة وعلى النسل وعلى السعادة ولقد أخبرنى صديق أن احدى الأمم لما رأت الزوج الافريقيين والونيين يتزوج الرجل نساء كثيرات وليس عليه الا أن يجلس فى خيمته طول نهاره فيجتمع بما تكسب النساء له من كدهن وعملهن وهو قوى البنية ولا يصرفها الا فى احباطهن وايلادهن وانجاب الذرية فكثرت النسل ولم يقدر الأوروبي أن يحارب به . ضربت الحكومة على المتزوجين من هذا القبيل الخراج عسى أن يقل نسلهم فما أشأم هذا الانسان قتل الانسان ما أكفره . ان الانسان لظالم كفار . ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون .

( المدره ) والله لقد شفيت صدرى وأزلت الغمة وكشفت النقاب عن وجه الحقيقة الجليل . تمت الرسالة فى صباح يوم الاحد ٢٧ سبتمبر سنة ١٩١٤ فى ميدان القلعة بالقاهرة . ولما أضيفت هذه الرسالة الى السورة تمت فى يوم السبت ٢٢ مارس سنة ١٩٣٠ م ٢١ شوال سنة ١٣٤٨ هـ بقسم السيد زينب

\*\*\*

### ( الاسلام وتعدد الزوجات )

جاء فى ( مجلة المرشد ) مانصه

إن قوانين الاقتصار على زوجة واحدة أكثرت فرائس العزوبة فى الغرب وزيادة عدد الاناث على الذكور أوقعت العقلاء فى مشكلة ينادون منها بالويل والثبور ويطلبون الخلاص . ولات حين مناص .  
جاء فى المجلد السابع من العرفان مانصه « إن عدد النساء فى ايطاليا يزيد على عدد الرجال بمليون نسمة » وفى ملزمة ( ٣٤ ) من « الهلال » فى ضمن مقال بقلم ( أميل زيدان ) عن جريدة الماتان الافرنسية عن الاستاذ ( بيتار ) الطبيب الكبير الذى هو اليوم عضو مجلس النواب فى فرنسا انه يقول « إن فى فرنسا الآن ١٥٠.٠٠٠.٠٠٠ فتاة لن يجدن لمن أزواجهن على افتراض أن كل شاب افرنسى يتزوج بفتاة واحدة ، وفى أقول بصراحة ما أنا واثق من صحته أن المرأة لا تمتنع بصحة جيدة مالم تصبح أمّا ، وفى اعتقادى أن القانون الذى يحكم على تلك الفرق الكبيرة بأن تعيش على نقيض ناموس الطبيعة إنما هو قانون وحشى بل مناف لىكل عدالة » وفى م ( ٣٧ ) منه أيضا « يزيد عدد الاناث على الذكور فى انجلترا بمليون ونصف مليون ، أما زيادة الاناث على الذكور فى ألمانيا فتبلغ مليونين ، ولكن هذا الفرق أقل من النسبة الحاضرة فى عدد المتزوجين ، وفى انجلترا نحو ثلاثة أو أربعة ملايين فتاة غير متزوجة مع انها فى سن الزواج » وقال ( شوبنهاور ) الفيلسوف الألمانى الشهير فى رسالته ﴿ كلمة عن النساء ﴾ تعريب حسن رياض مانصه « إن قوانين الزواج فى أوروبا فاسدة المبني بمساواتها المرأة بالرجل فقد جعلتنا نقتصر على زوجة واحدة فأفقدنا نصف حقوقنا وضاعت علينا واجباتنا ، على انها مادامت أباحت للمرأة حقوقا مثل الرجل كان من اللازم أن تمنحها أيضا عقلا مثل



عقله » الى أن قال « ولا تعدم امرأة من الأمم التي تميز تعدد الزوجات زوجا يتكفل بشؤونها ، والمتزوجات عندنا نفر قليل وغيرهن لا يحصين عددا تراهن بغير كفيل بين بكر من الطبقات العليا قد شاخت وهي هائلة متحسرة ومحاولات ضعيفة من الطبقات السفلى يتجشمن الصعاب ويتحملن مشاق الأعمال وربما ابتدان فيعشن تعيشات متلبسات بالخزى والعار ، في (مدينة لوندريه) وحدها ثمانون ألف بنت عمومية سفك دم شرفهن على مذبحه الزواج ضحية الاقتصار على زوجة واحدة ، ونتيجة تعنت السيدة الأوروبية وما تدعيه لنفسها من الأباطيل ، أما أن لنا أن نعد بعد ذلك تعدد الزوجات حقيقة لنوع النساء بأسره » الى أن قال « على أنه من العبث الجدال في أمر تعدد الزوجات مادام منشرا بيننا لا ينقصه غير قانون ونظام » أمعن النظر في هذه الفقرة ، الى أن اعترف بقوله « بل اننا لا نسكراننا في بعض أيامنا أو معظمها كلنا أوجلنا نتخذ كثيرا من النساء ، ومادام الرجل محتاجا لزوجات كثيرة يجب أن يكفل شؤون هذه النساء »

وعن مؤلف كتاب « العشيقه الشرعية » الذي حاز السبق في مضمار الزواج في فرنسا وغيرها وطبع منه أكثر من (٥٠٠.٠٠٠) نسخة « انه ذهب الى أن يكون لكل رجل الى جانب زوجته خاليله تكون لها صفة قانونية فلا تحتقر ولا تمتهن في نظر الشريعة أوفى نظر الرأي العام . قال : هذا هو الأمر الواقع اليوم في آدابنا الاجتماعية ، ولم يبق علينا إلا أن نعترف بهذه الحالة وندخلها رسميا في عرفنا » \* قلت من هذا نلم أن القوم لا يأتون من تعدد الزوجات ومهترفون باباحتها الشرعية ولكنهم يطالبون بقانون يبيحه لهم بعد أن ذاقوا مرارة الاقتصار على زوجة واحدة ورأوا المفساد الناشئة منه كالتعدد غير المشروع وأمثاله . هذا ولا يخفى أن التعدد الذي يعيبه الجاهلون اليوم قد أباحه بالأمس المصلح الكبير في النصرانية (لوتر) فسمح لأمبراللمان (هس) بأن يتزوج ثانية لأن امرأته كانت شوهاء ، و (ادوارد السابع) وهو من علمت أصدر في أواخر أيامه منشورا يبيح فيه تعدد الزوجات ، وكانت أمه من قبل معارضة لهذا الرأي أشد المعارضة ، وسيأتي يوم يدرك فيه الناس فوائد التعدد (١) فيميلون اليه ميلا واحدة ويعترفون بفضل القرآن الكريم . انتهى ماجاء في المجلة المذكورة

\*\*\*

في يوم الثلاثاء (١٤) يناير ١٩٣٠ م سألني أحد المدرسين بمدرسة عابدين الخيرية . فقال : قد حصل بيني وبين ناظر المدرسة جدال في أمر تعدد الزوجات ، وأن الاسلام في هذا ضد المدنية . قال وأنا أجبت به بأن العدل اذا لم يتم فانه يمتنع التعدد بمقتضى الآية وهكذا . فقلت له أريد أن تسمع مني ما أقوله لك بمقلك وتخلي عن كل مالدك من الآراء المحفوظة وتخلي بيني وبين عقلك وحده . ثم لتكن حرا في أن تعرض بما تشاء والعقل هو الحكم . فقال أحب ذلك . فقلت أولا ان هذا المقام مستوفى فيما تقدم قريبا . فلندع هذا الآن ولأقل لك اعلم أن بني آدم على وجه هذه الأرض قد وضع لهم نظام لا اختلال فيه وهو أن يكون الذكور والاثام متساويين وهكذا كل حيوان لأن اختلاف العدد خلل في النظام . ولذلك تجده الناس في كل بقعة من بقاع الأرض يكادون يتساوون في عدد الرجال والنساء والذي يمنع هذه المساواة عوارض تعرض للحياة فتختل هذه الموازنة اختلالا يسيرا . قال نعم . قلت ان المسلمين أطلق لهم العنان فيما مضى فنزجوا ما يشاؤون . أتدري ماذا حصل ؟ قال لا . قلت لم يعدوا من الرجال في الاسلام إلا (٣) في المائة أو (٥) في المائة . وهذا التدرج جدا . قال نعم والله . قلت وهنا نسأل : اذا أراد رجل أن يتزوج امرأة في أي قطر

(١) من فوائد التعدد تكثير النسل وتقليل الزنا والتكفل بمن ليس لها كفيل والمحافظة على الأعراس عند ازدياد النساء وقلة الرجال وحفظ الزوجة الأولى لدى عقمها أو مرضها مثلا . وأما قول ان التعدد ينغص العائلة فهو غير مقبول لأن قلب الرجل يسع التعدد سيما مع استعمال العدل المطلوب

من أقطار الاسلام فهل يجيد امرأة يتزوجها مع هذا التعدد . قال نعم والله يجيد . قلت فهل جاء في تاريخ الأمم أن الناس بحثوا عن النساء فلم يجدوا لأن الآخرين قد استحوذوا عليهن . قال كلا ورب السكينة . قلت إذن المسألة واضحة تساوى الرجال والنساء عدداً ولكن قديموت بعض الرجال في الحرب أو بالمرض أولاً يتزوج الآخر للفقر فيلهم الله بعض الأغنياء الأقوياء أن يتزوجوا بعض الباقيات . فقال هذا والله عجب . قلت إذن النوع الانساني اليوم مقلد كالطفل . فلولا اتباع الانسان لتقاليد الجاهلة لم تبقى النساء البائسات بلا أزواج في أمة من الأمم . فالمسألة كلها مسألة القسيسين الذين ملأوا الأمم ضياعاً والأثم لا تفكر بل تنمى آراءهم ولا يفكر إلا العقول الكبيرة عندهم ( كما تقدم قريبا ) فالنوع الانساني اليوم لا يزال في حال المراهقة وسيأتي يوم يعرف الحقائق . فقال هذا والله حق وليس لي عليه رد . قلت الحمد لله رب العالمين . تم الكلام على اللطيفة الأولى

﴿ اللطيفة الثانية في معنى قوله تعالى - وخاتم النبيين - ﴾

( الجواب السكافي )

« وهو ما أجاب به (عبد الله كويليام) الانكليزي المهتدي للإسلام عن سؤال أحد علماء أوروبا في الشريعة المحمدية الغراء . وقد أتى في الجواب بالأدلة الفنية والبراهين العقلية على أن الديانة الاسلامية أكمل الأديان وأرجح الشرائع وناسخة لجميع ما سبقها وأنه لن ينسخها شيء بعدها أبداً مادامت الأكوان وبقى الانسان »

( بسم الله الرحمن الرحيم )

﴿ السؤال ﴾ ماهو البرهان العقلي والدليل الفني على أن الشريعة المحمدية أفضل الشرائع وأكملها وانها ناسخة لكل ما سلفها ولا ينسخها شيء بعدها أبداً

﴿ الجواب ﴾ لو أنعمنا النظرات ليلة (وكان الهواء صافياً والجو من الغيم خالياً) في الفضاء الذي لا يتناهي لرأينا لأول وهلة شمساً تدور حولها سيارات كثيرة كمنظومتنا الشمسية . تظهر لأبصارنا من أبعد المواقع في هذا الفضاء تسير منقاداً كل الانقياد للقانون المسنون لها لا تخيد عنه مادامت . فإذا انقضت تلك الليلة نرى الشمس تطلع من المشرق . وما أسرع ما تنشر أشعتها على هذا العالم فيتمثل بين تلك الأشعة صور متتالية بديعة الجلال ، ولو لفطنا النظر إلى الكرة الأرضية التي نحن عليها ، التي إذا نسبت إلى سائر الأجرام العالوية لا تكون إلا كذرة صغيرة ، نراها كتلة تألفت من البحار والأنهار ، من الأودية والبراكين والجبال ، من الصحارى والفلوات ، من الأتربة والمعادن والرمال ، من الأشجار والأزهار والأثمار ، من النباتات والجمادات وذوى الحياة من الانسان والوحوش والحشرات

وان عقل البشر على ما بلغ من الارتقاء وما وصل من الدرجات العالية لعاجز عن اكتناه هذه الأجناس التي تألفت منها الكتلة الأرضية وما يعتورها من الأشكال والهيئات وقاصر عن ادراك حقيقتها لما بين أشخاصها من الاختلاف وبين خواصها ونفعها وضرها من التغير والانحراف

كثيراً ما يكون جو السماء صافياً ، والهواء راكداً ساكناً ، فيفاجئنا هبوب ريح شديدة تثير السحاب ثم تحيطنا بالأمطار حتى نظن أننا في وسط البحار ، وإذا بحثنا في هذه الحادثة الجوية وخصناها بالنظر علة حصوها بمقتضى القواعد الفنية نرى أن حرارة الشمس قد مست وتدخلت برطوبة الأرض فتجعل تلك الرطوبات بخاراً ثم تتصاعد تلك الأبخرة إلى الجو كما هو شأنها وتجتمع وتتكاثر حتى تصير سحباً ثم تتحلل فتصير ماء وتساقط مطراً ، وأيضاً لما كان في بعض ذلك السحاب بالضرورة كهربائية سالبة وفي البعض الآخر كهربائية موجبة كما هو الحال في سائر الأجسام يحصل في الهواء من احتكاك تلك السحب بعضها ببعض صوت يقال له

الرعد ، ولاريب أن الحكمة في هذه التحولات والتركبات الجوية هي حصول المطر لتردان الأرض وتنشط الحيوانات وتروى النباتات وبالأجمال لتحيى الأرض بعد موتها . ولوأردنا أن نبين مافى هذا الفضاء الذى لانهاية له من العجائب والفرائب بيانا يشفى الصدور ونفصلها حق التفصيل لوجب علينا أن نغلا الأسفار . ولخرجنا عن بيان المقصد فيكفينا ماتقدم ذكره ، ولنرجع الى ما نحن بصدده ، ماذا يخطر لنا عند مشاهدة هذه المصنوعات بما فيها من عجائب الترتيب وبدائع النظام ، لاريب أن أول ما تجده فى نفوسنا هو الميل الى البحث عن مظهرها من العدم الى الوجود ، عمن جعلها منقادا وخاضعة للقوانين والسنن الفطرية التى لا يعثر فيها تغيير ولا يشوبها خلل ولا تشويش ، عمن جعل كل فرد من أفراد هذه الكائنات محتضا وممترا بخاصة من الخواص وسر من الأسرار الطبيعية ، عمن يحفظ على هذه الكائنات تأثيراتها وتأثيراتها فى كل آن وزمان فذاسرنا وراء تلك الخواطر العقلية وتأملناها كل التأمل ، فلاحيص لنا من أن نصدق بالقلب والوجدان ونقر وننطق باللسان بأن ما نشاهده من العوالم وما لا نشاهده (وما لا نشاهده أكثر) ليست إلا آثارا للذات المقدسة الأوهى ذات واجب الوجود جلت قدرته وعظم سلطانه وأن هذا التصديق ينادينا نداه بليغا ظاهرا وباطنا بقوله « ان ظهورى بين هذه الكائنات بين ما لانهاية له من الآيات والبيانات لدليل واضح على أننا من آثار قدرة ذلك الفاطر العظيم ، وبراهين جلية على وجود الخلاق الذى يفعل ما يريد

و بعد أن ندرك وجود ذات الواجب على هذه الصفة نجد بأنفسنا سائقا وجدانيا يسوقنا لمعرفة كيفية تكون الكرة الأرضية التى نحن عليها ، وهنا نحس أنه يجب أن نرجع الى الفن فقط إذ الفن إنما هو قوانين وقواعد مستنبطة بالعقل الموهوب للانسان من القوانين التى اندججت فى هذه الكائنات . فذا رجعنا اليه رأينا أن ما يوجد فيه من النظريات الفنية فى تكون العالم ترشدنا الى أن الخلاق الأزلى والموجد الحقيق أوجد هذه الأرض من البخار فجعلها مائلا نارا واستمرت أزمانا كثيرة على حالها هذا تنفس حرارتها وكانت حرارتها تنقص زمانا بعد زمان وكلما تناقصت الحرارة تبردت الأرض وكلما تبردت تكاثفت حتى حصل عليها قشرة وصارت صلبة على كثر الأزمان ثم بدأ الخلق فيها فأول ما خلق النباتات ثم سائر المخلوقات وكان يعرض التبدل والتغير على النباتات والحيوانات على مرور العصور وتعاقب الأزمان فكما أن ازدياد تصلب الأرض يوما فيوما سبب لتناقص الحرارة فكذلك تناقص الحرارة سبب لتغير القوة الانباتية . ولهذا التبدل والتغير تختلف أصول الحلقة والقوانين الطبيعية دائما . نعم إن هذه الدعوى صحيحة فانه كما ان حياة المخلوقات التى وجدت فى بداية تكون الأرض الأرض مستحيلة بعد مرور عصور وأزمان على تلك البداية فكذلك حياة ما وجد من المخلوقات فى الأعصر البدائية خارجة عن حيز الامكان أيضا بعد ذلك فان ما يعيش فى الماء من المخلوقات لا يعيش فى التراب وما يعيش فى التراب لا يعيش فى الماء إذ ليس لها إلا ذلك الاستعداد وتلك القابلية التى وهبت لها وخلاصة القول أن أشكال طبائع المخلوقات ومهاياها كانت ولا تزال تتغير بتغير الأزمان والأحوال والامكنة . ومما لامرية فيه أن المخلوقات بقسميها النامي والجامد خاضعة لناموس طبيعى فى تكوينها ونشؤها ونموها وتكاملها وبقائها وفنائها فلا يخطرن بالبال أن ما يشاهد فى الحلقة من التكامل آتى . كلا (١) ان ما يحصل جيعه ليس إلا تدريجيا وتابعا لناموس التكامل المسنون فى هذا العالم ومع هذا فلا ريب فى فناءه اذا بلغ الغاية فى كماله لوجب زوال كل شئ عند انتهائه . وفى هذا يقول الشاعر

اذا تم أمر بدا نقصه \* ترقب زوالا اذا قبل تم

فالشرع يقول لهذا الزوال « القيامة » والحكماء يعبرون عنه بالانقراض . ثم ان كل شئ اذا فنى وزال لابد أن يتكون ثانيا إذ ليس هناك ما نعدم أجزاؤه كليا فما نظنه قد فنى وزال من المخلوقات إنما استحاله شكله الأول وماهيته الأولى فيظهر فى شكل آخر وماهيته أخرى . وأيضا فانه كما ان الأحوال الطبيعية التسريحية

(١) هذا هو مذهب النشوء وقد أبطله علماء القرن العشرين (انظره فى أول سورة المؤمنون)

كالتكوّن والنموّ والمرض والموت تعرض للحيوان والنبات فكذلك تعرض تلك الأحوال للأجرام السماوية وهذا الذى يقول له أرباب الفنّ ناموس التكامل وبالفرنسية «ته وولسيون» والانكليزية «ته وليش» وإلى هنا أكتفى بما ذكرته من المقدمات لما للسائل الفاضل من التبحر وطول الباع فيها وما ذكرتها إلا لتوقف الجواب عليها فأرجع إلى المقصد وأقول :

إن ظهور الانسان فى هذا العالم متأخر عن تكوّن سائر المخلوقات كما هو شاهد لنا ومع هذا ينبغي أن لا يرتاب فى أنه أشرفها وأفضلها خلقة وطبعاً مادّة ومعنى إذ أن قانون التكامل يقضى بأنه أتمها من حيث توجه الأشياء نحو الرقى إلى الكمال . فالانسان فى الظاهر جرم صغير وفى الحقيقة عالم كبير . الانسان مهبط السجيا القدسية وقطب الخصال البهيمية ومركز الخير والشر وقرارة الانس والوحشة فهو مجتمع الأضداد ومكمن القرائب فهما كان الانسان مدنيا بطبعه لا بد أن تقضى عليه حيوانيته باتباعه القانون الطبيعى ضرورة فلا يقضى له أن أن يعرج بنفسه من حضيض الذلّة والوحشية وفرك السفالة والجهالة إلى منصات العلم وذرى السعادة . على أن الانسان فى بداية الخلقة كان كسائر الحيوانات والبهايم متوحشا يضرب فى الأرض عارى الجسم مكتسباً ثياب الغفلة . الجهل رفيقه والعمى قائده . يتجول صباح مساء فى الصحارى والقفار . لا يفقه من الحقائق شيئاً . ولا يفرق بين القبيح والحسن وبين الغث والسمين . تتجاذبه شهواته حيث توجهت فهو مغلوب لها خاضع لقيادتها . لا يعرف الليل إلا بغروب الشمس ولا النهار إلا بطاوعها . ولا يدرك ما هو الأكل والشرب والنوم والقيام والنعوذ . كان يتجول فى مواقع كثيرة وأمكنة متعدّدة من الأرض وهو لا يدرك أين يتجول وأين يوجد وما هى ذاته . نعم انه كان يشاهد ما لا يتناهى ولا يحصى بالبصر من الصحارى والقفار والبحار وسائر الحيوانات والطيور لكنه لا يفرق بين الحيوان والنبات وبين النبات والجماد وبين الجماد والانسان . ترى هل كان الانسان إذ ذاك يتخيل شيئاً عند ما يرى ما تمثله الأجرام السماوية كل ليلة من المناظر العجيبة والأشكال البديعة أو كان يلفت نظره ما يراه من صور القمر حينما يظهر هلالاً ثم يكون بدرًا ثم يتناقص حتى يمحى ثم رجوعه إلى منواله السابق أو كان يعن نظره فيفكر فى كسوف الشمس وخسوف القمر ؟ كلا . انه لم يكن يدور فى خياله أو يخطر بباله شئ من ذلك . إذن ماذا كان يتصوّر الانسان ، وحول أى شئ كان يجول فكركه ؟ انه كان لا يفكر فى شئ سوى أن يفترس كل ما يصادفه من الحيوانات الضعيفة ليدفع بها بلية جوعه وأن يهرب مما هو أقوى منه من الحيوانات لئلا يكون غذاء لها فيلتجئ إلى الكهوف والمغارات ومقعرات الأشجار لينجو بنفسه منها ، ومع هذا لم يكن همه وفكره منحصرًا فى ذلك بل كان لا ينسى أيضا التعارف بمن يلاقيه ليسكن شهوته اذا ثارت عليه . وخلاصة القول انه كان لا يتوانى فى التوسل بما يفضى إلى قضاء حاجاته الحيوانية والشهوانية فكان لا يحجم عن قتل أخيه الشقيق فى هذا السبيل . فيتختم إذن احتياج الانسان لقانون آخر غير القانون الطبيعى ليهتدى به إلى الصراط المستقيم فى معاشه ويصون من الخلل نظام حياته . ويسلك أعدل السبل فى واجباته وكل شؤونه ويعلم علوّ شرفه على سائر الحيوانات ومكانة فضله فان الانسان من حيث هو حيوان ميال بالضرورة لاتباع الهوى وترتيب المكائيد والحيل والكذب والظلم والعدوان وغير ذلك من الأخلاق المذمومة ، فلو ترك الانسان وشأنه لبقى حليف التوحش أليف الجهل أبداً لا يدين ودهر الدهرين لكنه اذا وجد من يرشده إلى النافع والصواب فى أمره ، لا ريب أنه يصعد إلى ذرى درجات المدنية لغلبة السجيا القدسية فيه على الطباع البهيمية . إن كل ذى عقل سليم وفكر مستقيم يدرك مما سبق حتماً أن ما نشاهده فى عصرنا من الترقّيات العظيمة وما نراه يوماً فيوماً من الاكتشافات الجديدة ، وما نتجّار فيه العقول من الاختراعات العجيبة ، ومامتاز به الانسان على غيره من ادراك آثار الصانع المختار البديعة هو بقانون وراء القانون الطبيعى وبسائق غيره وهو الذى يقول له الحكماء « القانون المدنى » ويسميه أهل الشرع (الدين)

وقد اختار الحق تعالى أناسا (متصفين بوفرة العقل وجودة الفكر يفوقون معاصرهم بسلامة الفكر والتصور والعواطف الوجدانية واتباع الحق والتزام الحقيقة) ليؤسسوا هذا القانون المدني وينشروه بين البشر لحفظ سلامته وإقامة سعادته . هؤلاء الرجال هم الذين أرشدوا البشر إلى ما يوجب الزمان والمكان وتقتضيه المصلحة والحاجة ، هم الذين بلغوا بالبشر تدريجا إلى ما نشاهد من الأحوال المستحسنة والأخلاق الفاضلة ، هم الذين أخرجوه من الوحشة إلى التقدم بقدر ما اختصوا به من الحسن الصادق المتناسب باستعدادهم وما امتازوا به من القدرة ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ بقدر ما أوتوه من الوحي الإلهي والنور القدسي

فهؤلاء الرجال هم الذين يقال لكل واحد منهم « مؤسس المدينة » عند الحكماء ، ونبي لدى الشرائع والأديان ، ومن هذا يتضح أن الفن والشرع متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر ، فالشرعية مجموع فنون كثيرة لا تخالف الفن بل الفن شعبة منها

إن أول نبيٍّ أو مؤسسٍ لمدينة أتى ليسوق البشر إلى نهج الهداية قد جعل فاتحة أعماله وبأكورة إرشاداته الأمر بستر الجسم والنهي عما كان عليه الإنسان من كشف البشرة وأكل كل ما يصادفه كسائر الحيوانات ، وقد جدَّ في سبيله حتى تمكن أن يسبق عادة التستر بين البشر ولو بأوراق الأشجار ويحصر الغذاء عليها فإن المجتمع البشري كان محروما إذذاك من كل حاجات المدنية ولوازم الانسانية فالعامل مفقودة والصناعة والتجارة مجهولة ، فلم تكن الأقمشة والأصواف ولا شيء من المنسوجات ، ثم اتسعت الأفكار بمرور الزمان فوجد في الإنسان قابلية التعلم والتعليم واستعداد لمعرفة الأمور الحسنة ومنافعها ، فيأتي النبي الثاني والعالم في حاجة شديدة إلى ظهوره فيوسع ما وضعه سلفه المحترم من القانون ويعلم البشر ما يحجز عن إدراكه بعبارة أوسع من سابقتها فتوسع ساحة الإدراك حتى تصبح أمة النبي الثاني تمهزا من الأمة السالفة كلما تذكرت وحشيتها وضيق إدراكها ، وهذا من أحكام التكميلات الأرضية والترقيات الزمانية فانها تولد في الأفكار انتباها يعين النبي الثاني على تبليغ كثير من الأحكام وتلقين كثير من الحقائق التي لم يتسنى تبليغها للسابق لعدم الاستعداد ، فاذا زاد توسع الأفكار على مرور الأزمان ينتظر ظهور نبي آخر ، فاذا أتى ذلك النبي سهل عليه تبليغ الأحكام التي لم يبلغها النبي السابق أيضا لضعف إدراك البشر حينئذ ومع هذا لم يكن مفقودا من له قابلية الأخذ واستعداد القبول لما أتى به النبي إلا أن هذا الفريق كان لا يجب دعوة النبي لعناده وتمرده حبا في البقاء على التوحش والهمجية وهؤلاء هم الذين أطلقت عليهم الكتب المقدسة اسم الكفار ، ثم يفيض العالم نورا بظهور النبي الرابع فيقسم الحيوانات لما يركب وما يؤكل ويأمر بقتل المضر منها ويترك غيرها على حالها ، وعلى هذا المنوال قد جاءت أنبياء كثيرة ساروا بالبشر تدريجا إلى ما نراه من الترقيات العظيمة وقطع المراحل في سبيل المدنية الفاضلة ، ولما جاء موسى عليه السلام اتسع نطاق المدنية بالنسبة للأزمان الغابرة وتكاثر أفراد الجمعية المتمدة ووجدت الصناعة والتجارة . وفي زمن عيسى عليه السلام تقدمت الجمعية تقدما يفوق ما قبله بالضرورة ، ويمكن أن يقال أن زمن هذين النبيين العظيمين كان متفوقا على أزمان سابقين ، وهذا التفوق لا يحط من قدر الأنبياء السابقين ولا من شرفهم لأن الأنبياء صلوات الله عليهم لم يكونوا يبلغون في زمن رسالتهم إلا ما كان ملائما لعقول المرسل إليهم فاذا أهمل أحدهم الأمر بشئ أو النهي عنه ثم جاء نبي آخر وقرّره حكما فليس من الصواب أن يقال إن النبي الأول حرّم ذلك الشئ أو حمله فإن قال قائل لماذا إذن تركه ذلك النبي ولم يشرع فيه حكما وعلام نحمل ذلك ؟ أجيبناه بأن عدم تكلم النبي الأول في أمثال ذلك الشئ لاشتغاله إذ ذاك بالأهم منه والأعظم نفعا ﴿ مثاله ﴾ أن عدم تحريم الخمر في زمان نبيٍّ وعدم النهي عن نكاح الأخت في زمان آخر لا يدلان على أن الخمر حسنة مباحة ، وأن نكاح الأخت جائز عندهما ، وإنما لم يرد النهي في ذلك لعدم استعداد القوى العقلية لإدراك مضرّات تلك الأشياء فلو حرّم شئ منها قبل وقته لنجم عنه فتن عظيمة ومنازعات طويلة ومقاتلات

شديدة ولذلك لم تحرّم ولم تمنع حينئذ ، فلا يظن من هذا الكلام اننا نعتقد أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام متساوون فضيلة وعرفانا ، فان من الحقائق التي لا تنكر أن بعضهم مفضل على بعض حيث كان تجدد الزمان من العوامل في نمو وازدياد القوى المدركة ، فالنبي المتأخر أعظم تكاملا من السابق وهذا قطعي لا سبيل للارتياب فيه ، وقد يقول بعض من استولى عليهم الوهم واستسلموا له « ان الحق والسداجة التي عند البعض في عصرنا هي أعظم وأشدّ منها في بعض من كان في العصور الأولى » فيقال لهم « إن هذا صحيح ولكنه لا ينقص مدعانا فان الحكم دائما يكون على الأغلب ، فاستيلاء التوحش على مدينة لا يقتضي عدم التمدن في اقليم آخر وارتقاء المدينة وعدم خلق اقليم منها في يومنا هذا هو ارتقاؤها من حيث العموم والافلاس المراد أن المدنية عمت كل مكان ولم يبق للتوحش أثر في كل الجهات ، فانه لا يستبعد وجود من هو أخش توحشا ممن سبق في الأعصر الحالية

ولما تشرف العالم بظهور سيد البشر (الذي هو الوسيلة العظمى ، والواسطة الكبرى ، لارتقاء الانسان الى أعلى درجات المدنية) محمد ﷺ أكمل للانسان حاجاته الضرورية على نهج مشروع وما أسرع ما وصل به الى أرفع مراتب السعادة ، إذ كل من ينعم نظره ويحكم وجدانه فيما كان عليه الانسان قبل بعثته ﷺ من الضلالة والغواية والسفاهة والجهالة ، ثم يتأمل في حال الانسان وترقياته منذ البعثة لاشك انه يرى ما بين الحاليين من البون العظيم والفرق الذي لا يتأتى معه القياس والتقريب

نعم نعم ! إن محمدا ﷺ قد عرف الناس بخالقهم وزجروهم عن عبادة الأوثان والشمس والنجوم والنار وما أشبه ذلك وهداهم الى سبيل النجاة والفلاح ، وكانت دعوته باللطف واللين نارة والعنف والشدة أخرى حسب ما يقتضيه الحال حيث كان بعض الناس المعاندين يستعمل أنواع التهديد مرّة ويحارب به أخرى لينهي عزمه ويرجعه عن دعوته ، ولذلك كان النبي ﷺ يعامل بعضهم بالترغيب وبعضهم بالارهاب والتخويف كما توجب المصلحة ويقتضيه الحال . فما لبثت أنوار المدنية الاسلامية أن سطعت في جميع أنحاء العالم وأزاحت ظلمات التوحش عن كل ما وصلت اليه ، ولعمري ان انتشار تلك الأنوار بسرعة برقية وتكاثر أتباعها في أزمان قصيرة لما أدهش أولى الألباب ، واذا بحثنا عن سر ذلك التقدم السريع والنجاح العاجل لآثر له سببا إلا كون أوامر الاسلامية ونواهيها موافقة للعقل ومطابقة للحكمة ، فها هو القرآن المبين الذي كل كلمة منه عين الحكمة ، من ينعم نظره في أعجازه وأساوبه وبدائعه وأحكامه يرى نفسه مضطرا للحكم بأنه قد أنزل في يومنا هذا رغبنا عن نزوله قبل ثلاثة عشر عصرا فانه بليغ معجز مع سهولته ومفيد لجميع ما يرمى اليه من المقاصد مع إيجازه ، وموافق لأساوب كل زمان ، ومهما ارتقت الكتابة وارتفع شأنها لا يزال في أعلى مراتبها ، يعلم ذلك كل من له دراية بالمزايا القرآنية ، وانه كما أعجز البلغاء وتركهم يتهمون في مهامه الخيرة فكذلك قد جمع أسباب سعادة الدارين ، سعادة الدنيا والآخرة ، ولو بحثنا في الأحكام التي جاء بها وأدركنا ما فيها من المنافع والحكم لوجدناه جامعا لكل ما يحتاج اليه البشر في بقاء حياته وتهذيب أخلاقه وبلوغه الكمال ، فهو يأمر بالأخلاق الحسنة والخصال العالية وبكل ما يكفل للبشر سعادته في الدنيا والآخرة ، ولبيان أذكر نبذة من أوامره

يأمر بالعدل والتواضع وحسن المعاشرة والتعاون وحسن الخلق وترك المرء ما لا يعنيه وقدر النعمة حق قدرها والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واصلاح ذات البين والاحسان بالوالدين والترغيب في طلب العلم والسعي وراء المعيشة وعيادة المريض وقبول النصيحة والاعتراف بالجهل واحترام أهل العلم واتباع الحق والتأني في الامور وملاطفة الأيتام ومحاملتهم واعانة المحتاجين وحب الخير والشجاعة والعفو والاحسان والاعتناء بالطهارة والنظافة واطاعة أولى الأمر وعدم المبالاة بالحياة الشخصية لأجل الحياة العمومية والحلم والصبر وعدم الغش وعدم الغدر والسخاء ومعرفة الحقوق والثبات عند مشكلات الامور والقناعة وحفظ الأمانة والتعلم والتعليم

والاستقامة والعفة والصدق والمروءة وصفاء النية وعلو الهمة والاعتراف بالتقصير والاذعان للحق والانصاف والرافقة وصيانة العرض والشرف والدلالة على الخير وفصل الدعوى ومجانبة الظل والسعي لتهديب النفس وصلة الرحم وحفظ المحبة والوفاء بالوعد وإيفاء الدين والشورى والالتزام بالحقيقة وتوقير الكبير والرافقة بالصغير وغير ذلك من الامور المستحسنة التي كل واحد منها ركن عظيم من أركان سعادة البشر

وأما ما نهى عنه فهي الأفعال القبيحة والأخلاق السيئة التي قد ثبت بالتجارب العديدة انها مضرّة بالانسان ومفسدة لمعاشه ومعاده ، ومن تلك المنهيات الزنا واللاواطه وشرب الخمر وأكل الربا والظلم والغدر والكبر والحسد والبغض والحقد والحرص والكنب والغيبة والنميمة والرشوة وسوء النية وقتل النفس والعناد وعقوق الوالدين واكثر الكلام فيما لا فائدة فيه والميل للقبائح والرياء والجبن واعانة الظالم والحيلة والغرور والغضب وكتم شهادة الحق وشهادة الزور والتجسس وسوء الظن والميسر ( لعب الفمار ) والتفاخر وتطيف الكيل والميزان واحتكار الطعام وعدم إعانة المحتاجين وقطع المودة والتعادي والقذف في عرض الناس ونقض العهد وخلف الوعد

وفي القرآن أحكام أخرى جليلة لا يمكن انكار فوائدها ، منها ما يتعلق بسياسة الملك والدولة وتمران البلاد ورقيها ، ومنها ما يحفظ أمن الرعايا واستراحتهم ، ومنها ما يتعلق بتقسيم الموارث وإيتاء كل ذي حق حقه ، وفيه أحكام غير هذه لم تكن في غيره من الكتب السماوية ، وأن كل ذي عقل واذعان يعلم أن أحكام الشريعة المحمدية واسعة بقدر سعة العقل وامتداد الفكر متكفلة بصيانة كل حقوق متبعيها أحياء وأمواتا . وكما في القرآن من أحكام غامضة ومعان دقيقة ولما يكشف الفن نقابها رغبا عما بلغه من الرقي ، ولم تستلفت تلك الأحكام أنظارنا فضلا عن إدراكنا ، وسبب ذلك أن عقول البشر لم تزل غير كافية لفهما حتى اذا ارتقت الأفكار وبلغت كمالها واتسعت العلوم والفنون ووصلت غايتها لاريب انها تنجلي أيضا ﴿ مثال ذلك ﴾ حركة الكرة الأرضية لم يتسنى لنا ادراكها وثبوتها إلا لزمان قريب من زماننا . والقرآن المبين قد رفع حجاب هذه المسألة قبل ألف وثلاثمائة سنة ولكننا معشر الانسان لم نكن لنذكر تلك الحقيقة حتى كشفت بعد ماضت عليها العصور وتعاقت القرون

وفي القرآن من أحكام حفظ الصحة ورعاية أسبابه ، ومن أحوال الأمم الماضية وأخبارها ما يحول لنا الحكم عليه بأنه قانون طبي وكتاب تاريخي أيضا . فاذا قرأنا ما فيه من القصص والحكايات نشاهد انه ذكرها بأدع أساليب وأعلا بلاغة وأعجازا وانه يؤثر على نفوس البشر تأثيرا لا يجده في الكتب الأخلاقية والتاريخية والروايات الأدبية سواء كتبت بالعربية أو التركية أو الافرنسية أو غيرها . وانه يصور الحقائق بكلام موجز كأن تلك الحقيقة مشاهدة وملحوسة وغير ذلك مما يعلن أن هذا الكلام المجز من لدن حكيم عليم

ثم ان جلّ المباحث القرآنية لم توجد في غيره من الكتب المقدسة وهذا أمر ضروري فإن الانسان في تلك الأزمنة السابقة كان محتاجا لما هو أهم من هذه الأحكام بداهة ولم يكن من هم المرشد حينئذ أن يشتغل بتبليغ غير ذلك الأهم حتى انه لو بلغ الأحكام المتأخرة لم يكن ليفهما أحد فتبليغها إذن عبث وان كثيرا من المطالب الرفيعة والفنون العالية ذكرت في القرآن ولما تدرکها العقول وستدركها مع ما حوتها من الأسرار على مرور العصور والأزمان . وقد ذكرت آنفا قاعدة تفيد أن قانون التكامل تدريجي ليس آنيا فيعلم بالضرورة أن القانون المذكور مفتقر الى كتاب سماوي كالقرآن الحكيم إذ شريعة النبي الأول أكلت بشرية الثانية وشريعة الثانية بشرية الثالث وهكذا حتى جاءت شريعة موسى فأكلت بشرية عيسى عليهم الصلاة والسلام ثم أكلت الشرائع السابقة كلها بشرية خاتم الأنبياء محمد ﷺ وقد ظهر أن شريعة موسى عليه السلام أكلت وأرجح مما سبقها وشريعة عيسى أكلت من شريعة موسى عليهما السلام فلم يبق مجال للشك

في أن الشريعة المحمدية أكمل الشرائع السابقة وانها ناسخة لها . فقد أتى الانجيل بأحكام جمة لم تكن في التوراة حيث كان بعدها ولهذا كان الانجيل أرجح من التوراة . والسبب عينه كان القرآن أرجح من الانجيل فلو عكسنا القضية وزعمنا أن التوراة أرجح من الانجيل والانجيل أرجح من القرآن لجلنا أنفسنا كلفة القول بأن عقل البشر قد أصيب برجعة قهقرية . وبهذا القول الذي لا يتفق مع المنطق ترتكب خطيئة لا تغفر ونظم النوع البشري رغما عما يدهش أبصارنا وعقولنا من الترقيات الجديدة والاختراعات الحديثة . ولهذا الأسباب كلها كان المتأخر ناسخا للمتقدم . وبموجب هذه القاعدة كانت الشريعة المحمدية ناسخة لكل ما تقدمها من الشرائع ولن تنسخ بشريعة أخرى فيبقى باقية الى الأبد . فان نسخ الشريعة بأخرى لم يكن إلا لأن أحكام الشريعة الأولى غير كافية لسد عوز البشر واحتياجاته التي يولدها الزمان وتزداد يوما فيوما . ومهما تكثرت حاجات الانسان وازدادت لوازمه فلا يحتاج الى شريعة أوسع من الشريعة المحمدية فقد ذكرت لك قسما من الأحكام القرآنية . ولوأ نعمت فيها نظرك قليلا لرأيت أن حاجات الانسان ولوازمه المدنية مهما كثرت لا تخرج عن دائرة الأحكام القرآنية . فالقرآن كافل لكل احتياجات البشر في كل عصر . وأن العقل البشري مهما ارتقى وتكامل لا يمكنه أن يخرج عن حدود الأحكام التي اشتمل عليها القرآن فأصبح من الضروريات اللازمة التي لا يحصى للعقل عنها أن يتبع البشر الشريعة المحمدية الغراء في كل زمان ومكان

وظهر مما قررناه آنفا ظهورا لا غبار عليه أن القرآن المبين قانون إلهي ونظام سماوي ومحكم أزلي لن ينسخ أبدا ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وأن اتباعه في كل زمان والعمل به في كل مكان هو السعادة والنجاة والفوز والفلاح ومخالفته هي النالة والمسكنة والخسران العظيم وأن أتى به هو خاتم الأنبياء والمرسلين صلات الله عليهم أجمعين - والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم - . انتهى بالحرف الواحد من رسالة الجواب الكافي لعبد الله كويلم التي ترجمها الى العربية الاستاذ (زهدي الخماش) أستاذ علوم الدين بالمدرسة السلطانية في (بيروت)

ويحسن بنا أن نلم بما كتبه المترجم الفاضل ترجمة حياة المؤلف . قال

### ﴿ نبذة من ترجمة المؤلف ﴾

هو عبد الله وليم كويلم الانكليزي الحامي بالحكمة العليا (بمدينة ليفربول) يبلغ من العمر نحواً من الخمس والخمسين (حينئذ) نحيف الجسم ربعة وله ولدان اسم أحدهما بلال والآخر أحمد نشأ الرجل بين المتمدنين بذهب (الوسيليان) وكان من رؤسائه وواعظا شيعته ، كان يعتنى بالعلوم الرياضية ، وله الباع الطويل فيها ، وفي سنة ١٨٨٣ ميلادية الموافقة لسنة ١٣٠٠ هجرية أصيب بمرض عضال جعله طرح الفراش نحو ستة ، فأوصاه الأطباء بالسفر الى (اسبانيا الجنوبية) لتبديل الهواء فتوجه الى (جبل طارق) ثم الى (طنجة) وأقام حيناً من الزمان يشاهد محاسن الدين الاسلامي وصفاء المسلمين واخلاصهم ويتعلم العقائد الاسلامية فكان يزداد بالاسلامية حبا وشغفا كلما ازداد علما ، ولما رجع الى بلاده أخذ نسخة من القرآن مترجمة للانكليزية فكان يقرأها بتدبر وامعان ويقرأ كل ما يصل اليه من الكتب الاسلامية ، فعلم علم اليقين أن الاسلاميه هي الشريعة الحققة التي لاشك فيها ولا ريب ، ولم يجهل في اعتناقها بل أخذ يبحث في الشرائع الأخرى وذلك مما زاده إيمانا و يقينا ، فصمم على اعتناق الاسلاميه إلا انه كان يحول بينه وبين ذلك كثرة العيال وما أهمه من الأشغال ، ولما تمكنت تلك العقيدة من نفسه وخالطت حلوة الإيمان مجامع قلبه فاتح أحد أصدقائه بما عزم عليه ، فأجابه ذلك الصديق « إن كنت تأنف أن



تعتقد بالثالوث وأزمنت على تركه فأدخل في مذهب الموحدين من النصارى « فقال له . كلا ! انه يتعذر على الوقوف بمنتصف طريق التوحيد ولا بد لى من ترك النصرانية بتاتا ، فاعتنق الاسلامية وأقر بالشهادتين ، وأفسا اسلامه بين أقربائه وذويه فسخروا منه وزعموا انه مجنون ، ثم جعل ينظم أحوال معيشتة على القواعد الاسلامية ، ولم يأل جهدا في دعوة بنى جلدته الى طريق الهداية والسعادة الى الفوز الأبدى والفلاح السرمدى فهدى الله بدعوته من ألهمة الاجابة . ولم يزل يشغل بالدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولما اجتمعت كلمته مع من تبعه اتخذوا لهم مسجدا لاقامة الصلوات الخمس والجمعة والعيدين وهو الآن شيخهم ومرشدهم . ولما اتصل نبؤه بالخليفة الأعظم دعاه اليه وأثاله من التفاته ماقرت به عينه وتلج صدره وقد اجتمع بمشاهير العلماء والأفاضل بدار السعادة . فكل ثناء بما ناله من السعادة والمجد باهتمامه لهذا الدين المبين . ثم رجع الى بلده (ليفربول) ولم يزل عاكفا على الواجبات الدينية والشعائر الاسلامية . وقد ترجم محمود أسعد أفندى زيد فضله كتاب « دين الاسلام » للمولى اليه . فقال بعد ما ذكرنا من ترجمة حاله « وقد شاد المسلمون هناك مدرستين اسلاميتين إحداهما للذكور والأخرى للإناث يقبل فيهما كل من يأتي من أطفال المسلمين من الخارج بأجرته ولهم مجتمع منتظم فيه رئيس وأعضاء ولهم أئمة وخطباء ومؤذنون ويجمعون في كل سنة اجتماعا عموميا ينتخبون فيه من يستخدمونه في مصالحهم . وفقهم الله أجعين لما فيه الخير والصالح انه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير »

\*\*\*

من آثار كونه عليه السلام رحمة للعالمين (١) أن دين الاسلام لا يبيح أن يفضل أحد أحدا إلا بالقوى . أما الأنساب فلا (٢) وأن أهل الديانات شربوا من منهل الاسلام فارتقوا ، وسترى مثل ذلك في « سيرة موسى بن ميمون » و « اعترافات جاسوس » أو « ثلاثون عاما في الاسلام »

الانسانية الآن جاهلة متعصبة لكل شئ حتى للون . ألم ترى ما جاء في جريدة الاحرام بتاريخ يوم الثلاثاء ٢٩ اكتوبر سنة ١٩٢٩ م وهذا نصه

### ﴿ معاملة الزوج في لندن ﴾

عاد المستر (ابوت) صاحب الجريدة اليومية في (شيكاغو) وهو زنجى واسع الثروة الى الشكوى من معاملة الانكليز لغير البيض فأبرق الى المستر (صرلى) العضو البرلمانى يشتكى انه منع هو وزوجه من حضور حفلة على ظهر إحدى البواخر البريطانية في دعوتهم الى أمريكا . وقال المستر (صرلى) إن عددا معلوما من غير البيض كفوا أخيرا أن يخرجوا من حفلة راقصة في لندن فرفعوا شكواهم الى (اللورد باسفيلد) وقد صمم المستر (صرلى) أن يثير هذه المسألة في مجلس العموم . وقال انه ورد عليه كتاب من (المسترمكدونلد) عن مسألة تحريم الفنادق على المستر (ابوت) الصحفى الزنجى قال فيه مانسه « إن هذا من الامور المزعجة جدا ولا تتفق مع العادات المرعية في الفنادق البريطانية ، ولكنى لأرى أية مصلحة من مصالح الحكومة مسئلة عن هذا الأمر ولست قادرا أن أجد أية طريقة تخول الحكومة حق التدخل » اهـ

فأين النوع الانسانى الجاهل من قوله تعالى - يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم - وقد أذن بلال في الكعبة بمحضر قریش عند فتوح مكة بل أين هذا النوع الانسانى الكافر بالنعمة من النجعات والكلبات والثيران والجير فانها تعيش معا ولا تبالى باختلاف الألوان ، فاننا نرى الهرة والكلبة والنجعة والحمار والبقرة ذوات اللون الأبيض تصاحب القط والكلب والحمار والحريف والثور ذا اللون الأسود أو الأحمر فلا ملازمة بين الألوان والأخلاق ، إذن هذا

الانسان جهول كفار ، نسي الفطرة فذكره الله بالاسلام وأصبح المسلم في مصر لا يفرق بين لونه ولون في صلاته ومحاسنه ، إذن النبي ﷺ رحمة للعالمين والانسان جهول كفار ، وأما كون أهل الديانات شربوا من منهل الاسلام وارتقوا فهالك منه مثلاً وهو ما جاء في جريدة المقطم تحت العنوان التالي وهاهوذا

### ﴿ موسى بن ميمون ﴾

(رسالة الحاخام الاكبر)

اننى مغتبط بان أوفق الآن الى تحقيق الرغبة التى أبدأها أحد الافاضل فى المقطم فى الاطلاع على نبذة من حياة موسى بن ميمون وسيرته وها أنا أبر بوعدى السابق موجزاً مقالى على قدر الاستطاعة ذلك لان الشروع فى بحث أصله ونسبه يؤدى حتماً الى بحث حياته الشخصية وعلو أخلاقه ومكنونات صدره وحدة ذهنه وعلومه وآدابه ثم تأليفه وتأثير كل ذلك فى الهيئته الاجتماعية وهذه كلها من الامور التى يتعذر شرحها فى مقال واحد مهما روعى الإيجاز والاختصار ، فقد كتب عنه أكثر من مائة وخمسين عالماً من اسرئيليين وغير اسرئيليين ولو جمعت كل الكتب التى أتى ذكره فيها لتألفت منها مكتبة كبيرة . ولذلك أترك جانباً كل ما يختص بالوجهة الاسرائيلية من تعاليمه ومؤلفاته ، وهذا ليس بالشئ القليل بالنسبة لما فى علومه الدينية والفقهية من الأهمية وأقتصر على الكلام عن المكانة العليا التى بلغ ذروتها فى تاريخ الفلسفة ولا سيما تأثير الآداب الاسلامية فيه باتصاله بعلماء الاسلام المعاصرين له مكتفياً بذكر الدور العظيم الذى مثله هذا العالم الجليل فى القاهرة مدة (٣٧) سنة بصفته حجة دينية ورئيساً روحياً للاسرائيليين وطبيعياً فى البلاط الايوبى والمجتمع البشرى

(أصله ونسبه)

ولد أبو عمران موسى بن ميمون بن عبد الله يوم (٣٠) مارس (١١٣٥) م . فى مدينة قرطبة عاصمة الامويين باسبانيا وتوفاه الله يوم (٢٠) ديسمبر ١٢٠٤ فى مدينة القاهرة . وبعد أيام من وفاته نقل جثثانه الى مدينة طبريا بفلسطين حيث دفن . وقد حفظت التقاليد الاسرائيلية أسماء أجداده حتى السابع منهم وأسماء ذريته حتى النسل السابع فيهم . ويبين محفوظات الاسرائيليين الأثرية فى القاهرة مخطوط على جانب عظيم من الأهمية كتب بالعبرية والعربية وفيه ذكر لأحد أفراد ذريته من الجيل السابع يدعى داود ميمونى كان بكده صاحب الترجمة رئيساً روحياً للطائفة الاسرائيلية فى القاهرة سنة (١٤٠٤) م ويغلب على الظن انه هو الذى قصد فى أواخر حياته الى دمشق الشام ليستوطنها مع عائلته

وبعد ذلك تشتتت تلك الذرية فى انحاء مختلفة . فقد ورد فى التاريخ ذكر اسمين أحدهما عالم يدعى ميمون الفاسى نسبة الى فاس وذلك فى سنة (١٤٣٨) والآخر فى سنة (١٥٦٨) كان عائشاً فى بلدة مورانو بإيطاليا ويكنى بالباز وفى أيامنا هذه نرى عائلات اسرائيلية كثيرة من أصل أسباني تحمل هذا الاسم الا أن كلمة الميمونى لم تكن فى الاصل اسماً لعائلة بل لشخص . فوالد صاحب الترجمة كان يدعى ميمون بن عباديا أى عبد الله وكثيرون من اسرائيلى المغرب والجزائر يدعون بهذا الاسم كميمون الدهان وميمون البريل . والثابت عن اسلاف الميمونى انهم كانوا قد رحلوا من مراكش الى قرطبة مع غيرهم من الاسرائيليين ، وكان ذلك فى عصر الخليفة عبد الرحمن الثالث

(صباه ودروسه الابتدائية وأسفاره)

تولى والده تربيته وثقيفه وكان منذ حداثة يث فى نفسه محبة العلم . ثم سلم زمامه الى أشهر الاساتذة فى قرطبة . فساكن يدرس أصول الدين الاسرائيلى على أساتذة اسرائيليين والعلوم على أساتذة مسلمين . وكانت العربية والعبرية لسانه القوى . وعدا تفضلعه من العلوم العبرية يدرس العلوم اليونانية والعربية والرياضيات

والطبيعيات والطب والفلسفة . على أنه لأسباب سياسية اضطر والده للهجرة مع أسرته ففادروا قرطبة أيام كان صاحب الترجمة في الثالثة عشرة من سنه . وبعد أن تجولوا مدة اثني عشر عاما في مدن الأندلس عقدوا النية على التوطن في مدينة فاس سنة ( ١١٦٠ ) فقصدا إليها واذ لم يجدوا فيها راحتهم شتوا رحالهم إلى فلسطين ومنها إلى الاسكندرية حيث أقاموا شهورا ثم جاءوا إلى القاهرة واستقروا فيها . وكان صاحبنا قد بلغ الثلاثين من سنه . على أن كل هذه الاسفار وما كان يتخللها من مشاق وأخطار فضلا عن العذاب المادي والادبي الذي كانوا عرضة له في كل آن . كل ذلك لم يوقف صاحب الترجمة عن متابعة سيره نحو الغاية العلمية التي كان يسعى لها . خيانه من هذه الوجهة يجدر تشبيهها بحياة ابن سينا كما انها من حيث الجهود والتأليف والشهرة أشبه شيء بحياة الغزالي . وبالفعل انه لم يبلغ العشرين من سنه الا وكان قد ألف كتابا في التقويم الفلكي وكتابا آخر دعاه : مقالة في صناعة المنطق

أما مؤلفاته العلمية فيمكن حصرها في ستة أقسام وهي :

- (١) علم التفسير
- (٢) علم الفقه
- (٣) علم الكلام
- (٤) الفلسفة وعلم ما فوق الطبيعة
- (٥) علم النصوف أو الاخلاق
- (٦) الفتاوى والرسائل

#### ﴿ علم التفسير وعلم الفقه ﴾

لا تعرض لبحث مذهبه في علم التفسير العبري لان ذلك من الموضوعات التي تهم رجال التفسير الاسرائيليين دون سواهم . الا أنه لامندوحة من القول أنه التزم في كل تأليفه خطة الوضوح والدقة في التعبير وهي الخطة التي ينبغي أن تتوافر شروطها في علم العقليات . أما فيما يختص بعلم الفقه فبوسعنا أن نقول انه كان أول مهندس شرعي فكري في ترتيب وتبويب جميع أقسام التشريع الاسرائيلي وقد كانت حينذاك مهمة ومختلطة بموضوعات أخرى لاعلاقة لها بالتشريع وواردة في التلمود وهو سفر مؤلف من ستين جزءا أعدا التفسيرات الكثيرة . فقد كان كالمهندس يبدأ بوضع رسم البناء ثم يقسمه إلى طبقات ومساكن وغرف بحيث يقيس للزائر الدخول والخروج من غير صعوبة . وكانت هذه خطته في تأليف كتابه الشهير المعروف باسم « اليسد القوية » وهو مؤلف من ١٤ جزءا ويقسم إلى فصول وبنود وأبواب ولغزارة مادته وقضائه في جميع العاوم واكتسابه شهرة عظيمة لقب بالنور الغربي والنسر الاكبر كالمعلم الغزالي بحجة الاسلام . والان نشرح للقارئ المسلم الكريم مكانة هذا العالم الكبير فيما يختص بعلمه الدينية والفلسفية والاخلاقية

#### ﴿ علومه الدينية وفلسفته ﴾

ان هذه العلوم مع شدة اتصالها بعلم التفسير مرتبطة به كل الارتباط لانهما ترجع في أحكامها وأدائها إلى النصوص المقدسة . فانك تجد في كتاب « أنوار التنزيل في اسرار التأويل » للبيضاوي المبادئ الدينية كما تجد مبادئ الزمخشري في كتاب الكشف فيما يختص بالعلوم الدينية والفلسفية والعقلية . وتعلم أيضا من أبحاثه في كتابه « دلائل الحارثين » انه وقف على اسرار فلسفة أفلاطون وأرسطوطاليس وعلى علوم الصوفية واخوان الصفا وأصحاب العدل والتوحيد وانه لم يخف عليه شيء من مبادئ هذه الفرق . واذ تراه يذكر الزمخشري فلا بد من الاعتراف بانه كان مطالعا كل الاطلاع على كتاب الملل والنحل . كذلك في كتبه التي بحث فيها عن المعتزلة ومؤسسها واصل بن عطاء . ومن الأمور التي تستوقف الأنظار وجود شبه كلي بين مؤلفاته ومؤلفات الغزالي

من حيث الاسماء والموضوعات في كتابه « مقالة في التوحيد » تجد شبهها بينه وبين كتاب « العقيدة » وكتاب « دلالة الحائرين » كثير الشبه بكتاب « المنقذ من الضلال » وكذا مقالاته في الاخلاق . انتهى الكلام

\*\*\*

على موسى بن ميمون  
أماما جاء في « مجلة المرشد » فهذا نصه

### ( اعترافات جاسوس )

أو

### ( ثلاثون عاما في الاسلام )

ندبت الحكومة الفرنسية في القرن الماضي الميسو (ليون روش) ليكون جاسوسا على الأمير عبد القادر الجزائري وأوعزت اليه أن يتظاهر عنده بالاسلام وأن يتوصل الى أن يكون موضع ثقته ومحل أمانته . ففعل ذلك ونجح وأقام في ديار المسلمين ثلاثين عاما تعلم في أثنائها اللغة العربية وفنونها والاسلام وعالومه ، واختبر الأوطان الاسلامية المهمة (الجزائر وتونس ومصر والحجاز والقسطنطينية) ثم ألف كتابا اسمه (ثلاثون عاما في الاسلام) قال فيه مانصه

« اعتنقت دين الاسلام زمنا طويلا لأدخل عند الأمير عبد القادر دسيسة من قبل فرنسا وقد نجحت في الحيلة فوثق بي الأمير وثوقا تاما واتخذني سكرتيرا له ، فوجدت هذا الدين (الذي يعيبه الكثيرون منا) أفضل دين عرفته ، فهو دين انساني طيب يقتضد أدنى ، ولم أذكر شيئا من قوانيننا الوضعية إلا وجدته مشروعا فيه ، بل انني عدت الى الشريعة التي يسميها (جول سيمون) الشريعة الطبيعية فوجدتها كأنها أخذت عن الشريعة الاسلامية أخذنا ، ثم بحثت عن تأثير هذا الدين في نفوس المسلمين فوجدته قد ملأها شجاعة وشهامة ووداعة وجالا وكرما بل وجدت هذه النفوس على مثال ما يحلم به الفلاسفة من نفوس الخير والرجة والمعروف في عالم لا يعرف الشر والغو والكذب ، فالسلم بسيط لا يظن بأحد سوا ، ثم هو لا يستحل محرما في طلب الرزق ، ولذلك كان أقل مالا من الاسرائيليين ومن بعض المسيحيين ، ولقد وجدت في الاسلام حل المسألتين الاجتماعيتين اللتين تشغلان العالم طرا ، الأولى في قول القرآن - إنما المؤمنون اخوة - فهذا أجل مبادئ الاشتراكية ، والثانية في فرض الزكاة على كل ذي مال وتخويل الفقراء حق أخذها غصبا إن امتنع الأغنياء عن دفعها طوعا وهذا دواء الفوضوية . إن الاسلام دين المحامد والفضائل ، ولوانه وجد رجالا يلمونه الناس حق التعليم ويفسرونه تمام التفسير لكان المسامون اليوم أرقى العالمين وأسبقهم في كل الميادين ، ولكن وجد بينهم شيوخ يحرقون كلهم ويمسخون جلاله ويدخلون عليه ما ليس منه ، وانني مكنت من استغواء بعض هؤلاء الشيوخ في القيروان والاسكندرية ومكة فكتبوا الى المسلمين في الجزائر يفتنونهم بوجوب الطاعة للفرنسيين وبأن لا ينزعوا الى الثورة وبأن فرنسا خير دولة أخرجت للناس . وكل ذلك لم يكلفني غير الآنية الذهبية » اهـ

\*\*\*

﴿ جوهرة في قوله تعالى - ولكن رسول الله وخاتم النبيين - مع قوله فيما سيأتي - يأياها

النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ﴾ وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا - ﴿

أقول : ومن شأن السراج المنير وهو الشمس أن تغم أشعتها ، ويضم الى ذلك آية - يأياها النبي إنا أحلنا لك أزواجك - الخ وانما جعلنا هذه الجوهرة مشتركة في هذين الموضوعين موضوع عموم شريعته وجواز تعدد زوجانه فوق الأربعة لأن ذلك كله جاء في المقال الذي عنوانه بهذه الجوهرة من كتاب العلامة (الساكنوت هنري دي كاستري) المسمى « الاسلام . خواطر وسوانح » قال تحت عنوان الفصل السادس مانصه

## ( انتشار الاسلام أيام الفتوحات العربية )

تخطيط همالك الاسلام . انتشاره في أفريقيا الوسطى . تجار المسلمين ومستكشفو الاوروبين  
الاسلام في مبدئه وبعد ذلك . أسباب الانتشار . المرسلون المسلمون . الفولبوسيون والخواصه  
أسباب انتشار الاسلام الإلهية

قد كشفنا الغطاء عن العلل التي انتجها سببا في انتشار الاسلام انتشارا عظيما وبيدنا فسادها ووعدنا  
ببيان الاسباب الحقيقية عند البحث عن تقدمه في هذه الازمان لاننا نعتقد ان استطلاع حال هذا الدين في العصر  
الحاضر لا يبق أثرا لما زعموه من أنه انما انتشر بحد الحسام كما فندناه من قبل ولو كان دين محمد ﷺ  
انتشر بالعنف والاجبار لزم أن يقف سيره بانقضاء فتوحات المسلمين مع أننا لا نزال نرى القرآن يسط جناحيه  
في جميع أرجاء المسكونة وهذه الحركة المستمرة في هذه الايام تحمل على الاعتقاد بان الاسلام هو الدين الذي  
جاء موافقا لطبيعة البشر . وظن آخرون بان الاسلام كان تابعا لتمدن العرب وحضارة الخلفاء التي كانت تأخذ  
بالنفوس في دمشق وقرطبة وبغداد وأنه انقضى بانقضاء ذلك قال ( بارتلمي صانت هيلبر ) ما عاد أحد من  
الناس يعتقد الاسلام . والواقع أنهم أخطأوا في معرفة حقيقة الامر من انتشار الاسلام وتمدن العرب فأما التمدن  
فهو أمر يعتبر لغوا في الاسلام أو هو نقيض له وعلى كل حال فهو عارض فيه وساعدت الظروف على نموه بجانب  
القرآن ولو أنه استمر لطفأ نور دين النبي العربي بسقوط الامراء في مهواة عدم التصديق وقلة الايمان وانحياز  
الأمة الى عالم التخيل والاهام . وبينما كان هذا حال مدن الخلفاء الآلهة بالعمران فلا تحصى شعراؤها ولا تعد  
الأدباء وفيها الفلاسفة يتناظرون والعلماء في المعارف يتناقشون كانت صحارى العرب وليبيا وأفريقيا محتفظة على  
الدين الاسلامي في كماله الأصلي ولم تمسه فيها يد أجنبي عن تعاليمه أو خارج عن شرائعه هنالك كان منبع رسل  
ذلك الدين الذين انتشروا في الاصقاع كاندل عليه قبورهم البيضاء التي نشاهدها الآن في افريقيا الشمالية

وسنحصر كلامنا في انتشار القرآن على قارة افريقيا وانما نذكر على سبيل العرض أن له في الصين  
عشرين مليوناً (١) من النفوس وأن للمسلمين ويقال لهم عندهم (هوى هوى) منزلة عليا في المملكة لوسطى  
قال موسيو ( وأزليف ) وهو من الذين اشتغلوا بالاسلام في تلك النواحي ان مصيره القيام مقام مذهب  
( ساكياموني ) (٢) وان لمسلمي المملكة السماوية اعتقادا جازما بان الاسلام لابد أن يسود حتى تزول به  
تلك الديانة القديمة البودية وهي مسألة من أهم المسائل اذ الصين آهلة بثلاث العالم أو تزيد فلو صاروا كلهم  
مسلمين لوجب ذلك تغييرا عظيما في حالة تلك البلاد بأجمعها فيمتد شرع محمد من جبل طارق الى المحيط الاكبر  
الهادي ويخشى على الدين المسيحي مرة أخرى ومعلوم أن أمة الصين عاملة وان هدأت أخلاقها وجميع الأمم  
تستفيد الآن من عملها فلو جاءها التعصب الاسلامي ذوالبأس القوي لخشيت بقية الأمم من السقوط تحت سلطانها  
(٣) وقال موسيو ( مونطيط ) لقد صار من المحقق ان الاسلام ظافر لاحتالة على غيره من الأديان التي  
تنزع البلاد الصينية (٤) والاسلام قليل في أوروبا ومع ذلك نراه في شمال تركيا الى ليطونية وهو أيضا

(١) كلا . بل هم ٧٠ مليوناً الآن (طنطاوى جوهري)

(٢) هو أحد ملوك الصين تخلى عن الناس في التاسعة والعشرين من عمره وعكف على العلوم حتى برع  
فيها وسمى نفسه ( بودا ) ومعناه العالم أو المتنور ووضع المذهب الذي اتخذه الصين والهندينا وكان ظهوره  
في القرن الحادى عشر قبل المسيح وقيل في القرن السابع وهو الأرجح

(٣) راجع كتاب موسيو دابرى المسمى الديانة الحمديدية في الصين وتركستان الشرقية المطبوع في  
باريس سنة ١٨٧٨

(٤) راجع مجلة تاريخ الديانات في شهرى مايو ويونيو سنة ١٨٨٣

في أمريكا حيث أدخله الزنوج وغيرهم إلا أن أفريقيا لا تزال بلده المصطفاة فهو فيها كالديانة المسيحية في أوروبا قال موسيو (بولنيك) يسكن المسلمون جميع الشواطئ من (سياراليون) إلى موزنبيق البرتغالية مارا بمراكش وولايات البربر (المغاربة) وقنال السويس وأما في الوسط فيمتد الإسلام من البحر الأحمر إلى المحيط الأتلانتيقي ومنه إلى البحر الأبيض المتوسط إلى الدرجة السادسة من العرض الشمالي وتقدم أنه في الساحل يمتد إلى موزنبيق البرتغالية أعني أنه يقرب من الدرجة العاشرة من العرض الجنوبي وفي (مدغسكر) كثير من المسلمين حتى أن بعض المستشرقين ذهبوا إلى أن اسم الجزيرة (مدغسكر) أصله مأخوذ عن العرب قال موسيو (مونيط) وأكثر انتشار الإسلام في أفريقيا فهو يتقدم فيها تقدما سريعا وينجح نجاحا كبيرا لأن أزر المسلمين فيها مشدود بما لهم من المكنة في الجهة الشمالية وهم آمنون على سلطانهم الدينية في تلك البقاع التي تغيب في الصحراء حتى تبلغ بلاد السودان الواسعة فلا ينارح الدين الإسلامي دين غيره لذلك يكثر عددهم ويزدهر الدين على السواحل

وقد تخطى سيره السودان وأشرأب نحو أرجاء خط الاستواء وكان له مقر يقرب من أملاك فرنسا في بلاد النيجر لذلك عرفه ضباط الطلائع وإن كانت معرفة سطحية ولكننا لم نقف على سيره تماما إلا عندما استولينا على الكونغو وشاهدنا القوافل الإسلامية تهرب أمامنا كمن يريد أن يخفي سرا عن أجني والمسلمون اليوم محصورون بين أملاكنا في شمال أفريقيا وصرا كزنا في الكونغو وسنغال حتى كأنهم في قراصة نشدها أو نفسح فيها حسب ما تقتضيه سياستنا

ولانتشار الإسلام في وسط أفريقيا منبعان الأول في الغرب وهو قديم امتد أثره إلى الشاطئ الأتلانتيقي حيث دخل القرآن واعتقده سكان تلك الجهات ولكنه انثنى أمام تقدم الفرنسيين من ناحية سنغال إلى بلاد النيجر ولم يزل ينثنى أنا فآنا حتى خرج من (نيسكتو) وهي منبعه الأصلي إلى (سقطو) ومنها إلى (كانو) ثم إلى (كوكا) والظاهر أنه استقر فيها وأما المنبع الثاني في الشرق وهو حديث العهد ويصل أثره بين (وداي) ودارفور بمحركين هما المهدي ورئيس الطائفة السنوسية ويفصل بين هذين المنبعين أنهار (شاد) و(أشاري) و(لونغوني) الجنوبية وأهل الشرق أهل محروب متعصبون أمام قوم الغرب فيميلون إلى التجارة والمسالمة وكان الفريقان يتقدمان بالإسلام بين الوثنيين المجاورين لهم على امتداد اثني عشر ألف كيلو متر حتى تلاقوا بالفرنسيين قبيل الكونغو نواحي نهر شاد فلم تفر أعينهم لهذه اللقيا لأنهم كانوا هجروا البلاد التي هاجها الكفار وظنوا أنهم يأمنون لقاءهم في الجنود فلا يجدون غير الوثنيين ممن لم يعرفوا للأوربيين خبرا ويقال إن الأورباوين الذين التقوا معهم أنوا من أقطار بعيدة في الجنوب حيث تمت لهم فيها السيادة ولهم فيها صراكب ومدركات تروح وتغدو في أنهار واسعة تجري من الشرق إلى الغرب

ومن الأمور ذات الأهمية الكبرى بالنظر إلى انتشار الإسلام توسط الأورباوين في أفريقيا وحاولهم في نهر الكونغو لأنهم بذلك قسموا القارة الأفريقية من طرف إلى طرف وربما يخشى على حركة الإسلام الذي كان يمتد ويرويدا زويدا مطمئنا من الشمال إلى الجنوب كما يخشى على التجارة التي كانت تروح وتغدو مع القوافل الإسلامية فينعكس مجراها فتميل إلى العرب نحو نهر الكونغو لذلك اشتغل رؤساء المسلمين بهذا الأمر اشتغالا لا مزيد عليه حذرا من انقلاب الحال في تلك البلاد ولقد يفيد التأمل أن يعرف كيف كانت نتائج مقابلة الأورباوين القادمين من جهة الكونغو مع المسلمين النازلين من السودان لولا أن هذا البحث يبعدنا عن مقصدنا فلنقتصر على البحث عن العلة في حياة الدين الإسلامي تلك الحياة القوية وما السبب في انتشاره هذا الانتشار العجيب وهنا يجب البحث فيما إذا كان الإسلام ديناعوميا بطبيعته أو هو دين خاص بامة من الأمم وهو بحث طرق بابه من قبل (موسيو كينان) والجواب عليه صريح لا شك فيه من الجهة العلمية فالإسلام دين عام بغير شبهة

لأننا نشاهد المسلمين في كل أمة على اختلاف الأجناس والبلدان ففهم الشرق والتتري والفرسي والهندي والزنجي نبي علينا أن نعرف مع (موسيو كينان) أن كانت هذه الحالة العمومية ناشئة من طبيعة الدين أو متولدة من أسباب أخرى وهو يرى أن الأمة العربية ليست مهتدة الطيبى وإنما هو ينتهى إليها وليس في طبيعة هذا الدين انه دين عمومي وهو قيد ناشئ عن نظر في الموضوع من إحدى جهاته فقط لان الدين الاسلامي الذي مفشوه القرآن والسنة هو الذي تولد عنه ذلك الاسلام الذي يعترف المؤلف المشار اليه بأنه دين عام لا محالة وانتقاله من حالته الاولى الى الثانية حصل تدريجاً بطريقة يتعذر ضبطها وذلك بتأثير الزمان والأهم المختلفة التي اعتنقتة بحيث يتعسر التفريق بين تقدير تأثيره من حيث هو في أصله وتأثيره بعد أن صار كما نراه في هذه الايام فلا يفتن (موسيو كينان) اذا حذف تقسيمه الاسلام الى أولى ولاحق وقلت فيه كله كما قال في كتابه انه دين عمومي

على ان الانتقال من حالة أولية الى غيرها ليس عرضاً خاصاً بالدين الحمدي بل تشترك فيه جميع الاديان فما يهزى الى حالة الاسلام الحالية انتشار مذهب الزهد والاعتقاد بالاولياء وبعض الأموات وكثير من التعبدات الأخرى ، وسببه أن المرء طماع في الدين باصل الخلقة ولكل أمل خاص ومن هنا تولدت تلك المذاهب والافكار ارضاء لشهوات تشتد ظهوراً كلما تقدم العهد عليها ولم ينفع الاسلام من لوازم هذه الضرورة بل خضع اليها وأداها حقها وهذا من أكبر أسباب تقدمه ولكنه أيضاً سبب من أسباب تناقضه لان تلك المذاهب تخالف مبدأه ولقد تجدد النفوس التي رفعت أعتنا الى السماء ومالت الى التجرد عن الحواس ورغبت في مشاهدة الحضرة الربانية طريقاً مساوياً في مذهب التصوف يسهل عليها النسك والتعبد وقيل يلوهم بعض المتشدد من العلماء وان كان التزهيد بهذه الصفة أى الاعتقاد بالوصلة بين العبد والله مما يخالف مذهب التوحيد . ومن الناس من يرى نفسه بعيداً عن ربه فلا يستطيع أن يرفع دعاءه اليه وهو في بعض الأحيان غريب (كقوله إلهي ارزقني من الأبناء ذكورا ولا تجعل ماشيتي تلد الاناثا) ولمثل تلك الافهام وجد في الاسلام مذهب الواسلين والذين صار بيدهم توزيع كثير من المبرات في اعتقاد العامة واليهام صار يرسل الجع العديد من القوم الذين ضلوا سواء السبيل فيجتمع اليهم قطاع الطريق والشحاذون والنسوة العاقرات وشبان يريدون الثروة أو الجاه وشيوخ نصب عود قواهم مع اننا لو رجعنا الى القرآن رأينا التصديق بالاولياء غير شرعي ولوجدنا أن النبي ﷺ حرم الاعتقاد بهم - والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون - والواقع أن الاسلام في مبدأ ظهوره ما كان يقبل غير الاعتقاد بالله الواحد الأحد وقد بقي هذا المذهب كما بدا فهو اليوم جامعة تلك المذاهب واليه ينتهى كل اعتقاد

ومن مزايا الاسلام أنه دين رحيم فهو يعد اللجنة والنعم لكل مؤمن من دون تمييز على التقريب فالجارب يموت شهيداً والعالم يكتب في تلاوة القرآن والاثنان مقبولان عند الله وللفقير مكان على وللفني درجة رفيعة ولقد كان فكر النبي في الألوهية من أرفع الأفكار وأسمها ولكنه تساهل كثيراً في تقدير الانسانية لذلك تسامح الناس كثيراً في رغباتهم وما كانوا اليه يميلون . نعم يجب على الرجل أن يعتقد ويعبد الله ولكن لا يجب عليه أن يحارب نفسه ويعذبها العذاب الاليم ليقهرها اذ لا ينبغي له أن يطلب لنفسه السكالم ولن يصل اليه لان من أراد السكالم فكانه أراد أن يساوى الاله في جلاله وهو أسوأ الأعمال وأخبت الرغبات وكان رسول الله ﷺ يميل الى بعض ما يميل الناس اليه من المشهيات فكان يقول على أسلوب بسيط (حبب الى من دنياكم ثلاث النساء والطيب وقرة عيني في الصلاة) ولقد يعسر الجمع بين هذا التفضيل وبين الميل الى النساء حتى يكاد العقل أن يرى في الأمر تهكماً ولكن هذه الجملة لا تحتوى في الحقيقة على معنى خفي بل ما يفهم من لفظها هو الذي قصد منها ومن وعائها فقد عرف الاسلام كما ينبغي وقد ورث المسلمون عن نبيهم ميلهم الى ما كان يميل اليه فللصلاة في قلوبهم منزلة سامية وليس التعبد بها عندهم خاصاً بالنساء والأطفال كما هو عند المسيحيين بل هي منية من

مزاياء الرجال واحدى جهات فضلهم على النساء ولا يواظب عليها الصبي أو المرأة الا نادرا الاعتبارها عند المسلمين من أعظم الأمور التي تلزم فيها صفات الرجل التام (١)  
ومع ذلك فمن الشهوات ما نهى النبي عنه وأمر بمجاهدة النفس فيه فقد حرم على المسلمين شرب الخمر وكل شراب يؤثر مثله وقد بالغ المسلمون في العمل بهذا النهي فساكن من وراء ذلك أن نجت الأمم الإسلامية من مرض المسكرات وهي الداهية التي تفجع اليوم أمما كثيرة من المسيحيين وكانت إحدى الأسباب في اضطراب المجتمع الانساني وظهور مذهب القوضيين مما توجهه الأمم الإسلامية

هكذا جذب الاسلام قسما عظيما من العالم بما أودع فيه من إعلاء شأن النفس بتصور الذات الإلهية على صفات فوق صفات البشر تدكرها خمس صلوات في كل يوم وبما اشتمل عليه من الترفق بطبيعة البشر حيث أتاح للناس شيئا مما يشتهون وأعظم عامل في انتشار الاسلام خصوصا عند الأمم الزنجية (السود) بساطة مذهبه وسداجة تعاليمه وهو سبب موجود في القرآن نفسه فهو بذلك يلائم طباع الهنوع كثيرا الذين لم يعرفوا دينا من قبل ذلك . دينا لا اسرار فيه وكلمته أى كلمة الشهادة يعتاض عنها عند الاحتضار بإشارة تدل عليها كرفع السبابة الى السماء اشارة الى وحدانية الله تعالى فكما وجد الرجل الجاهل أمامه دينين متحدين في حقيقتين وحدانية الله وخلود الروح وهما الاسلام ودين عيسى تراه يختار الدين الذي لا يزيد شيئا عن تبتك الحقيقتين ويعتق الاسلام بلا محالة وهي قوة يفضل بها القرآن الديانة المسيحية في الانتشار وكانت معروفة عند القرن السابع عشر لذلك نقرأ في كتاب القس (ماراشي) الذي سماه (الرد على القرآن) «ولا يغيب عن ذهن القارئ ان تلك الطائفة الشريرة أو المخرفة أو ما نشاء من الاسماء لا تزال حافظة لسكل ما في الدين المسيحي من الأمور الظاهرة والوضوح القرية التصديق مضافا اليه ما يوافق نظام السكون وقانون النشأة الدنيوية فقد أبعد عنه أحاجي الانجيل التي نخاها في أول الامر غير صحيحة لا تدركها العقول كما أنه جرد تعاليمه من كل قاعدة يشد بها الخناق على البشر مما جاء في ذلك الكتاب وهذه الوساطة تمكن من رفع العقبتين اللتين يحس كل واحد منا بانهما الحاجز بينه وبين الدين الحق الصحيح وهما عقبة الروح وعقبة الجسم وهذا هو السبب في أن الوثنيين الذين يريدون ترك دينهم في أيامنا هذه يعتاضون عنه بالاسلام دون الديانة المسيحية»

بقي علينا أن نستقصي الأسباب والوسائل المستعملة الآن لانتشار الاسلام وهنا أيضا نجد سببا عظيما من أسباب انتشار القرآن فراقعوا راية الاسلام هم في العادة تجار بلد واحد تصافروا على جلب الرزق من بلاد قاصية فالمبشر الاسلامى (وليلاحظ أن هذا الاسم غير صحيح عند المسلمين اذ ليس لديهم مبشرون منقطعون لهذا الامر كالمسيحيين) لا يوجب عند الامم الجاهلية خوفا منه ولا فرقا لمقدمه كما يحصل لهم ذلك من المبشرين المسيحيين وهم كما قال موسيو (مونتيل) يعتقدون دينه لأنه لم يعرضه عليهم فاما أشبه الأمم بالأطفال ترغب عما يقدم اليها وترغب فيما تحسبه ممنوعا عليها أما الطرق المستعملة في انتشاره فكثيرة متنوعة وأحسن موقع نبش في عنها جهات أفريقيا بجانب الأملاك الفرنسية قرب خط الاستواء فليس من جهة يشاهد المرء فيها تقدم الاسلام أحسن منها

والقائمون بهذا العمل هم (الفولبوسيون) وهم الجنس الأبيض في السودان وله الأولوية على غيره . وهو أعرق في الاسلام واليهم أشربا عندما قلنا بأن أحد منبجى الاسلام أقاليم نهرشادر وقد شاهدهم المكتشفون الفرنسيون في (شاري) و (لونغونه) والفولبوسيون يقصدون نشر الاسلام وتوسيع متاجرهم ثم هم يرمون الى غرض آخر هو اتساع نطاق سلطنتهم فلهم خطط سياسية في الاستعمال مثل أوروبا يعملون لاجلها في أفريقيا قال موسيو (مستران) أن الذي ألفت ذهنا كثيرا لما قدمنا الى جهات شاري هو النظام السياسي الذي تمكنت ملوك الاسلام في أواسط أفريقيا من ايجاده بين الأمم التي دانت لسلاطنتهم (الفولبوسيين) مساعد كبير من عشار

(١) كلا . فالصلاة واجبة على كل بالغ رجلا وامرأة



يقال لها الخواصة وهم من الجنس الأبيض وأقرب عهد بالاسلام وأقل منهم منزلة فدينتهم اليهم كنسبة اليهودى للعربى ولقد شبهنا باليهودى لانه تشبيه قال به جميع الرواد والمكتشفين من الاوروبوين فالخواصة أمة لازمة لكنها محتقرة كما هو شأن اليهودى يحب المال ويتمسك به طرق اكتسابه ولا يخاطر بمتجره فيسير خلف (الفولبوس) وهو رجل الحرب والفتوح ولا يستقر به القرار الا اذا آمن وتمسك بالخواصة هم أهل المعارف والعلوم فى السودان حتى كانوا احتكروها الا أن علمهم قصر على شئ يسير كالقراءة والكتابة فى اللغة العربية وهو كاف لنفوذهم فى الوثنيين لأن هؤلاء يعظمون الكتاب والقارىء الى درجة العبادة تقريرا ومع ذلك فلا يزال الخواص وضع الدرجة فى عين متبوعه الفولبوس ، فالفولبوسيون هم أنصار الاسلام فى الحقيقة والخواصة منهم بمنزلة الوعاظ والفقهاء ، ويعزى امتداد سطوة الفولبوس دينيا وسياسيا الى تدخلهم فى الخصومات التى تتكرر بين القبائل الوثنية المجاورة اليهم فلا تخصم الأهالى إلا وتدخل الفولبوسيون ، أما الجهات التى اجتمعت فيها قلوب الوثنيين وخفت وطأة الشقاق لديهم فلا يدخلون بينهم بدنيهم وسياسيتهم إلا بالعناء ويتوصلون الى غرضهم فى الغالب عند ما تركب جريمة قتل أو سلب حيث يوجد قوم من المسلمين لأنهم يرسلون اليهم الكتائب لتقتص منهم وبذلك ينتشرونهم وتعلمو كلهم ، ومهما تنوعت أسباب تدخلهم فان طريقة سياستهم تدل على حنق واقتدار فيها ومرجعها الى مبدأ الحياية الذى توصلوا الى وضعه بين الأمم الهامج كما رواه موسيو (مستر) فن احتذى بهم فقد أمن ومن خرج عن طاعتهم أصبح مهتدا ، ومتى احتجت بهم قبيلة ذهب رؤساؤها الى ملوك الاسلام فى السودان فيولونهم المناصب ويلبسونهم الخلع ويردونهم الى أوطانهم يحكمون فيها باسم سلاطين المسلمين وتحت رعايتهم ، فان كانت القبيلة أو القرية عظيمة أرسل السلطان اليها رسولا من قبله ليلاحظ حكومتها بالنيابة عنه والسفراء كلهم من الخواصة يكونون بجانب الحكام مستشارين ذوى كلمة ونفوذ ومعارفهم وماتعلموه من الأحكام بالقرآن تؤهلهم الى القضاء لمنفعة اللاجئين اليهم وهم كالعالم يجتمع حوله التجار الوافدون من السودان ، وقد يتفق أن بعض القبائل الوثنية لا تخضع من أول ظهور الفولبوسيين بينهم هنالك تسطو عليهم قبائلهم فتسلب منهم وتأخذ بناء الرؤساء فتبعث بهم الى السودان حيث يتربون على مبادئ الخواصة ، وبعد زمن يرجعونهم الى بلادهم فيقومون فيها كنواب عنهم مثل الحكام الذين ترسلهم الممالك الاوروبية فى مستعمراتها ، وفى تلك الأثناء ينتشر الاسلام بمجرد الاختلاط والمعايشة وحسب التقليد بدون أدنى اكراه ولا نفيعين رسل أو مبشرين إذ بمجرد أن يشتري الوثنى خرقة القطن من أحد الخواصة ويستربها عورته يأخذ فى تقليد البائع فى الصلاة كالقردة ويتعسر بيان اللحظة التى يصير فيها مسلما حقيقيا لأن اسلامه يأتيه تدريجا ، ومتى كثر عدد المسلمين فى بلد أقام فيها الفولبوسيون مدارس يتولى الخواصة التعليم فيها ولكنهم لا يتدخلون فى نشر الاسلام مباشرة بين البقية بل يتركون ذلك للخواصة أولاها الى أنفسهم

ونذكر من الوسائل الناجحة فى يد الفولبوسيين لانتشار الاسلام الزواج فان سلاطين السودان يتزوجون من العائلات الوثنية لهذه الغاية ولاتمكث النساء وأولادهن حتى يصير الكل من أقوى الأسباب على انتشار الدين الاسلامى ، وقد أشار موسيو (رونان) الى ذلك فى بعض مكتبته حيث يقول « من الصعب أن يصم المرء أذنه اذا تقدمت اليه النساء والأطفال ومد كل يديه اليه وطلب منه أن اعتقد بمن نعتقد »

على أن الزواج هو السبب فى وجود أنصار الاسلام الأولين ، وكثيرا ما تزوج النبي ﷺ لخدمة دينه لا لشهوة فى نفسه ، فقد صرح بأن الله أباح له الجمع بين عشرة نساء خلافا لما فرضه جميع المسلمين وهو اختصاص تدرك غايته لمن تأمل فى الامور لأنه كان معصوما عن النساء حتى بلغ الخامسة والعشرين من عمره وتزوج بالسيدة خديجة بعد وفاة زوجها الأول وقضى خمسة وعشرين سنة بعد ذلك مع هذه الزوجة وكانت

تلده ولم يمل الى ما أباحت العرب قبل الاسلام وأباحه القرآن بعد ذلك من تعدد الزوجات ولم يتسر ثم توفيت خديجة سنة ٦١٩ م وعاش بعدها اثنتي عشرة سنة تزوج في خلاطها بعشر نساء ليس بينهم إلا اثنتين كانتا بكرًا والباقيات مطلقات أو متمرلات . قال (رولان) ان كثرة زواج النبي كانت ليزيد في نشر أوهامه وهو قول يقصد به قائله القديح ولسكنه حجة على أن النبي ﷺ لم يكن في تعدد الزوجات شهويًا

هذه هي أهم الأسباب في انتشار الاسلام ولست أدري أ كانت تكفي لادراك سرّ هذا الدين في انتشاره أو انه يجب البحث معها عن أسباب سماوية ، غير أن الاسلام خرج من ذرية اسماعيل وسرى في الأرض كما خرجت المسيحية من ذرية اسحق ، وقد بارك الله في أبناء الخادمة كما بارك في أبناء السيدة ، ونحن نعلم أن يهوذا قال لابراهيم عن اسماعيل انه سيبارك فيه ويكثر من نسله كثيرا وكرره ذلك بقوله انه سيبارك له في ابن الخادمة فتخرج من صلبه أمة كبرى لكونه من أولادك ، وأعاد يهوذا هذه البشرى مرة ثالثة لوالدة ذلك الطفل الذي نجا في الصحراء حيث رمى ليموت عطشا ، وقصة ظهور الملك الى هاجر من أجل الروايات ووصف بادية الظمأ ولف الأم على ولدها من ألطف ما يقال ( نضب الماء في الزق ورمت هاجر الطفل تحت شجرة وابتعدت قليلا ثم جلست أمامه على مسافة صرعى النبل وقالت لست أصبر أن أرى ابني يموت ثم رفعت صوتها بالبكاء وقد كان بكاء الطفل قد سبقها الى السماء فناجها الملك من قبل الله : مالك يا هاجر لا تخافي فقد سمع الرب صوت الطفل من المسكان الذي وضعته فيه فقومي وساعديه على القيام وليشتد ساعدك على حمله فسيكون من ذريته أمة كبرى )

ولقد ارتعشت يدي عندما مدتها لأزيل الغطاء عن الكتاب المقدس كي أنقل الآيات التي سطرتها ولولا ما قاله الأب بروغلي من أن تقدم الاسلام أمر منسرج تحت ما بشر به أبوا المؤمنين لما تجرأت أن أطبق تلك الآيات على الاسلام ولا ذهبت الى أن في انتشار هذا الدين سرا من الأسرار الربانية . انتهت اللطيفة الثانية

### ﴿ اللطيفة الثالثة ﴾

( في قوله تعالى - يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا - الى قوله

تعالى - وأعد لهم أجرا كريما - ﴿

( في هذه اللطيفة أربعة فصول )

(١) في الذكر الكثير

(٢) والتسبيح

(٣) وصلاة الله وملائكته على المؤمنين

(٤) وفي التحية والسلام

﴿ الفصل الأول في قوله تعالى - يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا - ﴾

إني لأعجب كيف أقرأ نفس هذا المعنى في كتاب ﴿ راجايوقا ﴾ ومعناه الحكمة التامة المترجم سنة ١٨٩٦ في أمريكا وقد ألقاه المترجم عدّة محاضرات في تلك الأقطار بعد أن ترجمه من اللغة الهندية القديمة وقد أشرت الى هذا الكتاب فيما مضى من التفسير صرارا ونقلت عنه ما يناسب الآيات ، إن في الكتاب مسألة الذكر الكثير وقد أوضحها الهنود فيه ايضا عجيبا ، يقولون منذ آلاف من السنين قبل النبوة المحمدية ماملخصه « إن الانسان لا يعيش إلا بالتنفس ، والدورة التنفسية لها الحكم على الدورة الدموية ، وعلى مقدار الآثار في الدورة التنفسية تكون الآثار في الدورة الدموية والدورة الدموية تؤثر في الأعصاب والأعصاب توصل الآثار الى العقل ، ولو أن امرأ حكم أمر تنفسه فأخذ يدخل الهواء ويخرجه بالتدريج شيئا فشيئا ثم يحفظه في الرئة

قليلا قليلا بقدر امكانه ، ثم يخرج به بالتدريج عدّة صرات ويكرر ذلك في اليوم والليلة عدّة دفعات بشروط خاصة فان ذلك يهبطه قوة في العزيمة والارادة ، ومعنى ذلك أن زمام العقل والتفكير والارادة في يد أعصابنا وأعصابنا في يد الدم والدم في يد النفس ، فاذا أحكمنا النفس ، وذلناه لنا ذل ما بعده ونخضع لنا ، وهنالك تكون الارادة والعزيمة طوع تفكيرنا .

ولست أقول لك إن هذا القول يمكن العمل به بمجرد هذا البيان ، ولكنني أقول يمكنك أن تتنفس كل يوم عدّة صرات في الخلاء بحيث تدخل النفس بالتدريج وتجسده وقتا ما على قدر طاقتك ثم تخرجه وتقلل الفم بقدر طاقتك ثم تتنفس مرة أخرى ، فهذا نافع جدا في الصحة والقوة الجسمية ، وهذا يمنع الزكام وكثيرا من الأمراض ، وليس هذا مقام الافاضة في هذا التنفس فان علم التنفس تقلد الفريضة عن علماء الهند وقد قصدوا به التداوى ونجحوا واستغنوا به عن كثير من الأدوية ، وإنما هذا المقام مقام ذكر الله كثيرا وذكر الله كثيرا انما يكون بالكلام والكلام بالتنفس والتنفس يصل حكمه الى الأعصاب والواصلات الى النخاع الشوكي الآتي بيانه في ﴿سورة فاطر﴾ عند قوله تعالى - والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجا وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه - الخ والأعصاب هناك ﴿قسمان﴾ أعصاب حس وأعصاب حركة خارجات كلها من الحبل الشوكي المتصل بالبلخ ، والحبل الشوكي والبلخ هما المركز الأصلي للاحساس والحركة ، وقد وزعت أعصاب الحس وأعصاب الحركة على جانبي الفقرات توزيعا عادلا وهي (٣١) زوجا والزوج عصب عصب للحس وعصب للحركة ، وهذه الأعصاب تنبج الى أطراف الجسم كاليد والرجلين وظواهر الجلد ، ومتى أحست تلك الأعصاب بطارئ ما وصلت خبره الى النخاع الشوكي والنخاع الشوكي يطير خبره الى البلخ والبلخ حالا يأمر الأمر فيه أعصاب الحركة بالعمل لما يناسب ذلك الطارئ جلبا أو دفعا ، أما البلخ فيه (١٢) زوجا من الأعصاب كلها موصلات للحواس التي في الرأس كالعينين والأذنين والمنخرين ، وكل هذا ستره في ﴿سورة فاطر﴾ كما قلته لك الآن مرسوما مشروحا وهو الذي أجله علماء الهند في ذلك الكتاب الذي قرأته بالانجليزية مترجما عن اللغة الهندية لشرح ذكر الله كثيرا . قالوا ان الأعصاب المذكورة هي الموصلات للأخبار السوافع للحركات ، وليس لهذا الانسان ولا الحيوان إلا امران حس وحركة ﴿وبعبارة أخرى﴾ علم وعمل وهذان النوعان قد تجليا في أعصابنا وأعصابنا خارجات من النخاع الشوكي والنخاع الشوكي متصل بالبلخ وهو مقر الملك وهو العقل المدبر فالمرجع كله لهذا الرئيس المدبر المستوى على عرش ملكتنا ، ولكن هذا الرئيس يتأثر بهذه الأعصاب سلبا وإيجابا ، فاذا أكثرنا من ذكر الله وكرره مرارا فان الكلام حركات في النفس والنفس يؤثر في السورة فيصل الأثر الى هذه الأعصاب وينقل بحكم المجاورة الى الأعصاب فيحصل الحب ويكون الوصول لله . إذن الذكر الكثير لله يقرب اليه

هذا ما أوضحه القوم في ذلك الكتاب ولكنهم يقولون ﴿إن حب الله ربما يفيد الانسان ، ولكن مادام محبا للعالم فانه يكون ناقص النفس فليس كل من أحب الله ووصل اليه وصولا ما يكون كاملا ، فحب هذه الحياة نقص عظيم﴾

أنا لست الآن أقول ان هذا القول كله حق ، ولكنني أقول : المحب ان العرب في جزيرتهم لا يعرفون ما هو ذكر الله والقرآن جاء فيه - واذكروا الله كثيرا لعلمكم تغلبون - والعقل ليس عنده براهين تدل على أن الانسان اذا ذكر الله مرارا يكون له الفلاح وهذا انما جاء بالوحى ، وظهور أعم قبلنا كانت عندها هذه المباحث وعلاوها وفكروا فيها أمر عجيب ، وهذا معنى قوله تعالى - بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم - فهو لاء القوم سبقونا وقد تقدم أن كتاب الفيدا الهندى الذى سبق الاسلام بعشرات آلاف السنين بل جاء في آثار الهند كتاب لعالم منهم ألف منذ نحو (٦٠) ألف سنة يقول : ان كتاب الفيدا لا يعلم متى وجد

فهو مجهول التاريخ والمبدأ . إذن هذه معجزة لدين الاسلام ، وكما في الاسلام من معجزات ، وهنا في هذا المقام معجزة ثانية ، ذلك انهم يقولون « ان في فقرات أسمرين النخاع الشوكي (الحبل الشوكي) الموصل للحس والحركة وفراغ لامادة فيه وذلك الفراغ ممتد من العنق الملتصم الذي لا فراغ فيه الى المخ . قالوا وهذا الفراغ المستطيل الواصل بين هاتين النهايتين ملغى لا يعمل له عند أكثر الناس ولكن هناك أناس قد قويت عزائمهم وعظمت مواهبهم بالأعمال العظيمة وممارسة الذكر والفسكر أو التنفس المتقدم أو ذكر الله فيؤثرون بهذه الأعمال المقويات لعزائمهم تجعل جميع قوى العقل تحت إرادتهم ويقولون ان كل عمل من أعمال الناس أنموه يفتح لهم فتحة جديدة في تلك العظمت المثلثة التي في آخر تلك العظمت وتسمى (اللويس) وهذه يقولون ان فيها سر الانسان وعلمه وحكمته وللانسان (في نظرهم) سالان الحال المعتادة وهي ما نحن عليه من وصول الآثار من الخارج الى نفوسنا بطريق هذه الأعصاب كما هو حاصل للحيوان فلنا وله حس وحركة بهذه الأعصاب الواصلة للنخاع الشوكي الموصل للدماغ . والحال الخارقة للعادة بأن يفتح ذلك المثلث وهو (اللويس) الذي فيه عجب الذنب . ومعنى فتح اتصلت العلوم المخزونة فيه بالمخ والموصل بينهما الفراغ الذي في فقرات الظهر . وهناك يعرف الانسان علم كل شيء فلا يحتاج الى تلك الأعصاب حتى يعرف العلوم القليلة . فكيف هذا وقد أصبح محيطا بالعلوم التي بقدر عليها الانسان بحسب روحه هو لا بحسب ما توصله اليه الحواس كما في الحيوان

هذا ملخص ما قرأته في ذلك الكتاب أوضحته ايضا تاما ولم أدع منه شيئا . فهذا هو المشار اليه بحسب الذنب في الشريعة الاسلامية فان في الآثار والأخبار ما يدل أن الروح باقية وعجب الذنب باق فما معنى هذا ولماذا يجيء ذلك في الأخبار ؟ ولماذا ينزل الله ذلك على لسان رسولنا ﷺ ونفس هذا المعنى جاء في كتب الهنود بطريق آخر وهو ان هذا هو سر الانسان وعلمه . فاذا ورد أن عجب الذنب باق كبقاء الروح ووجدنا أن علماء الهند قبل عشرات الالوف من السنين يقولون « إن عجب الذنب متى اتصل بالمخ من طريق هذا الفراغ فان العلوم المخزونة هناك يعرفها العقل فعنه أن ذلك المكان في نظرهم مستودع العلوم ومستودع العلم عند العقل فسكانه غدة العلم كما ان البنكرياس غدة المادة الهاضمة والغدة البت في الفم جعلت لهضم المواد النشوية والصفراء وغدة المعدة والامعاء كلها لهضم المواد الكربونية والدهنية وهكذا وكالغدة المسماة بالنخامية والمسماة الصنوبرية في الدماغ فان لهما تأثيرا على نظام الأعضاء الجسمية ، وسيأتي أيضا في ﴿سورة فاطر﴾

ولست أقول ان ما قاله الهنود مبرهن عليه في هذا أيضا ولكني أقول العجب أن يتكلم الهنود في عجب الذنب وانه غدة العلم فيما كان وما يكون ويجيء في ديننا أمثال قول علماء التوحيد عجب الذنب كالروح لكن حققوا \* وصوله الى البلى ودققوا

فالعلاء ﴿قولان﴾ قول انه باق كالروح ، وقول انه فان كما يفنى الجسد وليس هذا هو المقصود ، انما المقصود أن يرد هذا في ديننا ويوازن بالروح تارة وبالجسد تارة أخرى فبالأول يحكم ببقائه وبالثاني يحكم بفناؤه ، وعلمنا أن رجاء الله معنورون في هذا ولهم الحق أن يرجحوا فناءه لانه من نوع الأجسام ولكن كلام أهل الهند أرجعه الى العلم المخزون ، وهذه أمور فوق عقولنا لإبرهان عليها ولكن المهم ان هذا معجزة ثانية والله يقول - بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم - فهذه علوم عند أم خلت وربما كانت لها أسرار لا نعقلها الآن ووردت في الاسلام ليعقلها قوم بعدنا ويشرحوها - والله يقول الحق وهو يهدي السبيل - وبهذا تم الكلام على الفصل الأول في قوله تعالى - يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا -

﴿ الفصل الثاني في قوله تعالى - وسبحوه بكرة وأصيلا - ﴾

اعلم أن الانسان اذا ذكر الله كثيرا فتحت بصيرته ، وقد علمت أن أهل الهند سبقوا الاسلام بذلك في الفصل الأول وهذا هو معنى قوله تعالى - شيع لسكم من الدين ماوصى به نوحا والذي أوحينا اليك وماصينا به ابراهيم وموسى وعيسى - الآية وقوله تعالى - ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله - وقد تبين لك أن هذا معجزة اسلامية من حيث تلازم البيانات في الاصول وان كانت مهجورة بعيدة المدى ، ومن اطلع على طرق الصوفية في العالم الاسلامي وجد بينها وبين طرق أهل الهند ملازمة ترجع كلها الى ذكر الله تعالى ولكن بصيغة الاسلام لا بصيغة كتاب (الفيدا) الهندى

ولقد حقق علماء الاسلام أن هؤلاء الناس الذين لا يصل الى المعرفة التي يقول بها علماء الصوفية إلا النادر جدا بل كثير منهم يسهم الجنون فلا تنتفع بهم الأمة وهذه إحدى نكبات الأمم الاسلامية . كثرت فيهم طرق الصوفية وعاشوا عيشة روحية كأهل الهند ولكنهم في الوقت نفسه لم يصل جميعهم الى العلوم التي بشرهم بها أسيادهم ، بل ران على قلوبهم التقليد ، وهناك يحصل لهم شكوك وأوهام فيقول الأذكىاء فيهم « كيف يكون الله أرحم الراحمين وهو يعرضنا ويميتنا وأهل الشرق والغرب في نضال وقتال مستمرين وأصحاب الأسلحة النارية من أوروبا يهجمون على الشرق فيذلون الأمم . ثم ماهذه النظم الأرضية . وماهذه الحرارة والبرودة والمتناقضات في الأرض . وكيف يكون زيد الصالح فقيرا وعمرو الطالح غنيا . إن هذا شيء عجاب ! » فيقال لهم في القرآن - وسبحوه بكرة وأصيلا - والتسبيح تنزيه عما يظن فيه سبحانه من أنه ترك العوالم تتخبط كأنه لم يعن هو بصغيرها وكبيرها بل هي دائرة بالانظام ، ولو كان صانع العالم مطلعا على جلائل الامور ودقائقها لم نجد ناسكا أحرق ثوبه وعجوزا هدم البيت عليها وطفلا ولد مشوها وامرأة مات طفلها فاحترق فؤادها ولاطفت أمة على أمة ولاطفي طوفان الأنهار وحريق النار على فريق من الناس فأهلك الحرث والنسل وهكذا مما لا حصر له . فذكر التسبيح في الآية بعد ذكر الله كثيرا ليكون في الأمم الاسلامية ﴿ فريقان ﴾ الفريق الأول ﴿ فريق العباد (بتشديد الباء) الذين يسبحون الله بكرة وأصيلا إذ يسبحون قوله تعالى - وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلمك ترضى - وقوله تعالى أيضا - الذين يحمداون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا - وقوله - سبح لله ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم - ويسبحون - وسبح بحمد ربك حين تقوم ومن الليل فسبحه وأدبار النجوم - وقوله - وتسبحوه بكرة وأصيلا - وقوله - سبح اسم ربك الأعلى - وقوله - فسبح باسم ربك العظيم -

فهذا الفريق المسبح يكون تكرار التسبيح منيما لما يعلق بنفسه من تلك الشبهات ، فكما أن الذكر يفرحه بربه ويقر به له ، فإن التسبيح بتكراره بكرة وأصيلا يمرت النفس على أن تتباعد عن تلك الشبهات وتوطن الضمير على أن يعتقد أن الله منزّه عن الشرور أو الغفلة ، وأن ما نشاهده من تلك المصائب في هذا العالم هو يعلم نتائجها وله فيها حكم عجونا عنها ، فالتسبيح إذن أشبه بالحارس الذي يحرس العقل من التعرض لهذه الشبهات ، فهنا ﴿ أصران عجيبان ﴾ الذكر بقوله - اذكروا الله ذكرا كثيرا - وذلك لاستحضار المذكور وتكون النتيجة حبه ، ولكن الحبيب الذي يفسد الواشى حبه معرض حبه للذهاب فتكون القطيعة فجأة بعد ذكر التسبيح وتكراره يحصل ما يشبه التنويم المغناطيسي فتذهب تلك الوسواس فيبقى الحب على حاله حتى اذا فارق الانسان هذا العالم فهناك يدخل في عوالم يفهم فيها ما جهل هنا . فالتذكر تخليّة والتسبيح تخليّة ولذلك نسمع الله يقول - الذين يحمداون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم - فالجد نوع من الذكر والتسبيح تخليّة عن تلك الشبهات . ويقول - دعواهم فيها سبحانه اللهم - فجعل التسبيح

مع الحمد ﴿و بعبارة أخرى﴾ التخلية مع التخلية . هذا هو الفريق الأول وهم العباد (بشديد الباء)  
﴿الفريق الثاني في الأمم الإسلامية﴾

الفريق الثاني في الأمم الإسلامية هم الذين يسبحون الله بكرة وأصيلا كالفريق الأول ولكنهم لهم عقول راجحة فلا يقفون عند الشبهات التي ترد عليهم بتكرار التسبيح لأن العابد درجته محدودة ولكن العارف بالله أرقى من العابد . فيقول هذا الفريق : نحن قرأنا في ﴿سورة آل عمران﴾ - الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه فقلنا عذاب النار - فيقولون ههنا سمعنا ذكر النار وعذاب النار بعد الذكر والفكر . وههنا يقولون الذكر للعباد ولكن العارفون بالله لا يقفون عند الذكر فهذه مرتبة ضيقة بل يتفكرون في جلال ربهم وصنعتهم

وهذا معنى قوله - ويتفكرون في خلق السموات والأرض - . نعم نحن نسبح في الركوع والسجود وبعد الصلوات . ففي الأولين (١١) صرة وفي الثالث (٣٣) وعند النوم كما في الحديث (٣٣) أيضا ونسبح بكرة وأصيلا . ولكننا لا نقف مكتوفي اليدين أمام عظمة ربنا وجلاله . وهذه الطائفة هي التي ستظهر بعد انتشار هذا التفسير . سيكون في الأمم الإسلامية فطاحل الحكماء الذين لم يخلق في أمة مثلهم وهؤلاء هم عماد هذه الأمة بل هم عماد الأمم . فهؤلاء يعيشون محبين لربهم وخالقه ويجهلون حياتهم كلها في درس نظام الطبيعة وجاهاها ولا معنى لهذا كله عندهم إلا أنهم أحبوا وعشقوا مبدع الكائنات وأحبوه لما نقش وزق وأبدع وأحكم ونوع وصنف . وهذا الفريق فقط هو الذي يفهم لم كان المرض والموت والفقر والطوفان والحرب واحتلال الأقوياء أرض الضعفاء في هذه الأرض . ومستحيل أن ينال هذا الانسان في الأرض إلا بدراسة مجمل العلوم الرياضية والطبيعية لأنها آثار الصانع الحكيم فإن لم ندرس آثاره واكتفينا بقراءة كلامه كنا أشبه بمن قرأ كتاب الملك الذي نشره في رعيته ولم يعمل به . وغاية الأمر أنه يكرر الكلمات التي أرسلها في ذلك الكتاب المنشور . وهذه وإن كانت سخافة وقلة عقل وجهل في كتب المخلوقين فهي ليست كذلك في كتاب الخالق لأن كتاب الخالق عز وجل له منزلة خاصة . فانظر رعاك الله الى أجسامنا وأجسام حيواننا والى نباتنا فإني ترى أكثر نوع الانسان يعيش ويموت وهو لم يدرس هذا الجسم ولا عقل من عجبائه شيئا . وهكذا يأكل من الحب والفاكهة وهو لم يدرس ولم يعرف عجائب النبات كما لم يعرف عجائب جسمه ومع ذلك ينتفع بالفاكهة والحب ويحسسه المجهولات عنده جهلا تاما . أكثر هذا الانسان هكذا حاله ، جسمه المملوء من الجمال في نظام ، وكل ما حوله من مطعوم ومشروب مجهول جلاله عنده ، وهذا الجهل لم يمنعه أن يعيش بجسمه عمرا طويلا ولأن ينتفع بالنبات والحيوان ، وأقل هذا النوع الانساني هم الذين أدركوا جلال أجسامهم وجمال طعامهم وشرابهم من حيث النظام والابداع . فاذا صح هذا في أجسامنا وفي كل ما حولنا وكله من حسن الابداع وسعة الرجة من المبدع الحكيم . فهكذا صح في تسبيحنا . فالمسبح بقوله ﴿سبحان الله﴾ وهو من العابدين قد نال أثر ذلك التسبيح في نفسه فتباعدت عنها تلك الشبهات كما انتفع الانسان بجسمه أمد الحياة وبما حوله من طعام وشراب وهو جاهل بذلك كله . فأجسامنا وتسبيحنا وذكرا أشبه بما قيل في كتاب كليله ودمنه - ولله المثل الأعلى - فهو للجهال حكايات تفرحهم وهول لخواص حكمة وعلم وسياسة . هكذا أجسامنا وما حولنا للجاهلين حياة في الدنيا وللحكاه دراسة بهجة جيلة . فهكذا التسبيح هو للجاهل عبادة تشرح الصدر وللحكيم حث على العلم والحكمة ﴿مثل ذلك﴾ أن ينظر في جسم الانسان مثل ما تقدم في سور كثيرة ، ومثل ما استراه في ﴿سورة فاطر﴾ كما أنبأتك في أول هذا المقال إذ قلت لك إني سأفصل عجائب الجسم الداخلية هناك

فسترى هناك الدورة التنفسية مسومة ، ومثلها الدورة الدموية . ثم أعصاب الحس والحركة . وتجب

جذ العجيب من (غدد) جمع غدة موضوعة في الفم وهي ست وأخرى في المعدة وغيرها في الامعاء وتدهش أيها الذكي من هذه الجنود المجندة التي تقف في طريق الغذاء معدة لاصلاحه مخرجات من خرائنها تلك السوائل الموزعات على أنواع الطعام ، فمنها ما أعد لإذابة المواد الأوزوتية كالتي في المعدة والامعاء ، وسترى ايضاحه هناك مع هذه المادة التي يسمونها (الكيموس) أولا ثم تصير كيوسا بعد ذلك وهي مادة أرق وألطف من الأولى ، فتراها تنتقل من حال الى حال ونجد لها هناك نوعين من العروق ، فالنوع الأول عروق تأخذ السائل الدموي أى الذي استحال من الحال الأخيرة وهي الكيوس الى الحال الجديدة وهي الدم ، فترى هذه العروق هناك تحت القشاء المخاطي في الامعاء فتجذب تلك المادة اللطيفة المستخرجة من الطعام ، وتأتي عروق أخرى فتجذب السائل المستخلص من الدهن فيكون هناك (دورتان) دورة دموية ، ودورة ليمفاوية ، والثانية تشابه الأولى بعض المشابهة من حيث تفرع عروقها في الجسم . ولا أشبه الدورة الليمفاوية إلا بقلع الجنود ونسكنات العساكر ، والمادة التي فيها ليست حراء ولا فرق بينها وبين الدم إلا ان هذه ليست فيها كرات حراء بل تخلق فيها الكرات البيضاء التي تدخل مع السائل اللقائي الى الدورة الدموية ، وهذه الكرات البيضاء هي الجنود التي أعدت لمساعدة الكرات الحراء في الدم التي لونت باللون الأحمر وباجتماعهما معا يحاربان الجيوش الجراحة الداخلية على جسم الانسان والحيوان من الخارج لاحداث الجسرى والحصاء والطاعون وأنواع الحيات المختلفة ، إذن دهن السمسم وزيت الزيتون وزيت بزر القطن والسكران والقرطم وشحم الحيوان . كل هذه أعدت لخلق هذه الكرات البيضاء المحاربات لأعدائنا الداخلية في أجسامنا فإذا كنت منذ أيام قد توجهت الى بلدة (الخانكا) من أعمال مديرية القليوبية وشاهدت الآلة الطاحنة للسمسم وهي آلة بخارية وبها يعصر الزيت وهكذا أمثاله في غيره . فهذا معناه أن هذه الآلات البخارية الفاصلات بين العجينة المسماة (الكسب) والمواد الزيتية التي يأكلها الناس مساعدات لنا على حفظ حياتنا من حيث ان هذا الزيت وأمثاله هو المساعد على خلق الكرات البيضاء في الدم المهلكات للجيوش القاتلات لنا بالأمراض المختلفة . فياسبحان الله . شمس تشرق على الأرض . وحب يبذر فيها . وماء ينزل عليها . وذلك الحب ينبت فيصير حبا مثل الأول وهو السمسم . ثم تلتقه تلك الآلات العاصرة فيكون زيتا . لم هذا كله ؟ ليكون لنا حافضا إذ تأكله الكرات البيضاء التي جعل لها في أجسامنا عروق لمفاوية سيأتي شرحها وماهي الإنسكنات عسكرية . ياسبحان الله : أيكون في أجسامنا إنسكنات كشكنات الجنود التي تحمل البنادق والمدافع والغازات الخائفة لقتل الأعداء . أهذا الزيت المستخرج من السمسم أمامي معدة لشكنات العسكرية جسمي الله أكبر . هذا معنى . وسبحوه بكرة وأصيلا . انتهى الكلام على الفصل الثاني والحمد لله رب العالمين

﴿ الفصل الثالث في قوله تعالى - هو الذي يصلي عليكم وملائكته - الى قوله

- وكان بالمؤمنين رحيما - ﴾

ولاجرم أن هذا الفصل مرتب على ما قبله . إن صلاة الله رحمة . وصلاة الملائكة استغفار . وقد أبان الرحمة بقوله - ليخرجكم من الظلمات الى النور - وصرح بها بقوله - وكان بالمؤمنين رحيما - ذكر المسلم ربه كثيرا فأجبه بذكره الكثير كما نرى بني آدم يحاؤون نظام الجند بتسليم رجالهم على ضباطهم وبتبليتهم نداءهم واصطفاؤهم وقوفا أمامهم وتقرينهم على ذلك وعلى كثرة التعظيم لهم من موجبات انتظام الجيش وحسن تدريبه لما يحصل من الآثار بهذه الأقوال والأفعال في الأنفس . ونرى الملوكة يزور بعضهم بعضا فترفع أعلام الدولتين متجاورتين كما اتفق الملك البلجيكي أيام طبع هذه السورة في شهر مارس سنة ١٩٣٠ م فيحدث ذلك في نفوس الأمتين مودة

فهذا ضرب مثل دنيوى لذكر الله عز وجل وآثاره فى النفوس . وهذا المذكور كما تقدم له حارس وهو التسبيح لتزنيه المذكور عن خلق العالم عبثا لعدم قدرتنا على ادراك جميع الحقائق . وهذا وذلك لا يتيان إلا برحة الله ولذلك قال - هو الذى يصلى عليكم - الخ - فرحة الله هنا جلبت لنا منفعة الذكر وصرفت عنا الشكوك والأوهام الموهوشات على ذلك . انتهى الفصل الثالث

### ﴿ الفصل الرابع فى التحية والسلام ﴾

وهل ببق بعد ذلك إلا التحية والسلام ؟ وبيانه أن الانسان لاسعادة له حقيقة إلا بأمر واحد كما اتضح سابقا فى مواضع وهو الثقة الحققة بنظام هذه الدنيا و بأن كل ما يصنع فى هذا العالم إنما هو خير أو أيل للخير وهذا لن يتم ويشق به الانسان يقينا إلا بالاطلاع على العجائب دواما كالتى ذكرنا فى الفصل الثانى من عجائب جسم الانسان ، وهناك يحس الانسان بالأمان والسلام فى نفسه فى الدنيا والآخرة ، ذلك لأنه اذا عقل ما ذكرناه فى الفصل الثانى وزاد على ذلك أن ينظر فى الدائرة العصبية فانه يرى أمرا عجا . يرى مثلاً أن هناك غدتين فى الدماغ وغدتين بجانب العينين ، فالأولان انتظيم أحوال الجسم والآخرا لافراز الماء المالح الذى يحفظ العين لئلا تنفد ويرى غدة فى الرقبة وأخرى تسمى (التيموسية) وأخرى فى فوق الكليتين ، ويرى الأثنيين فى الرجل والمبيضين فى الأثني ، وهناك يحب جدا من أن بعض هذه الغدد لو أزيل لم يتميز الذكر من الأثني فى المظاهر كشمرة اللحية فى الرجل وانسجام عظام الصدر فى المرأة وكحفظ اللون ، فان بعض الغدد لو أزيل لاصار لوننا كاون البرنز أو النحاس ، وبعض الغدد بآزانه تكبير العظام جدا فتصير كالنخلة والعين كالبطيخة ، وبعضها لو أزيل لحصل للانسان تشنج واختلال عقل ، وبعضها لو أزيل لحصل للانسان البول السكرى أو غيره من الأمراض كما سيأتى تفصيله فى ﴿ سورة فاطر ﴾

هذا هو العلم الموجب لليقين الذى يعرفنا تزيه الله وتسبيحه ، وهو الذى يعرفنا تناهيه فى الرحمة والعناية بنا وبغيرنا وهناك نحس بالسلامة فى الدنيا والآخرة . هذا هو قول المسلم ﴿ التحيات لله ﴾ فهو يحيى الله أولا ثم يخاطب نبيه ﷺ فيقول له مناديا : يا أيها النبى ان الله آمنك فأنت عليم برحمته الواسعة وأيقنت بذلك ، ومن أيقن بالرحمة فلن يصاب بهذاب . ثم يقول السلام علينا و نعمهم عبد الله الصالحين فى الأرض وفى السماء . وفى الحقيقة أن الوجود منحصر فى الموجودات المدركة فأما هذه العوالم فهى كلها كما ظهر فى هذا التفصيل أضواء متحركة تبدت لحواسنا على هذا المنهج للمشاهد

المسلمون يسلم بعضهم على بعض . ويسلمون فى الصلاة على كل صالح . ويسلمون فى آخر كل صلاة فان كانوا دارسين لجانب الحكيم الالهية كما فى هذا التفسير الذى تسكنى دراسته كل عاقل فى الأرض فانهم فعلا يكونون قد آمنوا العذاب من الآن على سبيل الرجاء وان كانوا مؤمنين ليسوا من المطلقين على العذاب أو اطعموا عليها وهم لا يعقلون جهلهم كبحض علماء التشريح وعلماء الطب اذا كان معاموهم غافلين عن الابداع فى التركيب مثلا فالسلام لم يهبط إلا مجرد العبادة ولهم عليها ثواب مؤجل

ومن هذا القبيل انك تسمع الناس يقولون عند التعزية « لأراك الله سوأ » فهذا مستحيل فى الظاهر ولكن فى الحقيقة لاسوء لأن مصائب الناس سبب فى اسعادهم بل هى سلام ارتقاؤهم والموت من منازل ارتقاؤهم . فهم يقولون فى العيد « أبقاك الله لسبب عيد » أو « جعل الله جميع أعيادك سعادة » وكل هذه أدعية مطابقة للحقيقة لأن الناس لا يفتنون بالموت بل هم أحياء . إذن السلام والأمان موجودان وان حجب عنهما الناس . والأولون ثوابهم معجل لأنهم شاهدوا جمال الصانع بمجرد مشاهدة جمال الصنعة وعقاوا حكمة الحكيم فى مظاهر حكمته وذكره عند مشاهدة بدائعه وصار ذلك سجية لهم . فهو لاء فى الدنيا سعداء فما بالك بهم بعد الموت ؟ هذه أقصى سعادة لأهل الجنة . انتهى الكلام على اللطيفة الثالثة . كتب صباح



## ( اللطيفة الرابعة )

( سر من أسرار التنزيل قد أظهره الله في أيامنا هذه بالعلوم الطبيعية مع موازتها بحوادث التاريخ في تفسير قوله تعالى - يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا - وداعيا إلى الله بأذنه وسراجا منيرا -  
جاء في آية أخرى - وجعل الشمس سراجا - وهنا يشبهه ﷺ بالسراج ، إذن هو شمس وهذا كلام الله عز وجل . فاذا سمعنا النابغة يقول للنعمان :

كأنك شمس والملوك كواكب \* إذا طلعت لم يبد منها منكب -

فانا نقول هذا تشبيه لم يكن له أثر في الوجود . ولا جرم أن أعذب الشعراء كذبه وهذا مستفيض فإن الأدب في جميع اللغات إنما تكون نتاجه الانقباض والانبساط وعلى مقدار تباعد القول عن الحقيقة بالباسه لباس الخيال يكون أوقع في النفس . إن نفوسنا المحبوسة في هذه الأجسام تريد أن تنال الحرية ولوفى خيالها فتفرح بأنواع التشبيه والمجاز والكناية . تفرح أن تسمع قول القائل

ففض الطرف إنك من نمر \* فلا كعبا بلغت ولا كلابا

فهذا خفض قوم بعد الرفعة بمجرد هذا التخيل . وقول القائل في بني أوف النابغة

قوم هم الأنف والأذنان غيرهم \* ومن يسوي بأنف النابغة الذنبا

وتفرح بقول بشار

كأن مشار النقع فوق رؤسنا \* وأسواقنا ليل تهاوى كواكب

فبجرد هذا التخيل من بشار رفعه على امرئ القيس القائل يصف عقابا

كأن قابو الطير رطبا ويابسا \* لدى وكرها العناب والحشف البالي

هذه صورة آثار التشبيه عند العرب . فهل قول الله عز وجل - وداعيا إلى الله بأذنه وسراجا منيرا - كقول النابغة \* كأنك شمس الخ \* فنظر في آثار النعمان فلا نجد له أثرا يشبه آثار الشمس . إن للشمس آثارا نراها وهي معروفة عند أهل الشرق والغرب . فهل هكذا آثار النعمان . كلا . ثم كلا . إن التشبيه والاستهارة والمجاز والكنائيات كلها ترجع إلى أصل خيالي . وكلما كان الخيال أكذب كان أعذب . هذا هو اصطلاح علماء اللغة العربية ولذلك تجد الشاعر أيام مجد الأمة العربية كالمثنبي وأبي تمام والبحتري وأضرابهم لا يبتدئون القصيدة إلا بالفرل ويصفون فتاة بالجمال والحسن وانهم هاموا صباية ووجدا وغراما والسامع يعلم أن كل ما يقوله مكذوب ورواة القصائد جميعا يعلمون ذلك . إذن التشبيه وجميع أنواع التخيل التي فصلت في علم المعاني ليست تراد بها الحقائق وقد جعل هذا في علم المنطق ركنا من أركان مادة البرهان الخمسة وجعل هذا الخامس مقصودا لأحداث الاشتمال أو المسرة والقائل والسامع شريكان في العلم بكذبه . إذن لننظر في هذه الآية . ما آثارها في الوجود ؟ وما مناسبة النبوة لآثار الشمس ؟ لندرس الشمس من علم الطبيعة وآثارها في الأرض . لنمثل هذا المقام برجل ماهر في اللعب أراد اظهار براعته فوقف في مكان متسع وقسمه ( ١٨٠ ) قسما وعلم الأقسام بعلامات وذلك في أرض العباسية بمصر ثم وقف في وسطها بحيث يكون ( ٩٠ ) عن اليمين و ( ٩٠ ) عن الشمال وكل ( ٩٠ ) قسمها ثلاثة أقسام بحيث يكون القسم الذي يليه من كل منهما يبعد بنحو ( ٢٥ ) درجة عن موقفه والقسم الذي عند النهايتين قريب من هذا في اتساعه فيكون مكان اللعب في الناحيتين ( ٦ ) أقسام ثلاثة عن يمينه وثلاثة عن شماله . فلما رتب هذه الأقسام قال مخاطبا الواقفين : أيها الناس : أنا سألعب لعبة تدهشكم ولا تقدر أن تأتوا بمثلها فقالوا وماهي قال أرمي بكرتين

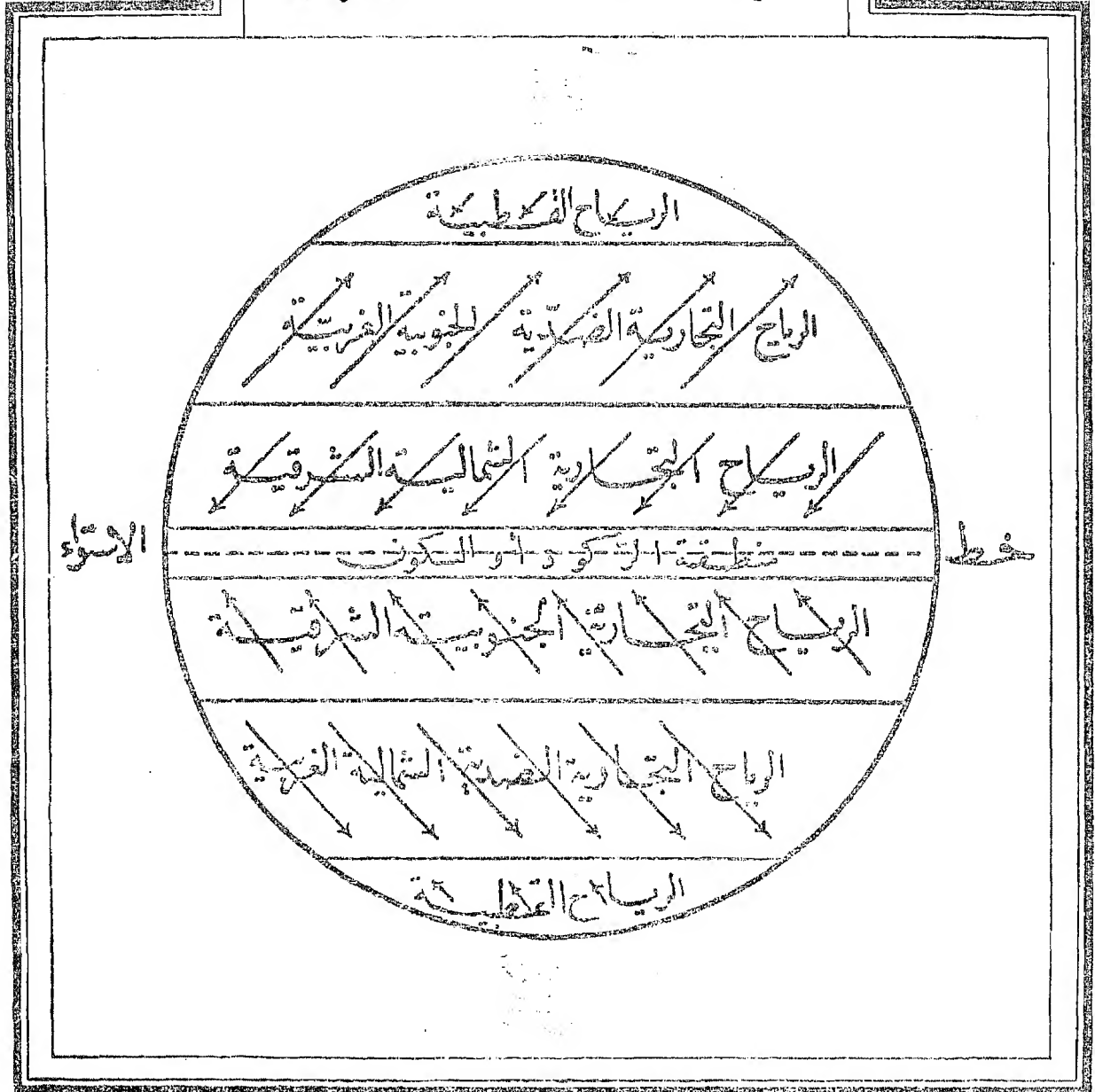
من يدى اليمنى واليسرى (أولاً) تذهب إحداهما الى الشمال وثانيتهما الى الجنوب ولا تقعان إلا عند نهاية القسم الأول من كل ناحية بحيث لا يحصل خطأ منى مدة حياتى (ثانياً) متى وصلت السكرتان فى الجهتين تنقسم كل منهما الى قطعتين قطعة ترجع الى من أسفل وقطعة تذهب الى القسم الثالث من الجهتين . ومتى وصلت هاتان القطعتان الى القسم الثالث يرسل رجلان واقفان على آخر الملعب من الجهتين كرتين أخريين فيرميان بهما فيجدلان محل هاتين القطعتين المرتفعتين فى القسمين المذكورين وهذه الحركات متصلات منتظمة . فاذا رأينا لاعبا فعل هذا فانه لا محالة يدهشنا لاننا نرى كثيرا من الناس يلعبون لعبة (البلياردو) والمدار فيها على أن الكرة المضروبة بالعصا تصيب كرة أخرى بشروط خاصة ، فهناك يحكم للاعب أو عليه ، أما هذا اللاعب فان حركاته متى صدق فيها تكون من أدهش اللعب الذى لا يأتى الزمان بمثله

هذا المثل الذى ضربته قريبا لما ستره ، فالملعب المقسم (١٨٠) قسما هو نصف الكرة الذى نحن فيه ووسطه خط الاستواء ، فالشمس مثلنا لها باللاعب وحرارتها مسطرة على خط الاستواء والرياح تخف هناك فترتفع كما يرتفع الهواء فى منازلنا بسبب الحرارة فى تنانيرنا ، ومتى خف هواء منازلنا هبت رياح شديدة من أبواب تلك المنازل داخلة على ساحاتها مع ان الجوى فى جميع القرية وما حوله ساكن هادى ولا رياح إلا هنا لأجل الحرارة

فهذا المثال الصغير هو الذى يحصل بسبب الشمس فهى تجعل الريح عند خط الاستواء يخف فيرتفع فيذهب الى الجنوب والشمال وهو الذى مثلنا له بالسكرتين . ومتى وصل هذان التياران الى نحو نصف ٢٠ درجة من الجانبين قلت الحرارة الرافعة للهواء فأرادا النزول الى الأرض كما تنزل الطائرة اذا قل ما فيها من (البزق) هناك ينزلان فى تلك المسافة فيقابلان سطح الأرض فتقابلهما حرارتها فيرتفع كل منهما كرة أخرى الى أعلى ثانيا وهو قسمان كما ان الكرة المتقدمة ارتفعت وهى مقسمة قسمين فيرجع قسم منه الى خط الاستواء ليحل محل ما ارتفع هناك من الهواء بخفته وقسم يذهب الى الدائرة القطبية من الجانبين . ومتى وصل هناك وقابل وجه الأرض خف ثانيا بسبب الحرارة فيرتفع وهناك يحل محله رياح تأتى من القطبين وهو الذى عبر عنه باللاعب فى آخر الملعب من الناحيتين والرياح التى من جهة القطبين انما أتت لتحل محل الرياح الصاعدة فى الدائرتين المتقدمتين

هذه حال الشمس والهواء والبرد والحرارة ، اللهم إن الحرارة والبرودة جنسديان سائقان لهذه العوالم وكرة الهواء حولنا هى ميدان العمل ، فما هى حياتنا ياربنا ؟ حياتنا راجعة لتدبير حكيم لو كشف لنا لاحترقت قلوبنا من الحب والدهش ، أمور بدیعة ، ماهذه الأعاجيب ؟ الشمس وحرارة منها سلطت على خط الاستواء فجرت الرياح فقابلت الأرض حوالى دائرتى الجدى والسرطان فتقابلتها الحرارة فارتفعت ثانيا ثم وقعت عند الدائرتين القطبيتين وحلت محلها رياح أخرى ، ثم إن هذه الحركات لا مقطوعة ولا ممنوعة . إن الهواء ساعة وسلكها الذى هو (الزمبلك) هى الشمس . وهذه الساعة لا تقف تدور ليلا ونهارا والناس غافلون تائمون . الناس جميعا يا الله يعيشون ودواليب هذه الساعة تجرى فوقهم وتحتهم وهم يعيشون فيها وغاية الأمر انك أنت علمتهم صناعات ليعيشوا بها وماهى الاضرب مثل هذه الهجائب المحيطة بهم ومن أجلها حرارة الشمس وتأثيرها فى الهواء الذى لولاه لم تسكن هذه الحركات فيه ولم يكن سحاب ولا مطر ولا أنهار ولا حيوان ولا انسان ولا علماء . فلو أن هذا اللاعب فى المثال المتقدم زاد على ما قاله فقال إن هذه الحركات يستنتج منها مخلوقات حية وغير حية لكان هذا من أعجب العجب (أنظر شكل ١ فى الصفحة التالية)

# اتجاهات الرياح



( شكل ١ - قلا من الاطلس الحديث )

انما رسمت هذا الشكل لك أيها الذكي لين يد فهمك بهذا الموضوع وما هو؟ هو المشبه به في الآية لأنه  
 سراج بنفس الآية والسراج يطلق على الشمس، فنريد أن نبين آثار الشمس العامة ثم نتبعه بآثار  
 الاسلام والقرآن في الأرض، ثم نبين آثار أعظم الفلاسفة فعلا في أرضنا، وهناك فقط نفهم أن قول الله هنا  
 - وسراجا منيرا - ليس كقول شعراء العرب في الجزيرة وفي البوادي للنعيمان بن المنذر

✽ كأنك شمس والماوك كواكب الخ ✽ . إن حرارة الشمس تقع على خط الاستواء فيرتفع الهواء  
 نحو (٢٠) ميل، ومعاوم أن الحرارة تمتد الأجسام فتتخف كما قدمت لك، ومتى ارتفع الهواء بسبب الخفة  
 تحل محله رياح من الشمال والجنوب ثم هو يتأثر بالحرارة ثانيا ويرتفع وهكذا، فترى الرياح المرتفات عند خط  
 الاستواء تجرى إلى الجهتين ورياح أخرى تجرى من تحتها من الناحيتين إلى خط الاستواء فهي دائرة دائما  
 أبدا. وهذه أشبه شيء بالدولاب يجرى ليلا ونهارا وكالنجوم والشمس والقمر. والتي تهب إلى خط الاستواء  
 من الناحيتين تسمى الرياح المنتظمة أو الرياح التجارية المرتفعة إلى الشمال والجنوب تسمى الرياح  
 التجارية الضدية والرياح الآتية من القطبين تسمى بالرياح القطبية. فهنا رياح تجرى من القطبين ورياح  
 تجرى من خط الاستواء ورياح تجرى من بعد مخصوص إلى خط الاستواء وإلى الدائرتين القطبيتين. وهذا  
 هو التدبير والنظام البديع

يقول الله هنا - يأيها النبي إنا أرسلنا شاهدا ومبشرا ونذيرا ✽ وداعيا إلى الله بأذنه وسراجا منيرا ✽  
 وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا -

هأنت ذا أيها الذكي عرفت المشبه به وهو الشمس وعرفت آثارها وانها بحرارتهما حركت هواءنا فارتفع  
 ثم انخفض ثم ارتفع ثم انخفض ثم ارتفع وهو في ذلك دولاب يجرى والمحرك للدولاب هي الشمس  
 الله أكبر. ماذا كانت نتيجة هذه الحركات والدواليب الدائرات نتائجها بدعية وحقيقية. نتائجها سحب  
 يجرى بجري الرياح والسحاب أنى بآثار الحرارة في الماء. فالحرارة أثارت الرياح من البحار والحرارة أثارت  
 الهواء. فهذان الأثران يلتقيان ويتعاقبان وهما أخوان البخار والهواء الجارى كلاهما بسبب الحرارة.  
 فتراهما يتعاقبان ويحمل أحدهما وهو الهواء أخاه وهو البخار ويجرى به. لماذا يجرى به؟ ليسقى الأرض  
 فيكون الزرع وكل شئ. عجيب جدا! حرارة تنبعث منها حركتان. حركة لتيار يؤخذ من الهواء. وحركة  
 لبخار من الماء. فيجرى هذان الطائران يلتقيان ويحمل أفواهما وهو الهواء أخاه وهو البخار الذي صار  
 سحبا فيمطر على الأرض فتكون الأنهار والزرع والثمار والحيوان. المشبه به جميل جدا بهي حسن.  
 فإذا تقول في المشبه به وهو النبي ﷺ

﴿ الكلام على آثار النبوة وهي المشبهة بالشمس ﴾

لما وصلت إلى هذا المقام حضر صاحبي فقرأ ما كتبه الآن فقال: إن ما كتبه الآن قد تقدم في هذا  
 التفسير. أفلا يكون هذا تكرارا؟ مسألة الرياح القطبية. والرياح التجارية المنتظمة. والرياح التجارية  
 الضدية. كل هذا قد تقدم في هذا التفسير وأريد على ما ذكرت هنا الرياح الموسمية. ذلك أن الأرض تتأثر  
 بالحرارة أكثر من الماء فيصعد الهواء من فوقها إلى الجو والماء طبعا محيط بالقارة فيجىء الهواء الذي فوق  
 البحار ليحل محل الهواء المرتفع فيحمل البخار فيكون المطر على السواحل فتكون إذن حرارة الصيف في  
 القارة سببا لارتفاع الهواء وحلول هواء البحار محل الهواء المرتفع وقد حل معه البخار فكانت الحياة فيحصل  
 المطر صيفا على الشواطئ كالذي يحصل في جنوب آسيا وجنوبها الشرق وبهذه تعيش أمم وأمم. وهذه هي  
 الرياح الموسمية. أما في الشتاء فإن الهواء يخرج من وسط القارة إلى البحار لأنها إذ ذاك تكون أدفأ من  
 الأرض. وهذه الرياح تهب (٦) أشهر إلى جهة وتهب بالعكس ستة أشهر أخرى وهي في ذلك كنسيم البر

والبحر فان النسيم عند شواطئ البعير بالليل يهب من البحر الى البر ويسمونه نسيم البر . لماذا ؟ لأن الأرض أسرع برودة من الماء وفي النهار يهب الهواء من البحر الى البر ويسمى نسيم البحر لأن الأرض أسرع حرارة فيرتفع هوائها ويحل محله الهواء الذي فوق الماء فتتم هناك دائرة كالدوائر الحاصلة من الرياح الموسمية والرياح التجارية ونحوها . ثم قال : هذا القول منك تكرار لما تقدم . فقلت . كلا . بل يجب ايضاحها ﴿ لسببين ﴾ السبب الأول ﴿ إن كثيرا من الأذكيا لم يتصوروا ما كتبه سابقا حق تصوره لذلك رسمت هذا الرسم حتى يعرفوا الحقيقة العلمية التي نميش بنظامها ، فعادة القول هنا ليعقلها من صعبت عليه هناك ، والرسم هنا لم يكن له نظير فيما تقدم ، وأيضا هذا لزيادة التثبيت وتذكير بحمال الله وإبداعه وحسن صنعته وجاله وان لم يكن التذكير تدوم الغفلة ، ومعلوم أن الله يكرر القصة على أنحاء شتى في القرآن ليكون ذلك أدعى للاعتبار والحكمة إذ في كل مرة تظهر حكم ليست في غيرها ، فهنا لا بد من ذلك ﴾ السبب الثاني ﴿ في اننا هنا نريد أن نفهم الحكمة في جعله ﷺ سراجا منيرا ، ولنا نعرف المشبه إلا بعد ادراك المشبه به فاذا لم نفصل الكلام فيه لم ندرك المشبه بقدر طاقتنا ، فاذا فصلنا الكلام في المشبه به هنالك ندرك المشبه ، ولا جرم أن هذا من التشبيه المركب وأعظم التشبيه المركب ما قاله بشار ونغربه وهو

﴿ كأن مشار النقع فوق رؤسنا الخ ﴾ فالتشبيه المركب الذي قاله محصاه أن غبار الحرب المحيط بالشجahan تتخلله السيوف اللوامع ذاهبات آيات صر تفعات منخفضات . مشبه هذا كله بليل داج حالكة تساقطت فيه الشهب من السماء . تتخلل اكشافه لامعات متقابلات كثيرة الحركات

هذا أعظم تشبيه عند العرب كما يقول علماء البيان . فاولم نعرف المشبه به هنا لم يمكننا ادراك المشبه . فقال حسن هذا ولكن المقام هنا صعب كيف فصل الى أن يكون النبي ﷺ كالشمس في هذه الحركات . فقلت إن الله شبه القرآن بالصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق . فهذا التشبيه المركب أرقى من تشبيه بشار المتقدم . ألا ترى أن القرآن شبه بالمطر وهو الصيب . والوعيد في القرآن شبه بالرعد . والبرق شبه بالحجج . ومن يعرض عن سماع الوعيد يشبه بمن يضع أصبعه في أذنه خوفا من الرعد . ومن يسمع الحجج في القرآن ثم يعرض عنها كمن يمشي في البرق واذا أظلم وقف ولم يتحرك . فهذا التشبيه المركب أوسع نطاقا من تشبيه بشار . وقد تقدم هذا في ﴿ سورة البقرة ﴾

هنالك قال صاحبي : « أسمع عجمجة ولا أرى طعنا » . ماذا أفدتنا بهذا التشبيه ؟ أنا أعترض عليك من ﴿ وجهين ﴾ الأول ﴿ إن الآية هنا انه ﷺ سراج منير . ولكن أنت تذكر أن القرآن مشبه بالمطر ورجعت في قولك الى ما ذكرته أنت في أول البقرة ﴿ الوجه الثاني ﴾ ان أول كلامك أفهمنا انك ستظهر لنا سرا مصونا من تاريخ النبوة يشبه ذلك السر المصون الذي ظهر في الشمس لأنها بحارتهما وحدها كانت منها الرياح الموسمية ونسيم البر والبحر والرياح الاستوائية والرياح التجارية المنتظمة والرياح الضمنية والرياح القطبية . وكل هذه حاملات سحب وسقنا ونعما . فأنت لم تأت لنا بهيئة في النبوة تناسب المشبه به وغاية الأمر انك رجعت الى علم التشبيه الذي أنت نهيت عن الوقوف عنده لأنه أصغر لفظي . والأمم الاسلامية الآن قد عرفت من آثار النبوة ما لم يكن فيما مضى في الزمان الأول . وقد نقلت أنت عن العلامة السيوطي في كتابه « الاتقان في علوم القرآن » في ﴿ سورة العنكبوت ﴾ أن الأنبياء كانت معجزاتهم كلها حسية . أما معجزته ﷺ فهي راجعة الى ماسيظهر في القرآن للأئمة والأجيال من المعاني التي تتجدد بتعدد الأمم والأجيال . وملخص اعتراضى ﴿ أمران ﴾ انك لم تذكر النبي ﷺ في التشبيه بل ذكرت القرآن . وانك لم تأت بما كنا نترقبه . فقلت له : أليس عندك اعتراض بعد هذا ؟ فقال لا . فقلت من عجب انك في هذا الاعتراض أشبه بهؤلاء الذين يقال عنهم انهم يقرؤون الأفكار . إن كل ما قلته هو الذي ستسمعه وغاية الأمر اني أتيت

بهذا التشبيه مقدمة فقط للجواب الشافي . فلو أنك صبرت على لوجدت الجواب على النحو الذي ترضاه . فقال  
أنعم بردّ جواب ما أنا سائل عنه فنار العلم ذات تشعشع

فقلت إن النبي ﷺ أرسل في جزيرة العرب ، وهناك أرسل الجيوش هو وأبو بكر وعمر وبقية الخلفاء  
الى أطراف جزيرة العرب والفرس ومصر وبلاد المغرب والأندلس والسودان وهكذا في جهة الشرق الى بلاد  
الهند والصين ، فهذه الجيوش كالرياح والقرآن معها كالسحاب ، فإذا كانت الشمس أرسلت بحرارته رياحا  
في الهواء عند خط الاستواء وكانت لها فروع وفروع وكانت الرياح الموسمية ونسيم البرّ ونسيم البحر وهكذا  
وحلت تلك الرياح السحب فأمرت الأرض هكذا هذه الجيوش الحرارة المجاهدة والعلماء والفقهاء والحكماء  
الاسلاميون ، فهؤلاء كلهم هم رياح مختلفة الأشكال يسمون بأسماء مختلفة ، وهؤلاء يحملون السحاب ،  
فالقرآن منزل عليه ﷺ والجهاد بتعاليمه ، ثم ان الدين انتشر بالدعاية ، فلننظر الى رياح الجهاد الواصلة  
الى الأندلس لنجعلها مثالا لنا لنستدل على الباقي ، أليس الاسلام بقي في الأندلس ( ٨٠٠ ) سنة ؟ أليس هو  
كالرياح التي وصلت الى أحاد المدايرين ( الجدى والسرطان ) وقد قلنا إن الرياح هنالك انقسمت قسمين قسم  
رجع الى خط الاستواء ، وقسم ذهب الى الدائرة القطبية ، فانظر الشكل السابق ، هكذا السحب الاسلامية  
التي وصلت مع رياح الجهاد الى الأندلس قابلها القوم أيام ( ابن رشد ) بحرارة التعصب ضد العلم لأن العلم عند  
هؤلاء قد اعتقدوا أنه ينافي الدين فارتفع عنهم الى أهل أوروبا وأخذ يرقى القوم وقد نام المسلمون إذ ذاك  
نوما عميقا ، ولأذكرك بمسألة وهي ان الله رب العالمين لارب المسلمين وحدهم ، وإذا خلق الشمس فلم يخلقها  
للمسلمين وحدهم بل خلقها لأمم ولكواكب كثيرة ، إذن نبينا ﷺ جاء ليقاط أهل الأرض مهما كانت  
نحلهم وأديانهم كما ان الشمس لأهل الأرض جميعا لأن الله رحيم ورسوله رجة للعالمين

إذا فهمت هذا عرفت السرّ في أن أوروبا لما أخذت علم ( ابن رشد ) كما عرفته في غير هذا المكان  
قامت من رقبتها وهنالك حصلت هناك شعبتان شعبة توجهت الى أمريكا في أيام اضطهاد المسلمين للعلم ففتحت  
أمريكا وشعبة رجعت الى الشرق بالحروب الأوروبية ، فهنا نحن أولاء نرى أهل أوروبا لما أيقظتهم الحروب  
الصليبية التي تشبه من كل وجه الرياح التي تأتي من المدايرين الى خط الاستواء رجعوا الى بلادهم ووجهوا  
همهم الى أمريكا من جهة وإلى أُمّ الاسلام والشرق من جهة أخرى . فهم فتحوا أمريكا فارتقت وهم جاؤا  
بلادنا يحاربوننا ومعهم تلك العلوم التي تصرّفوا فيها ورقوها بعد أن أخذوها من آبائنا . أليس هذا بهينه  
هو الحاصل من الشمس ؟ شمس تشرق على خط الاستواء فتثير الرياح فتصل الى مدارى ( الجدى والسرطان )  
فتكون هناك ( ريحان ) إحداهما تتجه الى خط الاستواء . والأخرى تتجه الى جهة ضدها . فهنا كذلك  
اتجه الاسلام الى بلاد الأندلس ولما استقرّ هناك العلم مدّة كره المسلمون العلم فحمله اليهود الى أوروبا فدهشت  
من هذه التعاليم فأخذت ترتقى وتوجه منها قوم الى أمريكا وطردهوا المسلمين من بلادهم لأنهم جهلوا العلم  
والدين . وهاهم أولاء يجرون وراءهم في شمال أفريقيا وفي آسيا . فهذا نفسه هو الذي حصل في الرياح  
بحرارة الشمس إذ توجه منها تياران مختلفان لما وصلت الرياح الى المدايرين . فهكذا هنا تياران مختلفان .  
فأما أمريكا فقد ارتقت وبقى أمر أُمّ الاسلام فهذا دورهم ولا عيب علينا في ذلك فان الرياح الجارية من خط  
الاستواء تحل محلها الرياح الآتية من المدايرين . وإذا كان هذا طبيعة ملك الله فلنسر على نظامه ولنعلم أن هذا  
هو وقتنا وأيام رقينا . ومماثل هذه الأُمّ الاسلامية مع دينها إلا اكتمل أرض نزل عليها الغيث فأبنت نباتا  
حسنا ولكن تركت بركا ومستنقعات هنا وهناك لعدم المصلحين للأرض وهذه البركة أخذت تكثر وتزداد على  
مدى الأيام فبعد أن كانت الأرض أخذت زخرفها وازينت أصبحت كلها حشائش ومياها مرّة قذرة وأرضا  
مستوخة كثرت فيها الأمراض والجدرى والحصباء بجعل أصحابها

هذه حال المسلمين لما نسوا الشمس المحمدية وناموا على كلام شيوخهم المتفرقين وظن كل شيخ طريقة أو عالم مذهب من مذاهب الاسلام أن الدين هو ما يرفه وما عداه لا يجب عليه ولا على الناس صار الناس كأنهم في مستنقعات وبرك ، ولذلك ترى المبتدعين والخارجين وأصحاب المذاهب السقيمة كثروا في الاسلام فهؤلاء كالماء الراكد أضربوا بتلاميذهم وتجهوهم عن العلم فدلوا ، وكما أن الشمس تظهر الأرض هكذا النور المحمدي بالرجوع اليه يستيقظ المسلمون

فلما سمع صاحبي ذلك قال هذا حسن ، ولكن من المسلمين من منع عنهم المستعمرون العلم . فقلت ولكن لا يمنعون القرآن ولا هذا التفسير ، وهذا التفسير وأمثاله في أهم الاسلام كثير منه يفهمه كثير من العقلاء وإن لم يكونوا متعلمين العلوم الحديثة ، وهل للمسلمين عذر بعد الآن

فاقرأ أيها الذكي مذهبك الذي تعالمت به في الصبا ، فليس يناقض هذا التفسير لأن المذاهب كلها في أمور عملية جزئية وهذا في الامور العامة ، ومنه تظهر لك بعض أنوار الشمس المحمدية التي بها تعرف أن وقوف المسلمين في هذه البرك والمستنقعات المماوئة من الحيوانات الذرية الفسكية الضارة بالمسلمين هلاك لهم وهم أجدر بالسعادة والرقى من جميع أمم الأرض

فقال صاحبي : الآن فهمت ، ولكن أين موازنة نبينا ﷺ بأعظم الفلاسفة . فقلت إن أفلاطون ألف جمهوريته وهي أعظم كتاب ألفه عالم في الأرض كلها ، وهذا الكتاب علم عرّف الأمم كيف تنظم الحكومات والجند والعامة ، وما الذي يرقىها ، وما الذي يخفّضها ، وتقدم تلخيصها في هذا التفسير ومع ذلك لم نجد لهذا الفيلسوف دولة بل انه مع شهرة كتابه الآن وانتفاع الأمم به لم يحدث جزأ مما أحدثه هذا النبي العربي الذي استحق بمقتضى التاريخ ونتائج أعماله أن يسمى ﴿ سراجا منيرا ﴾ لأنه حرك الكرة الأرضية كلها حتى ان الحركة وصلت الى اليابان والصين ، فاليابان ما حركها إلا تعاليم أوروبا والصين كذلك ، فحركات الإصلاح تتجه شرقا وغربا وجنوبا وشمالا بسبب الحركة الاسلامية . إذن هو ﷺ شمس منير حقا وبه ارتقت أوروبا وأمريكا واليابان والصين والمسلمون الخاليون الذين جنى عليهم جهل آبائهم المتأخرين سيأخذون دورهم في الرقى وتهب رياح سعدهم الى الأمم كرة أخرى تحمل لهم علما غزيرا

فقال صاحبي : إن هذا البيان عجيب وأنا أجد الله عليه . فقلت الحمد لله رب العالمين . انتهى صباح يوم الأحد (٨) ديسمبر سنة ١٩٢٩ م

\*\*\*

﴿ زيادة ايضاح في بعض أسرار قوله تعالى - يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا

وداعيا الى الله بأذنه وسراجا منيرا - ﴾

لقد تم الكلام على تفسير هذه الآية وايضاها ولكن لابد من ايفاء المقام حقه من حيث العمل بعد العلم في بلاد الاسلام . لاجرم أن ضوء الشمس له منافع جمة في علم الطب . ولقد أكثر الأطباء من تعداد منافع التعرض للهواء والشمس نابذين تعاطى الأدوية من الصيدليات في أنحاء العالم . ومعنى هذا أن الأطباء في العالم اليوم رجعوا فعلا الى منافع ضوء الشمس والهواء والتداوى بما هو طبيعى . وهامهم أولا ينسكرون كل الانكار ما يزاله الأطباء غالبا من المداواة بالعقاقير المشهورة ويقولون انها تحدث أمراضا وأمراضا . وهذا القول نقلته في ﴿ سورة البقرة ﴾ عند قوله تعالى - أنستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير - وهكذا ترى كثيرا منه في ﴿ سورة الأعراف ﴾ عند آية - وكأوا واشربوا ولا تسرفوا - وفي ﴿ سورة الحجر ﴾ في أوائلها عند الإشارة الى قصة آدم وفي ﴿ سورة طه ﴾ عند قصة آدم أيضا وفي ﴿ سورة الشعراء ﴾ عند آية - وإذا صرخت فهو يشفين -

فقرى في هذه المواضع ما يفتيك في علم الطب ويرجعك الى المعالجة الطبيعية ومن أهمها ضوء الشمس . هذا في شمس السماء وهي المشبهة بها ، أما المشبهة في الآية وهو رسولنا ﷺ فاننا نريد أن نعرف لماذا كان هذا التشبيه وما فائدته لنا معاشر المسلمين الآن بطريق أجلي بحيث نعرف من هذا التشبيه ما عرفه الأطباء في علمهم ، فاذا كان الأطباء رجعوا الى ضوء الشمس ونحوه في طبهم وهم مصيبون فهل أمراض المسلمين الاجتماعية يكون الشفاء منها بنفس هذا التشبيه وبقوله تعالى - وسراجا منيرا - . هذا ما أريد بحثه اليوم فأقول : اللهم إني أجدك جدا كثيرا على نعمة العلم وبهجة الحكمة . اللهم إني أجدك أنت الذي أعنت ووفقت وشرحت الصدر ودبرت الأمر ووعدت وانصرت وأوفيت العهد فأنا أسألك اللهم أن تجعلنا وافرين بهديك حتى نستحق منك هذا الوفاء وهذا الجليل وهذه النعم العظيمة التي نحن نقرّ بها ونحمدك عليها

أيها النكي : أكتب هذا صبيحة يوم الخميس ١٩ ديسمبر سنة ١٩٢٩ م ذاكرا ما اتفق لي أمس الأربعاء (١٨) منه ، ذلك اني أحسست بألم من البرد في كتفي اليسرى ولقد اعتدت أن أتعرض لضوء الشمس متى أحسست بهذا الألم منذ سنين طويلة فيذهب ذلك المرض ، ومن أعجب العجب اني قبل أن أعرف ما لضوء الشمس من الفوائد ولم أقرأ في كتب الأطباء وبعد ما جرّبه صبح عندي

أقول : إذ ذاك قابلت طبيبا مصريا فسألته : لم لم يظهر الأطباء فضل حرارة الشمس مع اني أنا عرفت منفعتها في شفاء جسمي ، فكان جوابه : لقد وضعوا الأدوية الحارّة وهي من نوع حرارة الشمس ، فسكت ورضيت بهذا الجواب ، ثم بعد ذلك اطلعت على فوائد الضوء الذي تقدّم في هذا التفسير مشروحا شرحا مستفيضا من أقوال نفس الأطباء فدلّ ذلك على أن ذلك الطبيب الذي سألته قبل ذلك كان مقصرا أشدّ التقصير في جهله الامور العامة وحصر فكره في العقاير الطبية فثله كمثل كثير من علماء الاسلام في القرون المتأخرة الذين حصروا عقولهم وأضاعوا مهجهم ووضعوا نبوغهم في المسائل الجزئية من الطلاق والبيوع والحيض والنفاس ولم يرفهوا رؤسهم الى الشمس المشرقة المحمدية فيدرسوا نفس القرآن ونفس السيرة المحمدية وسير الصحابة والتابعين ليستخلصوا من ذلك رقى الأمم الاسلامية المسكينة ، إن نسبة هؤلاء في علومهم المحصورة كنسبة الأطباء في حصص عملهم في العقاير المشهورة ونسبتهم في رجوعهم الى القرآن وتفسيره بالهيئة الحديثة التي رأيتها كنسبة رجوع الأطباء الى التداوى بالماء وضوء الشمس وبالهواء النقي

أقول : لما أحسست بذلك البرد توجهت الى الخلوات خارج القاهرة وجلست في مكان قصي نحو ساعتين متعرضا للشمس على عادي ، وبينما أنا كذلك إذ صاحني قد تتبع خطواتي فسمعت نبالا خلفي فسلم وحياء وجلس وقال فيم تفكر الآن . فقلت وإذا عرفت اني أفكر فلماذا قصدت قطع التفكير ؟ فقال قصدتك بعد مدة كافية لتنام الفكر . فقلت أنا أنظر الى الشمس والى السحاب وأعجب من مهرجان وعرس وأفراح في هذا الجو . أنظر : ألت ترى السحاب يحيط بالآفاق شرقا وغربا . ها أنا ذا جالس على هذا الرمل وأرفع طرفي فأرى قبة زرقاء تحيط بي مهندسة الشكل بديعة الوضع حواشيها موشاة بالسحاب المجلّة لآفاقها . وهاهي ذه تمايل ذات اليمين وذات الشمال وتتقارب وتبعد . أفلمست ترى أن هذه هي عين ما يفعله الناس في أعراسهم وأفراحهم ولأنهم في عقود زواجهم . الناس شرقا وغربا قديما وحديثا يصنعون الولائم فيضربون الطبول ويطلقون الرصاص من البنادق بل القنابل من مدافعهم . ولهم أغان ينشدونها ومجالس ابتهاج عجموعهم وأنعام يذبحونها وصدقات يوزعونها وأعلام يرفعونها . لم هذا كله ؟ لا فتران فتى بفتاة أو ولادة ولد . والمظاهر عادة تتبع في ضعفها وقوتها العسر واليسر والفنى والفقر وكل امرئ بقدره

فاذا كانت هذه طبيعة الانسان فهي تجمع عليها واجماع الانسان على عمل واحد يكون له شأن الفطرة والفطرة صادقة . فلم هذا كله ؟ نظرنّا فوجدنا هذا الاقتران نتيجة الولادة والولادة ترجع الى وجود حي على



الأرض . إذن هذا الانسان انما يكون فرحه بالوجود ، فلا فرح إلا بوجود ولا خزن إلا على مفقود ، ثم ننظر فنرى أن النظرية التي فرح بها الانسان ربما تموت ، وربما يموت الأب قبل كبر الابن ، فدلنا ذلك على أن هذا الفرح فرح جزئي لا كلي لأنه ليس بدائم ، وماليس بدائم لقيمة له ، إذن عواطف هذا الانسان وهذا الحيوان عواطف جزئية جعلت غرائز لأعمال جزئية لادوام لها ، فلننظر إذن في العوالم التي منها خلق هذا الانسان فنرى هذه الأفراح والأعراس تقام في السماء دائماً من يوم أن خلقت السموات والأرض . ولن تقام تلك الأعراس إلا ابتهاجاً بالوجود العام كما أقامها الانسان للوجود الخاص ، وعظمة أفراح السماء مناسبة لعظمة الموجودات التي أقيمت الأفراح لها

أنظرأيها الذكي : ألسنت ترى هذه الشمس تختفي تارة وراء هذه السحابة وتارة تظهر كأنها تفعل فعل الناس في أعراسهم يظهرون أفانين اللعب ، وبعد الاختفاء يظهر وجهها كرة أخرى وقد رفعت نقابها تحييني أنا وتحريك بالسلام وهي بسامة ، ثم إن أفراح السماء عامة ، فهاهي ذه أمامك في جميع جهانب السماء لأن هذا الفصل فصل المطر وقد جعل المطر للحياة . فأفراح السماء ترى

(١) السحاب

(٢) والرعد والبرق

(٣) وأصوات الرياح المغنيات بأعواد الأشجار

(٤) والأعشاب والزروع الراقصات على تلك النغمات وفيها الطيور المغرّدات بأنواع النغمات

(٥) وهل فصل الانسان غير ذلك في أعراسه ؟

مدعوون كالسحاب كثرة وقلة . وإطلاق الرصاص من البنادق والمدافع يحدث صوتاً مشاكلة للرعد وضواً مشاكلة للبرق وضرب الدفوف والطبل مشاكلة لأصوات الرياح والرقص والغناء كرقص الأشجار وغنائها وغناء الأطيّار

ولكن الفرق بين العرس الذي أقامه الله وأعراس الناس انه عرسه دائم بدوام السموات والأرض يراه الآباء والأبناء وعرسنا ذاهب جزئي مقتر بمقدار عواطفنا وأحوالنا . ثم انما مثل المسلمين السابقين بعد العصور الأولى الذين هم خير العصور المقتصرين على دراسة القشور من دين الاسلام في اقتصارهم على كتب خاصة في المذهب المعروفة كمثل أهل الأرض في اقامة الزينات واعداد الولائم في أعراسهم الجزئية وحال المسلمين الذين يقرؤون اليوم أمثال هذا التفسير وينظرون في القرآن ويفهمون هذا الوجود فهما حقاً انهم يرون ما أراه أنا وأنت اليوم أيها الذكي فقال وما هو ذلك ؟ فقلت اني أنظر فأرى أن هذه الأعراس والزينات المقامات في هذه الآفاق مقصودة لدعوتنا أهل الأرض أن نشاهد العرس الأعلى والأوسع نطاقاً . فهمة العاقل تتجه الى المشل الأعلى والمثل الأعلى هنا أن نعرف لم دامت هذه الزينة السماوية دائماً ؟ فقال لدوام الوجود من حيث السكيات كالسكواكب ومن حيث الجزئيات كالمواليد على الأرض . فقلت إذن سيتجه نظر المسلمين بعدنا الى هذه الأعراس العامة ولا ينحصر نظرهم في الأعراس الخاصة . قال ان شاء الله فيدرسون الشمس والقمر والنجوم والجبال والبحار والهواء . وهناك يفرحون ويقرؤون . قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون . وهناك يفهمون لماذا قال الله هنا في الآية - وسراجاً منيراً -

ومتى برزت الشمس قتل ضوؤها كل المكروبات (الحيوانات النرية) وأزال العفونات من الأرض . فهكذا متى درس المسلمون أمثال ما نكتبه في هذا التفسير زالت تلك العفونات العالمية والأخلاق الوراثية التي خلفها أناس من قبلنا لم يرفع شيوخهم أعينهم الى معرفة نفس القرآن ونصوصه ولا الى جلال الله وابداع تركيبه . وهناك سيتجه الجميع وجهة واحدة فيعرفون الجلال الأسمى والحكمة في هذا الوجود . وهناك

يفرحون بالوجود الأعلى وهو الوجود الدائم وجود رافع هذه الزينات ومرسل الرياح في الآفاق ومعلم الطيور أنواع الغناء . ومطلق في الخواص أصوات الرعود ولألاء البروق والجمال فبمدل أن يفرح الناس بمولود يموت وبزوجات ستفارق وبنم ستزول . يفرحون بوجود هو الحاضر الدائم الذي لا يفارقهم . وهناك يعلمون أن تلك الأعراس وتلك الزينات الجزئية ماهي إلا مدرسة صغرى ومقدمات لفهم الأعراس الكبرى ومتى عرفوا أن هذه الأعراس والأبناء كلها فانية توجه للعرس الأكبر ولبن أقام زينته ونصب خيمته وهو الموجود الذي لا ابتداء له ولا غاية . هنالك يرتقى المسلمون ارتقاء لا حد له وتضمحل تلك الخزازات الحقيرة الصغيرة التي ولدها قصر النظر الذي طال أمده إذ يرون دراسة الوجود كله دراسة القرآن وما اختلف في الاسلام إلا كاختلاف الأشجار ورقا وطعما وجمالا لا غير

وهذه العقول الاسلامية بعدنا التي يكون فرحها وعلمها كلها متجهة الى نظام هذه الدنيا يسمعون في الدنيا وفي الآخرة لأنهم يعرفون الرحمة التي تقدم تفسيرها في أول ﴿سورة الروم﴾ وما بعد هذا للبسملة ويوقنون بأن من جعل هذه العوالم خادمت لكل انسان ليس يرسل آلاما لمخلوق إلا لفائدة ذلك المخلوق وهو لا يدرك حكمته . ولأنهم يوقنون بعد دراسة ما تقدم بذلك كل الايقان . وهنالك فقط يعرفون معنى قوله تعالى - يدبر الأمر يفصل الآيات لعلمكم بقاء ربكم توقنون - فلا ايقان بالقاء ولا فرح بذلك اللقاء إلا بعد تفصيل الآيات التي جاء بعضها في هذا التفسير وبدون ذلك لا ايقان بل هو ايمان . فالله أخذ يفصل الآيات اليوم في الكرة الأرضية . وهانحن أولاء ذكرنا بعضها وسيقوم بباقيها من بعدنا . وهانحن هذه الأيام اليقين قد أقبلت ويدرس المسلمون نظام الدنيا ويرفعون شأنها ويرجعون الى ربهم فرحين به مستبشرين

فقال صاحبي : فاذكر لنا كلمتين فيما رأيت اليوم من الأفراح كلمة عامة وأخرى خاصة حتى يكون ذلك نموذجا لتفكيرك اليوم . فقلت أما الكلمة العامة فاني أقول لك انك يحق لك أن تقول ان هذه القبة السماوية والأرضية وما بينهما . وهذه الأعراس الطبيعية القائمة الآن هي لك أنت . قل وهل الوجود ليس فيه غيري ؟ قلت انها لك أنت . فقال ما البرهان ؟ فقلت أنت من الأمة المصرية البالغة (١٤) مليوناً وارتقاؤها ينفعل وضعفها بضررك . قال حقا هذا . إذن كلهم نافعون لك اجالا . قال هذا حق . فقلت والأمة المصرية بينها وبين الأمم علاقات التجارة والبريد والطرق الجوية للطائرات والبريد الجوي والبحري وهكذا قال حقا . قلت فكل الأمم نافعات لها . قال نعم . قلت ولك . قال ولى . قلت الشمس والهواء والسحاب كلها نافعات لك ولأمتك وللأمم والحيوان والنبات الخ . إذن هذه الشمس وهذا الهواء مسخرات لك لأنها نفعت الأمم النافعات لأمتك النافعة لك . إذن العوالم كلها تخدملك ولا ينافي هذا انها تخدم غيرك لأن هذا نظام إلهي يحارفيه العقل . فكما خدمت الأمم كلها والعوالم نفسك هكذا أنت تعتبر خادما لأمتك ولأمم غيرها بطريق غير مباشر . هذه هي الكلمة السكينة العامة

أما كلمتي الخاصة فاني أقول إن هذا الانسان لن ينال السعادة التامة إلا بعد معرفة الحقائق معرفة تامة والمعرفة التامة في هذه الدنيا مستحيلة لأنه محبوس في جسده بل هو محبوس في سجن مظلم ولم ينل من العلم إلا قليلا لأنه محبوس بالام داخلية وأخرى خارجة كالمسجونين في سجون المجرمين في عالم الأرض ولسكنه وهو هنا قد يتألم بعض الجمال من خلال نوافذ السجن كما سأوضحه هنا فأقول :

إني اليوم لما توجهت للقاء العراء وفسيح الخلاء لم أجد هاديا يهديني الى الطريق إلا ضوء الشمس . هذا الضوء لولاه لم أعرف الطريق . وهذا الضوء هو نفسه الذي بسببه امتص الورق في الأشجار مواد السكر بون (الفحم) البالغ جزءاً من ألف ألف جزء من الهواء كما استراه موشحاً مشروحا في ﴿سورة يس﴾ عند قوله تعالى - سبحان الذي خلق الأزواج كلها - الخ . فالضوء به كان هذا الورق في الأشجار المحيطة بنهر النيل حولي

وسترى هناك فتحات الورقات مصورة بالصور الشمسية وقد شرحها العلماء فقالوا إن كل فتحة توصل إلى حجرة ذات حوائط شفافة مغطاة بسقف بديع وفي داخلها مادة سائلة يعوم فيها مادة خضراء بها تكون خضرة النبات ، وفي الورقة الواحدة قد يكون نحو مائة حجرة أو مائتين وقد يكون فيها ألوف بل ألوف الألوف في نفس الورقة الواحدة وكلها بهذا الصنع المتقن ، فإذا أيقن المسلم بذلك وهو لا شك يوقن لأنه سيشاهد بعينه تلك الحجرات ويقرأ شرح العلماء لها

فهذا الإيقان الذي منحه الله لقرءاء هذا الكتاب ستخرج به طبقات ممتازات في بلاد الاسلام يرفعون أهمهم إلى أعلى درجة في الكمال ، وهل يفكر الجاهل في ضوء الشمس ؟ وانه نعمة . كلا . إن أكثر هذا الانسان لا يرى نعمة إلا ما يختص به أو كان ممنوعا عنه فبذل له كالغنى بعد الفقر إن من عرف ربه بهذه الرحمة وأيقن أن الآلام والمصائب المحيطة بالانسان لم تخرج عما تفعله الحكومات الأرضية في الناقصين من بني آدم اذا سجنوهم ، واستنتج من ذلك أن هذا الحكيم لن يفعل ذلك فينا إلا لتلحق بمالم أعلى من هذا العالم الناقص كما تفعل حكوماتنا في الناقصين منا حتى يصلحوا لأن يعيشوا معنا غير مفسدين لأعدائنا ، وهنالك تحرض هذه الطبقات الممتازة أمم الاسلام على الاعتراف من الحكمة والعلم . وهذه الطبقات الممتازة في بلاد الاسلام المؤمنة بهذه الرحمة الواسعة تكون صفاتهم الممتازة أنهم يحبون أهمهم بل كل أهل الأرض ويسعون لرقيهم ويفرحون ببقاء ربهم فهم إن عاشوا سعيداء مسعدين وإن ماتوا ماتوا فرحين ببقاء ذلك الحبيب الذي أسعدهم بالخيرات وهذبهم بالقيم . فالنعم والنعم سيان عند قرءاء هذا التفسير وأمثاله

واعلم أيديكم الله أيها الذكي أن كل ماورد من صفات هذه الأمة وفضلها وإمامها خير أمة أخرجت للناس قد تمّ بعضه أيام النبوة وفي عصر الراشدين ومن نحا نحوهم . وسيتم باقيه بعد نشر أمثال هذا التفسير إذ يتبوأ المسلمون متبوأ العلم والحكمة وحب الله المبني على الإيقان وإدراك الجلال والحسن والبهاء والاشراق واسعاد العالم الانساني . وسيكون نبراسهم - يا أيها النبي - إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا - إلى قوله - وسراجا منيرا - فهذا تفسير هذه الآية وسيظهر أثره للعالم الانساني والله هو الولي الخبير اه

### ﴿ آثار النبوة وانتشارها في أوروبا ﴾

( وكيف ترى العلماء فيها هم الذين يعتقدون هذا الدين وذلك من آثار كونه ﷺ سراجا منيرا )  
ذكرنا فيما تقدم قريبا رسالة عبد الله كوري ليام الانجليزى الذي أسلم مع نبذة من ترجمة حياته وهى الرسالة المسماة « الجواب السكافى » وقد ترجمها إلى العربية الاستاذ زهدى الخاش . ونزيد على ذلك الآن ما جاء فى جريدة الاهرام بتاريخ (١٠) يناير سنة ١٩٣٠ م وهذا نصه

### ﴿ المستشرق الفونسي الميسيو ايتان دينيه ﴾

( السيد ناصر الدين دينيه )

( المسلم الفرنسى والمصور الشهير )

مات هذا المستشرق النابه وقد استشهد حوله لتوديعه الوداع الأخير العدد العديد من كبار قومه الرسميين ومن أصدقائه وعارفى فضله من أهله ومن غير أهله من ممثلى الشعوب الشرقية التى أحبها وخدمها وقد وجب علينا وان كنا لم نقف هنا لك فى باريس مع الواقفين خاشعين أن نبعث إلى روحه الطيبة تحيات السلام والاعتراف بالجميل

أحب المسيو دينيه حياة العرب وهو ذلك الفنان الكبير فأتخذ له بينهم مقاما نحوها في بلاد الجزائر في تلك  
الواحة السعيدة الهادئة الجميلة (بوسعادة) يفتقل اليه يسكنه نصف العام كاملا . يرتاح للعرب وجيرتهم . ويروح  
عن نفسه بينهم وينغم بما في حياتهم من جلال تلك المناقب الماثورة عنهم وتلك المسكالم المعروفة بهم والتي لا يميل  
اليها الا عشاق الخيال السامي ولا يشدها الا أهل الفضائل العالية ، وقد وضع في حياة العرب كتابا جميلا جليلا  
ملاه بال لوحات البديعة من ريشته القادرة ذات البلاغة في تصويرها والبيان في صمتها

والمسيو دينيه يبلغ من العمر سبعين عاما . وهو من كبار أهل الفن ورجال التصوير ، وصاحب اللوحات  
الكبيرة النفيسة القيمة ، تزدان بها جدران المعارض الفنية وتحتفظ بها المتاحف الفرنسية الكبيرة وغيرها  
من متاحف العالم ، وله في متحف لوكسمبرج (وهو متحف كبار المصورين المعاصرين بباريس) عدة صور  
منها الصورة الشهيرة المعروفة باسم (غداة رمضان) وكذلك له صور في متحف (بو) وكذلك في متحف  
(سندني) باستراليا وغير ذلك كثير.

وجميع صورته تدل على القدرة الفنية الكبيرة في رسم الصحراء وتصوير حياة الصحراء ، كما تدل على دقة  
التعبير عن الحالات النفسية المختلفة . وهو ذو مركز خاص مشهود به بين اخوانه المصورين وامتاز عنهم بتخصصه  
في تصوير الحياة الإسلامية وبالأخص ما كان منها في بلاد الجزائر

وقد درس الروح العربية وفهمها الفهم الصحيح حتى قيل عنه انه المصور الفريد بين اخوانه الذي يستطيع  
تمثيلها بالريشة والألوان والاصباغ أحسن تمثيل وهم يقولون عنه انه المصور (العربي)

وقد جاءت ترجمة المسيو (دينيه) وأعماله في مجمل (لاروس) الكبير وفي معمله (هاشيت) للفنون الجميلة .  
وله عدة مؤلفات منها كتاب حياة العرب الذي ذكرناه ومنها كتاب السراب ، وكتاب حياة الصحراء ، وكتاب  
ربيع القلوب ، وكتاب الشرق كما يراه الغرب . وكما تشير الى ما في طبيعته من الخلق الطيب وما يحمل في قلبه  
من الحب والتقدير للشرق والشرقيين

ومن أهم كتبه ما جعله تاريخا لحياة الرسول سيدنا محمد ﷺ وهو السيرة النبوية في مجلد كبير جليل  
وضعه باللغة الفرنسية وزينه بالصور الملونة البديعة الكثيرة المتعددة ، من ريشته الخاصة يمثل فيها المناظر الإسلامية  
ومشاهد الدين ومعالمه . وطبعه طبعا غاية في الاتقان والعناية حتى انه يهد تحفة من تحف الطباعة كل ذلك تقديرا  
منه لموضوعه . ثم انه قدمه لأرواح الجنود الإسلامية التي استشهدت في الحرب الكبرى وهي تحارب في صفوف  
الفرنسيين . ونشره كذلك باللغة الإنجليزية بنفس الحجم الكبير والاتقان النام ، والكتاب في طبعته قد تحلى  
بمختلف أنواع اللوحات الزخرفية الملونة ذات الاشكال العربية غاية في الدقة والابداع ، وهي اللوحات التي قام  
بعملها خاصة لهذا الكتاب السيد محمد راسم الجزائري أشهر رجال الزخرفة العربية والذي أشار اليه المسيو الازار  
الاستاذ بجامعة الجزائر ومدير متحفها وذلك في المحاضرة التي ألقاها في النادي الفرنسي بالقاهرة في شهر مارس  
سنة ١٩٣٩ ، ويبلغ ثمن النسخة الواحدة من هذا الكتاب خمسة جنيهات مصرية

وما ظن أن العالم العربي قد قرأ للمسيو (دينيه) شيئا بالعربية قبل تلك الرسالة التي عر بناها له (أشعة خاصة  
بنور الاسلام) والتي نشرت بمصر في هذا العام ، وهي التي جعلها بحثا عصريا في مبادئ الدين الاسلامي وأراد  
اظهار هذه المبادئ واضحة جلية وأنها أفضل مبادئ المدنيات الحاضرة . ولعل هذه الرسالة هي آخر ما كتب ، اللهم  
الا اذا كان قد فرغ من (رحلة الحج) التي كان قد ذكر لنا أنه يشتغل بتدوينها مهمة ونشاط وذلك عقب عودته  
من بلاد الحجاز هذا العام بعد أن أدى فريضة الحج واذا سمحت لنا الحقيقة أن نقرر شيئا فانه ذكر لنا في  
كتابه اليانا أنه لاقى من التعب والمشاق الشيء الكثير رغم ملاقاته من التكريم والعناية الخاصة ورغم نسيانه  
المسقة في سبيل الله وهو يدعو الى اصلاح وسائل النقل والصحة وتنظيم الحياة لأولئك الألوف من الحجاج الذين

يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ...

والسيو دينيه كاتب رقيق العبارة واسع الاطلاع لذلك هو صحيح الحجة ناهض البرهان ثم هو شديد الهجوم شديد الدفاع ذلك لانه غيور على مبدئه الذي لم يتخذه الا بعد بحث ونفكير . وقد أعلن اسلامه رسميا بالجامع الجديد بمدينة الجزائر في اجتماع حافل عام ١٩٢٧ وطلب ان يدفن في قبره مسلما حنيفيا . وهو القبر الذي شيده لنفسه في بلدة (بوسعادة) بالجزائر وقد ذكرت الاهرام في تلغرافاتها الخصوصية أمس أنه سينقل اليها من فرنسا وفق وصيته ، ويقول إنه لم يسلم لمطمع أو مفهم (والرجل غنى مؤسس الحال) وإنما أسلم إرضاء ليقينه وضميره وأنه ناقش الناصرين والطاعنين فخرج من (دينه) الى (ناصر الدين)

وله في بيان فضائل الشرقيين عامة والدفاع عنهم جولات قلمية ولوحات تصورية تشهد له باخلاصه في حب الشرق وتقوم دليلا على حبه للعادل والانصاف . وقد استفاد بعضهم عن أمر الشرق والغرب فكتب يقول ان الغرب يخطئ النظر الى الشرق مع ان للشرق على الغرب أفضالا متواصلة في مدنيته متغلغلة في حياته ذلك من أثر الدينيات التي هو مدين فيها للشرق ومن أثر المعاملات والاقتصاديات التي منشؤها اليهودية الشرقية . ومن أثر الحياة الشرقية وألهمت القساء التي منشؤها أنظمة الفروسية العربية . ومن أثر علم البحار وعلم السماء وعلم الأبدان وعلم الكيمياء التي ابتدعت أصولها العقول الشرقية

ويقول ان الشرق لم يضر للغرب الاساءة ، وأن الغرب يخطئ اذ يظن أن الشرق لا يستحق العناية مع أن الشرق قد عرف كل دوائر الغرب وأنه مع ذلك لا يحمل له الا السلامة

وهكذا يقوم السيد ناصر الدين دينيه رسولا للسلام بين الشرق والغرب ، وهو المثل الطيب لكل فرنسي يحب بلاده الأصيلة ويحب الشرق الجميل النبيل . ومع انه قد اعتنق الاسلام وعاش مسلما ومات مسلما فان ذلك لم يمنعه من أن يكون مقيما على العهد والاخلاص لبلاده المحبوبة وأن يجتمع حول نعشه رجال فرنسا الرسميون من الوزراء يذكرون حسناته ويؤنبونه أحسن التأنيب . ذلك لنباله قصده ومثاله إنسانيته

(واشد رستم)

هذه هي المقالة التي كتبها الاستاذ المذكور ، وإنما كتبنا تاريخ (السيو ايتان) لأنه توفي أثناء تقديم هذه السورة للطبع فكتبناه هنا تذكيرا لقرءاء هذا التفسير ، ويحسن بنا أن نذكر شذرات من رسالته المسماة « أشعة خاصة بنور الاسلام » وهي التي ترجمها الاستاذ المذكور . واليك بيانها

### ( الشذرة الأولى )

عما لا نزاع فيه أن القرية والمكان والموقع لها الأثر الكبير الفعال في نشأة الأمور وحياتها . وأن الشجرة الطيبة التي تزرع في أرض خيثة تخرج ثمرا أضعف مما تخرج الشجرة الخبيثة التي تنبت في أرض طيبة . كذلك كان الشأن مع المسيحية : فهي وإن ظهرت أنها تحكم العالم في وقتنا الحاضر فليس ذلك مرجعه الى تعاليمها دون غيرها ، بل ان مرجع ذلك هو الى ما تستفيدة من القوة المادية التي أوجدتها المستكشفات التي قام بها العلماء «الغريون» ومن الغريب أن أغلب هؤلاء في ذلك هم من اليهود ، أو من الملاحدة والمعتولين ، أو المشركين . بل ان منهم من حاربهم المسيحية واضطهدتهم . خذ مثلا (جاليلة) الفلسكي الايطالي و(اتين دوليه) الكاتب الناشر الفرنسي وغيرهما كثيرون ممن ذهبوا فحجة التعصب التميم

وأمر غريب آخر . ألم تجد الأمم الأوروبية التي تأصلت فيها المسيحية أن الضرورة قضت عليها بالتباعد عن روح مسيحيتها في سبيل المحافظة على ملكيتها ومستعمراتها . انتهت الشذرة الأولى

### ﴿ الشذرة الثانية . المجزات ﴾

ان نبي الاسلام هو الوحيد من أصحاب الديانات الذي لم يعتمد في انعام رسالته على المجزات : وليست عمدته الكبرى الابلاغة التنزيل الحكيم . وفي ذلك يقول تعالى : وبما نمنا أن نرسل بالآيات الا أن كذب بها الاولون - وقد نسي رينان أن محمدا ﷺ مع عدم اعتماده على مثل هذه المجزات التي ينسكرها قد جاء بأكثر المجزات مما هو شاذ في تاريخ الديانات كلها ، جاء بذلك الدين الحنيف الذي لم ينفك يزداد أنصاره كل يوم منذ ثلاثة عشر قرنا حتى بانوا اليوم ثلاثمائة مليون من النفوس دون أن يكون له دعاة أو مبشرون على أن المجزات التي تنسب الى محمد ليست من فصوص القرآن ، وانما قد نسبها اليه ورخو العصور المتأخرة تقليدا للمجزات التي تنسب الى المسيح ، فهي ليست من الدين في شيء

وأما تلك الخرافات والمعتقدات الغريبة التي نشاهدها في بلدان الاسلام المختلفة فهي غريبة عن القرآن ودخيلة على الدين ولا تتفق مع شيء مما عرف عن رسول الله ذاته ﷺ . فقد جاء في الأثر أن لما مات ابراهيم خزن عليه محمد خزننا عظيما . وحدث أنه ساعة دفنه كسفت الشمس فقال الذين من حوله انها لمجزة يا محمد فقد شاركك الشمس في خزنك على ولدك . ومع أن النبي كان مأخوذا بالحزن الشديد فقد أناب القائل وقال « ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته » ومن ذلك يتضح لنا أن الاسلام منذ البداية في أيامه الاولى قد أخذ في محاربة الخرافات والبدع ، وهو نفس العمل الذي يقوم به العلم الى يومنا هذا . انتهت الشذرة الثانية

### ﴿ الشذرة الثالثة — التسامح والرفق في الدين ﴾

ان القرآن ، دون الكتب المقدسة الأخرى ، هو الكتاب الوحيد الذي يأمر بالرفق والاحسان في الدين . جاء الى الرسول أحد بنى سالم بن عوف واسمه الحسين ، وقال له يارسول الله ان لي ولدين مسيحيين يأبيان الدخول في دين الله واني لجبرهما على ذلك . فقال له النبي ﷺ - لا اكراه في الدين - وفي هذا الباب ماجاء في سورة الكافرون : - لكم دينكم ولي دين - كذلك ماجاء في سورة العنكبوت - ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن -

ومن الحقائق التاريخية أن النبي أعطى أهل (نجران) المسيحيين نصف مسجدده ليقيموا فيه شعائرهم الدينية وهانحن أولاء نرى المسلمين اذا بشروا بدينهم فانهم لا يفعلون مثل ما يفعل المسيحيون في الدعوة الى دينهم ولا يقبلون تلك الطرق المستغربة التي لا تتحملها النفس والتي يمجها الذوق السليم وقد أنصف (القس ميشون) الحقيقة في كتابه (سياحة دينية في الشرق) حيث يقول : انه لمن المحزن أن يتلقى المسيحيون عن المسلمين روح التسامح وفضائل حسن المعاملة وهما أقدس قواعد الرحمة والاحسان عند الشعوب والأمم (١)

زد على ذلك أن المسلمين يحملون عيسى في نفوسهم التبجيل والتعظيم ، في حين أن أنصار المسيح يطرون محمدا وابلا من اللعنات والسخطات ، الأمر الذي يدعونا الى الدهشة والغربة ، ذلك لأنهم أتباع يسوع صاحب عظة الجبل والقائل بالعفو والاحسان !

بل كيف يكون موقف المسيحية أمام هذا التسامح الاسلامي الشريف اذا ما ذكرنا رسالة القديس (أغسطين) الى الحاكم (بوتيفاس) وهو يبرر له فيها اضطهاد المخالفين وقتلهم متذعرا لذلك بأن الديانات الأخرى تفعل مثل ذلك قائلا انه خير أن تقوم الكنيسة نفسها بذلك « لأن الكنيسة ان هي اضطهدت أحدا ، فانما هي لا تقدم على ذلك الا مدفوعة بعاطفة الحبة . » فما أعظم محبة الكنيسة ! وما أكرمها لأولئك الملايين الذين راحوا ضحية

(١) نقلا عن الكونت دي كاستري في أبحاثه عن الاسلام

« القديسة » محاكم التفتيش . وصحبة القديس بارتلمي وغيرهما من « القديسين والقديسات » الذين يستريحون  
المذابح والمجازر البشرية . انتهت الشذرة الثالثة

#### ﴿ الشذرة الرابعة — العلم ﴾

رفع النبي محمد قدر العلم الى أعظم السرجات وأعلى المراتب وجمعه من أول واجبات المسلم . وفي ذلك يقول :  
اطلبوا العلم ولو بالصين . يوزن يوم القيامة مداد العلماء بدم الشهداء . شرار العلماء الذين يأتون الأمراء وخيار  
الأمراء الذين يأتون العلماء . فضل العلم خير من فضل العباداة (١)  
وقد نظر المسيو ( كاز انوفا ) أحد كبار أساتذة كوليج دى فرانس بباريس في هذه الكلمات الغاليات  
كيف يقولها أحد أصحاب البيانات فعلق على ذلك يقول : « يعتقد الكثيرون منا أن المسلمين لا يستطيعون  
تمثل آرائنا وهضم أفكارنا . يعتقدون ذلك وينسون أن نبي الاسلام هو القائل بأن فضل العلم خير من فضل  
العبادة . فأى رئيس ديني كبير وأى قس من القساوسة العظام كانت له الجرأة أن يقول مثل هذا القول القوي  
الفاصل المتين ! هذا القول الذي هو نفسه عنوان حياتنا الفكرية الحاضرة

نعم إن هذا هو مبدؤنا اليوم ولكن أليس العهد بقريب يوم كانت السكافة عندنا من أهل العقول تنظر  
الى مثل هذا الشعار كأنه رمز الفار ومجلمة الشعار . !

كما أنه سوف يقال ان أوضح مبادئ الحرية الفكرية قد كشفت أمثال (لوتير) و ( كالفين ) وعاد  
الفضل فيها الى رجل عربي من رجال القرن السابع . ذلك هو صاحب شريعة الاسلام . انتهت الشذرة الرابعة

#### ﴿ الشذرة الخامسة — الخمر ﴾

ذلك هو الداء الفتاك وهو أحد الأصراض الاجتماعية الويلة في عصرنا الحاضر . على أن محمدا هو الشخص  
الوحيد الذي أحس بالأثر السيء الشديد للخمر في النفوس ففاز به حتى حرمه تحريماً تاماً وقد فاز في ذلك فوزاً كبيراً (٢)  
— يأبى الذين آمنوا الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون  
انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة  
فهل أتم منتهون — سورة المائدة

نعم ان من المسلمين من لم يعمل بذلك فهو يخالف الدين في تحريم الخمر تحريماً قاطعاً . غير أن الكثيرين  
من هؤلاء قد تركوها ثم تابوا وأنبأوا وهم لم يفعلوا ذلك الابتأير الذين نفى عنه وما جاء فيه من النهي عن الخمر  
والأصم بالتحريم . في حين أننا نسمع أن أحداً من المسيحيين الذين يمدنون الخمر قد تركوها أو عاودوا عنها  
ولا يخفى أن الانجيل المسيحية ذكرت أن المسيح في أفراح (قانا) ملأ من النبيذ سناً من قدر الماء  
تسع كل واحدة منها ما يقرب من سبعين الى تسعين لتراً بمكيالنا الحاضر

كما أن الكنيسة قد جعلت (مونيكا) الأفريقية في عداد القديسات ، مع أنها كانت من مدمنات الخمر  
كما ذكر عنها ذلك ولدها نفسه القديس (أغسطين) في اعترافاته (٣) . انتهت الشذرة الخامسة

#### ﴿ الشذرة السادسة — الوسيلة ﴾

الوسيلة هي إحدى كبريات المسائل التي فاق بها الاسلام جميع الأديان ، إذ ليس بين الله وعبدته وسيط وليس  
في الاسلام قساوسة ولا رهبان

(١) الجزء الاول من كتاب الاحياء للفرالى

(٢) وأما تجربة الولايات المتحدة في أمريكا في تحريم الخمر فلم تظهر نتائجها بعد إذ لم يمض على

ذلك الا بضعة سنين

(٣) عن الدكتور بينه سنجلي ، في كتابه «جنون يسوع»

إن هؤلاء الوسطاء هم شر البالاي على الأديان . وأنهم كذلك مهمما كانت عقيدتهم ومهما كان إخلاصهم وحسن نياتهم

وقد أدرك المسيح نفسه ذلك . ألم يطرد «بائعي الهيكل» ١ غير أن أتباعه لم يفعلوا مثل ما فعل . واليوم إذا عاد عيسى فكم يطرد من أمثال بائعي الهيكل ١١

كذلك ما كثر البالاي والمسابيل بل ما كثر المذابح والمجازر التي يكون سببها هؤلاء الوسطاء سواء كانت بين العائلات وبعضها أو بين الشعوب والشعوب . وهم في ذلك كله يصيغون : باسم مجد الله !!

ثم انهم قد عكسوا الآيات وبدلوا النيات ، وغيروا الأوامر والنواهي ، ولم يدركوا قصد عيسى ولا مرماه النبيل العالى ولا فهموا معناه الحقيقي حين يقول : «جئت لألقي نارا على الأرض . فإذا أريد لواء طرمت ؟ أتظنون أني جئت لأعطي سلاما على الأرض . كلا أقول لكم . بل انقساما . لأنه يكون من الآن خسة في بيت واحد منقسمين ثلاثة على اثنين ، واثنان على ثلاثة . ينقسم الأب على الابن والابن على الأب . والأم على البنت والبنت على الأم » (١)

وقد حرم الإسلام نظام هذه القداسة ومحا الولاية فنفى بذلك تلك الخرافات الضارة والمعتقدات الفاسدة . وأزال آثارها وتناجها

وليس للإسلام أن يدعو الرسول ويتضرع اليه ، وإنما له أن يدعو الله وحده لاشريك له . وقد يكون للإسلام أن يدعو الله للرسول ، ولكن لا يدعو الرسول لله وللاذاته

كذلك يحرم القرآن الشفاعة وينكر الشفعاء . ويوم القيامة لا تسأل نفس إلا عن نفسها وأما ما نراه من الزوايا وأضرحة الأولياء فان ذلك لم يبق الا بعد الهجرة بنحو قرنين من الزمان ، تقليدا للمسيحية . على أن ذلك لم يقبله العبيديون كما ألفاه الوهابيون أخيرا من مكة والمدينة وما اليهما . انتهت الشذرة السادسة

### ﴿ الشذرة السابعة — الاله ﴾

الدين الاسلامي هو الدين الوحيد الذي لم يتخذ فيه الاله شكلا بشريا ، أو ما الى ذلك من الاشكال أما في المسيحية فان لفظ (الله) تحيطها تلك الصورة الآدمية لرجل شيخ طاعن في السن قد بانت عليه جميع دلائل الكبر والشيخوخة والانحلال — فن تجاعيد بالوجه غائرة الى الحية بيضاء مرسلة مهملة تشير في النفس ذكرى الموت والفناء

ونسمع القوم يصيحون (ليحي الله) فلا نرى للغرابية محلا ولا نهجب لصيحتهم وهم ينظرون الى رمز الابدية الدائمة وقد تمثل أمامهم شيخا هرما قد بلغ أرذل العمر . فكيف لا ينخشون عليه من الهلاك والفناء ، وكيف لا يطلبون له الحياة ؟

كذلك (ياهو) (٢) الذي يمثلون به طهارة التوحيد اليهودي فهم يجعلونه في مثل تلك المظاهر المتناهكة . وكذلك تراه في متحف الفاتيكان وفي نسخ الأنجيل المصورة القديمة

أما (الله) في دين الاسلام الذي حدث عنه القرآن فلم يجرأ مصورا أو نحات أن تجرى به ريشته أو ينحته لزميل . ذلك لان (الله) لم يخلق الخلق على صورته ، وتعالى سبحانه فلم تكن له صورة ولا حدود محصورة وهو الواحد الأحد الفرد الصمد ولم يكن له كفوا أحد

وقد يقال لنا إن تلك الصورة التي وصفناها والتي يمثل بها المسيحيون الاله عندهم هي مما لا يرضى عنه

(١) انجيل لوقا . الاصحاح الثاني عشر . ٣٩ — ٥٣

(٢) (ياهو) أي الله . وهي الاصل العبري



أهل الدين السليم منهم . على اننا لو سلمنا بهذا الاعتراض جدلا فسادا هم قائلون وليس في الكنيسة كلها الاصلاح واحدة وقصيرة يحدون بها الاله (الأب الابن والروح الأم والصلب وقلب يسوع المقدس فلها كل الصلوات ولها آلاف الصور والتمائيل ذات الاحترام والاحلال . وكلها مقدسة عندهم مثل تقديس الوثنيين لأصنامهم التي تمثل معبوداتهم . انتهت الشذرة السابعة

#### ﴿ الشذرة الثامنة - علو الهمة ﴾

قال رسول الله ﷺ « علو الهمة من الايمان » وذلك أنه لما كانت الشريعة الغراء قد سارت بين الناس ، ولما كان لابد للناس من مراتب ودرجات ، لم تجعل لأحد منهم فضلا على أحد الا بعلو الهمة في مكارم الاخلاق وبالنبيل وبالذكاء . وفي هذا فليتنافيس المتنافسون . وأما ما جاء في الانجيل من قوله . ( من اطماع على خلدك الايمن فحول له الآخر أيضا . ) فذلك ضرب من ضروب الحطة بالنفس والنزول بها والذهاب بكرامتها ، كما انه تشجيع ضمنى لاهل السوء والخبثاء في أن يظهروا ويسودوا . وفكرة التسليم هذه والتساهل في شأن النفس وعدم الأخذ لها بالشدّة ترجع الى أصل هندي . ولذلك تسكن في طبائنها تلك الاسباب المتأصلة التي أخضعت الهند الكبيرة لنير انجلسترا الصغيرة ، وليس عجيبا بعد ذلك أن نرى الانجليز يخرجون على تعاليم الكنيسة ولا يهتمون بأوامر المسيح في عظة الجبل من السكون وعدم التعدي . انتهت الشذرة الثامنة

#### ﴿ الشذرة التاسعة - المساواة ﴾

لقد حقق الاسلام نظرية المساواة هذه بين القبائل والشعوب وهي النظرية التي لم تأت أخيرا إلا على يد الثورة الفرنسية . وهذا بلال الحبشي أقامه الرسول مؤذنا للمسلمين فكان العرب ، وهم من الشعوب التي تفخر بالاجداد والأنساب ، تسمع له وتسمى الى الصلاة اذا ما أذن فيهم هذا العبد الحبشي . انتهت الشذرة التاسعة

#### ﴿ الشذرة العاشرة - مسايرة الطبيعة ﴾

لا يمتدد الاسلام على الطبيعة ، التي لا تغلب ، وانما هو يسير قوانينها ويزامل أزمانها ، بخلاف ما تفعل الكنيسة من مغالطة الطبيعة ومصادمتها في كثير من شؤون الحياة : مثل ذلك الغرض الذي تفرضه على أبنائها الذين يتخذون الرهبنة فهم لا يتزوجون وانما يعيشون أعزاب . على أن الاسلام لا يكفيه أن يسير الطبيعة وأن لا يمتد عليها وانما هو يدخل على قوانينها ما يجعلها أكثر قبولا وأسهل تطبيقا في اصلاح ونظام ورضاء يسور مشكور حتى لقد سمى القرآن لذلك ( بالهدى ) لأنه المرشد الى أقوم مسالك الحياة ولأنه الدال على أحسن مقاصد الخير والأمثلة العديدة لاتعوزنا ، ولكننا لا قصدنا أخذ أشهرها وهو التساهل في سبيل تعدد الزوجات ، وهو الموضوع الذي صادف النقد الواسع والذي جلب للإسلام في نظر أهل الغرب مثالب جمة ومطاعن كثيرة . وما لا شك فيه أن التوحيد في الزوجة هو المثل الأعلى ، ولكن ما العمل وهذا الأمر يعارض الطبيعة ويصادم الحقائق ، بل هو الحال الذي يستحيل تنفيذه . لم يكن للإسلام امام الأمر الواقع ، وهو دين البسر ، إلا أن يستبين أقرب أنواع العلاج فلا يحكم فيه حكما قاطعا ولا يأمر به أمرا باتا . والذي فعله الاسلام أول كل شيء أنه أنقص عدد الزوجات الشرعية ، وقد كان عند العرب الأقدمين مباحا دون قيد ، ثم أشار بعد ذلك بالتوحيد في الزوجة في قوله تعالى . وان خفتم أن لاتعبدوا فواحدة . وأي رجل في الوجود يستطيع أن يعدل بين زوجاته المتعددات ! ولذلك كان التعدد بهذا الشرط مستحيل التنفيذ ، ولكن انظر كيف وضعه الاسلام وضعا هو غاية في الرقة والدقة واللطف مع الحكمة . ثم انظر هل حقيق ان الديانة المسيحية بتقريرها الجبري لفردية الزوجة والتوحيد فيها وتشديدها في تطبيق ذلك قد منعت تعدد الزوجات ؟ وهل يستطيع شخص أن يقول ذلك دون أن يأخذ منه الضحك مأخذه ؟ وإلا فهو لاء مثلا ملوك فرنسا (دع عنك الافراد) الذين كانت لهم الزوجات المتعددات والنساء الكثيرات وفي الوقت نفسه لهم من الكنيسة كل تعظيم واكرام ، إن تعدد الزوجات قانون

طبيعي ، وسيدني مابق العالم . ولذلك فان مافعله المسيحية لم يأت بالفرض الذي أراده ، فانكسرت الآية معها  
وصرنا شهداء اغراء بجميع أنواعه . وكان مثله في ذلك مثل الشجرة الملوثة التي حرمت ثمراتها فسكان الشجر يح  
اغراء . على أن نظرية التوحيد في الزوجة وهي النظرية الآخذة بها المسيحية ظاهرا تنطوي تحتها سيئات  
متعددة ظهرت على الأخص في ثلاث نتائج واقعية شديدة الخطر بحسبة البلاء . تلك هي الدعارة ، والموانس  
من النساء ، والابناء غير الشرعيين . وأن هذه الأمراض الاجتماعية ذات السيئات الاخلاقية لم تكن تعرف  
في البلاد التي طبقت فيها الشريعة الاسلامية تمام التطبيق . وانما دخلتها وانتشرت فيها بعد الاحتكاك بالمدينة  
العربية . ومن الأمثلة القائمة على ذلك ما كان من أمي وادي (ميزاب) حيث تسكن القبيلة التي بهذا الاسم  
في بلاد الجزائر إذ لم تدخلها الدعارة الا بعد ضمها الى فرنسا عام ١٨٨٣ . وقد وصل بها الحال اليوم ان أربع  
بلدان من مجموع كاهن سبع بلدان قد ابتليت بهذا الداء الويل . وبما نرويه من هذا القليل ماجاء في كتاب  
«الاسلام» تأليف (شمس مولا) «انه عند ما غادر الدكتور مافرو كورتاتو» الاستاذ سنة ١٨٢٧ الى برلين  
للمراسلة الطب لم يكن لعاصمة العثمانية كلها بيت واحد للدعارة . كالم يعرف فيها داء الزهري (وهو السفليس  
المعروف في الشرق بالمرض الأفرنسي) فلما عاد الدكتور بعد أربع سنين أي سنة ١٨٣١ تبدل الحال غير الحال  
وفي ذلك يقول المصدر الأعظم الكبير رشيد باشا في حشرة موحدة (اننا نرسل أبناءنا الى أوروبا ليتعلموا  
المدينة الافرنسية) فيمودون الينا مرضى بالداء الافرنسي على أنه من جهة أخرى نرى أن الطلاق قد يخفف  
بعض الشيء من أضراره هذا التفتت في القصر على زوجة واحدة . ولكن من جهة ثانية نرى أن الطلاق سيء  
من السيئات . إذن ، إذن ماذا ؟ إذن أي الأدواء قد خلا تماما من بعض السميات ؟ على أن الكنيسة قد أساءت  
كذلك في مسألة الطلاق بمثل ما أساءت في أسس التوحيد في الزوجة . وذلك بمخالفتها أيضا لقوانين الطبيعة .  
انظر هل أشد من الحكم على زوجين شابين لم يستطيعا من بعضهما داءا ، وقد خاب ظنهما في الزواج ولم يدركا السعادة  
التي طلباها من وراء ذلك ، هل أشد من الحكم عليهما بأن يخلعا يقضيان بقية أيامهما في عذاب ونسك وشقاء ؟  
كذلك اذا كان أحدهما عاقرا أو كان غير كفء لزميله ، هل يحرم الآخر من أن يبنى لنفسه بآخر وأن يقيم  
له عائلة من جديده . واننا ونحن في صدد الطلاق لا نقولنا حكمه الشرع الاسلامي وهو يرى السوء في فوضى  
الطلاق فيسمع النبي الكريم يقول (أبغض الحلال الى الله الطلاق) . انتهت الشذرة العاشرة

#### ﴿ الشذرة الحادية عشر — بساطة الصلاة والنظافة ﴾

ان الحركات والاشارات في الصلاة الاسلامية هي ذات بساطة ونظافة وبساطة لم يسبق لها مثيل من نوعها في  
صلاة غيرها . كما أنها لا تدهو الوجوه بالظاهر والتسكف ، ولا العميون بالشخوص الى السماء واستئزال السموع  
التي تذكرنا بالدموع الجليسة بنية التي يصطنعها عثماني السينا في عصرنا الحاضر . حقا ان الصلاة الاسلامية  
خالية من تلك الأمور الشائنة التي خصها المسيحيون بالصور المسيحية مما جعلها في غير جلال ولا جلال ولا وقار  
حقا ان الاقوال والحركات التي في الصلاة الاسلامية هي ذات دلالة على الرزانة والهدوء والاطمئنان ، وهي خالية  
من مبالغات الورع وتسكفات الخضوع والتظاهر بذلك مما هو غريب في العبادات ، لأن الله سبحانه وتعالى  
عليم بما في الصدور وهو الغني العزيز ثم ان من الأمور القريبة تخصيص وجود الاله في السماء عند دعوته . وهذه  
الحال تحمل في طياتها الحدا ، اذ تجعل السماء . منفاه ، وتنتفي بذلك عنه صفة الوجود في كل مكان وحركات الصلاة  
الاسلامية ، فوق تمييزها التام مما تحمل نفوس المؤمنين من العاطفة النبيلة نحو المولى الكريم ، تقوم للجسم  
بأعظم مزايا الحركات الرياضية . فهي مفروضة الأداء خمس مرات في اليوم الواحد . وكل من شيخ كبير  
وبدين سمين يستطيع كلاهما السجود والركوع والوقوف دون كبير عناء ولا مشقة مما لا يستطيعه مسيحي في  
مثل هذه السن أو في مثل هذه الحال ما لم يكن قد استراض على ذلك من قبل . انتهت الشذرة الحادية عشر

### ﴿ الشذرة الثانية عشر - الأذان ﴾

يتميز الاسلام في الدعوة الى الصلاة بأن الانسان هو الذي يدعو إخوانه الى تأدية هذه الفريضة . وأن صوت الانسان صوت طبيعي وهو أدعى الى حل العاطفة الانسانية الصادرة من قلب المؤمن الى إخوانه المؤمنين للقيام بأهم أركان الاسلام من أى آلة صناعية ومن القلب الى القلب رسول الله  
هنا ما أردته من رسالة (المسيويان دينيه) المسلم الفرنسي والمصور الشهير . ثم انظر الى ما جاء في جريدة الاهرام بتاريخ يوم السبت أول فبراير سنة ١٩٣٣ م وهذا نصه

### ﴿ المؤتمر الدينى الدولى ﴾

( لخدمة السلام فى العالم )

منذ نحو سنتين قام جماعة من رجال الأديان فى (أمريكا) يسعون لإنشاء مؤتمر دينى دولى يمثل مختلف الأديان والمذاهب فى العلم بقصد خدمة السلام العام بواسطة الدين وعقدوا اجتماعهم الأول فى شهر سبتمبر سنة ١٩٢٨ م فى جنيف تحت رئاسة الدكتور (شابلمانيو) رئيس السكايه الدينية فى جامعة (شيكافو) فى الولايات المتحدة ، وكان الحاضرون ١٩١ مندوبا من بلدان مختلفة وأديان شتى ، وقد قرروا الاجتماعون إذ ذاك استنادا لـ لجنة مؤقتة لتنظيم أعمال المؤتمر برئاسة الدكتور (مانيو) المشار اليه وألفت تلك اللجنة من خمسة وعشرين عضواً وجعل سكرتيرها الدكتور (انكسسون) من نيورك ، وكان (١٢) من أعضائها يمثلون المسيحية وعضو واحد يمثل الاسلام ، وعضو يمثل الهندوس ، واثنان يمثلان دين (كونفوشيوس) واثنان لليهودية ، وعضو يمثل البهائية ، وعضو يمثل الشنتوا فى اليابان . وعضو البوذيون فى سيلان . وعضو للشيوعيين فى هولندا . وعضو للجوس فى الهند

وقد تقرر إذ ذاك عقد مؤتمر عالمى للسلام يبنى عمله ومساعدته على مبادئ الأديان التى ينتمى اليها أعضاؤه بدون أن يجزئ ذلك الى المفاضلة بين مزايا هذا الدين إذ ذاك على أن يكون غرض الجميع واحداً . وأن يبنى هذا الغرض على المبادئ الآتية

(١) أن يذكر كل ممثل لدين من الأديان تعاليم ذلك الدين فيما يتعلق باستقرار السلام ووجوب احلاله

محل الخصام فى العالم

(٢) ذكر مجموعات الهيئات الدينية فى سبيل نشر لواء السلام فى العالم

(٣) وضع القواعد التى يمكن السير عليها بصفة عامة لازالة العقبات الحائلة دون استتباب السلام وانتصار

الحق وضمان العدل بين الدول وازدياد محبة الخير العام

(٤) انتهاز كل فرصة لاستثارة السهور الدينية فى كل طائفة ضد روح العدوان والخصام وكل ما يؤدى

الى الشحناء بين الأمم

وقد عقدت بعد الاجتماع المتقدم اجتماعات متعددة فى أنحاء مختلفة ولاسيما فى أمريكا إذ يظهر أن فكرة المؤتمر الدينى العالمى نشأت من هناك . وأخرج الاجتماع للجماعة عقد فى شهر أغسطس الماضى فى مدينة مانكفورت فى ألمانيا تحت رئاسة الدكتور (شابلمانيو) حامل لواء المؤتمر . وقد حضره (٦٢) عضواً يمثلون جميع الأديان الحية فى بلدان العالم . وفى هذا الاجتماع ذكر السكرتير الأمريكى انه ساح فى بلدان الشرق الأقصى وقابل فيها زعماء الأديان والمذاهب المختلفة وباحثهم فى مسألة اتحاد المؤتمر الدينى العام لمقاومة الخصام واحلال السلام محله بين البلدان فأيدوا المشروع وحبذوه . وقد تقرر فى الاجتماع (فرانكفورت) انتخاب لجنة لتنظيم المؤتمر القادم وعقدته على أن يكون له ستة رؤساء وثلاثة عشر وكيلات تدب للتنفيذ وأنشئت للمؤتمر سكرتير رئيسية مركزها فى (نيورك) وأنشئت لها ثلاثة فروع فى لندن وباريس وبرلين . وتقرر تعيين سكرتير فى اليابان

وسكرتير في الصين وواحد في الهند وواحد في الشرق الأدنى وواحد في البلقان وسكرتير لأوروبا الجنوبية .  
ثم أصدرت الهيئة القرار الآتي

« قرّرت أن يعهد الى اللجنة اتخاذ التدابير اللازمة لعقد المؤتمر الديني الدولي في سنة ١٩٣١ في إحدى بلدان الشرق وأن يدعى لحضوره ممثلو الأديان الحية في العالم

وقد انتهى الى حضرة صاحب السمو الأمير الجليل محمد طوسون باشا الذي أصبح علما من أعلام الشرق وقطباً من أقطابه كتاب من المستر عبد الله يوسف على الهندي الذي كان وزيراً للمالية في حكومة نظام حيدرآباد يلتمس فيه من سموه باسم لجنة المؤتمر أن يقبل رئاسة المؤتمر فيكون في مقدمة الرؤساء الستة الذين تقرّر اختيارهم من كبار الرجال لرئاسته ويكون ممثلاً للإسلام في الرئاسة ، وتلقى سمو الأمير أيضاً كتاباً من سكرتير المؤتمر الدكتور (نسكسون) الأمريكي يسط فيه لسموه الأغراض النبيلة التي يسعى اليها القائمون بأمر هذا المؤتمر الديني الجديد ويقول ان البارون (ساكيتاني) الياباني والدكتور طاغور الشاعر الهندي الشهير سيكونان من الرؤساء الستة ، وإن الكنيسة الكاثوليكية ستختار عظيماً من عظمائها ليكون من الرؤساء ، وأن الاستاذ (اينشتين) الألماني العالم المشهور سيكون رئيساً ممثلاً لليهود ، والمفهوم أن الأمير الجليل لم يقرّر حتى الآن شيئاً بهذا الشأن . انتهى

\*\*\*

وما يناسب قوله تعالى : وسراجاً منيراً . ما جاء في جريدة الاهرام بتاريخ يوم الثلاثاء ٢٨ يناير سنة ١٩٣٠ م وهذا نصه

### ﴿ حالة العميان في مصر ﴾

وجهت « جمعية العناية بالعميان » في سان فرانسيسكو الى وزارة الخارجية المصرية أسئلة طالبة الجواب عليها وانها أحالتها الى الجهات المختصة ، وفيما يلي نص الأسئلة واجابة وزارة المعارف على كل منها (س) هل يأخذ العميان اعانة ، وما مقدارها ، وما وجه استحقاقها ؟

(ج) تدفع الحكومة الاعانات المختلفة لبعض معاهد العميان حسب درجة تقدّم كل منها كما يأتي :  
٧٠٠ جنيه لمدرسة العميان بالزيتون و ٢٥٠ جنيه لمدرسة العميان بالاسكندرية التابعة (للكونقس ميث) و ١٥٠ جنيه لمدرسة العميان الأهلية بالعطارين و ١٥٠ جنيه لمدرسة الكفيفات بالزيتون ، ويدفع بعض أعضاء الجالية البريطانية اعانات لستة نفقات ثمانية تلاميذ بمدرسة الزيتون بمعدل ١٢٠ قرشاً في الشهر لكل تلميذ ، وتدفع سيدتان مصريتان إعانات لستة نفقات تلميذين آخرين بهذه المدرسة

(س) كم عدد العميان تحت اشراف الحكومة ؟

(ج) يوجد (٨٠٠) طالب تحت اشراف الحكومة منهم (٢٠٠) بمعهد الأزهر بالقاهرة و ١٠٠ بمعهد أسيوط و ١٠٠ بمعهد الاسكندرية و ١٠٠ بمعهد طنطا و ١٠٠ بمعهد دسوق والزقازيق و ٥٠ بمدرسة الزيتون للعميان و ٥٠ بالاسكندرية . أما الاناث فيوجد منهم ١١ تلميذة بقسم العميان الكائن بمدرسة تمرين معلمات بولاق التابعة لوزارة المعارف و بمدرسة الكفيفات بالزيتون . أما العميان الذين ليسوا تحت اشراف الحكومة فهم ٢٠٠ طالب بمدرستين في القاهرة إحداهما ببولاق والأخرى بشارع المطار بالأزهر تحت اشراف لجنة انكليزية برئاسة (الطران جوين) و ٩ طالبات بكلية البنات الانكليزية ببولاق تحت اشراف اللجنة المذكورة و ٥ طالبات بمدرسة الأمريكان بالزقازيق و ٥ طالبات بمدرسة الأمريكان في المنصورة و ٤ طالبات بمدرسة الأمريكان بدمنهور و ٩ طالبات بمدرسة الأمريكان بأسيوط و ٨ طالبات بمدرسة الأمريكان بالأقصر وكلهن تحت اشراف كلية الأمريكان ، و يبلغ مجموع العميان بالقطر المعمرى ١٥٥٠٠٠ منهم ١٠٥٠٠٠ ذكور

ذكور و ٥٠٠٠٠٠ اناث منهم نحو ١٠٠٠ تحت اشراف الحكومة وصناعات مختلفة والباقي يحترف قراءة

القرآن في المنازل والجنانات اذا كانوا مسلمين ومترلين في الكنائس اذا كانوا مسيحيين

(س) هل بذلت الحكومة مجهودا لتعليم العميان صناعة ؟ فان كان كذلك فما درجة نجاحهم

(ج) ابتدئ في تعليم العميان الصناعات سنة ١٨٩٦ ولكن نجاحهم فيها متوسط بالنسبة الى قلة الاعانات

(س) هل توجد مصانع يتقدم فيها العميان على غيرهم ؟

(ج) لا توجد صناعات مشتركة بين الاثمنى والبصير بل توجد مصانع خاصة بالعميان فقط وهذه المصانع

هى مصنع للسلال والكراسى بالمدرسة الاكليريكية القبطية بمهشة ، ومصنع السلال والكراسى والسجاد

بمدرسة العميان بالزيتون ، ومصنع للسلال والكراسى والفرش بالاسكندرية تحت رعاية (السكرتيس ميث)

ومصنع للسلال فقط بالاسكندرية تابع لجمعية أهلية ، ومصنع للشيالان والجوارب والسلال التى تصنع من الخرز

والسلك بكلية البنات الانكليزية ببولاق وهو خاص بالبنات فقط ومصنع للسجاد والكراسى والسلال بقسم

العميان بمدرسة معلقات بولاق التابعة لوزارة المعارف

(س) مانوع الأشياء التى ينتجونها

(ج) الأصناف المنتجة هى السلال وهى تصنع من القاب الهندى والصفصاف والكراسى الخيزران

المصنوعة من القاب الهندى والصفصاف والكراسى التى تصنع من قلب الخيزران وقش الباسم وقش الأرز

(س) أى الأصناف من أعمالهم وجدت رواجاً فى الأسواق

(ج) الأصناف الرائجة هى السلال بجميع أنواعها والكراسى وأطقم القش والفرش

(س) ماهى الطرق التى تتبع فى عرض منتجات العميان فى السوق

(ج) تعتمد الحكومة هذه المصانع بشراء ما يلزم لها من السلال وغيرها المصالحها وتعرض هذه المصنوعات

فى المعرض الدائم لمصلحة التجارة والصناعة

(س) أى النسبتين أكثر فى العميان نسبة الذكور أم نسبة الاناث ؟

(ج) تزيد نسبة الذكور على نسبة الاناث كما هو مبين فى الاجابة عن السؤال الخاص بعدد العميان

(س) أى الجنسين أكثر استعدادا لكسب الكسب

(ج) الذكور أكثر استعدادا لكسب الكسب بما يبذل من المجهودات لتعليمهم ، وعند الحكومة مشروع

لتوسيع نطاق العميان بالقطر المصرى ، وقد أنشأت الوزارة فصلا قسما لتخريج معلقات لهذا النوع بمدرسة

المعلقات الأولية الراقية ببولاق فى سنة ١٩٢٧ م وأتم الدراسة فى هذا القسم (١٣) طالبة سيتم تخرجهن فى

نهاية هذا العام وألحقت بهذا القسم فرقة من الضميريات ليكن بمثابة أداة تمرين للطالبات وعلى ذلك أرسلت

الحكومة الى انكسار بعثة للتخصص فى فن تعليم العميان مؤلفة من طالب وطالبة

(س) ما مقدار متوسط ما يكسبه أحدهما فى الاسبوع أو الشهر

(ج) يبلغ متوسط كسب الذكور فى الشهر أربعة جنيهات والاناث جنيهين

(س) هل تتمنون العميان بالاعانة ؟ وان كان كذلك فما هى الطريقة التى تتبعونها

(ج) توزع الحكومة اعانات حسب مقدار نجاح كل مدرسة من مدارس العميان

(س) هل توجد لاجئ للعميان وأى الجهات تنفق عليها ؟

(ج) لا يوجد للعميان سوى ملجأين أنشأتهما الحكومة للأيتام أحدهما بطره ، والآخر بالغربية يقبل

فيهما العميان ، وملجأ للجهائز بشبرا تابع للحكومة الايطالية يقبل فيه العميان أيضا وملجأين للاناث تابعين

لسلكية الأمريكان أحدهما فى فم الخليج والآخر بأسىوط يقبل فيهما العميان

(س) أى الصناعات وجدت أكثر فائدة على العميان الذين درّبوا تدريبا راقيا

(ج) صناعة الفرس والسلال والكراسي

هاتان الرسالتان رسالة المؤمن الديني ورسالة جمعية العناية بالعميان توجبان دقة النظر والملاحظة (أولاً) ان خدمة السلام العام لم نقرأها في التاريخ قبل النبوة المحمدية فان الاسلام هو الذي أيقظ الأمم شرقاً وغرباً وبنشاط حركته حرك الأمم في اختراع الآلات والقطارات والطائرات فتقاربت الأمم ، وهذا من أسرار كونه ﷺ سراجاً منيراً ، وأيضاً يذكرنا هذا بآية - حتى تضع الحرب أوزارها - وأن علماء الاسلام يقولون « إن الحرب سيقضى عليها » (ثانياً) إن ارسال جماعة من أميركا رسالة للمحافظة على العميان في مصر المسماة يدل دلالة واضحة أن اشراق النور النبوي قد أثر بطريق غير مباشر في أمم غير مسلمة والأمم المسلمة نائمة وهذا عار فكان الأحرى بهذه الأمم الاسلامية أن تكون هي آباء للأمم كلها لا أن يكونوا أذناباً . وسيكون في أمم الاسلام بعد الآن نهضة فكرية يرقى بها نوع الانسان . تم الكلام على اللطيفة الرابعة ( اللطيفة الخامسة )

( في قوله تعالى - يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم - ) اعلم أن بين القول والعمل مناسبة بصفة تظهران في هذه الآية ، إن الانسان يعقل الأشياء وتصدر عنه تلك الأشياء من « منفذين » منفذ اللسان ، ومنفذ الأعمال ، فهما فرعان لأصل واحد ، ونظام أحدهما يؤثر في الآخر ، فما من قول تقوله إلا وله آثار في أعمالنا ، وكلما كان القول أحكم كانت الأعمال الى الصواب أقرب ، لأن الدربة على الفضائل تكون في النفس ملكة تكون مصدراً لها من بعد ، فكل فضيلة في اللسان أوفى الأعمال تحدث في القلب أثراً وبتوالي الآثار تتأسس الملكات ، ومن الملكات الفاضلة تكون الأعمال الشريفة ، وملكة اللسان في الصدق وفي حسن القول تؤثر في النفس آثارها فيتعدي ذلك الأثر الى الأفعال فتتظم ، إن الأعمال والأقوال فرعان للنفس والقول أسهل ونزاعته أشد وجراحاته أنكى وسهامه أنفذ وخطره عظيم وفي الحديث « وهل يكب الناس في النار على وجوههم يوم القيامة إلا حساند ألسنتهم » انتهت اللطيفة الخامسة

( اللطيفة السادسة )

( في معنى قوله تعالى - وحملها الانسان - )

جاء في الفيروز بادى مانصه « وقوله تعالى - فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان - أى أن يخنها وخانها الانسان . قال : والانسان هنا هو الكافر والمنافق » اه  
وهذا المعنى واضح والحمد لله رب العالمين . انتهت اللطيفة السادسة ( اللطيفة السابعة )

( هذه اللطيفة عامة في السورة كلها وفيما قبلها وبعدها )

ذلك ان الله تعالى يقول فيها - يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءكم جنود - الخ . ذكر الله المؤمنين بنعمة الله عليهم إذ نصرهم في غزوة الأحزاب ، كما ذكر قوم موسى بنجاتهم من فرعون وهذا تذكري فيكم من نعم . إن الناس يتقبلون فيها صباحاً ومساءً ، فأجسامهم ملئت بحكمة وهم مغمورون في ضياء الشمس ونور القمر والكواكب والهواء وعندهم نبات وحيوان ومالا يعد ولا يحصى وانما هذه يعرفها العامة والخاصة لأن أكثر الناس لا يشكرون الله إلا على النعم الخاصة كالنصر في هذه الغزوة والا فالنعم لانهاية لها ولذلك أردف هذه السورة بسورة سبأ المبدوءة بالحمد لله ، وعلل الحمد بأن له مافى السموات ومافى الأرض وانه يحمد في الآخرة وحده ، ومقتضى هذا أن نعم الدنيا والآخرة له وهو يحمد عليها لأنها كلها واصله اليها ، فليس الحمد لله خاصاً بالنصر في الأحزاب ( انظر هذا المقام في أول السورة الآتية ) تم تفسير سورة الأحزاب يوم الثلاثاء ٢٤ مارس سنة ١٩٢٥ م و ٢٨ شعبان سنة ١٣٤٣ هـ والحمد لله رب العالمين

## تفسير سورة سبأ

### ( هي مكية )

( إلا قوله تعالى - وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبشكم إذا مزقتم كل ممزق إنكم لفي خلق جديد - الآية )

( آياتها ٤٥ - نزلت بعد لقمان )

﴿ هذه السورة قسمان ﴾

﴿ القسم الأول ﴾ في تفسير البسملة

﴿ القسم الثاني ﴾ في تفسير السورة كلها

﴿ القسم الأول في تفسير البسملة ﴾

لك الحمد اللهم على ما أوليت من نعمة العلم وأفدت من آثار العرفان ، وهديتنا إلى ما نحن بصدد من تفسير آيات كتابك ، وألممتنا أن نذكر أنفسنا والأمم الإسلامية برحمتك الواسعة التي كورتها في أول كل سورة من كتابك تفتح بصائرنا إلى عجائب حكمتك وبدائع صنعتك وبواهر خلقتك وجواهر نظامك ، فحمدناك على ما في سمواتك وأرضك ، وعلى ما فتحت من بصائر هذه الأمم الإسلامية الحاضرة والمستقبلة بما أنزلت في هذه السورة من غرائب ما تخرج من أرضك في زماننا من أنواع المعادن وأصناف الخزائن التي أودعتها أمم قبلنا كأهل سبأ ذوى الجند والشمير وأصحاب الجنتين اللتين عن يمين وشمال وأنهم لما حفظوا نعمتك وحافظوا على هبتك أبقيتهم ولما كساوا من ذلك الحفظ وتقاطعوا أرديتهم في حفرة الهلاك وأذقتهم سوء السكال والنسي يدلنا على ذلك تلك الرسوم المصورة التي أخرجت من أرض سبأ في زماننا تذكيرا للملوك البهمن وعلماء البهمن وعظمائهم أن في بلادكم نعماء ان استخرجتموها أبقيت بلادى بأيديكم والا فأرضى أعطيها لمن يستخرجون منافعها ويحفظون نعمها ويسعدون بها عبادى ، فليس من العدل أن يكون أتباع خاتم الأنبياء أقل شكريا للنعم من أولئك الذين كانوا يعبدون الشمس من دون الله ، كل ذلك الايقاظ والتحذير من رحمتك الواسعة التي صاحبها العلم بكل جليل ودقيق

ومن رحمتك الواسعة المذكورة في البسملة انك أفدتنا في قصة داود وسليمان أن شكر نعمتك والقيام بخدمتك ليس قاصرا على العبادة ولو كانت الجبال مؤنسات مع العابدين ، مرددات لتلك الصلوات ، صرلات لتلك التسبيحات ، فن حق الشاكر أن يقوم بما يقدر عليه من الصناعات وينقنها كإذابة الحديد وصناعة الدروع واستخدام الريح ، ومن أجل الرجاء على المسلمين اليوم أن يعلموا أن ما تلقى الأرواح من الأقوال لأهل الأرض أثناء تحضيرها ليس حجة قاطعة فهم لا يعلمون الغيب وليس يدعيه منهم إلا أرواح صغيرة ضيقة العطن قليلة الفطن ، ومن الرحمة التي ظهرت آثارها في الأرض بعد النبوة انك أعلنت في هذه السورة أن نبينا ﷺ مرسل للناس كافة بشيرا ونذيرا وان أكثر الناس لا يعلمون وانك أنت المختص بعلم ذلك ولقد ظهرت تلك الآثار لنا عيانا وصدق وعد الله . ومن اطلع على مؤلفات الفرنجة في انتشار الاسلام في أفريقيا عند خط الاستواء وفي شماله وجنوبه يدهش إذ يسمعون يبرهنون على ان هذا الدين لا ينتشر بالسيف بل بالحب والمودة والإخلاص وأن اتهام قومهم في أوروبا بأن انتشار الاسلام انما كان بالسيف ضلال مبين ولقد وجدوا في أفريقيا ملوكا عظاما وأعضامهم قبائل بيض الوجوه لهم السلطان والسيطرة وهم في احتلالهم أرض غيرهم وحمايتهم لهم سياسة أشبه بسياسة الاوربيين ، فعلم الأمم الإسلامية بهذه المزاي وبما انطوت عليه آيات السورة في زماننا من أجل النعم التي ستثير العزائم وترفع الأمم الحالية إلى أوج العلا ويخرج جيل إسلامي جديد أعز

نفوسا وأرقى عزائم وأعلم بما أبدع الله في أرضه وما خلق في سمائه هنالك تصالح الأمم الإسلامية بعمارة الأرض ولحب ربهم والهيام به والغرام بعمله ، هنالك يشكرونه فلا يكفرونه ويدكرونه ولا ينسونه ويصيح فاحتهم بما يرون من العجائب في هذه الطبيعة الأرضية والسموات ناطقين في قلوبهم بمثل ما ذكره (الكوفت هنري دي كاستري) عن بعض علماء الاسلام ﴿ رب إن الجنة لا ترجى إلا لرؤيتك فيها ، ولولا نور ذاتك البهية لعفناها ﴾ وما نقله هو أيضا عما يؤثر عن (الشيخ القشيري) في القرن الرابع الهجري ﴿ إلهي إنك تهتدني بفراق يحرمني على السوام من تجلياتك البهية ، فيارب اصنع بي ما تشاء ولا تحرمني من مشاهدتك العلية ، فليس سم أصرا مذفا وأشد قتلا من ألم هذا الفراق ، وما حيلة النفس بغير ربها إلا أن تعيش في فزع وتبقى في حيرة واضطراب ، رب إن النفس لترضى بن تدوق الموت مائة ألف مرة ولا تدرك سحرة فرقته كسرّة واحدة ، رب إن مصائب الدهر وجيع الأمراض القتالة لو اجتمعت على لاحتملتها غير متوجع من موقعها ولكن لا طاقة لي على احتمال بعدك عني ، رب لو احتجبت عنا برهة أتلت أرضنا وغاضت أنهارنا فإذا يكون حالنا لودام هذا الاحتجاب ؟ لولاه لما أحرقنا نار الجحيم واشتد طمها ، رب ان في تجليك حياتنا وكمال سعدنا ونعيمنا ، وفي احتجابك عذابنا وحجيمنا ﴾ انتهى الكلام على تفسير البسملة وهو القسم الأول

﴿ القسم الثاني في تفسير السورة ﴾

### ﴿ مقدمة ﴾

اعلم أن في مبادئ السور حكما غالية وإشارات عالية ورموزا شريفة ، ألم ترى ﴿ سورة الفاتحة ﴾ كيف ابتدأها بعد البسملة بالحمد لله على تربيته للعالمين وقد شرحت التربة هناك ونظامها وتناسقها وعمومها في العوالم كلها ، فهناك تربية العوالم اجالا ، وأما ﴿ البقرة ﴾ ونحوها فهناك نسكة لطيفة وهو ابتداء السورة بحروف (الم) ولها فضلا عما ذكر بأول آل عمران ﴿ اشارتان بديعتان \* الأولى ﴾ إن الحروف الهجائية هي العناصر الأولى لكل كلام نظم أوثر ، ولن يفهم الكلام حق فهمه إلا بالرجوع لحروفه وتحليله وتقطيعه حرفا حرفا ، فلن تكون علوم البلاغة ولا الصرف ولا النحو ولا سائر العلوم العربية إلا بالرجاع الكلمات لأصلها وبحثها وتقليبها على جميع وجوهها بالتصريف وغيره . وإذا كان ذلك كذلك في علوم اللغة فأحرى أن يكون في علوم السكون من الطبيعيات والرياضيات فلا هندسة إلا بتحليل البراهين والرجوع لأصولها . ولا حساب ولا جبر ولا فلك إلا بتحليل الأعداد ومعرفة الأوليّة وغير الأوليّة فيقال عدد (٥) أولى و (٤) زوجي و (٧) أولى وهكذا تعرف جميع الأعداد بمعرفتها يعرف ما تركب منها وهكذا في الكيمياء والطبيعة فهل تعرف المركبات من الحيوان والنبات إلا بتحليلها ؟ وهل يعرف الناس مركبا صناعيا إلا بالرجاع إلى عناصره الأولى هذا هو الذي يشير له ذكر الحروف في أول السور كسورة البقرة وآل عمران والرعد والروم والعهدة كعبوت وغيرها وهذه النسكة عامة . وهناك لطائف خاصة كأن يقال في البقرة مثلا (الم) هذه حروف جاءت في قوله تعالى - ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم آلف - الخ وقوله - ألم تر إلى الملاء من بني إسرائيل من بعد موسى - وقوله - ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه -

فانظر كيف أتى بقوله - ألم - للاستفهام الاقاربي في مسألة الحرب والدفاع عن البلاد وفي مسألة النظر في العوالم ونظامها وتحليلها كما حلل إبراهيم الطير وركبه وذلك هو العلوم الطبيعية فكأن (الم) تنبيه على ذلك . فكأن الله يحث المسلمين بهذه الحروف على معرفة السكائن بحسب وتدقيقا وتفكيكا وتحليلا وتركيبا هذا ما ذكره لك في البقرة وفي كل سورة مبدوءة بالحروف المقطعة كما تقدم بعضه في الروم وما قبلها وما بعدها . فانظر إلى الابتداء بالحمد . قد رأيت الابتداء بالحمد لله في سورة الفاتحة ثم في سورة الأنعام . ففي الفاتحة يحمد الناس ربهم على التربية الاجالية لأن السورة افتتاح للقرآن ولكن في الأنعام الحمد على نعمة السموات والأرض والظلمات والنور ففيها بعض التفصيل واطهار الجمال وبدائع النور المبهج البديع المشرق في العالم كله



والحمد في أول (الكهف) على نور العلم كما كان في الأنعام على نور السكواكب واشترقها . وههنا ابتداء السورة بالحمد على أن لله مافي السموات ومافي الأرض وليس الحمد خاصا على النجاة من الأسراب الذين تنزبوا على رسول الله والمؤمنين ونصر الله المسلمين عليهم . يقول الله : إن لي مافي السموات ومافي الأرض وأنا محمود عليهما . إن كل عبده انتفاع بجميع العوالم . فالنعم المشتركة يفتنح بها الجميع . إن ادراك نعم الله وعظمها أعظم سعادة للمدرك لأنه يرى ما لا يراه غيره . ولذلك يكون سعادة أهل الجنة باطلاعهم على مزايا إبداءه ويدركون الحقائق تامة وهو قوله . وله الحمد في الآخرة . الخ . وأما قوله . يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يخرج فيها . فاعلم أنه كما يشير في أول سورة الروم والعنكبوت والبقرة بالحروف الهجائية الى أمور هامة في السورة كحجائب التحليل المذكورة في قصة ابراهيم في سورة البقرة وكيف بدأ الله الخلق في سورة العنكبوت ونحوها . هكذا هنا قال الله . يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها . يشير بذلك الى ماسيدكر في هذه السورة من الكشف الحديث . يريد الله أن يقول للمسلمين أنا لم ألهم عبادي أيام مجد الأوائل من سبأ وقطان والتبابعة أن يكتبوا على الأحجار ويظمروها إلا لعلمي انها ستخرج لعبادي في هذا الزمان . إني ألهمت الأوائل أن يدخلوا في الأرض مصنوعاتهم ويكتبوا أخبارهم على أحجارهم لأخرجها لعبادي المتأخرين فيعرف الآخرون ما ترك الأوائل عظة واعتبارا وحكمة

ستقرأ أيها النكي ما كشفه العلماء الألمان والفساويون والانجليز وغيرهم في أصقاع (سبأ) والمسلمون لا يشعرون . دفن الله ذلك هناك ليرينا آثارهم فقال . يعلم ما يلج في الأرض . كذلك الآثار التي أوجدها في أرض (سبأ) . وما يخرج منها . كما تخرج تلك الآثار اليوم كما ستراه في هذه السورة . فانظر لماذا ابتداء هنا بذلك . انظر أنه لم يذكر كذلك في أول سورة إلا هذه . انظر كيف بدأ بالحمد على أن له مافي السموات ومافي الأرض ليدلنا على أنه ليس النصر على الأحزاب هو النعمة وحدها . إن النعم كثيرة فاحمدوا الله عليها . ثم ذكر الولوج والخروج في الأرض ومنها ليدلنا على ماسيأتي ذكره في السورة من علوم تلك الأمم في أرض اليمن . وأما قوله . وما ينزل من السماء وما يخرج فيها . فانه يشير به الى نسكته أدق وحكمته أشرف ونور أصنى وعلم أعلى وبهاء أجلى وجمال بهيج

ذلك انه قد ذكر في (سورة النور) أن من الحيوانات ما يمشى على رجلين . ومنه ما يعيش على أربع وذكر النمل بعد ذلك وهو يمشى على ست وذكر العنكبوت بعد ذلك وهو يمشى على ثمانية أرجل . ولم يذكر العدد ؟ لأن أكثر الناس لا يفتنون لذلك ولكن جعل ذلك خزائن مخزونة في القرآن حتى يأتي هذا الجيل الاسلحي الجديد المقبل فيتنغلغل في الحكمة والعلم ويدرس الوجود ويقول انظريا أخى . انظر كيف خبا لنا ربنا العجائب في القرآن . انظر كيف جعل (٢) و (٤) من أرجل الحيوان في سورة النور و (٦) في سورة النمل و (٨) في سورة العنكبوت بالترتيب ولم يعلن ذلك لعامة جهل الناس وخباها لنا لنعرفه . ثم انظر كيف جاء في هذه السورة وقال . يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها . وقد عرفت رمزه . ثم قال . وما ينزل من السماء وما يخرج فيها . وما ينزل من السماء ويخرج فيها الملائكة . وسيأتي في (سورة فاطر) بعد هذه أنهم ذوو أجنحة مثنى وثلاث ورباع ثم قال . يزيد في الخلق ما يشاء .

لم يذكر الله فوق الرباع في القرآن لأن الناس لم يعرفوا من الأجنحة فوق الأربع ولا من الأرجل فوق الأربع لأنهم لم يدرسوا ولم يفتنوا إلا قليلا فذكر أنه . يزيد في الخلق ما يشاء . كأنه يقول إن للملائكة أجنحة فوق الأربع لاعدد لها والزيادة في الخلق لا تختص بأجنحة الملائكة فهكذا في أرجل الحيوان التي ذكر منها أربع يزيد فيها ما يشاء . ومعالم لك أن هناك من الحيوان ماله أربعون رجلا فأكثر فهذا من زيادة الخلق كما يشاء الله . انتهى الكلام على المقدمة

## ﴿ تفسیر السورة ﴾

فلا شرع في تفسير السورة ولا جعله فصولا ثلاثة ﴿ الفصل الأول ﴾ في تفسير الألفاظ بطريقي الإيجاز  
﴿ الفصل الثاني ﴾ في جعل السورة ستة مقاصد وتفسيرها تفسيراً عاماً كانت كتبه منذ عشرين في بعض  
الجلات العلمية ﴿ الفصل الثالث ﴾ في معجزات القرآن التي أظهرها العلم الحديث في مسألة الجن وانهم لا يعلمون  
الغيب ، ثم كيف كان سدّ العرم لازال آثاره باقية للآن وكيف أظهر أسرار تلك البلاد علماء أوروبا والمسلمون  
نائمون هائمون ، إن ذلك كله معجزات للقرآن ، وكيف ظهرت مسألة الجن في علم الأرواح ولا علم للمسلمين  
بذلك ، ولذلك تعجب حين ترى خريطة السدالمذكور في القرآن كشفها الأوروبيون (مع أن القرآن كتبهم  
والبلاد ملكهم) وهم لا يعلمون بذلك ولا يشعرون وحسبنا الله ونعم الوكيل

( الفصل الأول في تفسير الألفاظ السورة كلها )

( بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ )

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ  
الْخَبِيرُ \* يَعْلَمُ مَا يَلْجِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ  
الرَّحِيمُ الْغَفُورُ \* وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِنَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ  
الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْفَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا  
أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ \* لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ  
وَرِزْقٌ كَرِيمٌ \* وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي ءَايَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزِ أَلِيمٍ \*  
وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُبِينٍ  
الْحَمِيدُ \* وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُفْبِّسُكُمْ إِذَا مَرَقْتُمْ كُلَّ مُمَرِّقٍ  
إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ \* أَفَتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ  
فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ \* أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ  
إِنْ نَشَأْ نُخَسِّفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِكُلِّ  
عَبْدٍ مُنِيبٍ \* وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَالنَّارُ لَهُ الْحَدِيدُ \*  
أَنْ أَعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ \* وَلَسْلَيْنَا الرِّيحَ  
غَدُوًّا هَامًّا وَرَوَّاحَهَا شَهْرًا وَأَسْلَمْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِبِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ  
رَبِّهِ وَمَنْ يَرِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ \* يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبَ

وَنَمَائِلَ وَجْهَانِ كَاجْوَابٍ وَقُدُورِ رَاسِيَاتٍ أَفْعَلُوا إِلَى دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ  
الشَّكُورُ \* فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ  
فَلَمَّا حَرَ تِبْنَتِ الْجَنُّ أَنَّ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ \* لَقَدْ كَانَ  
إِسْبَاقٌ فِي مَسْكَانِهِمْ ءَايَةُ جَنَّاتٍ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلَدَةٌ  
طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ \* فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْمَرْمِ وَبَدَّلْنَا لَهُمْ جَنَّاتٍ  
ذَوَاتِ الْأَكْلِ خَضِيبٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٌ مِنْ سِدْرٍ لَقِيلٍ \* ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي  
إِلَّا الْكَافِرَ \* وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا  
السَّيْرَ سَبِيلًا فِيهَا لِيَالٍ وَأَيَّامٌ آمِنِينَ \* فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَامُوا أَنْفُسَهُمْ  
فَجَعَلْنَا لَهُمْ أَصْحَابِيًّا وَمَزَقْنَا لَهُمْ كُلَّ مُمْزَقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ \* وَلَقَدْ  
صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ \* وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ  
سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُوْثِقُ بِالْآخِرَةِ يُمُنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ  
حَفِيفٌ \* قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ  
وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمْ مِنْ شَرِكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَوِّيرٍ \* وَلَا تَسْمَعْ الشَّمَاعَةَ  
عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَدْنَى لَهُ حَقٌّ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ  
الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ \* قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ  
لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ \* قُلْ لَا نَسْأَلُونَ عَمَّا أُجْرِمْنَا وَلَا نَسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ \* قُلْ  
يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبَّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ \* قُلْ أُوْثِقُوا الَّذِينَ أَخَفْتُمْ بِهِ  
شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ \* وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا  
وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ \* وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ \* قُلْ  
لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَعْتِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَغْنُونَ \* وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ نُؤْمِنَ  
بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْفُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ  
بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا

مُؤْمِنِينَ \* قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّهُمْ أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ  
 جَاءَكُمْ بَلْ كُنتُمْ مُجْرِمِينَ \* وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعُّهُمْ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ  
 تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْمَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا  
 الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ \* وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ  
 مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ \* وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا  
 وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ \* قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَسَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ  
 لَا يَعْلَمُونَ \* وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرَّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ  
 صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جِزَاءُ الضَّعِيفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ \* وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي  
 آيَاتِنَا مُتَكِبِينَ أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ \* قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ  
 عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ \* وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ  
 جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ \* قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ  
 دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ \* قَالِيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ  
 لِبَعْضٍ نَفَقًا وَلَا ضِرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ \*  
 وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا يَتَنَبَّأُ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَنْ مَا كَانُوا يَعْبُدُ  
 آبَاءَكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا أِفْكٌ مُفْتَرَىٰ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسَاحُ  
 مٌ مَبِينٌ \* وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ \* وَكَذَّبَ  
 الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا مِشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ \* قُلْ  
 إِنَّمَا أَعْطُكُمْ بَوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلِي وَفَرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ  
 إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ \* قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ  
 إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ \* قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَٰمُ الْغُيُوبِ \*  
 قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِي الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ \* قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنْ  
 اهْتَدَيْتُ فَإِنَّمَا يُوْحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ \* وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَرَغُوا فَلَا قُوَّةَ وَاتَّخَذُوا مِنْ

مَكَانٍ قَرِيبٍ \* وَقَالُوا ءَامَنَّا بِهِ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاقُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ \* وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ \* وَحِيلَ يَتَنَبَّهُونَ وَيَنْتَهُنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاءِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ \*

التفسير اللفظي

( بسم الله الرحمن الرحيم )

(الحمد لله الذي له مافى السموات ومافى الأرض) أى ان كل نعمة من الله فهو الحقيق بأن يحمد ويثنى عليه من أبعدها (وله الحمد فى الآخرة) كما هو له فى الدنيا لأن النعم فى الدارين كلها منه وحسنه أهل الآخرة راجع لانكشاف الحقائق لهم فيكون الحمد على مقدار العلم وهو غريز ويرى اليه ما ورد في ان أهل الجنة يلهمون التسبيح والحمد كما تلهمون النفس (وهو الحكيم) الذى أحكم أمور الدارين فاستحق الحمد لذلك (الخبير) بمواطن الأشياء (يعلم ما يلج فى الأرض) كالغيث ينفذ فى موضع وينبع فى آخر وكالسنور والدخان والأموات (وما يخرج منها) كالحيوان والنبات والغازات وماء العيون وما استخرجه علماء أوروبا من بلاد (سبأ) الآتى ذكرها ، وذلك ما أشار به العالم الألمانى ميخائيل المتوفى سنة ١٧٩١ على ملك الدانمارك أن يرسل بعثة الى بلاد اليمن ففعل سنة ١٧٥٦ وأرسلها فعرفت بعض النقوش وقالت إن اليهود والعرب لا يقدرين على قراءتها ، وأول من فكّر فى ذلك الألمان فالنسكيلز فالفرنساويون ومنهم العلامة ارنو كان فى اليمن سنة ١٨٤٣ وعاد معه ٥٦ نقشا نقلها عن آثار صنعاء والخرىبه ومأرب وحرم بلقيس ، وأيضا أحضر خريطة سد مأرب وهو أول من تمكن من مشاهدة آثار ذلك السد ، فلهذا ذكر الله هنا ما يلج فى الأرض وما يخرج منها لعلهم بما سيحصل فى بلاد الاسلام وأن الأمة الاسلامية سيتولاهم الانحطاط وتصبح غيبة جاهلة ويأتى الفرنجة يبحثون عن أسرارها وأهلها نائمون عابثون جاهلون جامدون كما حصل فى هذه القرون إذ يكون تفسير هذه السورة ومجزأتها وسد مأرب المذكور فيها والجتان كل ذلك مغمور مخزون فى الأرض ومن المسلمين من يقرأ القرآن وهو جاهل - كالحمار يحمل أسفارا - والفرنجة يأتون فيقرؤون ويتعلمون تاريخ أسلافنا ويرون انهم كانت لهم مدينة عظيمة ويرون أبناءهم التابعين لأعظم نبى أصبحوا جاهلين بكل شئ ، بتاريخ أسلافهم ، بمعانى كتبهم ، علم الله ذلك كله قبل وقوعه فقال - يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها - مشيرا الى ماسياتى فى هذه السورة ، يقول الله انهم ما أوجوا آثارهم فى الأرض إلا بعلمى ولا أخرجها الفرنجة إلا بعلمى لأنى لا أفعل إلا الحكمة ، انظروا الفهم كيف خزنته فى الأرض قبل أتيكم آدم وأخرجته لكم الآن . هكذا خزنت عجائب سبأ ونقوشهم وأصرت أهل أوروبا فاستخرجوه ووضعت هذه الآية فى أول هذه السورة لأنبه المسلمين أن يستيقظوا فيتعلموا علوم الأمم ويبحثوا على ما خبأته فى الأرض ، إني خبأت فى الأرض عجائب طبيعية وصناعية ، فلئن لم يتفطن لها المسلمون ويستخرجوها فوعزتى وجلالى لأخرجنها منها ولأملكها لغيرهم ، إني لأعطي النعمة إلا لمن يستحقها فان نام المسلمون فلا منعن عنهم نسيم الحياة وأسلط عليهم الأمم ، أنا كنزت هذه الكنوز كما كنزت لليتيمين فى المدينة كنزا ولما بلغا أشدهما أخرجته لهما ، هكذا المسلمون كانوا أيتاما جهالا فاذا بلغوا الرشد فى هذا الزمان سلمتهم الأمانة المخزونة فى الأرض حتى يهرفوا بحمد القدماء ويستفيدوا من علومهم ويزيدوا عليها وتكون لهم مدينة أرقى من مدينة أولئك الأقوام والأسكنت الأرض غيرهم ويكونون خيرا منهم ، إني عادل رؤف رحيم حكيم عليم ، ما خلقت خلقى عبثا ، أنا الحكيم العدل لأحيد ولا أميل وأعطي النعمة لمن يفهمها وأطرد عنها من لا يعقلها

يقول مؤلف الكتاب : إن هذا التفسير وأمثاله جعل تنبيه المسلمين حتى يفعلوا وهو أشبه بمنبه عام ، فعلى كل ذكّا أن يسير على هذا المنوال ويوقظ الأمة فان كل من قرأ هذا القول مسئول عن أمته فليتواصوا بالحق وليتواصوا بالصبر ، وفي أعلى رجاء عظيم أن يهدي الله بهذا التفسير أمما ويحيي قلوبا ويشرح صدورا ويسعد دولا انه هو الغنى الجيد وقوله تعالى (وما ينزل من السماء) كالملائكة والكتب والمقادير والأرزاق والمطر والأنوار والصواعق ، وبالجملة أكثر ما جاء في علم الآثار العاوية من علوم الفلسفة الطبيعية وبعدها ثمانية مذكورة في كتاب الفلسفة الذي جعلته مختصرا للناشئين (وما يدرج فيها) كالملائكة وأعمال العباد والأبجزة والأدخنة والطيارات والمناطيد الجوية (وهو الرحيم الغفور) للفرطين في شكر نعمه مع كثرتها (وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة) انكارا لها واستبطاء واستهزاء (قل بلى) رد لسكلامهم (وربى لتأتينكم عالم الغيب) لا يفوت عامه شيء من الخفيات (لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا أصفر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين) الذرة أصغر منملة ، والكتاب المبين اللوح المحفوظ ، وقد تقدم تفصيل الكلام على هذه المعاني في أول (آل عمران) وفي سورة (يونس) وغيرها فارجع إليها . وقوله (ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات) متعلق بقوله - لتأتينكم - وقوله (أولئك لهم مغفرة ورزق كريم) أى لا تعذب فيه ولا من عليه (والذين سعوا في آياتنا) بالابطال وتزييد الناس فيها (معاصرين) مسابقين كي يفوتونا (أولئك لهم عذاب من ربح) سيء العذاب (أليم) مؤلم (ويرى الذين أوتوا العلم) أى ويعلم أولو العلم من مسلمي أهل الكتاب (الذي أنزل إليك من ربك) القرآن (هو الحق) بالرفع والنصب (زيهدي الى صراط العزيز الجيد) وهو دين الله (وقال الذين كفروا) أى قال بعضهم لبعض (هل ندلكم على رجل ينبئكم) يخدبكم بأعجب الأعاجيب (إذا مررتكم كل ممزق إنكم إنكم تنشقون) خلقا جديدا بعد أن تمزق أجسادكم كل تمزيق وتفريق بحيث تصير ترابا (أفترى على الله كذبا أم به جنة) جنون يوهمه ذلك ويلقيه على لسانه (بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد) أى عن الحق في الدنيا (أفلم يروا الى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفا من السماء) أى أعموا فلم ينظروا الى السماء والأرض وانهما حيثما كانوا وأينما ساروا أمامهم وخلفهم محيطان بهم لا يقدران أن ينفذوا من أقطارهما ولم يخافوا أن يخسف الله بهم أو يسقط عليهم كسفا لتسكينهم آيات الله (إن في ذلك) النظر الى السماء والأرض والتفكير فيهما ودلائلهم (آية) لهلالة (لسكل عبد منيب) راجع الى ربه مطيع له إذ المنيب هو الذي ينظر آيات الله ويعرف انه قادر على البعث (ولقد آتينا داود منا فضلا) وقلنا (يا جبال أوتى معه) من التأييد أى رجمي معه التسبيح إما بتلقي صوت مثل صوته واما بأنها تحمله على التسبيح اذا تأمل عجائبها فهي له مذكرات كإذكر المسيح مسبحا آخر ، وقوله (والطير) معطوف على محل الجبال وكان الأصل - ولقد آتينا داود منا فضلا - تأويد الجبال والطير فبدل به هذا النظم لفخامته (وألنا له الحديد) وجعلناه في يده كالشمع يصرفه كيف يشاء (أن) بمعنى أى (اعمل سابعات) أى دروعا كوامل واسعات تسحب في الأرض (وقدر في السرد) ضيق في نسج الدروع أو جعل النسج على القصد وقدر الحاجة (واعملوا) يادارد وآل داود (صالحا) في بما يعملون بصيرو) سخرنا (لسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر) جريها بالفسادة مسيرة شهر وبالغنى كذلك (وأسلنا له عين القطر) النحاس المذاب اسالة من معدنه فنبع منه نبوع الماء من ينبوع فلذلك سماه عينا (ومن الجن من يعمل بين يديه) من يعمل معطوف على الريح ، وقوله - من الجن - حال متقدمة (بأذن ربه) بأمره (ومن يزغ منهم عن أمرنا) ومن يعدل منهم عما أمرناه من طاعة سليمان (نذقه من عذاب السعير) عذاب الآخرة (يعملون له ما يشاء من محاريب) قصور حصينة ومساكن شريفة ، سميت بذلك لأنه يحارب عنها (وتماثيل) وصورا

أوتمائيل لللائكة والأنبياء على ما اعتادوا من العبادات ليراهم الناس فيعبدون على عادتهم \* يقال أنه كان له أسدان في أسفل كرسيه ونسران فوقه ، فإذا أراد أن يصعد بسط الأسدان له ذراعيهما ، وإذا فصد أظله النسران باجنحتيهما (وجفان) فصاع (كالجواب) كالحياض السكار جمع جابية من الجبابة وهذه من الصفات الغالبة كالذابة (وقدور راسيات) ثابتات على أثافيها لا تتحرك ولا تنزل عن أماكنها لعظمتهن وكان يصعد إليها بالسلام وقلنا (اعماوا) يا (آل داود شكرا) أي اعماوا بطلاعة الله شكرا على نعمه والمراد بآل داود إمامه وحده أو هو وسليمان وأهل بيته وليس مهمنا تحقيقه (وقليل من عبادي الشكور) أي قليل العامل بطاعتي شكرا لنعمتي (فلما قضينا عليه الموت) أي على سليمان (مادهم على موته) مادل الحق أو آله (إلا ذابة الأرض) أي الأرض أضيفت إلى فعلها والأرض بسكون الراء أوفتحتها يقال أرضت الأرضة الخشبة أرضا فأرضت أرضا ، فالفعل الأول كضرب والثاني كفروح (تأكل منسأته) عصاه ، تقول نسأت البعير إذا طردته وهي يطرد بها (فلما خر) وقع سليمان (نبئت الجن) علمت الجن كلهم علما بينا بعد التباس الأمر على عاقلهم وضعفهم (أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا) بعد موت سليمان (في العذاب المهين) أي لو كانوا يعلمون الغيب كما يزعمون لعلوا موته حينما وقع فلم يلبثوا بعد موته حولا في تسخيره \* روى أن داود أسس بيت المقدس في موضع فسطاط موسى عليه السلام فبات داود قبل تمامه فوصى به إلى سليمان فاستعمل الجن فلم يتم ودنا أجله فأعلم به فأراد أن يعمي عليهم موته ليمتد فندعاهم فبنوا عليه صرحا من قوارير ليس فيه باب فقام يصلي متكئا على عصاه فقبض روحه وهو متكئ عليها ، فمضى كذلك حتى أكتتها الأرضة فخر ثم بحثوا عنه فوجدوا بحسب مقادير أكل الأرضة أنه قد مات منذ سنة وكان عمره ٣٥ سنة ومملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة وابتدأ عمارة بيت المقدس لأربع مئتين من ملكه

هذا ما جاء في كتب المفسرين رحمهم الله وسيأتي في الفصل الثالث مقصود هذه القصة وانها من المعجزات النبوية لأن هذا المقصود هو نفسه الذي شرحته الأرواح في الوقت الحاضر وهو عجيب وهذا داخل في قوله تعالى - يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها

ثم قال تعالى (لقد كان لسبأ) لأولاد سبأ من نسل قحطان (في مسكنهم) أو مساكنهم قراءتان أي في مواضع سكنهم وهي اليمن يقال لها مأرب بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاثة فراسخ (آية) علامة دالة على وجود الصانع المختار ، والآية المذكورة (جنتان) جساعتان من البساتين (عن يمين وشمال) جساعة عن يمين بلدهم وجساعة عن شماله كل واحدة منها في تقاربها وتضيقها كأنها جنة واحدة أولسكل رجل بستانان بستان عن يمين مسكنه وبستان عن شماله ، وقد أظهر الكشف الحديث الآتي الرأى الأول فقال لهم الله على السنة أنبياءهم هذه البلدة التي فيها رزقكم (بلدة طيبة) ور بكم الذي رزقكم (رب غفور) لمن شكره \* قال ابن عباس وكانت سبأ على ثلاثة فراسخ من صنعاء ، يقال انها كانت أحصب البلاد ، وأما طيبها فليس بها بعوض ولا ذباب ولا برغوث ولا عقرب ولا حية وسترى تحقيق أهم هذه الأمور (فأعرضوا) عن الشكر (فأرسلنا عليهم سيل العرم) أي السد وهو جمع عرمة وهي الحجارة المركومة كالخزان في وادي النيل عند ما صوان يحجز الماء وكان ذلك بين زمن عيسى ومحمد ﷺ وهذا السد له ثلاثة أبواب بعضها فوق بعض والمطار يجتمع أمام ذلك السد فيسقون من الباب الأعلى ثم الذي يليه ثم من الأسفل (وبدلناهم بجنهم) المذكورتين (جنتين) سميتا جنتين للشاكلة (ذواقي أكل نخط) الأكل الثمر والخط كل نبت أخذ طعما من المارة وشجر الأراك وكل شجر ذي شوك (وأثل) هو الصبل وهو أكبر من الطرفاء وأعظم منه (وشئ من سدر قليل) وهو شجر مهردف يتفتح بورقه في النسل وثمره النبق وهو معطوفان على كل أعلى خط ، ألا ترى أن الطرفاء لا ثمر لها فلا تكون في حينها كقول وفي كل خط قراءتان الإضافة والتنوين وعلى الثاني يكون بدلا أو عطفا بيان (ذلك جزيناها



بما كفروا) أى بكفروهم (وهل يجازى إلا الكفور) وفى قراءة - وهل يجازى - (وجعلنا بينهم وبين  
القرى التى باركنا فيها) بالتوسعة على أهلها وهى قرى الشام (قرى ظاهرة) متواصلة يظهر بعضها لبعض  
أوراكبة متن الطريق ظاهرة لأبناء السبيل (وقد رنا فيها السير) بحيث يقبل القادى فى قرية ويبيت الراح  
فى قرية إلى أن يبلغ الشام وقيل لهم بلسان الحال (سيروا فيها ليالى وأياما) متى شئتم من ليل أو نهار (آمين)  
لا يختلف الأمن فيها باختلاف الأوقات (فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا) أى انهم بطروا النعمة وماوا العافية  
كبنى اسرائيل فسألوا الله أن يجعل بينهم وبين الشام مفاوز ليتطاولوا فيها على الفقراء بركوب الرواحل وتزود  
الأزواد فأجابهم الله بتخريب القرى المتوسطة (وظاهروا أنفسهم) حيث بطروا النعمة ولم يعتدوا بها (فجعلناهم  
أحاديث) يتحدث الناس بها تهجبا وضرب مثل فيقولون تفرقوا أيدي سبأ أى كما تفرق أبناء سبأ فى البلاد  
كما سيأتى تفصيله (ومن قناهم كل ممزق) وفرقناهم غاية التفريق (إن فى ذلك) فيما ذكر (آيات لسكل  
صبار) عن المعاصي (شكر) على النعم (ولقد صدق عليهم ابليس ظنه) بالتشديد أى حقق ظنه أو وجدته  
صادقا وبالتخفيف أى صدق فى ظنه (فانبجوه لإفريقا من المؤمنين) أى لإفريقا عنهم المؤمنين لم يقبوه  
(وما كان له عليهم) على المؤمنين (من سلطان) تسلط واستيلاء بالوسوسة والافغواء (إلا لعلم من يؤمن  
بالآخرة من هومنها فى شك) أى لتمييز المؤمن من المشاك (وربك على كل شئ حفيظ) محافظ رقيب . واعلم  
أن هذه الآيات من قوله - ولقد صدق عليهم ابليس ظنه - جىء بها كما هى عادة القرآن بعد ذكر القصص  
لاستنتاج العلم من أحوال الأمم لأن المراد تعليم المسلمين لا مجرد القصص وسردها . يقول الله إن ابليس لا  
سلطان له على قلوب الناس وإنى أسلطه عليهم كما أسلط الدياب على العيون الفسرة والوباء على البلاد التى  
تستحقه لتعفن جوفها ، فليست أفعل إلا الحكمة فمن سمع وسوسة الموسوس فهو المذنب وحده ، فإذا حل  
الوباء بأرض مات من لاقدرة له على الحياة لاستعداده للموت وبقي من له استعداد للحياة هكذا فى الوسوسة  
يفرق الله بها بين الثابت العقيدة ومتزلزها وهكذا جميع حوادث الدنيا من اللذات والهمكن منها والحوادث  
المؤلة وحاولها ليثبت القادر ويسقط الضعيف وهكذا الأمم الاوربية جعلها الله محكلا لأهل الشرق فمن صادمهم  
وصبر على مكابحتهم فاز بالاستقلال ، ومن جزع منهم وخاف وهلع وخضع أصبح أسيرا لهم وأذاقوه سوء  
النكال . هذا ما تفيد الآية إذ يقول تعالى - وما كان له عليهم من سلطان إلا لعلم - الخ ثم قال تعالى (قل)  
يا محمد لاشركن (ادعوا الذين زعمتم) أى زعمتموهم آلهة (من دون الله) ليكشفوا عنكم الضم الذى نزل  
بكم فى سنى الجوع ، ثم أفاد عجز الآلهة فقال (لايملكون مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض) يعنى من  
خير وشر ورفع وضرر (وما لهم) أى للآلهة (فيهما) فى السموات والأرض (من شرك) من شركة (وما له)  
لله (منهم) من الآلهة (من ظهير) معين يعينه على تدبير أمرهما (ولا تنفع الشفاعة عنده) أى لا تنفعهم  
شفاعتهم أيضا عنده تعالى فلاشفاعة عند الله (إلا لمن أذن له) أى إلا لمن أذن الله له أن يشفع والله لا يأذن  
أحدا أن يشفع لهؤلاء الكافرين فيخرون صفقين عند الموت (حتى إذا فزع) كشط وحلى (عن قلوبهم)  
الخوف والفزع (قالوا ماذا قال ربكم) أى قالت الملائكة لهم ماذا قال ربكم فى الدنيا لاقامة الحق (قالوا الحق)  
أى قال المشركون الحق فأقروا به حين لم ينفعهم الاقرار (وهو العلى الكبير) أى ذوالعلو والكبرياء ،  
وللآية وجه آخر فى التفسير وهو أن الله تعالى لما قال - ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له - ذكر حالا  
من أحوال الذين يؤذن لهم بالشفاعة وهم الملائكة لا الأصنام لأن الملائكة وسائط الوحي ، وقد تقدم فى  
(سورة البقرة) أن التعليم بذر الشفاعة فقال إن الملائكة ينتظرون الاذن خائفين فزعين حتى إذا فزع عن  
قلوبهم بالاذن قال بعضهم لبعض ماذا قال ربكم فى الشفاعة ؟ قالوا قال القول الحق وهو الاذن بها لمن ارتضى  
وهم المستعدون لها ، وهذا المعنى فصله حديث الترمذى « إن الله إذا تسكلم بالوسعى سمع أهل السموات



صاحبة كجر السلسلة على الصفا فيصعدون فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل فإذا جاء فرج عن قلوبهم فيقولون يا جبريل ماذا قال ربك ؟ فيقول الحق فيقولون الحق »

واعلم أن حال العلماء والحكماء في الأرض فيها بعض الشبه بذلك . ألا ترى أن النبي ﷺ عند الوحي كان كأنه مغشى عليه وينتابه العرق ثم يكشف عنه ذلك فينطق بما أوحى به إليه . ألا ترى أن الإنسان لا يعرف علما إلا إذا صرف كل قواه العقلية إلى الفكر ومصر كل همه في الفهم حتى يعقل ما هو بصده . إن هذا الذي ذكر في الآية والحديث يشير إلى أن العالم والحكمة من عالم مغاير لعالمنا فلا يزال ملك ولا نبي ولا عالم شيئا منه إلا بأن تكون كل قواه محصورة في العالم الروحي وأقل الناس في ذلك العلماء وأعظم منهم الحكماء وأرقى منهم الأنبياء والملائكة فاستفراق هاتين الطائفتين أشد والله أعلم

﴿ الكلام في محاجة الكافرين والمعاندين والمترفين والمرؤسين وما هو من هذا النحو ﴾  
لما تقدم قوله تعالى - لا يملكون مثقال ذرة - الخ أتى هنا بتقريره فقال ( قل من يرزقكم من السموات والأرض قل الله ) فلاجواب سواء ( وانا وإياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين ) أي مانحن وأنتم على أمر واحد بل أحد الفريقين مهتد والآخر ضال وذلك على طريق الإلزام والانصاف في الجحاج إذ يقول القائل أحدنا كاذب وهو يعلم أنه صادق وصاحبه كاذب فكذبهم من غير تصريح بالتكذيب ( قل لا تسألون عما أجرةنا ولا نسأل عما تعامون ) وهذا أدخل في الانصاف إذ أسند الاجرام لأنفسهم والعمل للخطابين ( قل يجمع بيننا ربنا ) يوم القيامة ( ثم يفتح بيننا بالحق ) يحكم ويفصل بأن يدخل المحقين الجنة والمبطلين النار ( وهو الفتاح ) الحاكم الفصل ( العليم ) بما ينبغي أن يقضى به ( قل أروني الذين ألحقهم به شركاء ) لأرى بأي صفة ألحقتموهم بالله في استحقاق العبادة ، استفسر عن شبهتهم بعد الزام الحجة عليهم في تبكيهم ( كلا ) ودع لهم عن المشاركة بعد ابطال المقايضة أي ارددعوا ( بل هو العزيز الحكيم ) الموصوف بالغلبة وكمال القدرة والحكمة ، فأما من ألحقوهم به فلا قبول لهم عندهم ولا القدرة ( وما أرسلناك إلا كافة للناس ) إلا رسالة عامة لهم فهي كفتهم أي منعتهم أن يخرج منها أحد منهم أو لا حال كونك جامعا لهم في الإبداع والتناء للبلاغة ( بشيرا ونذيرا ) ولكن أكثر الناس لا يعلمون ) فيحملهم جهلهم على مخالفتك ( ويقولون ) من فرط جهلهم ( متى هذا الوعد ) يهنون البشر به والمنذر عنه ( إن كنتم صادقين ) الخطاب لرسول الله ﷺ والمؤمنين ( قل لكم موعد يوم ) أي وعد يوم ( لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون ) إذا فاجأكم وهو جواب معطوف على التهديد مطابق لما قصده من التفتت والانكار ( وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه ) ولا بما تقدمه من الكتب ، وذلك أن أهل مكة سألوا أهل الكتاب عنه ﷺ فأخبروهم أنهم يجدون نفعه في كتبهم ففضوا وقالوا ذلك ( ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم ) في موضع المحاسبة ( يرجع بعضهم إلى بعض القول ) يتحاورون ويترافعون القول ( يقول الذين استضعفوا ) يقول الأتباع ( للذين استكبروا ) للرؤساء ( لولا أتمم لكانا مؤمنين ) فأنتم الذين منعتونا عن الإيمان ( قل الذين استكبروا ) أجب المتبوعون في الكفر ( للذين استضعفوا أنحن صدقناكم ) منعاكم ( عن الهدى ) عن الإيمان ( بعد إذ جاءكم بل كنتم مجرمين ) بترك الإيمان ( وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار ) أي مكركم بنا في الليل والنهار أي لم يكن اجرامنا الذي صدقنا بل مكركم لنا دائما ليلا ونهارا حتى غيرتم علينا رأينا ( إذ تأمرونا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا ) وذلك أن القادة يقولون للأتباع ان ديننا الحق وأن محمدا كذاب ساحر فاذن طاعة الكفار بعضهم لبعض تكون سببا لعداوتهم في الآخرة كما هو مشاهد في قطاع الطرق والفسقة إذا وقفوا في أيدي الحكام والقضاة فأنهم يتعادون ( وأسروا الندامة لما رأوا العذاب ) أي وأضرم الفريقان الندامة على الضلال والاضلال ( وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا ) أي في أعناقهم ( هل يجوزون إلا

ما كانوا يعملون) أى لا يفعل بهم ذلك إلا جزاء على أعمالهم (وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها  
 إنا بما أرسلتم به كافرون) ذلك تسلية لرسول الله ﷺ لأن المتنهم المنغمسين في الشهوات هم الذين  
 يجعلهم التكبر والمفاخرة بخلاف الدنيا على الفور من الكمال والحكمة والعلم والایمان لأن الضدين لا يجتمعان  
 فمن هو منغمس في الشهوات والذات كيف يخلص عقله للكمال ، ثم أخذوا يربطون الكمال النفسى بالكمال  
 المادى (وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا) ولم يكن ذلك إلا لرضاء الله علينا ولو كان ديننا باطلا ما منعنا هذه  
 النعم فنعن مكرمون (وما نحن بمعذبين) قل) ردّا لعنهم (إن ربى ييسر الرزق لمن يشاء ويقدر) يوسع  
 ويضيق امتحانا وابتلاء فلا علاقة للكمال الروحى بالكمال الجسمى (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) انها  
 كذلك فيخلطون في أحكامهم ويعلقون أحد الأعراس على الآخر (وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقرّبكم عندنا  
 زلفى) أى باننى تقرّبكم عندنا تقرّبا (إلا) لكن (من آمن وعمل صالحا) أى إيمانه وعمله يقرّبه منى ،  
 فالأموال والأولاد لا تقرّب أحدا إلا المؤمن الصالح الذى ينفق ماله في سبيل الله ويعلم ولد الخير ويريه على  
 الصلاح (فأولئك لهم جزاء الضعف) أى أن يجازوا الضعف الى عشر الى سبع مائة فأكثر (بما عملوا وهم  
 في الغرقات آمنون) من المسكاره (والذين يسمون في آياتنا) بالردّ والطعن فيها (معاجزين) مسابقين لأنبيائنا  
 أو ظانين انهم يفوتونا (أولئك في العذاب محضرون) قل إن ربى ييسر الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر  
 له) هذا في الانسان الواحد في وقتين مختلفين وما تلتزم في شخصين مختلفين (وما أنفقتم من شئ فهو يخلفه)  
 عوضا إما عاجلا أو آجلا (وهو خير الرازقين) ولا رزق من غيره إلا أن يكون واسطة في ذلك فالرزق حقيقة  
 هو الله (ويوم يحشرهم جميعا) المستكبرين والمستضعفين (ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون)  
 تقرّبا للمشركين وتبكيّا لهم واقناطاً لهم من توقع شفاعتهم (قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم) أى الذى  
 نواله من دينهم لاموالاة بيننا وبينهم (بل كانوا يعبدون الحق) أى الشياطين إذ كانوا يعبدون غير الله  
 بوسوستهم أو يعبدونهم هم أنفسهم إذ يفهمونهم أنهم هم الملائكة تضليلا فيستغيثون بهم في قضاء حوائجهم  
 كما هو مشهور عند أرباب الهزائم والسحرة ، فأما نحن فأننا ندعو الناس الى الخير والفضل ، فجواهر نفوسنا  
 ونتائجها مخالقات لجواهر الحق ونتائجها (أكثرهم بهم مؤمنون) أى مصدّقون للشياطين إما باستحضارهم  
 بطرق التحضير ، وإما بالوسوسة (فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا) بالشفاعة والعذاب أى انهم  
 عاجزون لانفع عندهم ولا ضرر لأن الأمر في ذلك اليوم لله الواحد القهار ، لا يملك فيه أحد منفعة ولا مضرة  
 لأحد (ونقول للذين ظلموا) بوضع العباداة في غير موضعها (ذوقوا عذاب النار التى كنتم بها تكذبون)  
 في الدنيا (وإذا تلى عليهم آياتنا) أى قرأ القرآن عليهم (بينات) واضحات (قالوا ما هذا إلا رجل يريد أن  
 يصدّكم عما كان يعبد آباؤكم وقالوا ما هذا) أى القرآن (إلا إفك مفرى) وقال الذين كفروا) اظهار فى  
 موضع الاضرار لانكار عليهم أى قالوا (للحق) للقرآن أولأمر النبوة (لما جاءهم) وعجزوا عن الايمان بمثله  
 (إن هذا) أى الحق (إلا سحرمين) أى بين ظاهر فشكل عاقل يتأمله يسميه سحرا (وما آتيناكم من كتب  
 يدرسونها) تدلهم على صحة الاشراك (وما أرسلنا اليهم قبلك من نذير) يدعوهم الى الشرك وينذرهم على  
 تركه فن ابن هذه الشبهة ؟ ثم أخذ يهددهم فقال (وكذب الذين من قبلهم) كما كذبوا (وما بلغوا عددا  
 ما آتيناكم) أى وما بلغ هؤلاء عشر ما آتينا أولئك من القوة وطول العمر وكثرة المال (فكذبوا) رسل  
 فكيف كان نكير) أى حين كذبوا رسل جاءهم انكسارى بالتدمير فكيف كان نكيرى لهم فليحذر  
 هؤلاء مثلهم (قل إنما أعظكم بواحدة) أى أرشدكم وأنصح لكم بخصلة واحدة هي مادلّ عليه قوله (أن  
 تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا) أى هو القيام والانتصاب فى الأمر والنهوض بالهمة فتقوموا لوجه الله  
 خالصا ثم تتفكروا فى أمر محمد ﷺ اثنين اثنين أو فرادى ، فأما الاثنان فيعرض كل واحد منهما رأيه على

الآخر ، وأما الفرد فيفسكر في نفسه أيضا بعدل ومنصفة هل رأينا في هذا الرجل جنونا ؟ وهذا قوله تعالى (ما  
بصاحبكم من جنة) أى فتفسكروا هل بصاحبكم من جنون أو ما بصاحبكم من جنون ؟ (إن هو إلا نذير لكم  
بين يدي عذاب شديد) قدماه لأنه مبعوث قبيل الساعة (قل ما سألتكم من أجر) أى أى شئ سألتكم من  
أجر على الرسالة (فهولكم) وهذا وما قبله يرجعان الى أن دعوى النبوة بالحققة لها إما أن يكون الجنون  
أولتوقع نفع دنيوى ، فأما الجنون فلينظر فيه بالفسكر مثنى وفرادى ، وأما النفع الدنيوى وهو الأجر فهو منتف  
أيضا (إن أجرى إلا على الله وهو على كل شئ شهيد) مطلع يعلم صدق وخاوص نيتى (قل إن ربى يقذف  
بالحق) يقول بعد نفي كل من الجنون وتوقع الأجر فى الدنيا قل لهم إن ربى يأتى بالوحى من السماء فيقذفه  
الى الأنبياء (علام الغيوب) خفيات الامور (قل جاء الحق) أى القرآن والاسلام (وما يبدئ الباطل وما يعيد)  
أى ذهب الباطل وزهى فلم تبق منه بقية تبدى شئاً أو تعيده (قل ان ضالت) عن الحق (فانما أضل على  
نفسى) فو بال ضلالى عليها (وان اهتديت فما يوحى الى ربى) فان الاهتداء بهديته (إنه سميع قريب)  
يدرك قول كل ضال ومهتد (ولو ترى إذ فرعوا) عند الحوادث العظام من هلاك فى الدنيا كما حصل فى حرب  
بدر وغيرها أو عند الموت أو يوم البعث لرأيت أسرا فظيما (فلا فوت وأخذوا من مكان قريب) من ظهر  
الأرض الى بطنها ، أو من الموقف الى النار ، أو من صحراء بدر الى القلب هناك (وقالوا آمنا به) بمحمد حين  
عابوا العذاب عند اليأس (وأنى لهم التناوش من مكان بعيد) أى كيف لهم تناول ما بعد عنهم وهو الايمان  
والتوبة وقد كان قريبا منهم فى الدنيا فضيعوه ، فاذا سألوا الرد الى الدنيا يقال : وأنى لهم الرد الى الدنيا  
(وقد كفروا به) بمحمد ﷺ (من قبل) من قبل ذلك أو ان التكليف (ويقذفون بالغيب) ويرجعون  
بالظن ويتكلمون بما لم يظهر لهم من الرسول ﷺ (من مكان بعيد) من جانب بعيد عن الصدق  
والحق والصواب كقولهم هوشاعر وساحر الخ فهذا منهم تكلم بالغيب والذى لم يشاهدوه فهو من جهة بعيدة  
عن حاله الشريفة ﷺ (وحيل بينهم وبين ما يشتهون) من نفع الايمان والنجاة به من الدار بعد مافات  
فرصته فى الحياة الدنيا وهم كافرون وقاذفون بالقول بلا روية ولا فكر فى أمر النبوة (كما فعل بأشياعهم  
من قبل) أى بأشباهم من كفره الأمم لدارجة (انهم كانوا فى شك صريب) موقع فى الريبة والهمة وهو  
وصف للشكك وصف به الشك مبالغة . انتهى الفصل الأول وهو تفسير ألفاظ السورة كلها

### ( الفصل الثانى )

نذكر فى هذا الفصل ما كنت كتبت ملخصا لتفسير هذه السورة منذ أكثر من عشر سنين ليجمع  
المعنى بسهولة عند الأذكاء

اعلم أن هذه السورة تشتمل على ﴿ ستة مقاصد الأول ﴾ اثبات الوجدانية ﴿ الثانى ﴾ اثبات علم الله  
﴿ الثالث ﴾ اثبات يوم البعث بما يشاهد من العجائب ﴿ الرابع ﴾ آراء العلماء فى القرآن وآراء الجهلاء  
﴿ الخامس ﴾ ذكر أمتين عظيمتين غنيتين إحداهما أطفاها الفنى فكفرت وهى سبأ وأخرى شكوت وهم  
آل داود وسليمان وجوزى كل بما فعل ﴿ السادس ﴾ تعليم الناس الاستقلال فى الرأى ونبد الأوهام حتى  
لا تتخذهم صورة ممثلة ولا رئيس ضليل ولا يفرّسهم مال ولا يطغىهم ترف ولا يعبدون ملكا ولا جانا ولكن  
يكونون أحرارا خالصين مخلصين فينالون السعادة فى الدنيا والآخرة كداود وسليمان عليهما السلام وكالنبى  
ﷺ كما ذكر فى سورة الأحزاب

### ﴿ المقصد الأول والثاني والثالث ﴾

( من أول السورة الى قوله - من رجز أليم - )

ابتدأ السورة بحمد الله عز وجل و بيان اختصاصه بملك العالم العلوى والسفلى وليس في الآخرة من نعمة الا من فيض فضله وتعام نعمته فهو المحمود في الدارين المشكور على النعمتين توطئة لما سيذكر في السورة من ملك داود وسليمان اذ عرفا لله حق النعمة واعترفا أنهم من الله وشكرا عليها والمناحا الى سبأ بكفرهم بالنعمة واعراضهم عن الحمد وتقطيعهم الارحام وتعزيقهم شمل الامة - جزاء وفاقا - بما عملوا ومزقوا كل ممزق لما أعرضوا وايدانا بأن من خدعوا بالاصنام أو اغتروا بالرؤساء الذين استكبروا أو عبدوا الملائكة أو قالوا للضعفاء نحن أكثر أموالا وأولادا فأن أولئك غافلون وجزاؤهم المقت والغضب والارتطام في أحوال الشهات والفرق في غمرة الجهل واستعباد الرؤساء لهم وتعذيبهم لما غفلوا عن مسبب النعمة ومسديها ثم أفاد أنه يعلم أجزاء المادة وان دقت وصغرت وصفاتها من حركة وسكون ودولج وخروج ونزول وصعود ويعلم ما فوق ذلك من ملك كيف لا ونحن نشاهد عجائب الكيمياء فنحجب كيف وزن الذرات وزما بديها حتى انك لترى الأ كسوجين والأدروجين في الماء مثلا لا تزيد ذرة منهما أو من أحدهما عما رسم لها في تركيب الماء وتلك الذرات دقيقة لا ترى بالمنظار المعظم . وهكذا العناصر الداخلة في تركيب الاشجار والزرع فلقد وضح أن تألف منها النبات بمقدار معلوم فترى الجبر مثلا في القطن وفي القمح وله مقام معلوم في كليهما لا يتعداه . وهذا هو السر المصون الحبيب المبر عنه بقوله - ولأصغر من ذلك -

فان ذرات الكيمياء أصغر من ذرات الهباء صغرا لاحدله . ولا جرم أن الذي يعلم دقائق الاشياء كأنشاهده لا يغفل عن أفعال العباد . فاذا وزن الذرات في تركيب النبات فما أحراه أن يزن أفعال العباد ليوم الميعاد فذكرنا الله بقوله - وري لتأتينكم - وهذا قسم للتأكيد على نهج البلاغة ثم اتبعه بالبرهان العلمى والدليل الطبيعى والكماوى للحكماء على سبيل الارتقاء فقال - ولا يعزب عنه مثقال ذرة - الخ فتعجب وتأمل وادرس العلم واقرا الحكمة حتى تفهم السر المصون وذلك قوله تعالى - يعلم ما يلج في الارض الى قوله من رجز أليم -

### ﴿ المقصد الرابع ﴾

ان عقلاء الامة وعلماء الديانات يرون أن هذا القرآن يوافق ما أوتوا وأنه هدى . وأما الجهال فانهم ناهون في أودية الضلال لاحتجة لهم الا الاستبعاد . ولادليل لهم الا الاستهزاء والايذاء بما يهرفون من جنة يدعونها وكذبة يفترونها . ذلك لقصر نظرهم عما أبدع في الارض والسماء وما وزن في المركبات من الذرات مما لا يفهمه الاعلاء دارسون لهذا النظام . فما أحرى السماء أن تنزل عليهم كسفا وما أجدر الارض أن تحسف بهم خسفا فانهم يعيشون عليها وهم لا يعقلون ويأكلون خبرها وهم لا يدرسون قال تعالى - وري الذين أوتوا العلم الذي أنزل اليك من ربك هو الحق ويهدى الى صراط العزيز الحميد - الى قوله تعالى - ان في ذلك لآية لكل عبد منيب -

### ﴿ المقصد الخامس ﴾

فيه غرضان الاول - من أوتي مالا وعلماء وحكمة فاعرف وشكر وآمن بالبعث وهدى الناس . والثاني - من أوتوا النعمة ففرحوا وأعجبوا واستكبروا وطفغوا فهلكوا هما امتان ذكرهما الله عز وجل كانتا في جزيرة العرب فبنوا اسرائيل بالشام ومنهم داود وسليمان عليهما السلام وسبأ كانوا في اليمن وما أنسب ذكرها بسورة الاحزاب وما أعجب قصص القرآن . ألم تركيب أنعم على النبي بنعمة النصر والفتح والهدى . وهل أنسب لذلك من أمر داود وسليمان عليهما السلام وبلاد سبأ ببلاد الشام علاقة متينة قوية .

ألم ترائ قصة لمقيس وسليمان عليه السلام أيام شباب الدولة الاسرائيلية فان بنى اسرائيل كان لهم أدوار ثلاثة .  
 ﴿الدور الاول﴾ ذلهم في مصر نحو أربع مائة سنة وعشرات ﴿لثاني﴾ ملكهم تحت حكم التبوخ السبعين نحو  
 من ذلك بالشام . ﴿الدور الثالث﴾ دور الملك والعظمة وذلك في زمن داود وسليمان عليهما السلام . وذلك أيام  
 بلقيس . ولذلك الإشارة بقصة طالوت وجالوت وداود في البقرة وقصة بلقيس في النمل وأما قصص فرعون معهم  
 فما أوضح ما ذكر في أول الشعراء في ذلك . ولقد كانت دولة الحير بين والتبابعة قوية ذات مجد وسلطان وعظمة  
 فما اشبهها بدولة بنى اسرائيل في زمن سليمان وداود . (ولسكل من الدولتين قدم راسخة في صناعة النماثيل  
 وبناء المحاريب والأبهاء والجلال والعظمة) ولقد أصبح القطران في حوزة الأمم الاسلامية الآن فاليمين معروفة  
 أخبارها مشهورة آثارها خاوية من الصناعة فارغة من العلم الا قليلا وكذلك ارض الشام . ملك الله المسلمين  
 القطرين منذ أيام العصر الاول وقص عليهم قصص الامم التي سكتهم والاحياء التي قسطهم والموالك التي دبرتهم  
 ليدكر المسلمون وليعتبروا وليعلموا أن التقاطع سفير العذاب ونذير الخراب وأن هذه البلاد سيملكونها  
 فإياكم أن تكونوا كسباً إذ أغدقنا عليهم النعم وملكناهم اليمن وجعلنا بلادهم من الغناء والخصب كأنها جنتان  
 بحيث يراها الزاهب اليها جنتين عن يمينه وشماله أولسكل مسكن جنتان هو قائم بينهما على النظام الاوروبي  
 العصري الذي حرم منه المثلون عندنا وتمتع به صغار العملة هناك وهل كان ذلك النظام البديع الا باتقان علم  
 الزراعة والابداع في فن الصناعة ودرس علم الصحة وكيف تنظم المساكن وكيف تحاط بالبساتين الا بالهندسة  
 المدروسة وتقويم الصحة وكيف بنى السد المسمى بالعرم أو السكر أو النجف أو المسناة ليحجز الماء الا باتقان  
 فن الهندسة والبناء وعلم الري ونظام الجسور . وهل تلك الطبقات الثلاث في المسناة أو العرم التي تنزل الماء  
 بقدر معلوم فالمنفذ الاعلى يليه الاوسط فالاسفل الابحكمة وعلم . وهل تستطيع الأمم الوحشية ذلك ؟ كلا

ولقد كان العمران متواصلاً ماراً في تلك الصحاري المتفرقة الآن . والآثار الدارسة حتى يصل بلاد الشام  
 التي بارك الله لاهلها من بنى اسرائيل وغيرهم . ألا تنجب . كيف دمر ملكهم وهل ينزل البلاء ويستعصى  
 الداء . ويعوز الدواء . الا اذا جهلوا ما به الحياة وانصرفوا عن الحكمة الموروثة وتقاطعوا وتميزوا طرائق ،  
 وتمايزوا حقائق ، فجهلوا الهندسة وتركوها ، وأغفلوا الصناعة ونبدوها وضلوا عن الزراعة فلم يتعهدوها ،  
 وأعرضوا عن علوم الري فلم يدرسوها ، وانصرفوا عن نعم الله فلم يشكروها ، واتبعوا ما يقول الجاهلون ،  
 وابتدعوا لهم الدجالون فيقولون ( سيفتح العرم فارة فاربطوا هرة تحفظه وترعاه كما فعل المصريون أيام قنيزر  
 اذا حجموا عن ضرب الفارسيين خوف الهرب أن تصاب ) - قتل الانسان ما كفره . فلما أن أهملوا سدهم ،  
 وتركوا ، أرضهم ، سال الوادي بالماء وبدل الجنتان بما لا ينفع الانسان من أثل لاثمره وشجر من الثمر ونبق  
 قليل ، وتباعدت أسفارهم ، وتناعت ديارهم ، وخربت القرى المتواصلة المنظمة في طريقهم الى الشام ،  
 فأصبحوا مثلاً في الغابرين فقليل تفرقوا أيدي سباً : وأبناء سباً عشرة أشام منهم أربعة ، ظم ، وجدام ،  
 وغسان ، وعاملة : وتبا من ستة : الاسديون والاشيريون ، وحير ، وكندة ، ومذحج ، وانمار ، ولما تفرقوا  
 لحقت غسان بالشام والازد الى عمان ، وخزاعة ، الى تهامة ومر الأوس والحزرج الى يثرب . ولحق آل خزاعة بالعراق

﴿ موازنة ملك سليمان بملك سبأ بن يعرب بن يشجب بن حنعان ﴾

فوازن وعاك الله هذا الملك العظيم ملك بنى اسرائيل وكيف زال الأول بسيل العرم بعد الأبهاء والجلال . والعز  
 والمنعة . والشرف . والفضل العظيم وكيف عظم بنو اسرائيل فبنى داود وسليمان عليهما السلام بيت المقدس اذ رفع على أعمدة  
 بلورية وبنى بالرخام الأصفر والأبيض والأخضر . وسقف بأنواع الجواهر وفضض سقفه وحيطانه باللائى والياوقيت  
 وسائر الجواهر وبسط أرضه بأنواع الفيروز وسخر العملة . فبنوا المحاريب وصنعوا النماثيل لسكل صنف من الحيوان  
 الممثل للقوة كالاسد والعقرا أمام كرسيه وفوق رأسه . واللاطيف الشكل كالغزال وغيره . ألم تركب زوال هذا الملك

اذ طفوا وبفوا وسلط عليهم بختصر من أرض بابل فأخذهم ورضعهم بأرض فارس وما والاها كما في أول سورة الاسراء . ان ذلك لعبرة للمسلمين كفى قصص هود . وعاد . ونمود وقوم لوط وأصحاب مدين . فساكن هؤلاء جميعا اسلامية اليوم . وقد أعطاها الله المسلمين فمت وعفوا أيام شباب دينهم فلما أدبروا وأعرضوا أصبحت البلاد عرضة للدمار آيلة للخراب ان لم يبق فيها مصلحون ويسعدوا المرشدون وذلك قوله تعالى - ولقد آتينا داود منا فضلا يا جبال أوبي - الى قوله - لكل صبار شكور -

### ﴿ المقصد السادس ﴾

( الاستقلال والحرية في الآراء )

خراب الأمم وذهاب الدول وخراب بلدانها لا يدعو اليه الا الجهل ولا يحدثه الا ترك العلم باتاع أخس الآراء وتصديق الترهات كما يحدث في بلادنا من أكاذيب الجهلاء وأضاليل بعض السفهاء من المعلمين الفاوين وكما حدث في سبأ من نبذ عاوم اسلافهم واتباعهم أهواءهم ور بطا الطرر بجانب سدهم كأنهم مهندسات ومنظمات ويقع الجهل خسة الظلم والتقاطع والتدابير وذلك هو المعبر عنه في القرآن بالكفران . وشعب الاوهام كثيرة وأوديتها شاسعة وخروق خفاجها واسعة ولكن ترجع الى ثلاثة أصول ضعف في بصيرة . اغترار برياسة . وضلال بطر الغنى . فأما ضعف البصيرة فذلك ما ذكره الله عقب قصص سبأ من الاصنام المنصوبة والاشباح الخالية من الارواح وكيف صور الوهم للناس عبادتها وكيف يهدونها شفعاء ومن يشفع الا بعض المصطفين الأخيار فيخرجون فرعين ويفشى عليهم صعقين فاذا زال الفزع تساءلوا فيما بينهم ماذا أنزل ربكم قالوا انه قال الحق (وهذه الأصنام لحيات لها فضلا عن الشفاعة) وليس عباد الملائكة بأحسن حالا من عباد الاصنام فسلكهم مخلوق وكلهم سريوب . بل يقف الملائكة يوم القيامة ويتبرؤون ممن يصدون ويقولون ان عبدوا الا الاوهام ، وما اتبعوا الا الجان لضعف بصائرهم . وذلك قوله تعالى - ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه - الى قوله عذاب النار التي كنتم بها تكذبون -

### ( الاغترار بالرؤساء )

وأما الاغترار بالرؤساء ، والخضوع للكبراء فهو الطامة الكبرى والمصيبة العظمى وداية الشرق . وداعية اساع الخرق . وغرور الجهال . وضياح الاموال ودمار البلدان . ولقد قطع الله الحجّة واعذر . وقرر الذنب على الرؤسيتين كالرؤساء والمحكومين كالحاكمين . وتأمل كيف يقول الضعفاء للمتكبرين أنتم أضللتمونا فهل تنفعونا . فقال المتكبرون كلا فانكم مجرمون ولم لاتسكروا أفلا تعقلون . فقال الضعفاء كم من حيلة نصبتموها . ومكيدة دبرتموها باذاعة الاخبار ونشر الآثار بالليل والنهار فقال الله - لكل ضعف من العذاب - ذلك كما نشاهده اليوم في الأمم التي ذهب مجدها وغاب سعادها وحضر جهدها اذ يقولون على الرؤساء تبعوها ونحن لآمال بأيدينا ولا سلاح ولا جنود فقطع الله الحجّة وأوضح المحجة وأناط بكل عمسلة وأوجب عليهم أن ينظروا مفكرين ولا يغترون بالمتكبرين فكم يسمع المرء عجبجة ولا يرى طحنا فالصالح كالمالك في الاسلام على كل التفكير - ان أكرمكم عند الله أتقاكم - ومصداق ذلك ما تراه الآن في بلاد الاسلام من قولهم ظلم الحكم فباد الانام ونقول كنا والله مسؤولون وعلينا أن نفكر للمجموع والاحق كلمة العذاب وذلك قوله تعالى - ولو ترى اذ الظالمون موقوفون - الى قوله - هل يجزون الا ما كانوا يعملون -

### ( الضلال بالغنى )

وأما الضلال بالغنى والبطر بالمال فما أشبهه الابعادة الاصنام ولن يجادل الانبياء ويقاوم الرسل والمصلحين الا الاغنياء لثلاث تفوت رياستهم ويعلمون غيرهم ذلك شان الانسان في كل زمان الا أن عابد الصنم متمتع خياله

وخباله والمفتن بالمال أعظم شهوته وخضع للذات كالجماوات وذلك قوله تعالى - وما أرسلنا في قرية من نذير الى قوله آمنون - فالمال كالصحة والسلطان والولد وسائر النعم لادلالة لوجودها على الشرف والالهمها على الضعة فهي تكون للبار كما تكون للناجر فليست تقرب بعيدا . ولا تبعد قريبا . ولا ترفع وضيعا ولا تضع رفيعا لذاتها ولكن هذه الاعراض أشبه بالسيف ينفع ان أمسكه العاقل الشجاع ويضر ان تناوله المجنون . هذه أهم مقاصد السورة الشريفة وما عدا ذلك فنثبت حجة أو تأييد لحكمة كقوله تعالى - قل من يرزقكم من السموات والارض الى قوله ولا تستقدمون -

هذا وقبل أن ندخل في مباحث الفصل الثالث لابد أن نوضح المقام في قوله تعالى - يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها - الى آخره وهو ما يأتي

### ﴿ جوهرتان ﴾

(الجوهرة الأولى) في قوله تعالى - الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبير -

(الثانية) في قوله تعالى - يعلم ما يلج في الأرض - الخ

﴿ الجوهرة الأولى في قوله تعالى - الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض - الخ ﴾

( كُتِبَ فِي لَيْلَةِ الْأَرْبَعَاءِ ٢٠ رَمَضَانَ سَنَةِ ١٣٤٨ هـ )

( بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ )

اللهم لك الحمد على انك أسعدتني بالحكمة وحبوتني العلم ، إنك أنت الحكيم الخبير ، فها أنا ذا الآن أصبحت على يقين أن من عبادك في أرضنا أناسا أشهدتهم هذه الأرض وهذه السموات في حياتهم الدنيا فراديس وجنات النعيم ، إن هذه العوالم في ظواهرها تمثل الشر ، ففيها الموت والحياة والمرض والظلم والقسوة والفجور والفسوق والخسران والحب والفرام والندامة والحروب والمدافع والبارود والديناميت والهلاك والتدمير ، فهذه تشبه أن تكون ركنا من أركان جهنم ، اللهم إنك أنت حكيم ، هذا قصرك المشيد أرض وسما ومشاهد بينهما تمثل فيها المظائع والآلام والأرزاق والحياة والسرور والفرور ولكنك أنت مع هذا كله جعلت نفس هذه المشاهد روضة من رياض الجنة للحكماء والمفكرين ، أفليس من العجب أن تكون مبادئ النار والجحيم هي بعينها فراديس الجنان . كلا . بل هي مشاهد الحق ومظاهر الجلال والجمال ومبادئ مشاهدة الحق تبارك وتعالى ، في الأرض أقوام معذبون بهذه الحياة وإن كانوا لا يعلمون أنهم معذبون ، مستخرون وإن كانوا لا يعلمون ، أشقياء وإن كانوا لا يفقهون ، وهؤلاء هم أكثر هذا النوع الانساني ، هم في داخل أنفسهم في شقاء آلام الأمراض والعواطف والنعم ومواقع الأعداء والحساد والحكام والوحوش والحشرات وذنابل الأصدقاء والأقارب والحزن على مصائبهم الحالة بهم والنكبة المتعدية منهم ، الحق أن الناس جميعا في الأرض مسوقون بعضا من حديد ، هم مسوقون كما تساق الأنعام ، فترية الولد وكسب العيش وتناول الطعام كلها ببواعث وزواجر يحس بها الناس وما هي إلا عصي من حديد تسوقهم وهم مرغمون

اللهم إن هذه حال أكثر نوع الانسان ، ولكن النادر منهم ينظرون هذه المشاهد وهم يسمعون كلاما ليس بحرف ولا صوت بل يقرؤنه في نفس المشاهد ويفقهونه والناس من أمرهم متعجبون هازئون وهم في أنفسهم للناس راحون ، العالم يرحم الجاهل والجهال هم أكثر نوع الانسان ، فهذه الجوع تستمد من الحكماء والحكماء هم الراحون لأن الآباء يشفقون على الأبناء ، فالحكيم أب لأئمة لأنه أقرب الى نبيها فاذا استمد منه الناس فهو بهم رحيم ، فاذا يسمع حكماء الأئمة من خطاب الله الذي ليس بحرف ولا صوت ، يسمعون يقول

« أى عبادى : أنا رحن رحيم ، رحنى سبقت غضى ، ألم تسمعون اى أبدي كل سورة باسمى الرحمن الرحيم  
ألم أزل مضات فى الأرض إلا سعادة ونعمة ، وغاية الأمر ان أكثر الناس لا يعلمون ، هذا العالم الأرضى عالم  
يسير الى الكمال ولا كمال إلا بالعلم ولا يتم علم إلا بمقدمتين مقدمة المحبوب ومقدمة المكروه ، فكما أن المناطقة  
منكم يقولون لانتيجة الإلتمتين هكذا حكمى قضت أن لا علم لكم إلا بسابقة مقدمتين ولكن المقدمتان  
عندى هما المحبوب والمكروه ، أنتم يا أهل الأرض عبيدى وأنا أرحمكم أكثر من رحمة أبويكم آلاف آلاف  
المرات ، ولن تستطيعوا أن تعاقوا هذه الرسات إلا بدراسة جميع العلوم ودون ذلك خسر القتاد

فهاكم أمثلة مما تشاهدون ﴿الأول﴾ حب الصور الجيلة طلبا للنسل ، أنتم جميعا تحبون الحكمة والأشكال  
الجيلة . فأول ما يصادفكم فى حياتكم حب الوجوه الجيلة فيرى الرجل أو المرأة أن سعادة كل منهما فى الاقتران  
بالآخر والاجتماع به وغير ذلك لأن صورة خاصة مقبولة فى نظره ، ولا معنى لقبولها إلا بأن يكون الخدان  
والعينان والأنف والقم على مناسبة مقبولة عند هذا المحب .

✽ إن الطيور على أشكالها تقع ✽  
فهذا التناسب هو الذى يولع به الذكور والاناث فتكون الذرية . إذن الحكمة والنظام وحسن الابداع  
هنا جعلت للشهوة البهيمية وبقاء الذرية وكان المقصد فى ذلك كله هو اتقان تلك الصورة فى نظر ذلك العاشق

﴿الثانى﴾ حب الأعمال الصالحة . فاذا جاوز الناس الدرجة الأولى وهى الخضوع للشهوة البهيمية التى تنتج  
بقاء الذرية اعتلوا الى درجة أرقى وهى مزاولة الحكمة العملية فهناك يكون التعاون فى الأعمال المنزلية

والقيام بما يوجبه الدين والعرف والعادة من المحافظة ماديًا وأديا على اراحة أهل المنزل من الزوجين والصغار  
وبلى ذلك نظام القرية ونظام سياسة الجمعية الانسانية كلها بالنظام العام ، ولا تمام لذلك إلا بالصناعات والأعمال

العظيمة فهذا تمرين لكم أيها الناس على أن تكونوا خلغائى فى أرضى ﴿المثال الثالث﴾ فى الشوق الى فهم  
الصناعات الانسانية المتقنة وهو أعلى مما قبله ، إن نفوسكم تشرب للحكمة العلمية لأن الحكمة العملية

بالسياسة المنزلية والأخلاق الانسانية والنظم السياسية العامة مقدمات ومدرجات لعقولكم حتى تشاق الى أن  
ترقى الى فهم حكمى فى خلقى ولكن حكمى فوق حكمه المهندسين ومهرة الصناع فى أرضكم ، فأول ما يصادف

العقول الشريفة من الشوق العلمى أن تهرع الى مشاهدات الصنائع القرية المتقنة اتقاناً أتم فوق ما تصنعون  
لهاراتها بالنسبة لما نقص من صناعاتكم ، إن أجسامكم هى الحاملات لأرواحكم وأنواع النبات والحيوان كل هذه

متقنات الصنع حولكم ، وهذه الشمس وهذه النجوم كلها نهارات الصنع ولكن لما كانت نفوسكم أرضية  
(وقد عجزت عن أن تفعل جمال تركيب النبات وان كانت من علمائه ، وبهجة تركيب أصغر الحشرات وان

كانت من دارسيه ودقة صنع أجسامكم وان كانت هى الحاملة له) أخذت تسعى الى صنعة الانسان لأنها اليه  
أقرب وعقولكم الى حكمة أمثالكم أميل ، ألم تروا كيف أقبل علماء أمريكا وأوروبا - من كل حدب ينسلون -

على البلاد المصرية لما فتح الباب المختوم بختم الملك (توت عنخ أمون) يوم ١٦ فبراير سنة ١٩٢٣ وشاع  
الخبر فى الكرة الأرضية أن الغرفة الثالثة قد وجد فيها صندوق بديع داخله جثة الملك المذكور وجواهره

الثمينة وهو مذهب ومزخرف ومرصع بالأحجار الكريمة ويبلغ طوله نحو ستة أمتار وعرضه نحو أربعة أمتار  
وارتفاعه أربعة أمتار تقريباً ، وبعد ذلك وجدت الغرفة الرابعة وهى مملوءة بأثاث من أغراض مفرصة مرتبة ترتيباً

حسناً يفوق منظرها فى بهائها وعظمتها ما رآوه فى الغرفتين الخارجيتين ، وحضر لمشاهدة ذلك بعض ملوك  
أوروبا كملك البلجيكي والملكة لمشاهدة صنعة الخفوق لأن صناعاتها عقولهم أقرب الى عقول أهل الأرض .

وأخذت الوفود تترى على مصر وهى عشرات الألوف بل أخذ الناس فى دور الصناعات بأوروبا وأمريكا يقلدون  
الصناعات التى ظهرت فى القطر المصرى ، ويطلبون نماذج للأزياء المصرية الأثرية كالملابس وأثاث المنازل

والأواني ليصنعوا نظيرها وهم يصرفون الألوف ومئات الألوف من الجنيهات ، وابتدأت النساء الأمريكيات



والأوروبيات يلبسن ملابس كالتي ظهرت في عهد (توت عنخ أمون) فإنه في صباح (٨) مارس سنة ١٩٢٣ ظهر في شارع (فث افنيو) وهو أعظم شوارع نيويورك ثلاث سيدات يسنن معاً وقد لبسن من ثمة الرأس إلى أخمص القدم ثياباً مصنوعة على مثال ثياب ملكات مصر القديمة واحتدين أحذية على شكل (الصندل) فكانت بياهن هذه موضع إعجاب وقلة أنظار الجميع ومثلهن في انكسار . وأخذ الناس في أوروبا وأمريكا يقرؤن تاريخ قدماء المصريين . فلقد هالهم تلك الصناعات العظيمة من

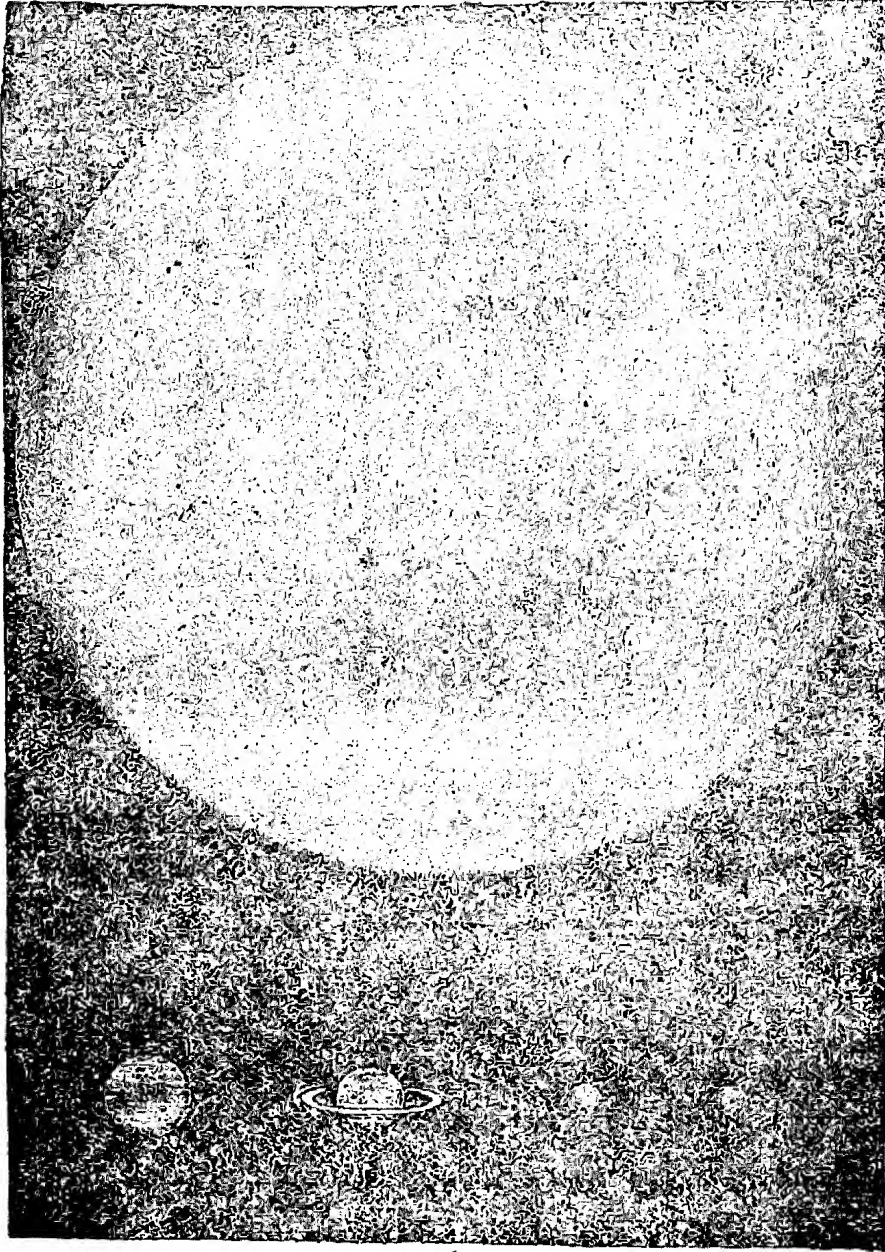
- (١) سرير يدع لذلك الملك من الذهب المطروق
- (٢) وآنية من المرمر منحوتة من قطعة واحدة للروائح العطرية لذلك الملك
- (٣) وآنية أخرى من المرمر أيضاً
- (٤) ونوع من الحلى الذى يزن الصدور من الذهب الخالص . هيئته تشبه هيئة السفينة
- (٥) وتمثالين داخل الغرفة الخارجية يحرسان باب الغرفة الثالثة المختومة التى بها جثة الملك
- (٦) وصندوق للملابس وعليه صورتان تمثلان شكل (أبي الهول) يطاء أعداء الملك تحت قدميه وعليه نقوش غاية فى الابداع والدقة تفوق سائر ما فى المدفن من الاتقان والدقة والجلل
- (٧) وكرسى (عرش الملك) وهو مصنوع من الأبوس واللاج ومحلى بنقوش جميلة قوامه على شكل أسد من الذهب
- (٨) وصراة من الفضة منقوش عليها اسم الملك
- (٩) ولوحة قد كتب عليها تاريخ انتصارات القائد (هوس) النائب عن ملك مصر
- (١٠) وصورة الملك وهو يتلقى أخبار انتصارات القائد المذكور
- (١١) وصورا لهدايا والأسرى من بلاد الحبشة
- (١٢) وحذاء الملك المصنوع من الذهب وهو مزين بشكل زهرة (اللاتوس) الجميلة
- (١٣) وبرنس من نسيج كتان مصر المتين مع ملابسه ، وقفاز كتانى المنسج وهو أول قفاز مصرى قديم كشف ، صنع منذ (٣٠٠٠) سنة

هذا نموذج من مصنوعات العباد وهى التى يفرح بها الناس ويرغمون على السفر وترك الأهل والوطن وصرف البرهم والدينار ، كل هذا الحب الصنعة والحكمة الإنسانية التى هل أقل اقتانا وبهجة من الحكمة فى السموات والأرض . ذلك لأن عقل الانسان الى عقل الانسان أقرب ولهم صناعته أسرع مع انه هو نفسه فى جسم أبعد صنعا وأتقن وضعا وأبدع حكمة وأبهج نقوشا وأتم نظاما من ملابس وصنادل وعروش وتمائيل (توت عنخ أمون) - لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها - إذن هؤلاء العلماء السائحون من أقطار العالم لم يتعجبوا إلا مما يناسب عقول الانسان من صناعاته لامن صناعات الخالق جلّ وعلا فان تمثالا يعقل ويبصر وينطق ويسمع أتمّ وأكمل من تمثال جاهل أعمى أخرس أصمّ ، فهذا التمثال الأتم وهو الانسان لا يفرح بجسمه ولا بما فيه من النقوش ولا بما فى الحشرات والحيوانات والنباتات حوله لأنه متقلب فيها صباحا ومساء فسقط وقعها من قلبه وهرع الى مشاهدة ما لم يره من قتل ففرح به لغرابته لأنه مما يناسب عقله من حيث انه منتهى ما يصل اليه الانسان (المثال الرابع) وهو أعلى من سابقه . هنالك أقوام فى هذا النوع الانسانى وهم أعلى ممن تقدمهم لهم ادراك أتمّ وعقول أكمل ، فهؤلاء يقولون هذه الدرجات الثلاث اثنتان منها انسانية وواحد منها حيوانى انسانى وهو الأوّل ولكننا نحن نريد مثلاً أعلى وهو مثل الملائكة فليكن نظارنا نظراً أكمل لنوع هذا الانسان فنكون آباء للدرجات الثلاث فهؤلاء يلدون ويعيشون فى المنازل والمدن ويدرسون الصناعات ويدركون الجمال وكل منهم فى أثناء بحثه

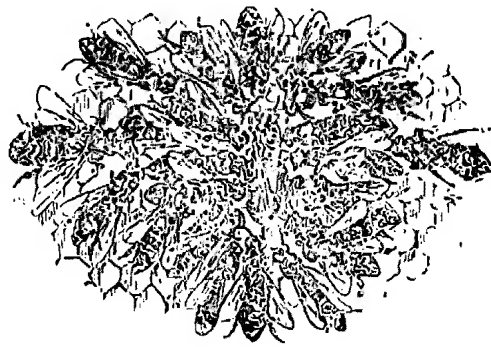
يعتريه الحس والسعد والفرح والحزن . ففي المنازل وفي المدن وفي الأسفار لمشاهدة الآثار أفرح وأتراح فقد يعيش العاشقان في هناء وقد يفترقان فيموت أحدهما كمدا ، وقد يعتري الانسان الدهش من هذه المصنوعات (المباحات في دين قدماء المصريين المحرم بعضها على الرجال في دين الاسلام) فيغرته جاهلها فيقلدها فيبيع الطارف والتليد من مقتنياته ويصبح خاوي الوفاض بادی الانفاض لا يملك شروى تقير ولا يكون في العير ولا النفير قد مسه الضرر وملكه الفقر إذن هذه الدرجات الثلاث أبنائنا فلنبحث نحن عن حكمة هذا الوجود ولئن نظر حركته إلا في دراسة السموات والأرضين ، فننظر حولنا في الحشرات والدواب والنبات وفوقنا في السموات والأرضين . هل هذه الآلام ، وهذه اللذات التي تعترينا لها نتائج صادقة ، أم هي مصادفات كالتى رأيناها في الأمثلة الثلاث ، فهؤلاء يحسون بخطاب نفسى بلا حرف ولا صوت وكأن الله يقول لهم : « أى عبادى ها أنذا أخطبكم وقد تأهلتم للفهم عني وبذنم السابقين من بنى آدم أرباب الأمثلة الثلاثة ، انظروا : ألم تعلموا أن اللذات والآلام مقدمات للعلوم فالوكانت اللذات وحدها والآلام وحدها لم تقم للعالم قائمة ، وهل يشئ الانسان على رجس واحدة ؟ أم تخلق له يد واحدة أم عين واحدة وأذن واحدة وطاقة أنف واحدة ؟ فكل واحد من هذين الزوجين مكمل للآخر ، فهكذا هنا الآلام واللذات زوجان يكفلان القيام بتعليمكم وارشادكم ولكن ليس كل انسان أهلا لفهم عني . كلاء وانما الذين يعقاون هم الذين ارتقوا عن الطوائف الثلاث السابقين ، وهذه الطائفة الرابعة لأجسمها مشاق السفر ولا يعوزها اتعال الحجر ولا توسد المدر ولا بذل (البدر) وان كان شعارها ﴿ لكل مبتدأ خبر ﴾ و ﴿ لكل نبدأ مستقر ﴾ بل هؤلاء ينظرون في منازلهم وفي قراهم فيجدون أنواع الحيوان كالحشرات وهي تطوف عليهم صباحا ومساء فإذا يرون ؟ يرون مثلاً ان هذه الحشرات ونحوها ماهي إلا أساندة ومعلمون يطوفون على الناس ويقولون أيها الناس : نحن فريقان فريق يؤذيكم كالجراد والزناير ، وفريق يفسدكم ويشفيكم وينفعكم كالنحل ، فأكثر بنى آدم ينظرون للناموس والجراد نظراً الخوف من نقص النفس والأموال وينظرون للنحل ودود القز نظراً الرجاء أن يشتاروا العسل وينسجوا الحرير ، وهذه هي المرتبة الدنيا الحيوانية واسكن حكماكم أيها الناس وهم في ذروة المراتب يتشبهون بالملائكة في مباحثهم ، فهؤلاء يقولون عجبا عجبا ، نظام النحل كنظام الزناير كنظام الجراد كنظام الأرضة التي سترى رسمها قريبا ، فلكة النحل وملكة الأرضة هما ذاتهما من أمامك وحوطهما جنودهما وخدمتهما وحشمهما . وهذا نظام عجيب . واحدى الملكتين مؤذية والأخرى نافعة لما فاذا لم يعقل الانسان النافع ولم يفكر عند أكل العسل في حسن نظامه ودقة صنعه ليدرس الوجود فعسى أن يفكر اذا لدغه زنبور فينظر في قرصه ويفكر في مدينته ونظامها واذا ذاك يفهم - ومن كل شئ خلقنا زوجين لعلكم تذكرون ففروا الى الله - فهنا زوجان مؤذ ونافع وأحدهما ضئد للآخر كالليل والنهار ولولا الليل لم نعرف قيمة النهار ولولا النهار لم نعرف قيمة الليل فبفهم الضئدين يدرك الانسان الفرق بينهما وهناك تكون السوانح العقلية وادراك الجوانب الحكيمة

فاذا شاهد أمثال النحل والنمل والأرضة والجراد وعرف نظامها ألقاها كلها على قاعدة واحدة وان اختلفت فروعها واذا يفهم معنى - له ما في السموات وما في الأرض - لأن هذه الجملة تقتضي الاختصاص بالخالق لأن تقديم الخبر يفيد ذلك ولكن تقديم الخبر يفيد افادة افضلية . أما هنا فان قارئ هذه النظامات يقول إن القاعدة واحدة لا فرق بين ما يضرنا وما ينفعنا . كلها أمثالك مؤسسات على نظام واحد . فلكة النحل وملكة النمل والأرضة كلهن ذوات أوامر لا ترد وناظماها إلا كنظام أجسامنا وان كنا الى فهم هذه الحشرات أقرب منا الى فهم أجسامنا وكأن البوابين والضباط والجنود والمراضع في جنود ملكات النمل أشبه بما فينا من قلب وكبد وطحال ومعدة وامعاء وأعضاء حركة وأعضاء حس الخ كل له عمل يخصه

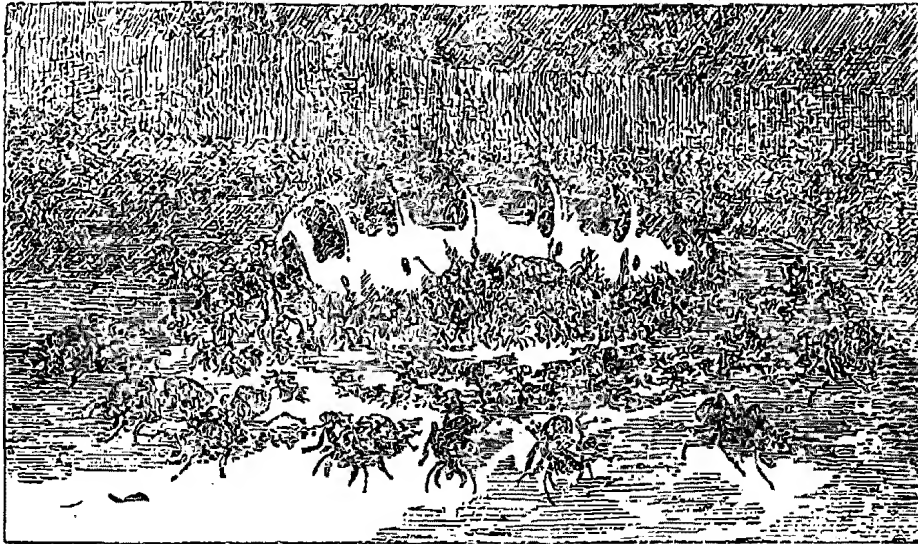
ولما كان هذا المقام يستلزم إعادة رسم أربع صور تقدمت في هذا التفسير وهي صورة المجموعة الشمسية وصورة ملكة النحل وصورة ملكة الأرض وصورة جسم الانسان رأينا أن نرسمها هنا اتصلا للفائدة (انظر شكل ٢) و (شكل ٣) و (شكل ٤) و (شكل ٥)



( شكل ٢ - رسم المجموعة الشمسية )

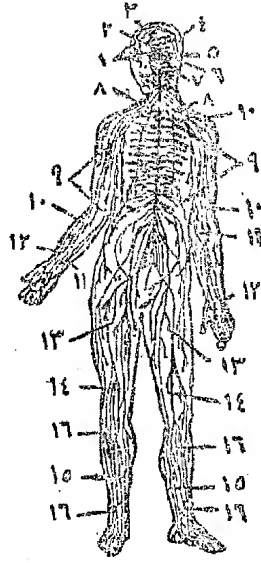


( شکل ٣ - ملکہ النحل )



( شکل ٤ - الأرض )

( صورة الارضة الماسكة وأنباءها . رسمها العلامة الالماني أزر يك كالمحها . الكتلة البيضاء الضخمة هي الملكة والى جانبها الملك ، ومن حولها العمال يقبلونها ويلجسونها فالتأثمون بتغذيتها يتألبون عند فمها ويبقى في الطرف الآخر من وكل اليهم التقاط البيض . وبين العمال جند من البوليس صغير الحجم وفي الصف الاول في شكل نصف دائرة الجند الكبير القائم بحراستها ضد هجمات عدومفاجئ )



( شكل ٥ - جسم الانسان )

ثم يرفع هؤلاء طرفهم الى السماء بعد أن يعرفوا أن العالم السفلى على وتيرة واحدة فماذا يرون ؟ يرون شمسا يحيط بها نباتون وأورانوس وزحل والمشتري والمريخ والأرض والزهرة وعطارد وأكثر هذه حولها أقمار . كل هذه دائرات حول الشمس فيدهش هذا الفريق إذ يرى أن ملكة النحل وملكة النمل وملكة الأرض كلهن سواء في النظام وهن متشابهات تمام التشابهة للشمس مع سياراتها وأقارها وهكذا مع (النيازك) التي لا حصر لعددها وبعضها صغير جدا كالبلالطة في منازلنا وبعضها أكبر وأكبر وهي التي نراها في الليالي المظلمة تنزل كسهام مضيئة نسميها (شهب) جمع شهاب وهكذا ذوات الأذنان كلهن دائرات حول الشمس كما تدور الشهب (النيازك) وكما تدور السيارات . وهناك يرون أن الشهب والسيارات إن هي إلا كأعضاء الجسم الانساني أو كأفراد من ممالك النحل وممالك النمل . لنا نحن بنى أوامر نلقيها على أعضائها وأعضاؤها تمثل تلك الأوامر . والموصل لتلك الأوامر من عقولنا الى أعضائنا هي الأعصاب فهن قوائم مقام البريد البرق (التلغراف) وسرعة الفكر في العصب ميل في الثانية وبعض العلماء يقول « إن القوة الحاكمة تشعر باللمس على الوجه وتجييب عليه بتحريك اليد في سبع ثانية من الزمان . وتشعر بالسموعات وتجييب عليها في سدس ثانية . وبالمرئيات وتجييب عليها في خمس ثانية » فبالامتحان ظهر أن المسموعات أسرع حركة من السموعات وهذه أسرع من المرئيات . ولقد حار الناس فلم يعرفوا كم من الزمن يمر حتى تصدر القوة الحاكمة حكمها . وقد عرف هذا أحد العلماء باللات دقيقة جدا فقال « إن حركة الفكر تستغرق في الاحساس والحكم ثم الاجابة خمسا وسبعين جزءا من (١٠٠٠) جزء من الثانية الواحدة وتستغرق الإرادة في اصدار حكمها (٤٠) جزءا من ذلك ولقد جرّبوا ذلك في رجل كهول والشاب أسرع في ذلك من الكهول »

إذن في الانسان قوة حاكمة . وأوامر تلقي . وأعضاء تأتمر . وهذه الأعضاء كثيرة جدا كأنها دولة أو كأنها مملكة النحل أو مملكة النمل أو مملكة الجراد أو الأرضية . فهناك تشابه وتماثل بين أعضائنا مع نفوسنا وبين ممالك النحل والنمل والشمس مع سياراتها وتوابع سياراتها . أفليس هناك اتصال ما بين الشمس وما

حولها من السيارات والنيازك وذوات الأذنان كالاتصال المتقدم بين النفس وأعضائها وبين ملكة النحل مثلاً وأفراد ملكتها إذ هناك صلة وثيقة بين الملكة والأفراد لا علم لنا بها . ولنا الحق أن نتصور الصلة بين الشمس وسيارتها الخ كالصلة التي بين نفوسنا وأعضائنا ويكون عالم الأثير قائماً مقام أعصابنا . ذلك العالم الذي يقرب من العالم الخيالي أو الروحي الذي قد ثبت أنه وإن يكن غير مادي فيه ثقل لا يحسب بجانب الحديد ولا الذهب شيئاً مذكوراً فهو أمتن من كل مادة ولولا هذا لم يتحمل قوة الجاذبية التي تقوم به بين الكواكب

تبين بهذا أن مافي السموات ومافي الأرض من الممالك على وتيرة واحدة . فإذا رأينا ممالك الحشرات لها نظام سياسي عجيب . ملكة أمرة ورعية مطيعة . وإذا رأينا أعضاءنا هكذا مع نفوسنا . وإذا رأينا السيارات وماعها هكذا مع الشمس . فلنفهم إذن الآية هنا فإن اختصاص الملك بالله المفهوم من تقدم الخبر يعرفه العقلاء بالبحث . فانك ترى الخير بفن الشجر أو الموسيقى أو النقش أو التصوير أو علم النبات أو صناعة التجارة أو الحداثة . إذا رأى نموذجاً منها عرف أن هذه من صنع فلان . فترى من يسبح شعر شاعر أو نثر ناثر وهو من علماء أدب اللغة يحكم حالا حكماً لا شك فيه أن هذا من شعر العصر الأول أو الخامس وهو من قول فلان كما أخبرني صرة الأستاذ (ادوارد براون) العالم الإنجليزي المستشرق المدرّس في (كلية كبريدج) إذ قال لما أرسلت الحكومة الإنجليزية ثياب رؤساء العشائر المقتولين أيام حرب السودان وكانوا نحو ثمانين أسيراً أخذت أقرأ خطوطهم ونماذج انشائهم فوجدت منهم من نزحوا إلى السودان في العصر الأموي ومنهم من نزحوا في العصر العباسي ، واستدللت على ذلك بمشابهة الخطوط والخطوط والانشاء للانشاء

هذا ما قاله وهكذا كل أصحاب صناعة يدركون لأول وهلة متى رأوا أى نموذج في أى عصر هو ولأى أمة وهكذا ، إن من ينظر إلى نظام الدجاجة وأفرادها والمرأة وأولادها والحكومة وأفراد شعبها وملكة النحل ونظام أفرادها والشمس وما حولها يجزم بأن الصانع لم يتغير لأن الطراز واحد لم يتغير وأسلوب الصنعة هو هو بعينه والا فبالله أى فرق بين هذه الممالك كلها ، فهذا يعرف الحكماء اختصاص مافي السموات والأرض به ، وإذا عرفوا ذلك الاختصاص بهذا البرهان العقلي العملي انشروحت نفوسهم وفرحوا بالصانع بعد فهم صنعته واشتاقوا إليه وأحبوه إذ لا حب إلا بعد المعرفة كما أن أهل أمريكا وأوروبا منذ يوم (١٦) فبراير سنة ١٩٣٣ إلى الآن يقدون زرافات ووحيداناً على بلادنا المصرية إذ عرفوا قيمة الحكمة التي كشفت في المصنوعات الأثرية ، فهؤلاء يفارقون الأهل والوطن ويصرفون المال ويتعشّمون المشاق غراماً بالجمال ولا جبال إلا تبع الحكمة أى النظام المتقن في الصنعة . إذن هذا النوع الانساني متى عرف الجمال والنظام والحكمة سارع ليرى ذلك ويشاهد ذلك الحكيم كما يشاهد أولئك الزائرون تلك الصناعات ويشاهدون من عملت في زمان وهو الملك (توت عنخ أمون) ويكتفون بمشاهدة جثثه الطامدة وإن لم يروه هو لأنه هو وعلماءه وصناعه ليسوا هذه الأجسام بل هم أرواح كانت في هذه الأجسام ، فهؤلاء العلماء اكتشفوا بما أمكن لهم وهو مشاهدة الجسم وإن خرجت الروح ، فهذا مثال ضربه الله مثلاً للناس في الأرض فهو يقول ﴿ يا أهل الشرق ويا أهل الغرب إن نظامي جميل في الأرض وفي السماء ومتى فهمتموه فهما يؤدّي إلى شوقكم لي كما اشتاق علماء الأمم عندكم إلى مشاهدة آثاركم والذين عملت في زمانهم فإن ذلك يحملكم على حبي والشوق إلى مشاهدتي ، فالمعرفة تبع الشوق والشوق يبعث على السعي للمشاهدة ، وهناك لا تذكرون الموت في حينه ﴾ وهذا هو معنى الحديث « من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه »

أقول : وليس معنى هذا أن السبيل لحب لقاء الله وعدم كراهة الموت محصور فيما قلناه . كلا . بل هذه إحدى السبل التي نحن بصدددها وهذا الحب الذي كانت المعرفة بسببه هو الحامل للحامد على جده فإن متقن الصنعة محبوب والحب يوجب انقياد الأعضاء للعمل وانطلاق اللسان بالثناء . هذا هو السر في قوله بعد ذلك

... وله الحمد في الآخرة ... وإنما خصّ الحمد لله بالآخرة لأن النفس تكون مجردة عن جسم فيكون إدراكها أتمّ لتعقل الحقائق فتزيد حباً . أما في الدنيا فهي تحمد الخالق والخالق وشاهد أعمال الناس وتمدهم . ولما كان ذلك كله راجعاً للحكمة ختم الآية بقوله - وهو الحكيم الخبير - فالحكمة بها النظام والنظام والاتقان كان الحب والحب انطلق اللسان بالحمد . وهذا هو تفسير الآية بالعلوم المعروفة اليوم فلما اطلع بعض العلماء على ذلك وهو من قرأ هذا التفسير قال لي : لقد أحسنت في شرح نظام هذه الكائنات العالوية والسفلية وفي ترتيب الحمد على معرفتها ثم في تبين أن الحكمة هي الأصل الذي بني عليه هذا النظام ولكن العقل لا يكاد يفقه المناسبة بين مملكة النحل مثلاً والمجموعة الشمسية فهي عظمة المقدر جداً حتى أن الشهب وذوات الأذنان الجارات حولها لا تكاد تحصى . يقول علماء العصر الحاضر أنها كعدد السمك في الماء . ثم إن المجرة التي منها مجموعتنا الشمسية قد علم أن فيها (٢٢٤) ألف ألف نجم وكل نجمة منها شمس كشمسنا ولها مجموعة شمسية أكبر أو أقل من مجموعتنا الشمسية . فهذه كلها تكون مجرة واحدة وشمسنا منها ، وفوق ذلك هذه المجرات لها أخوات كثيرات كلهن مجرات مثلها فيهن شمس تعد بمئات الملايين ، وفوق ذلك أيضاً قد كشف الناس اليوم مجرات أخرى تسمى بالسدم جمع سديم ووجدوها أنواعاً فمنها السدم اللولبية ، ومنها السدم الحلزونية ، ومنها السدم المستديرة ، ومنها التي هي غير منتظمة ، وإذا كانت هذه السدم مجرات كجراتنا المحتوية على شمس تعد بمئات الملايين كشمسنا التي لها مجموعة لا حصر لعددتها وإذا كان الذي عرف الآن من السدم اللولبية وحدها بالمنظار العظيم (١٢٠) ألف وأوصلها الأستاذ (بيرن) إلى خمسمائة ألف ، ومن رأيه أنه قد يرى منها أكثر من مليون سديم إذا زادت آلات التصوير اتقاناً فإذا كان هذا المقدر في السدم اللولبية وقدرنا السدم الأخرى بهذا المقدر كانت مجاميع المجرات اللولبية أربعة ملايين مجرة غير المجرات المعروفة ، وكل مجرة من تلك المجرات لها أبعاد ولا يكاد يصدقها العقل ، مثلاً مجرتنا التي منها شمسنا تمتد إلى نحو مائتي ألف سنة نورية من جهة ومن جهة أخرى أقل من ذلك فكيف بباقي المجرات وكيف عظمت سميتها فهل بعد ذلك تقاس هذه بمملكة النحل أو بجسم الإنسان

فقلت له : إن ما هالك من هذه العوالم السماوية يرجع كله إلى ما يشبه جسم الإنسان . فالمجموعات الشمسية التي تعد بالآلاف والآلاف في كل مجرة من المجرات التي تعد بالآلاف أيضاً أشبه بجسم إنسان واحد أو بمملكة من ممالك النحل وكل كوكب سيار في كل مجموعة شمسية أشبه بعضو من أعضاء الإنسان وسكان الكواكب أشبه بما في جسم الإنسان من الحويصلات الحية التي كل حويصلة منها لها حياة مستقلة ومن لطف الله أنه جعل النظام واحداً متشابهاً لتسهيل دراسته ومتى درس الإنسان جسمه فكأنه درس العوالم كلها وعرف نفسه ومتى عرف نفسه عرف ربه فاشتاق إليه . ومن عاش في الدنيا وهو غافل لم يعشق الحكيم المدبر للعوالم ومات فإنه يسكن في عوالم على مقدار درجته ولا يلاق ربه إلا من أحبه وإن يحبه إلا العارس لصنعه وغيرهم يتسكعون في عوالم لا تؤول للقاءه إلا قليلاً على مقدار ما اكتسبوا من الحب . إن الحياة لاسعادة فيها إلا بالحب ولا حب إلا بالعلم ولا علم إلا بالبحث في نظام الأرض والسماوات المدبرات بتدبير الحكيم الخبير . انتهت الجوهرة الأولى والحمد لله رب العالمين

### ﴿ جمال هذا الموضوع ﴾

( كتب قبيل فجر يوم الخميس ٢٧ مارس سنة ١٩٣٠ )

يا الله : ما أجمال ما صنعت . وما أبدع ما أتقت . بهرتنا بجلال أعمالك . وسحرت عقولنا في دقائق وضعك . وغشيت على هذا الجلال بحجاب من حوادث الأيام ودخان الآلام والمصائب . ولولا ما نصاب به من



فواجع الأيام رحمة منك وفضلا لتفطرت قلوبنا وتمزقت أجسامنا واحترقت بأشراق أنوارك الجلية . هذه هي الشمس وهذه سياراتها . لقد برزت في الرسم (شكل ٢ المتقدم) هيئة تمثل البطة وأفراخها جائعات حولها محيطات بها . ولكن الفرق أن بنات الشمس منتظمات الأعمال سائرات بقوانين لاخطأ فيها طويالات الأعمار عظيمات الأنوار . أما أفراخ البطة والدجاجة والحمامة وأنواع الأرضة والنحلة والنملة فهن صفار الأعمار والأقدار لاقانون لأعمالهن نعرفه ولاضابط لسيرهن ندرسه والفرقان اتحدا في حسن الاتقان وأبداع التركيب والنظام فهذا عطارد الجائعات حول الشمس تجذبها إليها وتمطط عليه حتى لايتبدد في أطراف هذا الجوّ الواسع ولايقه في فسيحات المجاهل . هاهوذا يجرى حولها بجريا حثيثا فلايختل نظامه . جريا متواصلا . جاذبه إليها جذبا رقيقا بحيث لايلتصق بها لئلا يهلك سكانه من شدة حرها ولايظلم وجهه من شدة بعد ضوءها - إنا كل شئ خلقناه بقدر - بحيث كانت سنته مقدّرة بمدة (٨٧٩٩٦) يوما . فهذه الأيام وأجزاؤها هي المقدرات لمدة السورة الكاملة حول الشمس منذ خلقت السموات العلا الى الآن وإلى الأبد . وهذه الزهرة سنتها الكاملة (٢٢٤٧٠١) يوما والأرض سنتها الكاملة (٣٦٥٢٥٦) يوما والمريخ (٦٨٦٩٨٠) والمشتري (٤٣٣٢٥٨٥) وزحل (١٠٧٥٩) وأورانوس (٣٠٦٨٦٨٢١) ونبتون (٣٠١٣٦٧٣٠) .

هذه هي المدد التي تسير فيها هذه السيارات حول الشمس وهي لها جاذبة ، انهن لمطيعات صادقات في موااعي مدتهن ، وأن أتمهن الشمس لحبها لهن المفرط ورأفتها تجذبهن جذبا لطيفا لئلا يتفرقن ويتبددن في باحات الفراغ الواسع كما تفعل البطة والنملة بأبناهما - ماترى في خلق الرحمن من تفاوت - والله ان رأفتك يا الله بهذه المخلوقات وحكمتك لاحد لهما . فهذا حساب سائر السيارات لواختل ثانية واحدة لأضر ضررا بليغا فهذه الأرض الجارية حول الشمس لو انما اختل نظام سيرها وقد علق عليه جري قطراتنا برا وسفنتنا بحرا لأورث ذلك خلا في أعمالنا جفري القطر في غير حينه ، وفتحت الميناء بحرا في غير وقتها فتحطمت السفن بحرا وهشمت وطاحت العربات والركاب برا - تبارك الله رب العالمين -

ويجبني يا حكيم يا رحيم يا بدیع دقة صنعك ، وبهجة الجمال ، وعجائب الاتقان ، وبدائع التصوير في النملة والأرضة المرسومتين هنا وفي جسم الانسان ، فهاهوذا النضاع الشوكي هو ومنبعه الرئيسي وهو المنع في الدماغ قد جعلهما أسا لهذا الجسم الحي بحيث تكون الأعضاء المنفصلة حولهما العلامات بمايصل لهما من أوامرها جائعات حولهما جثوم الأرضات والنملات والتملات والسيارات حول ملكات الأرضات والنملات والنملات والشمس ، انما مثل السيارات مع شمسها كمثل الأعضاء مع الجسم في الحيوان والانسان ومثل النمل والنمل ونحوها مع ملكاتها ، ألا وان عنايتك بالضعفاء يا الله لقوية متينة إذ كيف تخلق للنحلة في العين الواحدة من عينيها المركبتين الموضوعتين في مقدم الرأس (٢٠٠) عين كما تقدم في ﴿رسالة عين النملة﴾ في سورة النمل ، وتخلق للذبابة الواحدة (٤٠٠) عين بسيطة في عينيها المركبتين

إن حكمتك ورحمتك لانهاية لهما فيكون حبنا لك لانهاية له ، ولكن رحمتك الواسعة واتقانك البديع وحبك لخلقك قد عمت الوجود كله ومنها نوع الانسان ، فسترت عن عقله هذا الجمال بأنواع المصائب والحوادث والأمراض والموت والحياة والفقر والغنى والعز والذل فغشى على عقله فلم يدرك فأخذ يتلمسه من المعلمين ومن الكتب كما نفعل الآن في هذا التفسير ، ولوأن هذه الرحمت ظهرت للناس فوعتها عقولهم لتزقت الأحشاء من ادراك ذلك الجمال فتقطعت القلوب ، ولكن الرحمة عاتمة والحكمة شاملة باهرة وأكثر الناس لايعلمون ، ومن الغرابة بكان ما نراه من الاتقان في جماعات الحيوان المجتمعات اللاتي تكون أمة واحدة وجماعات الكواكب اللواتي تكون في مجموعة واحدة ، فان النمل اذا اجتمعن في بيت واحد وحلت الملكة من ذكر من غير ملكتها ألقينا النمل الذي في ملكتها قام قومة واحدة وانقضى على ذكران



تلك المملكة فأهلكها لأنها لا تعمل لها ، فلا هي تجمع العسل ولا هي تقيد في أن تكون سببا في حمل المملكة هكذا نرى جوع الأرض الآتي الكلام عليها في هذه السورة والمتقدم بعضه في سورة النحل أيضا فان المملكة لها جنود يحمونها ، وهؤلاء الجنود لهم عدد مخصوص ، فاذا زاد المقدار رأينا الجاعات الالاقى تقدم لجميع المملكة الطعام تمتنع عن تقديم الطعام لما زاد عن العدد المحدد حتى يموت . هذا في عالم الأرض . أما في عالم السماء فاننا نرى نفس الاتقان في تقابل الأرض والشمس والقمر . ذلك اننا نرى القمر الذي يدور ٢٧ يوما و ٧ ساعات و ٣٩ دقيقة و ١١ ثانية ونصف ثانية وذلك في دورته النجمية أى التي تمضى بين رجوعين متتاليين للقمر إلى نجمة واحدة بحيث اننا اذا لاحظناه يوما وقت الغروب في دقيقة معينة موجودا بجانب نجمة خاصة من النجوم الثابتة فاننا بعد مضي (٢٧) يوما و ٧ ساعات و ٣٩ دقيقة و ١١ ثانية ونصف ثانية نراه موجودا في ذلك المكان عينه بجانب تلك النجمة . فهذا القمر المنتظم السير البديع الصنع والنظام اذا قابل الأرض والشمس فيما يظهر للرأى في نقطة واحدة فانه يحصل هناك خسوف تارة وكسوف تارة أخرى فان كان القمر بين الأرض والشمس حصل كسوف وان كانت الأرض بين القمر والشمس حصل خسوف ، والمهم في هذا المقام أن نقول ان الخسوف والكسوف في مدة (١٨) سنة و (١١) يوما يكون مجموع مررات الكسوف (٤١) ومجموع مررات الخسوف (٢٩) والمجموع (٧٠) ما بين كسوف وخسوف ، وهذه المدد لن تتغير ولم تتغير ، فهذا هو الابداع في الحساب ، فحساب الحشرات على وجه الأرض لن يعطله حساب الكواكب في السماء ، فلم تعطل يا الله أعمال النحل أى انك لاتمنع إلهامك لها أن تقتل الذكور لأنها لا تعمل لها متى حملت المملكة ولا أعمال الأرضة فلم تمنع إلهامك لحاملات الطعام منها أن تقتل ما زاد من الجنود بحرمان الزائدات طعامهن ، فألهامك للطائفتين ولغيرهما مستمر منظم كنظام الخسوف والكسوف في العوالم العالوية بحيث لا تختل أوقات الخسوف بوقوع الأرض بين القمر والشمس ، ولا أوقات الكسوف بوقوع القمر بين الأرض والشمس بل النظام هناك لا يختل ، والنظام في أصفر الجوان لا يزول ، فأنت تحسب الدورات الفلكية بالثانية ونصف الثانية ولا تغيره ، وهكذا تفعل في الحشرات فتحسب لها حسابها وتلهمها

هذا هو الذي نفهم به معنى قولك - الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبير - يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو الرحيم الغفور - فهذه هي الحكمة ، وهذا هو العلم ، وهذه هي الرحمة ، وهذا هو الفجران ، فأى حكمة بعد هذه الحكمة في الاتقان والخبرة في الحساب ؟ وأى رجة ورافة بهذه المخالقات أعظم من هذه ! ثم اذا كان هذا الانسان يعيش في الأرض وأكثره جاهل هذا النظام البديع وهو غافل عنه بل أكثره كافر أى غير شاكر لأن الشكر مبدؤه العلم بالنظام وأكثر الناس لا يدركون هذا النظام البديع فلو لا تجارزه عن عبادته التي هي مقتضى جبلته الأرضية الطينية لمعاه من الأرض ومنعه الرجود فيها غيابهاته ولكنه غفور ستر ذلك الذنب الطيبى وعفا عنه وأحيا الانسان في الأرض لأنه يعلم أن له مستقبلا في عوالم أخرى وهناك يفهم هذا الجلال من استعدله

### ﴿ تذكرة ﴾

إن هذا الابداع نراه لا يزول وهو محيط بنا ونجد أنفسنا في هذه الأرض مغمورين في أنواع الحروب الدولية والمطامع الشخصية والأحقاد القلبية والأصراض الجسمية فسكون مبعدين عن السعادة في الدنيا ، ولكن متى لحنا الجلال من خلال تلك السحب القائمة نسبنا مصابنا وأدركنا جلالا في ضوء الشمس ونور القمر وبهجة النجوم وهناك نفسى مصائبنا الوقتية ونفرح بهذا النعيم وهو العلم والحكمة والاتقان الذي نراه دائما لا يتغير ونرى قابو بنا به فرحة ، هنالك نسهل في نفس الحياة الدنيا ونرى أنفسنا أشبه بالمراهقين الذين لم يبلغوا السن وقد فرحوا بأنهم قريبا سيبلغون السن القانونية والرشد وتسلم لهم أمواهم . هذا ما خطر لي في تفسير هذه الآية

والحمد لله رب العالمين . تم الكلام على الجوهرة الأولى

﴿ الجوهرة الثانية في قوله تعالى - يعلم مايلج في الأرض ومايخرج منها - الخ ﴾

اعلم أن هذه الآية لم تكن في أول هذه السورة وفي أول سورة الحديد إلا الحكمة ، فهذا كلام الله وهو موزون كما وزن كل نبات وكل حيوان وكل كوكب ، يقول الله - يعلم مايلج في الأرض ومايخرج منها - وقد علم سبحانه مايلج في الأرض من الآثار التي تركها الأولون كما ستعرف شرحه في ﴿ قصة سبأ ﴾ وترى ما فعله علماء أوروبا في بلاد اليمن وانهم استخرجوا منها صوراً وعرفوا بها علوماً ، فهذا بعض مايلج في الأرض قديماً وماخرج منها حديثاً ، وهكذا يقول تعالى - يعاون له مايشاء من حاريب وقبائل - والنمائل قد تكون من المعادن ، فهذه ممايخرج من الأرض ، وهكذا في ﴿ سورة الحديد ﴾ ذكر الله الحديد وابتدأ السورة بما يفيد هذا المعنى ، اذا عرفت هذا السرّ الجليل فاسمح الآن لما في هذه الدنيا من الجحائب المناسبة لهذه الآية

﴿ تفصيل الكلام على الأرض ﴾

لأجمل الكلام في « مقامين » المقام الأول « وصف نفس الأرض » المقام الثاني « ما يقوله علماء الاقتصاد في مباحث المعادن والفحم وما أشبه ذلك

﴿ المقام الأول . وصف الأرض ﴾

لقد جاء الحمد في أول الفاتحة والأنعام والكهف وهذه السورة ، وأليس من العجب أن يكون مقروناً بالترية للعالمين تارة وبذكر الأنوار والظلمات تارة أخرى وبزول القرآن آتية وبظهور نتائج الأرض والسموات في حال أخرى

فقال صاحبي : هذا كلام غامض ! فقلت اعلم أن الحمد متى ذكر في أول سور القرآن تجده ذكر العوالم بعده فالحمد لله رب العالمين في الفاتحة ، ابتدئ بذكر الله في البسملة وأنه موصوف بالرحمة وأن الرحمة تستوجب الثناء بالجليل وأنه مرب العالم كله ، فههنا ذكر مبدأ الوجود وصفته وترتيبه وكل ما ربه ، وفي الأنعام ذكر الثلاثة الأولى وأبان كيفية الترتيبية بجعل الظلمات والنور ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ دوران الأفلاك ، فدوران الأفلاك سبب في الترتيبية المذكورة في أول الفاتحة ، فههنا ايضاح للترية ، وفي الكهف نهد الحمد على العلم الذي رمن له بالقرآن . إذن هنا نور ظاهر لترية الأجسام ونور باطن لترية العقول ، الأول في الأنعام والثاني في الكهف فلم يبق إلا نتائج تلك الترتيبية الجسمية والعقلية للعوالم ، وهذا هو قوله - يعلم مايلج في الأرض ومايخرج منها وما ينزل من السماء ومايخرج فيها وهو الرحيم الغفور - ولا شك أن مايلج في الأرض ومايخرج منها لا يختص بالأجسام ولا بالعقول بل هو عام . فنور الكواكب ونور العلم يصلان للأجسام كما في سورة الأنعام وللعقول كما في سورة الكهف . ومن الأرض يخرج الزرع ونحوه وهو جسمي وترفع الأعمال وهي عقلية . وملخص هذا كله أن هذه السور الأربعة جاء الحمد فيها مرتباً ترتيباً جعلنا نعتقد أنه يفتح لنا باباً لدراسة توارخ العوالم فاذا رأينا الله أول ما يبدأ يذكر لنا أوائل الموجودات ثم توابعها وهو مرتب لها . فلنقل هذا هو آخر طرز في نظام التعليم وهو أن العلم الذي يدرس كالفقه والنحو والاصول والتفسير ولا يدرس الناس تاريخه اجبالاً ولا يعرفون سلسلة التأليف في ذلك العلم يكون طلابه فاقدى القرائح كلسدى الافهام . ألا ترى أن الفلسفة اليونانية المنتشرة في بلاد الاسلام قديماً قد أحدثت آراء وشبهها وبدعا وكل ذلك للجهل بتاريخها فلقد ذكرت لك فيما مضى أن الاوربيين لما ترجوا فلسفة اليونان رأوا طيماوس يحكم وسقراط يجزم بأن العالم حادث كما هو الرأى الحديث في أوروبا مع ان من قرأ الفلسفة القديمة المنقولة عن اليونان لا يجد فيها غير القدم مذهباً وهذا من الجهل بتاريخ الفلسفة ومن عدم الاطلاع على جميع آراء الفلاسفة هناك . وقد قام كتاب ﴿ كشف الظنون ﴾ للكاتب القدير (ملاحى) بما ينفع في هذا الصدد

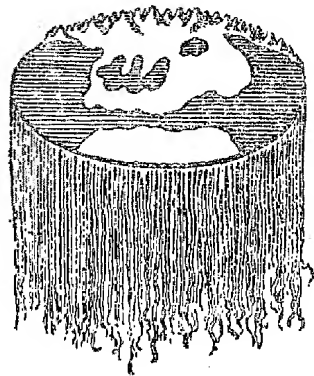
إذا صح هذا أفلا يجب على أن أقدم للأذكىاء صورة الأرض وما قاله العلماء فيها حتى لا تكون آراؤهم جامدة جود من قرؤا العالم ولم يدرسوا تاريخها

لقد أطلعني أحد الفضلاء على موضوع بديع في وصف الأرض والأقوال التي قيلت في هيئتها منذ القدم أدرج في « مجلة الجديد » فأحببت أن أذكره هنا ليكون ذلك تاريخاً لمعرفة هيئة الأرض ولنقف على ما يقوله الناس فيها ، فلطالما خطر لي خواطر فكنت أقول : ياليت شعري . ما فائدة باطن الأرض إذا لم تكن فيه نفوس حية ؟ فوجدت هذه الهواجس والخواطر والظنون هجست لقوم في أمريكا كما استراه وهذا هو الموضوع

### ( في زوايا التاريخ )

#### ( ليست الأرض كروية )

كان أول تصوّر للإنسان في شكل الأرض أنها بساط عظيم هائل لانهاية لعمقه ، يعتمد عليه قبو السماء كالسقف المرفوع ، ولما تقدم في الملاحة وقطع البحار الواسعة أخذ يتصوّر أن الأرض سابحة في أوقيانوس من الماء لانهاية له كما في (شكل ٦) وكان ذلك خطوة لتصوّر أن الأرض محوطة بدائرة وترتكز على جنود طويلة مثل الشجرة كما في (شكل ٧)



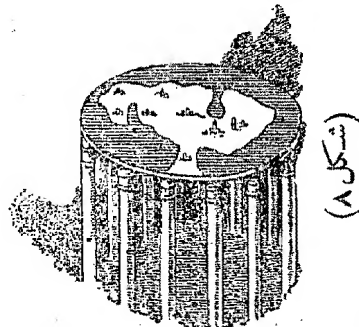
( شكل ٦ )

( شكل ٧ )

وساد كذلك اعتقاد قديم بأن الأرض بساط مستدير يقوم على اثنتي عشر عموداً كما في (شكل ٨) ولكن على أي شيء تقوم هذه العمود ؟ فيجيب قساوسة أوروبا في القرون الوسطى بأنها تقوم على الضحايا البريئة من أهل الفضيلة والتقوى الذين لولا وجودهم هنالك لدرت الأرض وذهبت هباء في الفضاء ، وقد كان (أناكسيمندر) الاغريق في القرن السادس قبل الميلاد يرى أن الأرض كالاسطوانة كما في (شكل ٩) وأن قطرها يساوي ثلاثة أمثال ارتفاعها ، وانها سابحة في مركز القبو السماوي . وانه لم يسكن منها إلا وجهها الأعلى . وتوجد أوروبا في النصف الشمالي وليبيا وأفريقيا وآسيا في النصف الجنوبي

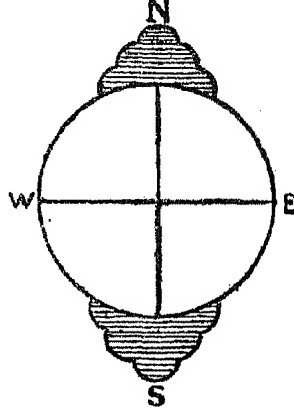


( شكل ٩ )

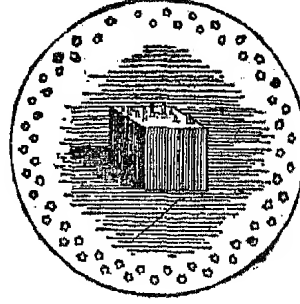


( شكل ٨ )

ثم جاء من بعده بقليل الفيلسوف أفلاطون وقال « ان الأرض مكعبة » (انظر شكل ١٠) لأنه كان يعتقد أن المكعب أكمل الأشكال الهندسية فيجب أن يكون موطننا لأفضل الكائنات وهو الانسان . وانه قبل أن يقول علماء الغرب بكروية الأرض سبقهم الى ذلك من عهد بعيد علماء الشرق حيث تخيلوا أن الأرض كروية وتنتهى شمالا وجنوبا بجبال عظيمة الارتفاع كما في ( شكل ١١ ) ونرى كذلك في هذا الشكل ادراكهم لعمود عظيم تعتمد عليه الأرض وهو الذى تطوّر فيما بعد الى ما يسمى الآن (المحور)

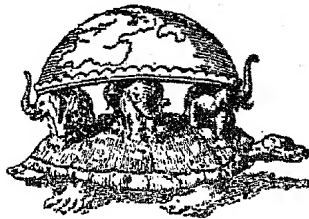


(شكل ١١)



(شكل ١٠)

وذهبوا الى أن جبال النصف الشمالى تخرج من أوقيانوس عظيم وترتفع حتى تبلغ مقرّ الآلهة فى السماء بينما تتدلى جبال النصف الجنوبى حتى تبلغ الحميم ومقرّ الشياطين . ونجد مثل هذه النظرية فى علم الفلك فى الهند مع اختلاف فى المسميات حيث يذكر أن جبل العالم يرتفع فى القطب الشمالى للأرض ليصل ما بينها وبين السماء وهو مثل محور تدور حوله الأجرام السماوية (انظر شكل ١٢) . ووجدت أيضا نظرية فى بلاد (الهند والكلدان تقول : « إن الأرض مثل محارة كبيرة مستديرة (انظر شكل ١٣) تقوم على أربعة أفيال » ويرمزون لذلك بالعناصر الأربعة أو الرياح . وتقوم الفيلة على ظهر سلحفاة كبيرة . ويرمزون بها للقوة والبقاء والصبر والجلد والخلود

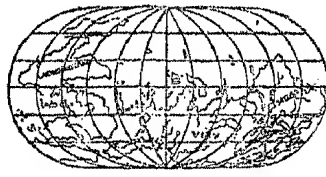


(شكل ١٣)

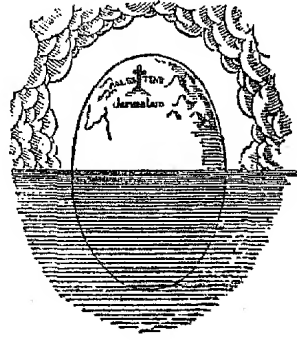


(شكل ١٢)

وانتقل الى الغرب منذ (١٥٠٠) سنة نظرية تقول : « إن الأرض بيضاوية وانها سابحة فى الأثير » (انظر شكل ١٤) وقال الادريسي وهو أحد الجغرافيين من العرب فى القرن الحادى عشر ليلاد « ان نصف هذه الأرض البيضاوية مغمور فى الماء » وذلك ليحل مشكلة النصف المجهول ، وكان (بطليموس) فى القرن الثانى ليلاد وهو من أشهر الفلكيين يرى أن الأرض مثل كرة مفرطحة من جانبيها كحبة القوطة (انظر شكل ١٥ فى الصفحة التالية)

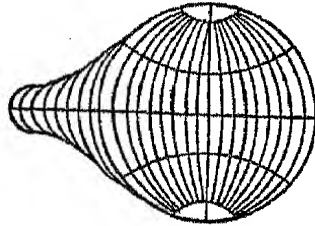


(شكل ١٥)

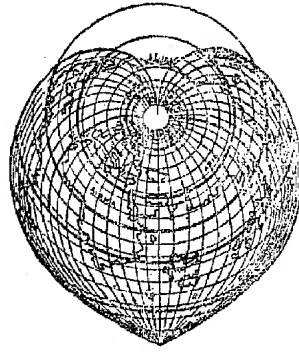


(شكل ١٤)

وجاء (أبيانوس) في سنة (١٥٢٠) ميلادية فقال ﴿انها تشبه القلب﴾ (انظر شكل ١٦) وصادفت نظريته ميلا في قلوب قساوسة الدين في أوروبا فأيدوه قائلين ﴿انها قلب الله﴾ وأن هذه الكرة القلبية تشبه أرض المكتشف العظيم (كولبوس) حيث تصوورها مثل الكمثرى ، فالنصف الكروي هو الشرق والنصف المستطيل هو الغرب ، والتمدد الذي أوجده فيه هو (العالم الجديد) الذي اكتشفه ، وأما (دانت) فقد تصوورها قبل ذلك بقرن في مثل هذا الشكل جاعلا هذا التمدد لجمه الذي صورّه فكانت جبال المطهر تحت خط الاستواء بثلاثين درجة (انظر شكل ١٧) بينما جعل (أورشليم) أو (ريون) في الجهة المقابلة ليحفظ التوازن

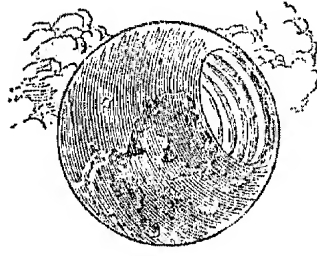


(شكل ١٧)

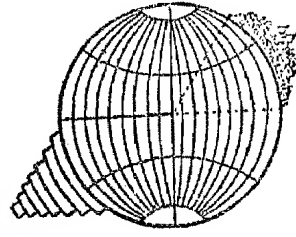


(شكل ١٦)

وظهر في سنة ١٨١٩ في (سنت لويز) بالولايات المتحدة القبطان (جون كايفزسيمس) بنظرية عجيبة تعرف باسمه أو بنظرية السكرات المتداخلة وهي أن الأرض أو أي كوكب يتكوّن من عدة من السكرات المتلاصة والمشاركة في مركز واحد (كما في شكل ١٨) و (شكل ١٩) وبين كل كرة والتي تليها فاصل مملوء بالهواء ، وعند القطبين فتحة كبيرة في جميع هذه السكرات . ويرى أن الأرض تتركب من خمس طبقات أو ثورات متداخلة وأن فيها فتحتين كبيرتين عند القطبين يبلغ قطر الشمالية أربعة آلاف ميل وقطر الجنوبية ستة آلاف ميل . وأن سطح كل كرة أو طبقة مسكونان فتوجد سكان في الأرض على السطوح المحدودة والسطوح المقعرة . وطلب الى المجاس النيابي بالولايات المتحدة أن يجهزه بسفينتين ليسافر الى أحد القطبين ويدخل من الفتحة الموجودة هنالك ليدخل الى سكان السطح المقعر الذي نعيش فوقه



(شكل ١٩)

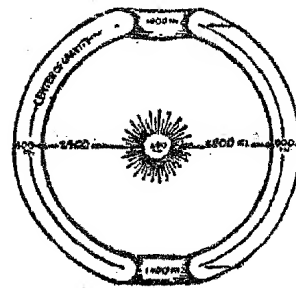


(شكل ١٨)

وطبع المارشال (جاردنر) في سنة ١٩١٣ م في الولايات المتحدة كتابا عنوانه ﴿ سياحة الى داخل الأرض ﴾ ذهب فيه الى أن الأرض مجوّفة ويبلغ سمك طبقتها التي نعيش عليها ثمانمائة ميل وانها مفتوحة عند القطبين . ويوجد في داخلها شمس (انظر شكل ٢٠) ويبلغ قطر كل فتحة قطبية ألفا وأربعمائة ميل وقال (موريه) في كتابه ﴿ علم الفلك اليوم ﴾ ان الأرض على شكل هرم (انظر شكل ٢١) وهو يرى أن نظريته تبين اختلاف انصاف أقطارها وتحل كثيرا من النقاط المعضلة في هذا الصدد التي لا يمكن أن تفسرها أية نظرية أخرى



(شكل ٢١)



(شكل ٢٠)

وهذه النظرية التي نشرها (نيوفيل موريه) العالم الطبيعي الفرنسي إن هي إلا شرح وتأييد لنظرية (لوثيان جرين) العالم الانكليزي التي كانت مشارا لجدال كبير في سنة ١٨٧٥ م وهو يذهب الى أن الأرض هرمية الشكل وأن البحار تشغل بطون في سطوحه الأربعة بينما أركان هذا الهرم عبارة عن القارات الخمس وقد بحث (موريه) هذه النظرية الهرمية للوجود بعد رفضها في ذاك العهد ليحلها العلماء من جديد في نور ما استكشف من العلم الحديث . والجدال قائم الآن في كل مكان على قدم وساق . ويقال انها أحسن نظرية في بيان حقيقة شكل الأرض . وأن مالا شك فيه أن نظريات كروية الأرض لا يؤيدها أحد اليوم من علماء الجيولوجيا والفلك . انتهى المقام الأول في وصف الأرض

### ( المقام الثاني )

( فيما يقوله علماء الاقتصاد في مباحث المعادن والفحم الخ )

اعلم أن علماء الاقتصاد استقصوا مباحث المعادن والفحم وتربة الأرض ، فلاذ كر خلاصة ما يقولون في هذا المقام ايقاظا للمسلمين وتعلما للجاهلين

اللهم إنا نحمدك حمدا يوافي نعمك ، أنت الذي علمت وألهمت ، وأنت الذي جعلت الأمم كلها يخدم بعضها بعضا وكل يساعد كلا وان كانوا لا يقصدون ، فهانحن أولاء ننتفع بعلم الأمم ، فالعالم كله مرتبط ببعضه

ببعض بطريق الجاذبية التي بين الكواكب والسيارات ، وهكذا الناس هم تبطون بالمصالح والعلوم شاؤا أم أبوا - ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها - ولله يسجد من في السموات والأرض طوعا وكرها -

### ﴿ التربة ﴾

إن التربة قد تكون سوداء وهي التي جعلها (الفرين) أي ما يسمى في مصر بالطمي وقد تكون نباتية وقد تكون بركانية كأراضي الدلتا . فالسوداء هي التي تجعلها الأنهار كنهر النيل بمصر وهذه لا تحتاج الى سقي كثير والرملية تحتاج الى سقي كثير ويزرع في الأولى أمثال الارز والقصب وفي الثانية الشعير والقول السوداني والبطيخ . ومن أحسن الأراضي السوداء الهندية في مقاطعة بنجاب فقد زرعت آلاف السنين بغير سماء . وأما التربة الثانية فهي التي امتزجت تربتها بما تحلل من النباتات قديما فصارت ذلك غذاء للزراع التي تزرع فيها . قالوا ومن أحسن أنواع التربة الخصبة في العالم التربة البركانية وتقع عادة في جوار البراكين الحية أو الخاملة وتشكوّن من بعض المصهورات أو الرماد الذي ينبعث من جوف البركان فتحملة الريح وتشره على مسافات واسعة حول البركان فيكسبها الخصوبة الكثيرة . ومن أمثلة ذلك الأراضي البركانية القديمة الواسعة في مقاطعات (الولايات المتحدة) و (شنتون) و (ارينون) انتهى

أقول : فإذا كان أحسن أنواع التربة هي التربة البركانية . فهنا ظهر بعض معنى قول الله تعالى هنا - وما يخرج منها - فهو الذي قدر الزلازل والبراكين ليستخرج لأهل الأرض تربة أصلح وأنفع من التربة التي يعيشون بها . إذن المصائب التي يأتي بها البركان والزلازل أقل جدا من المنافع هذا من معنى قوله - يعلم ما يلج - الخ وقد آن أن أبين لك الكلام على الهزات الخفيفة والزلازل العنيفة من كتاب ﴿ الجغرافيا الرشيدة ﴾ لمحمد جدي بك فقد جاء فيه ما يأتي

### ﴿ الهزات الخفيفة والزلازل العنيفة ﴾

الاهتزازات في القشرة الأرضية كثيرة حتى يكاد يقع منها نحو ٣٠٠٠٠ هزة في السنة ، ولكن هذه الاهتزازات التافهة لا يلتفت اليها ، ولا يكاد يدونها السيسموغراف الذي يقضي الشهور الطويلة أبيض الصحيفة لا يجيد فيها عن الخط المستقيم ، ثم تأتي المفاجأة الهائلة فيهبج القلم ويرتجف على الورقة ارتجاف الطائر الخائر حتى ينقضي المقدور وينتهي المسطور . ويظهر أنه على قدر مدة السكون تكون شدة الزلزال المقبل ، إذ أن أشد الزلازل خطورة كانت تعقب أطول الفترات سكونا .

### ( التغيرات المترتبة على الزلازل )

ان حركات القشرة الأرضية الهادئة المستمرة أبعد مدى في تغيير معالم وجه الأرض من التغيرات الفجائية التي تحدثها الزلازل ، وأهم ما ينشأ عن الزلازل ارتفاع أراض كانت واطئة فجأة ، وانخفاض أراض أخرى ، وتغير مجارى المياه تبعاً لذلك ، وتخطيط القشرة الأرضية وتمزقها بالشقوق والفتوق الطويلة العريضة في أقرب وقت غير إن الزلازل وان كانت بمفاجأتها وأهوالها تلفت النظر اليها والى آثارها هي من الحوادث الصغيرة في تاريخ القشرة الأرضية ، وليست شياً بجانب بفيان الجبال وتغير صورة وجه الأرض بهدوء واستمرار . وسرعان ما تتسلط عوامل التعرية على ما تخلفه الزلازل من الآثار فتدمحوها وتسيرها كأن لم تكن .

### ( نشأة البركان )

قد علمت أن جوف الأرض مكون من مواد شديدة الحرارة جدا درجة يوسطها محفوفة بضغط القشرة الأرضية عليها . وفي أثناء تقلص الأرض والتواء قشرتها يحدث أحيانا أن يخف الضغط فجأة على تلك المواد

فتنصهر لوقتها وتتحول ، ويهيء وجود فتق أو شق بعيد النور فرصة لخروج المواد المنصهرة الجائشة فينبشأ عن ذلك البركان . وهو جبل مخروطي الشكل ، في قلبه قصبة مجوفة ، على رأسها فوهة وعائية الشكل تخرج منها الابخرة والصخور والمنصهرات . ويشيد البركان من الانقاض التي تخرج من فوهته سواء أسالت على جوانبه أم تساقطت من الجو بعد الارتفاع مخروطا بركانيا

### ( الحلم البركاني )

تسمى الصخور المنصهرة التي تخرج من فوهة البركان حمما : وقد تبرد أحيانا فتسكون سدادا يسد القصبة فتخرج الحمم من الشقوق النافذة الى أحد جوانب البركان وتعمل لها فوهة صغيرة يشيد حولها مخروط صغير على جانب المخروط البركاني . وتسيل الحمم على جانب البركان في كل ناحية فتشيد فيه وتزيده في بنيانه . وعند ما تبرد الحمم تنشقق كالتشقق الأرض الشراقي فتسكون منها أشكال منتظمة كما ترى في أعمدة البازلت . ويحدث أن يتحات المخروط البركاني تاركا سدادا القصبة وحشو الفوهة فتبقى صخرة منعزلة

### ( الثوران البركاني )

يخرج من فوهة البركان سحب من بخار الماء المتولد من المياه التي تنسرب الى جوف الأرض وتختلط بالصخور المنصهرة ، فيطرد البخار الصخور المتخلفة في قصبة البركان بعد أن يمزقها كل ممزق ، ثم تخرج سحائب من التراب البركاني الذي يجعل الجو مظلما وينتشر في الآفاق الى مسافات هائلة ، وتخرج من بعده الحمم والمواد المنصهرة ، فتسيل على الجوانب . ولذلك تجد المخروط البركاني مشيدا من طبقات من الحمم ، وأخرى من الرماد البركاني الذي تنزل به الامطار الموحلة على البركان ، وكلما تكررت ثوران البركان تكررت تكون الطبقات وتشيد الجبل . ومن أعظم الثورات البركانية ثوران بركان كركتوا في سنة ١٨٨٣ . وجزيرة كركتوا هذه في أرخبيل الملايو بين سومطري وجاوى ، تكررت فيها حدوث الزلازل ، وفي صباح ٢٧ أغسطس سنة ١٨٨٣ بدأ الثوران البركاني العظيم : فسمعت أصوات فرقعة الغازات في جنوب استراليا ، وخسف ثلثا الجزيرة فحل محل الجبال العالية بحر عمقه الف قدم ، وهاجت الامواج الهائلة فطغت على سواحل الجزائر القريبة ، وهاك ٣٩٠٠٠ نسمة وحربت نحو ٣٠٠ قرية ، وصار الجو مظلما كالليل في الجهات المجاورة من كثرة التراب البركاني الذي كان يرتفع الى علو ٢٠ ميلا من الفوهة . وقد انتشر هذا التراب في أجواء العالم فحل للشفق منظرا شديدا الاحرار حتى في غرب أوروبا . وقد علمت أن في قرار المحيطات طينة حراء مشتملة على بقايا الحيوانات البحرية ، فهذه الطينة مكونة في الغالب من الرماد البركاني . انتهى ما أردته في هذا المقام من كتاب الجغرافيا الرشيدة

فانظر وتجب : إن علم الله بما في السموات والأرض لا يحتاج الى بيان فكل متدين يعلم ذلك ولكن الله كرره في القرآن كثيرا في كل مناسبة وهو اذا علم كل شئ فهو يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها الخ ولكن لما قرأنا علوم أهل زماننا وجدنا أن ذلك التخصيص بالنص لحكم ظهر بعضها وسيظهر باقيا . علم الله أن المسلمين سيقروا القرآن وينامون عن العمل ويتركون الأرض لغيرهم فقال لهم « أيها المسلمون : أنا أعلم ما يلج في الأرض وما يخرج من الأرض ولولا نفعه لكم ما أخرجه منها . هذه البراكين مهلكة وليكنها نعمة لأن وجه الأرض كلما ضعفت الزراعة فيه فلم تأت بالغرض المطلوب . سلطت عوامل سرية على تربة قوية فأظهرت المسكنون في باطن الأرض فظهر على وجهها بالبركان ثم أصررت الرياح فجرت به وفرشته وفرقتة على الجهات المجاورة . إذن هذا الخروج بعلم وحكمة وتقدير . هكذا الفحم والبتول والحديد ونحوها ،

### ﴿ الفحم ﴾

خزن الله الفحم في الأرض أجيالا وأجيالا . وما الفحم إلا مواد نباتية احتجبت في طبقات الأرض عن الهواء دهورا طويلة فجرت عليها سلسلة من التغيرات الكيميائية أدت الى فقد مقدار عظيم من الايدروجين



والاكسوجين وبقاء مقدار من الكربون . والكربون يكون في الخشب المعتاد بمقدار نصف ما يكون في الفحم العادى ، ولقد يكون منه في الفحم بنسبة (٨٥) أو (٨٨) في المائة

هذا كلام علماء الاقتصاد ، ومعنى هذه العبارة أن الخشب يحتوى على ماء (الاكسوجين والادروجين) المتقدم ذكره ويحتوى على مادة خمية وهى الكربون ، فبقاء المواد النباتية مئات القرون تحت الأرض يذهب منها أكثر الماء ونحو نصف المادة الكربونية (الفحم الخالص) والباقي من ذلك كثير في الفحم ، وقالوا من أنواع الفحم

(١) انتراسيت وهو لماع صعب الاشعال لا تنسخ منه اليد ، لبه قليل أوعديم اللهب ، شديد الحرارة عند الاشتعال

(٢) الفحم البخارى وهو قليل الدخان كثير الحرارة يحفظ للأساطيل

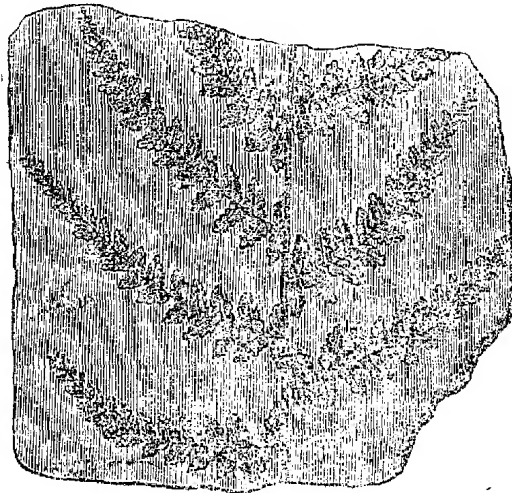
(٣) فحم الغاز

(٤) فحم الكوك ، نافع في المعامل والسكك الحديدية والبواخر وفي التناير لاستخلاص المعادن وصهرها ومعامل الغاز

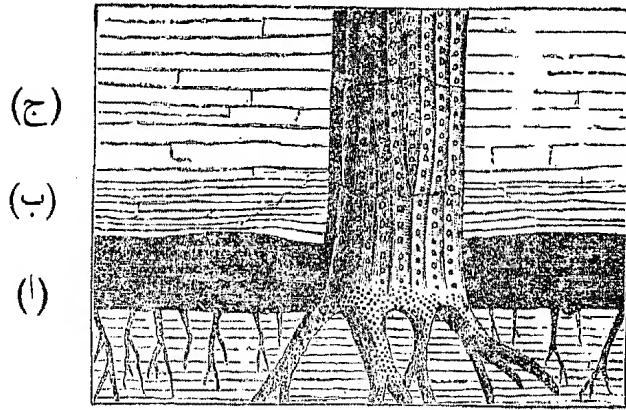
(٥) الفحم على وجه العموم هو المادة الأولية لمئات من الصناعات مثل الكوك المتقدم ، ومنه القار الفحمى ، ومنه زيت القار وهو وقود جيد ، ويعمل من الأول مستخرجات تستعمل في الصباغة وعمل النفطالين والتطهير ، ومنه البترول وغاز النشادر ، وتصنع منه الأسمدة ، ويستخرج من الفحم أيضا بعض الكيمياويات الداخلة في صناعة الطب مثل (السكرين) وهى العطريات والمفرقات وهلم جرا

فاجب أيها الذكى لفحم أسود اللون منبوذ يكون وقودا وسماذا وعطرا وأداة حربية تهد الحصون وتخرّب البلدان وصباغة للثياب وتطهيرا ودواء ، فلئن داوى المريض فقد نما به الزرع وان صبغ الثوب فقد أهلك المدن - إن الله لطيف خبير -

فهاك أربع صور للفحم (انظر شكل ٢٢ في هذه الصحيفة) و (شكل ٢٣ في الصفحة التالية) و (شكل ٢٤ في صحيفة ١٣٧) و (شكل ٢٥ في صحيفة ١٣٨)



(شكل ٢٢ - منظر رسم هندسى للفحم منظور من معدنه أثناء العمل)



( شكل ٢٣ - رسم هندسي بديع )

( ا ) هذا هو الجزء الذي تحت الطين مع الجذور الممتدة فيه

( ب ) فرش الفحم وهو أسفل طبقة

( ج ) سقف الفحم مختلطا بالرمل و بنوع من لوح

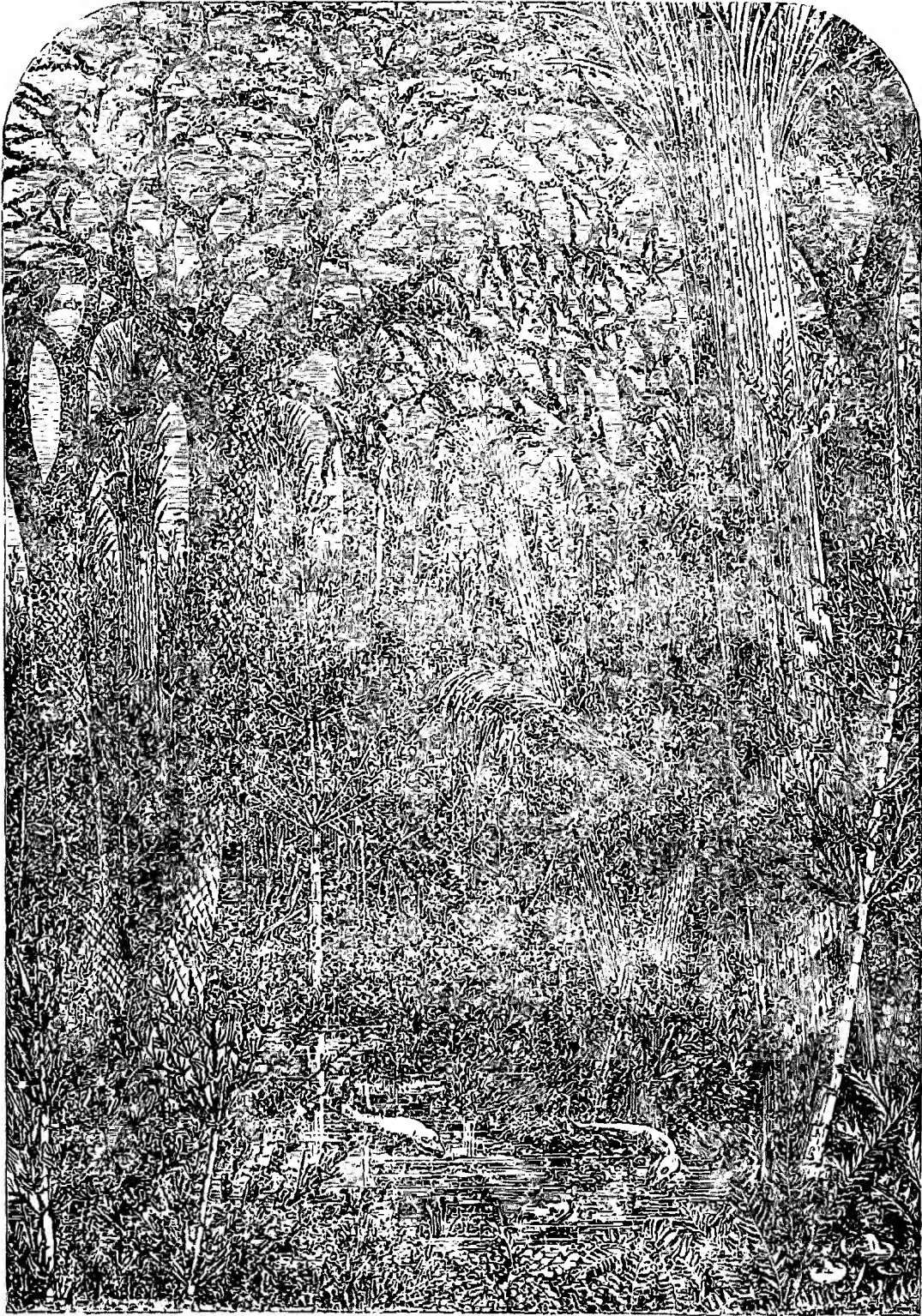
هذا هو الفحم الذي خزّنه الله في الأرض وأبقاه مئات الآلاف من السنين ثم أبرزه اليوم للناس بعد ما انضجّه وجعله مدار وقى الأمم في الزراعة والصناعة والعلم والحكمة ، ألا ترى أن العقول تزداد بصيرة بمزاولة هذه الحجاب ، أبرزه للناس فعرفوه بعقولهم واستخرجوه من الأرض ، ولما علم أن المسلمين سينامون طويلا كما نام الذين من قبلهم من الأمم قال سبحانه - يعلم ما يلج في الأرض - ( كالأشجار والنباتات في قديم الزمان ) - وما يخرج منها - ( فهي قد استخرجت اليوم وانتفع بها الناس ) لا المسلمين فهو يقول انها بعلمي دفنت في الأرض بالزلازل والحوادث الكثيرة و بعلمي تستخرج الآن ، فعلمي متعلق بها في الحالين وهي التي خزنت فيها ضوء الشمس الذي أشرق عليها أيام نموها ثم أنا الآن أظهره لكم لتجنّبوا ثمره وتعرفوا خبیره ومثل الفحم البترول

### ﴿ زيت البترول ﴾

( أنواعه ومستخرجاته ومنافعه - أشهر جهات العالم به - القوقاز . الولايات المتحدة . وغيرهما )

( مصر وزيت البترول فيها )

سبحانك يا الله : أدهشنا صنعك . وبهرنا وضعك . جعلت في الأرض ماء . سلكته ينابيع فيها . ومنها الينابيع الحارة التي رسمت في ﴿ سورة الكهف ﴾ في أولها عند قوله تعالى - إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها - فهناك من زينة الأرض قد رسم نوعان من العيون الحارة المرتفع ماؤها عن الأرض . نوع ينبع وسط الثلج . ونوع ينبع وسط الجارة الصفراء . وهكذا نراك جعلت في الأرض أيضا المعادن والفحم المتقدم ذكره . وهكذا نراك أجريت منها سائلا ننتفع به في أعمالنا . فلم يقتصر عملك على الفحم الذي هو جامد بل خلقت لنا جسما سائلا وخزنته في الأرض . أليس هذا من العجب ! تخلق الزيت في الزيتون وفي السمسم وفي بزة القطن وفي غيرهما وتجعله نافعا لنا مضيا لمنازلنا وهكذا شحم الحيوان . كل ذلك فوق الأرض مشاكاة لما أبدعته من الأنوار التي أرسلتها من علياء سمواتك



( شكل ٢٤ - رسم الأعشاب في مدة النجم المجري )



بهذا الفيضان . لماذا ؟ لأريكم أن عندي منه كثيرا فالتسوه . نعم التمس الناس البترول من باطن الأرض فخرج

(١) زيت طبيعي أسود قائم ثقيل فأجروا عليه عمليات كثيرة وصفوه بها فخرج منه أنواع وأصناف

تختلف وزنا وسيلانا وغيرهما من الخواص و باختلاف الخواص تختلف الأعمال والمنافع والأسماء فنها

(٢) صنف خفيف يسمى ( كيروسين ) وهذا مستعمل للاضاءة

(٣) وصنف آخر ثقيل يستعمل للوقود

(٤) وصنف آخر يستعمل للصقل أثقل منهما . وتسمى الزيوت المستخرجة من الولايات المتحدة باسم

(٥) زيوت البرافين

(٦) ومن عجب أن هذا الاسم لا يطلق في انكثرا إلا على نوع الزيوت التي يستخرجونها بالتقطير

وبينا أنا أكتب هذا إذ حضر بعض الأصدقاء فقال : كيف يكون التقطير هنا ؟ أيقطر من نبات ؟ قلت :

كلا . قال أيقطر من باطن الأرض . قلت . كلا . قال إذن من يقطر ؟ قلت يقطر من صخور . قال وكيف ذلك

قلت قد كشفه رجل انجليزي يسمى ( المسترجس بانج ) عثر عليه وهو يبحث عن الزيت الطبيعي المتقدم .

ذلك انه رأى ذلك الزيت يسيل من سقف أحد المناجم بمقاطعة ( در بشير ) بانجلترا فلاحته له فكرة أن

يستخرج هذا من الفحم الخالص فاستقطره فنجح وأحرز رخصة بمزاولة هذا العمل سنة ١٨٥٠ فاستخرج

زيت البرافين المذكور ثم استخرج مادة البرافين المشهورة . ثم إن هذه الصخور الفحمية تكون بانجلترا

وألمانيا والنمسا والمجر وإيطاليا والهند وأستراليا وزيتها كما عرفت يشبه البترول ويستعمل مثل استعماله . وليست

طريقة استحضاره بالآلات الماصة كما في الزيت الآخر . كلا . بل الطريقة هنا انهم يصهرون الصخور في أوعية

حتى ينبخر زيتها فيستقبلونه ويكثفونه فيكون زيتا خالصا . ومن العجب أن زيوت البترول والبرافين

أصبحت ذات شهرة واسعة بل انها أغنت عن الزيت النباتي والحيواني . لماذا ؟ لأن الله نور السموات والأرض

ولأنه واسع عليم ولأنه لطيف لما يشاء . هو الذي خزن ذلك في الأرض ووضعته على ﴿ نمطين ﴾ نمط هو

سائل وهو البترول . ونمط هو جامد وهو زيت البرافين . فيستنبط الناس الأول من الأرض ويستنبطون الثاني

من الحجارة والنتيجة واحدة . وقد أصبحت تلك الزيوت المستنبطة من الأرض أومن حجارة الفحم تغني عن

زيت الزيتون الذي كانت تفخر به إيطاليا ومعظم ممالك البحر الأبيض الشهيرة من قديم لكثرة أشجاره فيها

فترى الناس يختارون زيت البترول للصقل لأنه يبقى مدة طويلة بلا تجدد أولزوجة كما يحصل لازيوت النباتية

والحيوانية فانها بهذا السبب تلتصق بالمواد التي يراد صقلها ولا يتم الانتفاع بها الآن على الوجه الأكمل الأحسن

إلا اذا مزجت بمقدار من زيت البترول . إذن الله يقول لنا - يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها - والخراج

قد يكون بالآلات الماصة وقد يكون بالاستقطار من الأحجار فهو يعلم أن مثل هذا النوع المستنبط يساعد في

الأحوال العملية كالصقل المذكور إذ الزيت الذي خلقته على ظهر الأرض فيه نقص فاحتاج الى الكمال فأخرجت

لكم زيت البترول من باطن الأرض لأدلكم على ما وراء ذلك وكذلك أنزل قطرات من الفحم الحجري ليدلكم

على ما فيه وأنتم لا تستكملون ذلك بعملكم . إذن هذه مخازن الله خزنها في أرضه وصخوره ودلنا عليها وعلم

منفعتها ثم قال للمسلمين استخرجوها كما استخرجتها الأمم قبلكم لأن هذا من فروض الكفايات وفروض

الكفايات لها مقام عال في الاسلام ، وأيضا أنا سخرت لكم مافي السموات والأرض وهذا مما في الأرض

أفلا تشكرون نعمتي أيها المسلمون ، وشكرا للعمة بفهمها أولا وقبلها ثانيا ، أما الفهم فها هو ذا وأما القبول

فبالعمل والعمل قد استخرج الناس من زيت البترول ما يأتي :

(٧) زيت الفازلين : وهو زيت خفيف جدا يتولد منه غاز سريع الاحتراق يسمى بترول فقط

وهو المستعمل في تسير السيارات وما شاكلها

(٨) والبترين يحتاج اليه كثيرا في صناعة المطاط (والقوطينا) لما فيه من خاصية اذا بهما  
 (٩) والفارولين يستعمل دهانا ومنافعه شتى في الشؤون الطبية  
 (١٠) والريغولين وهو أكثر زيوت البترول تطايرا ، ويستعمل أحيانا في ألعاب التسخير المحلي الذي يحدث  
 في العضو من البرودة الشديدة التي تعقب تطايره  
 (١١) والنفثالين (النفط) وغير ذلك من المواد النافعة  
 ثم ان أشهر جهات العالم في استخراج زيت البترول انما هي بلاد القوقاز لدى شطوط البحر الأسود وعلى  
 جوانب بلاد القوقاز على حدود فارس عند (مره) وأشهر مراكزه (موردان) (المورد الأول) على جانب  
 القوقاز الجنوبي ومينائه (باطوم) على البحر الأسود (المورد الثاني) على بحر قزوين ومينائه (باكو) .  
 وأبار هذه الجهة معروفة من قديم الزمان وكان الفرس يزورونها ليعبدوا النار في غازاتها الملتبنة المتدله من  
 جوف الأرض ، ولقد تقدم في (سورة طه) عند قوله تعالى - وقل رب زدني علما - الكلام على اندلاع  
 النار في تلك الأقطار فارجع اليه واقرا صور ذلك هناك واعجب من حكم تجلت في هذه الدنيا ، ثم ان هذا المورد  
 لم ينفع الناس منفعة تامة إلا حين خرج من قبضة الفرس الى الروس في أوائل القرن التاسع عشر ، وليس في  
 الأرض مكان فيه من كثرة الزيت ما في هذه الأمكنة إذ يتدفق الزيت هناك على جوانب الآبار من غير حاجة  
 الى استنباطه بالآلات ، وتنبت البئر في اليوم الواحد (مليون غالون) وقد يتدفق الزيت بشدة فينزع الأجهزة  
 المركبة على فوهات الآبار ويقف بها في الجوف مسافات

وبلى هذه الجهات في استخراجها (الولايات المتحدة) وفيها الآن (٢٠٠٠) بئرها نحو (٤٠٠٠) ميل  
 من الأنابيب لنقل الزيت الى المصافي في بلاد مركزية . ومن هذه يوزع في طول البلاد وعرضها أو ينقل  
 الى الموانئ للتصدير ، ثم ان صناعة الحديد والصلب والزجاج وغيرها تقوم بجوار تلك المنابع  
 هذه أشهر البلاد التي يستخرج منها الزيت ، ومن البلاد التي يستخرج منها الزيت المذكور مصر ولكنه  
 قليل ، ففيها (شركة زيت انجليزية مصرية) جنوب السويس عند البحر الأحمر وانتظم العمل بها سنة ١٩١١  
 وتحت امرتها (أبارجسه) و (أبار هرغاده)

ويستخرجون منه بترول السيارات وبتول الاضاءة وسائل الحريق وزيوت الصقل وغير ذلك اه

### ﴿ عبرة ﴾

اعلم أيها النك أن بلاد المسلمين قد خزن الله فيها للناس خيرات . فهل الله عز وجل يمنع النعم عن خلقه  
 لأن المسلمين يحولونها - إن الله لطيف لما يشاء - حكيم الصنع جزيل الاحسان . هذه دولة روسيا لما ملكت  
 منابع البترول استخرجته ، ولما كانت ملك بلاد الفرس كانت مستحجوبة عن الأمم  
 أيها المسلمون : اعلموا أن الأرض خلق الله واننا عبيد الله والله عز وجل الذي خلقنا وخلق الأمم  
 حولنا لا يمكن أن يرضى بتعطيل منافع ملكه لأجل جهل بعض عباده ، فهل يظن المسلمون أنهم اذا عطوا  
 نعم الله يرضى هو بذلك . كلا . بل هو ينزع الأرض منهم ويعطيها لغيرهم ، وهل خلق النعم وزيت البترول  
 مثلا وهكذا المعادن ؟ هل هذه كلها خلقها الله ليحجبها عن الناس . كلا . فأن الله خلق المنافع وبها في الأرض  
 ومتى خلق من يستحقها لا يمنحها عنه كما لم يمنع المذكور عن زواج الاناث لما في ذلك من المنافع ، فاذ جهل  
 المسلمون منافع أرضهم سلط غيرهم عليها فأخذوها وانتفعوا بها وهو القائل - وما خلقنا السموات والأرض  
 وما بينهما الا لعينين - . لو خلق الله هذه المنافع ثم هو يمنحها الى الأبد لكان ذلك عبثا والله يجلب عن العبث  
 وهو الحكيم ، هو الذي يقول - يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها - أي ويعلم من يمنح منافعها فيناله  
 ومن يستخرجها فيساعد له لأنه حكيم عليم ، والحكيم لا يخلق إلا الحكمة ، ولا يعطي النعمة إلا لمن يستحقها ،



فليعلم المسلمون مركزهم من الانسانية حتى ينطبق عليهم قوله تعالى - خير أمة أخرجت للناس - انتهى

\*\*\*

### ( جمال العلم )

( في قوله تعالى - وما يخرج منها - )

جاء في كتاب « الجغرافيا الرشيدة » تحت العنوان التالى مانصه

### ( النبايع المحجرة )

كثيرا مايجرى الماء ، مذابا فيه الجير فيكسوك كل ما يصادفه من الاشياء بطبقة قد تغير الآثار الحية فتجعلها متحجرة ، ولا شك في أن الغابة المتحجرة في هليوبوليس تكونت بتأثير نبايع حارة مذاب فيها الرمل .

#### ﴿ الصخور الرسوبية الكيميائية ﴾

فالجبس الذى رأيت في الاعمدة من الصخور الرسوبية المتكونة بتأثير كيميائى ناتج من ذوبان الصخور الجيرية . ومثله صخور الملح . وفي قكاكزه بالقرب من كراكو في تشيكوسلوفاكيا أعظم مناجم الملح في العالم فهناك مدينة بتمامها مذبوحة تحت الارض في صخور الملح

#### ﴿ أنواع الصخور الرسوبية ﴾

فن أنواع الصخور الرسوبية الطين والحجر الرمل وهما من الرواسب العادية ، والجير والمرجان من البقايا الحيوانية ، والفحم من البقايا النباتية ، والجبس والملح من الصخور التى تكونت بهوامل كيميائية .

#### ﴿ الصخور الرسوبية المتحولة ﴾

وقد يطرأ على بعض صنوف هذه الصخور تحول بسبب الضغط أو الحرارة أو حركات القشرة الارضية ، فيتغير شكل الصخر ووزنه ويزداد صلابته ولحماته ، فثلا الاردوز أصله الطين والرخام أصله الطباشير .

#### ﴿ الصخور غير الرسوبية والصخور النارية ﴾

هاك نوعا آخر من الصخور مختلفا عن كل ما وصفنا لك الى الآن . هذا حجر الجرانيت الذى سمعت عنه كثيرا في الآثار المصرية كالمسلات والتماثيل . خذ قطعة منه واخصها تجد أنه ليست له حبات مستديرة ، بل يشكون من ثلاثة أنواع من الصخور البلورية المختلفة الشكل : ففيها الفلسبار بلون اللحم الاحمر ، والميكا ذات اللون الاسود اللامع المفضض ، والكوارتز الذى تكونت منه حبات الرمل . وليس لوضع أجزائه أى نظام ، وليس له طبقات ولا فيه خروز بل هو من صنع الطبيعة ذاتها . وبريق أجزائه يدل على أنه يتكون بالحرارة فهذا الصخر نارى ، من الصخور الأصلية التى تكونت منها قشرة الارض قبل الصخور الرسوبية . والصخور الرسوبية كلها مشتقة في الأصل من هذه الصخور النارية . وهاك نوعا آخر من الصخور النارية وهو الطفح الذى يخرج من البراكين وترى فيه فقاعات غازية ويسمى صخرا بركانيا ، تميزا له عن مثل الجرانيت الذى تكون مهدوه تحت سطح الارض . وهذا جدول يلخص لك تقسيم الصخور على أكمل وجه :

#### ﴿ الصخور ﴾

##### ( ١ ) متحولة ( ب ) ومائية ( ج ) ونارية

( ١ ) الصخور المتحولة ( ١ ) مائية الأصل كالاردواز من الطين ( ٢ ) ونارية الأصل كالنيس من الجرانيت

( ب ) الصخور المائية ( ١ ) تكون عضوية كالجير والفحم ( ٢ ) وكيميائية كالمح والجير ( هكذا بالأصل )

( ٣ ) ورسوبية كالطين والحجر الرمل

( ج ) الصخور النارية ( ١ ) البركانية كالبازلت ( ٢ ) والباطنية كالجرانيت اه

## ﴿ نموذج التمارين التي اعتاد المدرسون أن يسألوا التلاميذ فيها ﴾

- (١) صف مجموعة من الحفريات التي تتجدها في جبال المقطم - ما الذي تستنبطه من وجود هذه الأصداف عالية في الجبال ؟
- (٢) أغلب الآثار المصرية مطمورة بالطين إلى علو أربعة أمتار ، فإذا كان عمر الآثار أربعة آلاف سنة ، فما سبب طبقة الطين التي ترسب على أرض مصر سنويا من الفيضان ؟
- (٣) من أي أنواع الصخور : البازلت والرخام ؟ حال وجود الرخام في جهة أي زحبل تحت طبقات البازلت
- (٤) في شرق هليوبوليس غابة متحجرة . ماذا نظن السبب في وجودها ؟
- (٥) بحوار ساحل البحر الأبيض المتوسط في مصر ملاحات عظيمة . وضح كيف يحصلون على الملح منها وبأي كيفية تكونت صخور الملح العظيمة في ذلك المكان ؟
- (٦) ما الذي تعرفه عن أصل الفحم الحجري ؟ وماذا في هيئة الفحم يؤيد نظر بك ؟
- (٧) ما الأدلة على حرارة جوف الأرض وماذا تعتقده بشأن أصل هذه الحرارة ؟
- (٨) أي أنواع البحار يلائم النمو المرجاني ؟ كيف تعمل وجود الجزائر والحواجز المرجانية في البحار العميقة
- (٩) ما سبب تكوين المغارات في الصخور الجيرية ؟ أي نوع من أشكال التضاريس يختلف المغارة الطويلة إذا سقط سقفها على أرضها ؟
- (١٠) كيف تكونت عمود الجبس في المغارات الجيرية ؟
- (١١) أذكر أمثلة من الصخور النارية الباطنية والبركانية والمتحولة .

## ﴿ حركات القشرة الأرضية ﴾

### ( الزلازل والبراكين والنافورات )

قد اتضح لك أن الصخور الرسوبية تكونت في قرار الماء ، وأن وجودها فوق ظهر الأرض مشير للعجب ومشوق لمعرفة السبب ، وبالأخص لوجود هذه الصخور في أغلب بقاع اليابس . فالسبب لا يمكن أن يكون إلا أحد أمرين : فإما أن ماء المحيط كان في العصور الحالية فوق جميع اليابس ، وإما أن قشرة الأرض هي التي تتقوى وتنشئ في مختلف الاتجاهات . وسنبين لك حالا أن السبب الأخير هو الصحيح .

### ﴿ السواحل الطالعة والسواحل النازلة ﴾

للمحيط الأطلسي ساحلان : ساحل شرقي وهو المجاور لأوروبا وإفريقية ، وساحل غربي وهو المجاور لأمريكا فإذا زرت الأقاليم الشرقية في الولايات المتحدة تجد السهل المجاور للمحيط الأطلسي مكونا من الصخور الرسوبية الحديثة العهد ، حتى إذا وصلت إلى شرق جبال اليبجي وجدتها محززة بحزوز أفقية متوازية تشبه الحزوز التي تعملها الأمواج في صخور الشواطئ البحرية في أيامنا هذه ، وتجد في الجبال كهوفا ومغارات لا يشبهها إلا الكهوف والمغارات التي تشعنها أمواج البحار . ولا يفترب هناك وجود الحفريات من أشكال القواقع والأصداف والسماك التي تعيش في المحيط الأطلسي حتى الآن . فلا يمكن أن يبقى في نفسك أي شك في أن هذا السهل الساحلي قد برز من أعماق البحر . فهل انحسر عنه الماء ؟ إذا كان ذلك كذلك فينبئ أن يكون الماء قد انحسر أيضا عن شواطئ أوروبا الغربية فتزداد علوا عن سطح الماء ، ويكون انحسار الماء عن السواحل عاما ما له انتهاء الماء من هذه الدنيا . ولكن هذا غير صحيح ، والواقع يكذب ، لأن سواحل أوروبا الغربية أخذت في الهبوط التسدريجي تحت سطح الماء : فقد كان للرومان مبان في غرب أيرلند وكانت هذه المباني مشرفة على ساحل المحيط الأطلسي ولم يكن الماء يطغى عليها طبعاً ، وقد أصبحت الآن غائرة تحت مستوى ماء المحيط ، فلا تظهر



إلا وقت جزر البحر ، وتمرها المياه وقت المد . فيبين لك عن ذلك أن البحر لا ينقص ماؤه وأن قشرة الأرض هي التي تلتوى وتنثنى ، وليس ذلك في جهات قليلة من وجه الأرض بل هي حركات آثارها ظاهرة في كل موضع على اليابس وتحت الماء .

### ﴿ الجبال الحديثة والجبال القديمة ﴾

تأمل في خريطة الدنيا ترأعظم سلاسل الجبال الحالية موجودة في اتجاهات معينة : فهي في الغالب على حافة المحيطات الكبرى ، أو عند مجمع انقارات ( كما هو في السطال في حوض البحر الأبيض المتوسط ) . وفي هذا الوضع المنتظم دلالة على العوامل التي أوجدتها : فالقشرة الأرضية تلتوى وتنثنى فيظهر أثر هذا الالتواء في أضف جهاتها ، فأعظم جبال الدنيا مثل روكي وأند ، والألب وهمالية من الجبال الحديثة التي برزت من قرار البحر في أزمنة قريبة ، والأزمنة الجيولوجية لا تقاس بالسنين ولا بالقرون ، وإنما بحسابها أحقاب طوييلة يكتل عن إدراكها الحاسب

### ﴿ عامل الوجود وعامل الفناء وعملية التوازن ﴾

لا يمكن أن تبرز الجبال والسهول من البحر فتزيد مسطح اليابس وحجمه بلامقابل فإن من المسلم به في كل معاملة الموازنة بين الوارد والمنصرف والا انتهى الأمر بالفلاس أحد الطرفين المتعاملين . فالذي يكسبه البحر عوض ما يخرج منه من الأراضي الجديدة والجبال الحديثة ، إن الذي يستفيد في مقابل ذلك ما تجلبه له الأنهار ، يساعد في ذلك عوامل الفناء الأخرى المعروفة بعوامل التعرية التي تسلط على الجبال من رقت ظهورها بمحاول الفناء فتحترق وتجرفها ولا يهدأ لها بال حتى تكسبها من على وجه الأرض وتبعث بأنقاضها مع الماء الجارى الى المحيط ، تدفع بذلك ثمن الأراضي الجديدة التي تبرز منه

### ﴿ أسباب حركات القشرة الأرضية ﴾

(١) علمت أن الأرض تدور على محورها باستمرار ، وهذا الدوران من شأنه أن يغير شكل الأرض كما تتغير أوضاع جبوب القمم وقت هز الكيلة ، وأن هذا الدوران هو الذي أعطى الأرض شكلها الخاص بها والذي جعل القطر الاستوائى أطول من المحور ، ففي القديم القابل كانت الأرض كلها سائلة أولية كان هذا التفسير سهلا ولكنه قد صعب الآن بعد أن جددت الأرض وتصلبت قشرتها فلا يتم بدون طي الصخور المنة وكسر الصخور الشديدة الصلابة

(٢) كانت الأرض قبل أن تفقد شياً من حرارتها أعظم حجماً وكلما نقصت الحرارة يتقلص قلب الأرض فتضطر الصخور القشرة أن تنثنى وتكسر لكي تنطبق عليه كما تنثنى ملابس الرجل البدين إذا هزل جسمه بسبب المرض ، ويدفعها ذلك ﴿ أصران الأول ﴾ جذب مركز الأرض لها من تحت ﴿ والثاني ﴾ ضغط الطبقات الهوائية عليها من فوق

(٣) إن متوسط الثقل النوعى للصخور الكرة الأرضية أكثر من خفة أضمايف الثقل النوعى للماء على حين أن الثقل النوعى للصخور القشرة لا يزيد على الصخرين إلا قليلا ، ومعنى ذلك أن الصخور الخفيفة هي الموجودة على وجه الأرض في حين أن الصخور الثقيلة موجودة في قلبها ، وذلك بدىهي إذ أن الخفيف من طبعه أن يطفو فوق الثقيل ، وقد حصل هذا الترتيب أيام كانت الأرض في حالة سائلة والصخور مرتبة على وجه الأرض بشكل يحفظ التوازن بمعنى أن الصخور التي في قرار المحيط ثقيلة النوع وصخور الجبال المجاورة له خفيفة ، وبذلك أسكن قيام الأخيرة محمولة بضغط الأولى ، لكن عوامل التعرية التي أشربا إليها أنفا دائبة في افناء الجبال والأنهار تحمل الانقراض الى البحر أول فأول فيزيد الضغط في قرار البحر ويخف على جبال اليابس باستمرار ويختل التوازن لولا حركات القشرة الأرضية التي تعيده الى حاله كلما تزعزع

### ﴿ نتائج حركات القشرة الأرضية ﴾

ينتج من حركات القشرة الأرضية بفيان السلاسل الجبلية الحديثة وطغيان البحر التدرج على جهات بارزة كما ينتج منها كسر الصخور الصلبة وتشققها وانزلاق طبقاتها بعضها على بعض فتنشأ عنها تضاريس جديدة وتغير اتجاهات المياه الجارية وقد تنشأ كسور متقاربة فيترتب عليها وجود أخاديد غائرة أو هضبات مدفوعة

### ﴿ بنيان الجبال ﴾

قد رأيت أن أهم السلاسل الجبلية في الدنيا واقعة في اتجاهات معاكسة فهي من جبال الطي . ومن جبال الطي أيضا سلاسل أصغر منها في القارات . فإذا خفست طبقات تلك الجبال رأيتهما منحنية تدل على التواء . ثم تنشأ ثلاث طبقات من الصخور الرسوبية مرتكزة على طبقة من الصخور النارية في وضعها الطبيعي قبل الالتواء . ومفهوم طبعها أن الصخور العليا هي الحديثة وأن التي تحتها هي القديمة . فالطبقة الثالثة أحدث من الطبقة الثانية وهذه أحدث من الطبقة الأولى والطبقة التي تحت الجميع من الصخور النارية الأصلية . ولكن عوامل التعرية لا تلبث أن تهبط بهذه الجبال فتكشط سطحها وتحتها وتعرف منها فإذا رغبت في ارتفاع الجبل تصادف أولا الطبقة الثالثة ثم الطبقة الثانية ثم الطبقة الأولى حتى إذا ارتقيت إلى أعلى الجبل وصلت إلى الصخور القديمة النارية . ومن ذلك تعرف كيف أن الصخور التي كانت بعيدة عن وجه الأرض قد ارتفعت بحركات القشرة الأرضية ثم انكشف عنها غطاؤها بفعل التعرية فأصبحت ظاهرة قريبة للإنسان لينتفع بها في أغراضه

### ﴿ كسر الصخور الصلبة ﴾

يصادف المعدنون أحيانا وهم يتعقبون عرقا من فلزات المعادن أو طبقة من طبقات الفحم عيبا في الطبقات أي كسرا إذ ينتهي العرق أو الطبقة فجأة فيوجد بدلها صخور أخرى كان ينبغي وجودها فوق العرق أو تحتها

### ﴿ الأخاديد الغائرة ﴾

في الصخور التي تصاب بعيوب متعددة قد يحصل أن تنزلق قطعة من القشرة الأرضية فتهبط إلى عمق كبير وينشأ عن ذلك أخدود غائر ، وفي شمال أفريقيا أخدودان غائران يقع البحر الأحمر بأكمله ضمن واحد منهما

### ﴿ الهضبات المرفوعة ﴾

وقد يحدث أن تغور الأرض من جوانب جزء من القشرة الأرضية وتنزلق عليه نارية على حين أنها تدفعه صاعدا فيظل قائما بنفسه على شكل هضبة مدفوعة ، وهضبة (مزيته) المتكوّن منها أرض إسبانيا والبرتغال من هذا الطراز

### ﴿ الجبال المختلفة ﴾

والهضبة إذا شققها الأنهار والوديان يتخلف منها سلاسل جبلية تنصل أحواض الأنهار ، فهذه السلاسل الجبلية متخلفة من صخور الهضبة ، وسلاسل جبال شبه جزيرة أيبيريا من هذا الطراز

### ﴿ الزلازل ﴾

قلما يمرّ العام من غير أن نسمع بوقوع زلازل في جهة من جهات الدنيا ، فرّة نسمع عنه في غرب أمريكا أو جزائر الهند الشرقية . ومرة نسمع عنه في اليابان أو في إيطاليا . ولا يمرّ خبر زلازل بهدره كباقي الأخبار لما يقترن به من الخسائر الفادحة والأهوال الكبار وهلاك الأنفس والأموال . وقد وقع زلازل في ليلة (٢٦) يونيه سنة ١٩٢٩ م شعر به أهل القطر المصري في الساعة التاسعة والدقيقة ٨ مساءً ومكث نحو (٤) دقائق له هلاّت له قلوب الأهالي وحادثت بعض أصابات من سقوط المنازل القديمة . ووردت التلغرافات في الأيام التالية منبهة عن مركز الزلزلة الكبير في (بحر الأرخبيل) وهي التي انتشرت هزاتها إلى مصر . وكان

من الآثار الهائلة لذلك الزلزال انفجار ينبوع كبير تى جديد فى مدينة حلوان على بعد (٩) أمطار من ينبوع القديم . ومن الزلازل التاريخية العظيمة ما يأتى بيانه

(١) زلزال (سن فرانسكو) فى سنة ١٩٠٩ م وفيه وقعت من هول الرجفة الأولى العمارات والمنازل فأصبحت بعد انضارة والعمران خرائب وأطلالا . وما زالت روادف هذه الرجفة تهز القشرة الأرضية طول ذلك اليوم العصيب حتى بلغت أدوار الارتجاج اثنين وثلاثين دورا . وهاجت أمواج البحر ثم فغرت الأرض فها لتبلغ آثار العمران . واشتعلت النيران فى الحطام وهلكت ألف نفس بشرية وبات مائتا ألف بلا مأوى

(٢) زلزال (لشبونه) فى سنة ١٧٥٥ وفيه نشأت أمواج عالية طفت على الشاطئ من ارتفاع عشرين قدما فطوّحت بالسفن الراسية فى الميناء الى جهات داخلية بعيدة وبعثرتها كما يبذر الزارع الحب على الأرض وأهلكت ستين ألف نسمة غرقا

(٣) زلزال (مسينا) فى سنة ١٩٠٨ م وفيه تخرّبت المدينتان (مسينا) و (رجيو) والقرى المجاورة لهما وهلك ثمانون ألف نسمة

(٤) زلزال (اليابان) فى سنة ١٩٢٣ م وفيه تخرّبت المدن الكبرى وقامت الحرائق فى (يوكوهاما) و (طوكيو) فأُكُت المُن والأقوات وبات الناس بلا مأوى ولا طعام وهلك فيه مائتا ألف نسمة . وتبارت الدول العظمى فى مواساة (اليابان) فأُرسلت اليها الهدايا من الأقوات والملابس . انتهى ما أردته من الكتاب  
المذكور والله أعلم

\*\*\*

### ﴿ جمال هذا المبحث العام ﴾

( فى قوله تعالى - يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها - الخ )  
لأختم هذا المقال بالكلام على الفحهم المخزون فى القطب الشمالى ، وعلى الكهرباء المخزون الآن فى شمالى ألمانيا فأقول :

سبحانك اللهم ، أنت أدت الأرض وجعلت لها قوانين وحكمت على خط الاستواء قديما أن يصير قطبا كما حكمت على القطب أن يصير خط استواء ، إن جميع أهل الأرض الآن يعلمون أن القطبين لا يصلحان لظهور النبات ولكن العلم والكشف أثبت أن القطبين قد خبيء الفحهم فى باطنهما ، ولكن كيف خبيء ذلك الفحهم ؟ لا وسيلة لظهور الفحهم إلا بالشجر ولا ظهور للشجر إلا بحجارة الشمس الكثيرة والقطبان لاحتارة فيهما بل الثلج هو الذى يغطى تلك الأقطار ، فأتى تحلى خط الاستواء بالأشجار والمزارع النضرة ليتحلين القطبان بالثلج ، تشع حوله الأنوار البديعة المتقدّم ذكرها ورسمها فى أول ﴿ سورة الكهف ﴾ فهل أتاك ما شاع وذاع من أن باطن الأرض عند القطبين مملوء خفما ، أفلا تعجب من ذلك وكيف خزنه الله قبل مئات الألوف من السنين ثم هو الآن قد أخذ يدل الناس عليه ويلهمهم إلهاما ، يقول لهم : أيها الناس . إن فى القطبين خفما فهلا ذهبتم الى القطب الشمالى وانتفعتم به ؟ وهلا جعلتم لكم هناك محطة للطائرات والباليونات فى القطب الشمالى تكون ملتقى الخطوط الهوائية بين افريقيا وآسيا وأوروبا ، وإذا كنت فى شك من ذلك فاسمع ما كتبه بعضهم ناقلا عن المجالات الافرنجية وهذا نصه

### ﴿ حلم علمى ﴾

( القطب الشمالى ملتقى الخطوط الهوائية )  
القطب الشمالى هو قمة الأرض ، وكان يجب أن يكون ملتقى المواصلات لولا أنه لا يصلح للملاحة أولسلك

الحديدية لأنه مغمور بالثلج الذي لا يذوب طول السنة ، وقد خطر ببال أحد المهندسين أن يجعل القطب الشمالى ملتقى الخطوط الهوائية بين القارات الثلاث افرىقا وأوروبا وآسيا ، وبذلك تختصر المسافة اختصارا كبيرا ، فالذى يريد الذهاب الى اليابان يحتاج الآن الى أن يقطع نحو نصف الأرض حتى يبلغها ، ولكنه اذا ركب طائرة وصعد الى القطب الشمالى وانحدر منه الى اليابان قصرت مسافة السفر ، وفي القطب الشمالى مناخ كبير للفحم يمكن منها استنباط الكهربية للتنقية والاضاءة فينار القطب وتبنى فيه العنابر الكبيرة لايواء الطائرات وتزويدها بالبنزين وتشيد الفنادق الكبيرة للمسافرين ، وهناك يلتقى المسافرون فيملأون طياراتهم ويذهب كل منهم فى طريقه ، فهل يحقق العلم هذا الحلم ؟ وإطالما حقق ما هو أشد منه غرابة . انتهى

هذا بعض سرّ قوله تعالى - يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها - فيها هوذا الفحم قد أدخله الله فى الأرض ، وها هو ذا يخرجها منها ويتفجع الناس به

ومن عجائب الخزون فى الأرض «الكهرباء . الكهرمان» لقد كنت أيام الصبا أرى الناس يدخلون فى الأدواء بحيث يضعون ورق التبغ فى حق صغير متصل بعود مجوّف ينتهى بهم من (الكهرمان) وهذا الفحم هو الذى يمتصون به الدخان المستمد من ذلك التبغ المحترق فى ذلك الحق الصغير فسكنت أتأمله فلا أعرف من أين جاء هذا الكهرمان ، وما كنت أدري أن الله خزّنه فى الأرض قديما كما خزن الفحم فى الأقطاب الشمالية ، أفلا يجب على أن أجد الله على العلم بذلك ، فهناك مارأيت من المقالات العلمية تحت العنوان التالى :

### (الكهرباء . الكهرمان)

الكهرباء هو ما يسميه العامة عندنا بالكهرمان وهو ذلك الحجر الأصفر اللامع الذى يصنع منه خرز المساج ويتزين به النساء ، وقد كان الاغريق يعرفون الكهرباء وكانوا يعرفون منه أيضا (الكهربائية) وهى تلك القوة الخفية التى نستعملها الآن فى دفع الترام والتلفون ولم يكن الاغريق يعرفون كيف ينتفعون بالكهربائية كما نتفع ولكنهم كانوا يعرفونها وقد أطلقوا عليها هذا الاسم لأن من خواص حجر الكهرباء اذا حلك به شئ أن يجذب اليه الأجسام الصغيرة ، فالقارى يرى الآن أن هناك فرقا بين الكهرباء الذى يصنع منه الخرز وبين الكهرباء البائية أو هى القوة الخفية التى يسير بها الترام ولكن يوجد سوء الحظ من يخلط اللفظتين وقد قلنا ان الكهرباء حجر ولكن الحقيقة انه صمغ ، أو نقول بعبارة أدق انه اثنى ، والثانى هو ما ينزل من الشجر اذا جرحت قشرته كالمادة اللبنة التى تخرج من (شجرة الجوز) عند ما تقطع إحدى أوراقها ، ولكن هناك أشجار الآن يستخرج منها الكهرباء وانما الكهرباء يوجد الآن مدفونا فى الرمال تحت طبقات الأرض فقد عاشت منذ آلاف السنين أشجار ثم طمرتها الرمال فصارت فخما ، وهناك أشجار أخرى أيضا كانت تنزل الكهرباء فىقع منها طريا ثم يجفّ وبعضه كانت تطمره الرمال وبعضه لا يزال قريبا من سطح الأرض كثيرا ما تنكسحه الأمطار وتخرجه الى السطح ، أما أشجار الكهرباء فقد انقرضت من العالم كما انقرضت من قبلها بالآلاف القرون الأشجار التى استحالت الى خفم . ومعظم بل كل ما يوجد قريبا من الكهرباء الآن يرسل من شمال ألمانيا على شواطئ بحر البلطيق . فى كل عام يصدر من هذه الشواطئ الى أسواق العالم نحو مائتى ألف رطل . وقد كان المصريون والاغريق والفينيقيون يستوردون الكهرباء من شمال ألمانيا وكانت طرق الكهرباء مهروقة فى أوروبا محروسة من القبائل . وكان القدماء يغالون به حتى قال (بليني) الكاتب الرومانى الذى عاش فى القرن الأوّل ليلاد أن تمثالا صغيرا من الكهرباء يزيد ثمنه على ثمن عبء ضخيم قوى وكان شعراء الاغريق يستسلمون للخيال فى كلامهم عن الكهرباء . ومن أجل ما قاله بعضهم عنه انه الدموع المتجمدة لاطيور . وقد بلغ من شغف الأمباطور الرومانى (نيرون) بالكهرباء انه أرسل بعثة الى شاطئ بحر البلطيق فخلبت معها (١٣٠٠٠) رطل من الكهرباء . انتهى وبهذا تم الكلام على الفصل الثانى

### ﴿ الفصل الثالث ﴾

( في مبعثين عظيمين )

﴿ الأول ﴾ مبعث الجن وهل يعلمون الغيب

﴿ المبعث الثاني ﴾ في سيل العرم وسبأ وما جاء في العلم الحديث مصداقا لهذا كله

﴿ المبعث الأول في مقامين ﴾

﴿ المقام الأول ﴾ في قوله تعالى - ما دهم على موته إلهاداة الأرض - الخ

﴿ المقام الثاني ﴾ في المبعث الأول في قوله تعالى - فلهما خرّ تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين -

﴿ المقام الأول في قوله تعالى - ما دهم على موته إلهاداة الأرض تأكل منسأته - ﴾

( الكلام على الأرضة )

اعلم أن هذه الآية قد أعطينا ﴿ ثلاث فوائد بدئية الأولى ﴾ انها أثبات أن الجن لا يعلمون الغيب ﴿ الفائدة الثانية ﴾ ان أهل الأرض خاضعون للشواميس سواء أكانوا أنبياء أم غيرهم ﴿ الفائدة الثالثة ﴾ إن من أصفر الحشرات ماله سلطان في هذه الأرض عظيم . يقول الله تعالى - وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين - فنحن لولا تدبير الله لانطيق أن نركب الدواب بل لانطيق هذه الحشرات التي أكلت عصا نبي عظيم من الأنبياء ، فإذا كانت هذه الحشرة هذا شأنها فذلك فتح باب لمعرفة ما نحترس منها . اللهم إن القصص في القرآن لم يكن إلا لتعليمنا لا غير والا فإذا يفهم الناس في قصة بلقيس إذ تقول لقومها - ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون - وفي قصة فرعون إذ يقول له الملائ من قومه في موسى وأخيه هرون حين استشارهم في أمرهما - أرجه وأخاه وأرسل في المداين حاشرين -

أقول : فهل يفهم الناس من ذلك إلا الإشارة الى الحكومة الشورية وأن الأمة لها القول الفصل ، وما الملوك اذا كانوا فيها إلا منفذين كما يقول - وأمرهم شورى بينهم - فهكذا هنا يقول - ما دهم على موته إلهاداة الأرض تأكل منسأته فلما خرّ تبينت الجن - الخ ونقول أيضا فلما خرّ تبينا أيضا أن للأرضة سرا عجيبا فلا بد من البحث عن أمرها واستقصاء خبرها ، فأكل الأرضة لعصا موسى أفهم الجن أنهم لا يعلمون الغيب فيقللوا من كبريائهم ويرجعوا عن غيهم ويتزلزلوا عن عتوهم ويخلعوا عنهم لباس الكبرياء والعظمة والتباهي والافتخار ، هكذا يعرفنا أن للأرضة عملا منكرا إن لم نحترس منه سخرنا صغيقين في هذه الحياة الدنيا بتدميرها واهلاكها ، وأيضا هي من آيات الله تعالى وعجائب صنعته ، فوجب إذن البحث في أمرها واستقصاء سرّها على قدر الامكان ، وقد تقدم الكلام عليها في ﴿ سورة النحل ﴾ ورسمت الملكة من هذه الحشرة والملك بجانبها وحوطهما جنود المملكة والضباط والعساكر . وتقدم أيضا رسمها هنا (وكذا ملكة النحل) شكل ٣ وهى مأخوذة من كتاب ﴿ ملكة الظلام ﴾ أو ﴿ حياة الأرضة ﴾ تأليف (مترلنك) تعريب الدكتور (نقولا فياض) وهالك شذرات من الكتاب لتقف على سرّ ما أشاره القرآن في هذه الآيات . قال :

﴿ الأرضة أو النمل الأعشى ﴾

الأرضة (١) أو النمل الاعشى . ويقال له الابيض وما هو بالابيض يرجع تاريخه الى مائة مليون سنة قبل الانسان على زعم علماء الحشرات والجيولوجيا أى طبقات الارض . غير انه من الصعب تحقيق هذا الزعم

(١) الأرضة دودة بيضاء تبني على نفسها بيتا مستطيلا ولها شفران تنقر بهما الخشب والاجرّ والحجارة جمعها أرض وهي هنا ترجمة كلمة (ترميت) بالفرنسية لا كلمة (ميت) أى السوسة أو العثة التي تلحس الصوف والنياب

والانسان بأدلة ناصعة على صحته . على كل حال هذه الحضارة التي تعد أرقى من حضارة النمل والنحل هي بلا ريب قديمة العهد جدا أى أتى عليها بضعة ملايين من السنين . ولوثقنا المكتوب عنها لما وجدناه شيئا بالنسبة الى ما قبل وكتب عن النحلة والنملة مع انك لا ترى على هذه البسيطة كائنا أقرب إلينا وأبعد عنا فى آن واحد من هذه الحشرات التي تتمتع بانظمة سياسية واقتصادية واجتماعية كأنها عالم انساني يؤاخيها فى آلامنا وشقائنا . وهنا مجال واسع للشعراء الذين يحملون شكلا جديدا للاجتماع البشرى ويسمونهم الخيال والتصور الى خلق مثال خاص للأجيال الآتية فى نظامها وأحكامها فما عليهم الا أن يقتربوا من هذه المملكة الهائلة فيجدوا من الغرابة مثل ما فى أحلامهم وأغرب مما تتصوره فى عطارده والمرنج والزهرة

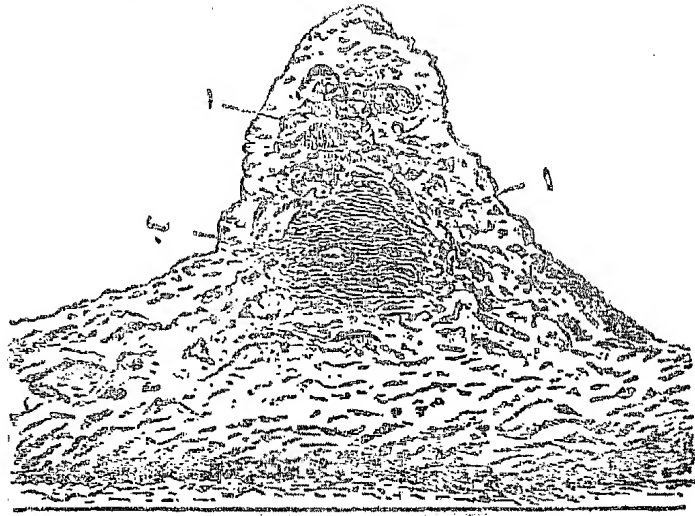
\*\*\*

يقال انه يوجد على الارض ألف وخمسمائة نوع من الأرض والمشهور منها لا يتجاوز الأربعين وكل نوع يمتاز عن سواه بصفات خاصة به فنه البناء الذى يقيم هضبا فوق الأرض ومنه ما يعيش مكشوبا ويحتاز السبابس فى خطوط طويلة بين صفيين من الجنود تحتوى بها العمال ومنه ما تسليح الطبيعة جنوده بما يشبه المحقنة ومنه ما يفتك بالاشجار الحية وينقبها وجنده كالكواسر أو الضواري على جانب عظيم من القساوة ومنه ما تشبه مسافره (١) قرون التيس فتتمدد كالزنبك وتقذف به الى مسافة عشرين سنتمترا الى آخر ما هنالك

\*\*\*

ثم قال بعد كلام طويل ما نصه « بعض هذه الحشرات يعيش فى جذوع الاشجار التي يحتفرها ويمد فيها مسالك وأسرابا تذهب كل مذهب وتخرقها من كل ناحية حتى الجذور وبعضها يبني عشه فى الاغصان ويوطئه حتى يقوى على مقاومة الاعصار وحتى يمتنع على الانسان الاستيلاء عليه فيضطر الى نشره بالمنشار إلا أن الغالب فيه أن يتخذ مسنه تحت الأرض وبناء هذا المسكن من أغرب ما عرف وهو يتغير حسب البلدان والسلائل والأحوال الموضعية والادوات التي يتاح للحشرة استعمالها بمركب فى طبيعة الارضة من التوسع فى الاستنباط والقسرة على ملائمة الأحوال والاصطباغ بصبغة البيئة التي توجد فيها . وأهم هذه المساكن يهزى الى الأرض الأسترالية فيكون تارة شبيهة نكبة (٢) تعالو عن الأرض نحو ٤ أمتار ومحيط قاعدتها ٣٠ قدما كانها قالب ضخم من السكر وطورا كما كام من الوحل أوصلصال فى حال الغليان هبت عليه ريح الجليد فجذته فجأة وحينا كرهط من الخلايا التي يخزن فيها النحل الحوشى غسله وقد كبرت مائة ألف مرة . وآونة كطبقات من الفطر أو الاسفنج أو كاداس من التبن الذى طال عليه سقوط المطر الى ماشا كل ذلك . وأعظم هذه البنى التي لا تراها الا فى أستراليا تختص به الأرض المغناطيسية وقد سميت كذلك نسبة الى الابرّة المغناطيسية فان ما تبنيه يتجه أبدا من الشمال الى الجنوب فيتسع فى أوله ويضيق فى الآخر . وقد تعدد الافتراض فى تحليل هذا الاتجاه دون الوصول الى حل صحيح شاف » (انظر شكل ٢٦ فى الصفحة التالية)

- (١) المشافر جمع مشفر وهى من البعير كالشفة من الانسان وقد تستعمل للناس فاستعملناها هنا على المجاز وترجناها كلمة (منديول) ويمكن أن تسمى أيضا الاحناك
- (٢) الشبكة اكمة محودة الرأس جمعها نباك



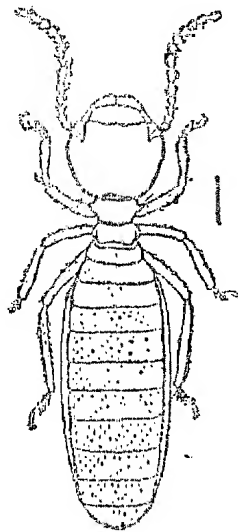
( شكل ٢٦ - قرية الأرض )

( ١ ) غرفة الفطر ( ب ) خلية الملكة

« وأعظم ما شوهد من هذه المساكن هو في أفريقيا الوسطى ولا سيما في كونغو البلجيكي حيث يبلغ العلو من ستة إلى ثمانية أمتار . وفي « مونيونو » قبر أقيم على أحد هذه البيوت كأنه على رابية فيشرف على ماحوله من الجهات . وفي أحد الشوارع الكبيرة في مدينة الزاب من أعمال « كاتانجا » العليا قرية عالية شطرها الشارع إلى شطرين . وقد اضطر عمال سكة حديد سكانيا أن ينسفوا بالديناميت بعضا من هذه الابنية فكانت أنقاضها تجاوز في ارتفاعها مدخنة القطار . ومن هذه المساكن التي خربت ما صار أشبه بالبيوت ذات الطبقتين ولا يتعدى على الإنسان أن يقعد فيها . وقد بلغ من متانة هذه البنايات أن سقوط الأشجار الكبيرة وهو أمر كثير الوقوع في تلك النواحي لا يقلقلها ولا يضعف من جانبها وإن قطع الغنم يتسلقها ليرعى العشب النامي فوقها دون أن يؤثر فيها . ونمو العشب فوقها راجع إلى خصائص الطين الداخل في تركيبها فهو يخزن الرطوبة فضلا عن أنه كثير الخصب زكي المنبت لأنه مكون من براز الحشرة وفضلاتها . وقد يثمر مع العشب الشجر . والغريب أن الأرض التي تهدم كل شيء في طريقها تحترم هذا الشجر كأنه مقدس

وبعض أنواع الأرض يستعمل قسما من الطبقات العليا في الوكر لزراعة واستنبات الفطر الخصوصي الذي يقوم مقام الطفيليات (وسأتي الكلام عنها في الفصل التالي) وله وظيفتها من تحويل الخشب القديم أو العشب اليابس إلى كتلة صالحة للهضم والتخميل . وبعض الأنواع الأخرى تقيم مقابر حقيقية في أعلى العمارة ووجود هذه المقابر يدعو إلى العجب لما نعلمه من أن الأرض يأكل موتاه ويتغذى بها إلا إذا افترضنا أنه في أيام الوباء (أو طارئ آخر) قد يقصر عن مجارة الموت لأكل كل ما يسده له من الرمم فيجمعها ويكدسها حين الحاجة على سطح المنزل حتى إذا جففتها الشمس أحالها إلى مسحوق وجعلها مؤونة يتغذى بها شباب القرية . ومن هذه الأنواع من يذهب إلى أبعد من ذلك فيتخذ مؤونة حية . وذلك أن القوة الخفية تدبر أمور هذه المملكة قد ترى لسبب لا نعلمه أن عدد الرعية قد جاوز الحد المطلوب فتبرز الزائد منها في غرف خصوصية بعد أن تقطع قوائمها حتى لا تهزل بالحركة ثم تؤكل بالتدريج تبعا لحاجة المجتمع . وهذا النوع له عناية خاصة بالنظام الصحي فإن فضلات الدودة وبرازها يجمع في موضع على حدة ويترك إلى أن ينشف ويقسو ويصير ألذ طعما . هذا هو نظام الوكر كما يبدو لعين الباحث على أنه قابل للتغير لانك لا تجد في الكائنات حيوانا مثل هذا يكره التقليد ويعرف أن يكون كالإنسان في لونه وخضوعه للأحوال ومجاراته لها وسيتاح لنا غير مرة في عرض هذا الحديث أن نتحقق ذلك»

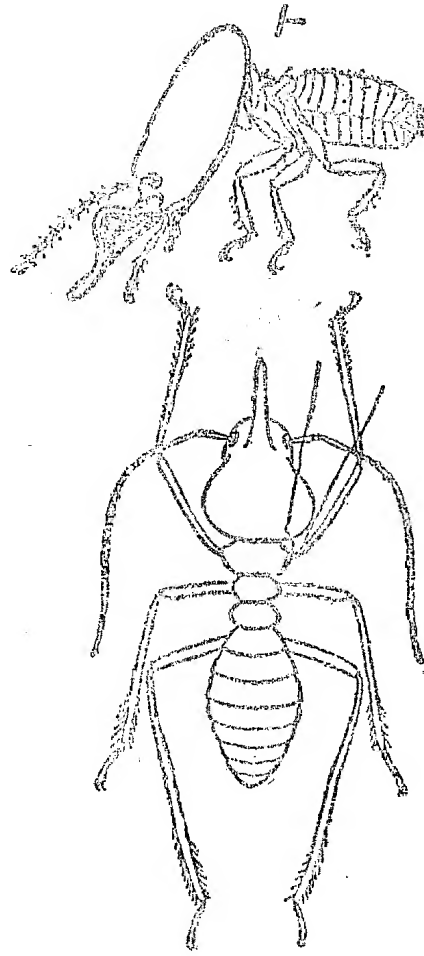
ثم قال «وهذا النفق العظيم الممتد تحت الأرض والمرتع فوقها يتشعب منه أسراب لانهاية لها تنتهي الى حيث الأشجار والادغال والعشب ومنزل الناس فتعبد الدودة ما تحتاج اليه من الخلاوز وهي المادة الحوية يسليتها الجامدة التي تتركب منها خلايا النبات والليفها . وعلى هذا الوجه تغزو أحياء بأسرها كما ترى في أستراليا وبعض أنحاء جزيرة سيلان فتتمد مسالكها الى كل صوب وتجعل تلك الأرض غير صالحة لسكنى الانسان . وقد تملأ البلد من جانب الى جانب كما في الترنسفال ونانال حيث بلغ عدد القرى نحواً من ١٦ في مسافة لا تزيد على ٢٣٥ متراً وفي كاسكا العالية تعثر في كل هكتار من الأرض على قرية يبلغ علوها ستة أمتار . والأرض بخلاف القلة التي تعيش على سطح الأرض وهي حرة طليقة لا تفادى ظلمات قبورها الرطبة الحارة ولا تسير إلا في الخفاء فتعيش وتموت دون أن ترى ضوء النهار فهي دودة الظلام الأبدى وإذا مست الحاجة ان تحتاز للتموين حواجز لا قدرة لها على خرقها فاما تقوم بتعبئة الجنود والمهندسين وهؤلاء يبنون هرامتين مركبتين من بقايا الخشب الممضوغة ومن البراز ويحاولونه على شكل الأنبوبة ولا يدعون فرصة تقوت دون الاستفادة منها اقتصاداً في الوقت والعمل والنفقات فإذا أصابوا شقوقاً فيها فائدة أصلحوها وملسوها وجمعوا بينها . وإذا فتحوا ممرهم على جدار جعلوا شكله كنصف أنبوبة بالاستفادة من الجدار أو على زاوية مؤلفة من جدارين اكتفوا بعمودها (١) خفف عليهم ثلثا العمل . وهذا الممر الذي يفتح فيكون على مقياس الحشرة بالضبط يتسع من حين الى حين ليتسنى للحامل المؤونة اذا ما تلاقوا ان يفسحوا المجال لبعضهم البعض بدون عائق وإذا كانت الحركة شديدة والازدحام عظيماً فان الممر يكون أوسع ويجهل منه مذب للذهاب وآخر للآياب . وليسمح لما القارىء قبل الخروج من هذا النفق ان نلفت نظره الى خاصة من أغرب وأخفى ما في هذا العالم الكثير الغرائب والاسرار فقد أشرنا فيما سبق الى الرطوبة التي لا تتغير في الوكر على الرغم من جفاف الهواء والأرض المحروقة . وعلى الرغم من سحابة الصيف الطويل في تلك الاقاليم التي تفيض فيها الينابيع ويؤكل الزرع وينشف كل ذى حياة حتى جذور الأشجار الكبيرة والحق ان بقاء هذه الرطوبة في الاحوال التي ذكرناها مما يدهش له العقل ويقف دونه المفكر وقد أسقط في يديه حيرة وذهولاً حتى ان لو نستون العالم الرحالة تساءل هل هناك طرق مجهولة تتمكن بها الأرض من اخذ اوكسجين الهواء وجهه الى الهيدروجين الموجود في غذائها النباتي ليتكون بهما الماء الذي تحتاج اليه ؟ ذلك افتراض لم يثبتته العلم بعد ولكنه غير بعيد الامكان وسنرى فيما يلي أن للأرض من العلم بالكيمياء والبيولوجيا مكاناً نحسدها عليه ( انظر شكل ٢٧ ) و ( شكل ٢٨ )



( شكل ٢٧ - رسم أرضة عاملة )

(١) غما البيت يغموها غموا . غطاه بالطين والخشب





( شكل ٢٨ - جنديان من الارض )

فوق : جندي يقاثل بفكيه - تحت : جندي يقاثل بحقننه

ثم قال « النملة عدو الأرض الالد وهي عداوة قديمة يرجع عهدها الى ثلاثة ملايين سنة ولولاها السكائن الأرضية قد اجتاحت القسم الجنوبي من الكرة الأرضية الا اذا صح الرأي القائل ان ما امتازت به من نقب الأرض وحفر الانفاق هو ابن الحاجة والضرورة دفاعا عن نفسها وهربا من النملة . ومن الأرض ما لا يعرف البناء فيجعل سكنه في الاشجار وهو من النوع البسيط في تركيبه وارتقائه ولا فرق في وظائفه أو تمييز بين أعماله فيمكنني بسد الثغرة ببقايا الخشب والطين على ان منه ما خلق لنفسه جندا خاصا وهذا الجنديمتاز برأس كبير يستعمله لسد الفتحة كأنه صمامة من الفلين . وتورد النملة قرية الأرض دائرة حولها ليل نهار باحثه عن صدع او شق تنسل منه اليها ولهذا كانت الخيطة لها بالغة أقصى المستطاع وكانت مراقبة الشقوق شديدة ولا سيما لشقوق المصنوعة لتجدد الهواء فان هذه المنازل تحتاج الى الهواء المتجدد وقد أقيم لذلك هندسة ونظام ليس من ورائها علماء الصحة اليوم مأخذها تب أو علق اطاعن . واذا أتيج العدو أن يصيب أحدهم الشقوق فان أول ما يرى هو رأس أحد الجنود المدافعين وقد أخذ يضرب الأرض بمشفره انذارا وتنبها فيسرع الحرس ثم الفرقة بأسرها وتسدد بجماجمها الفتحة وهي تحرك في الهواء احناكها الهائلة كأنها ادغال من الشوك أو تهجم على غير هدى هجوم الكلاب الضارية حتى تصيب العدو فتعض عليه عضا شديدا ولا تنخلي عنه الاحملة قطاعة منه »

وجنود الأرض تدق بعد تقهقر العدو حينئذ أمام الثغرة ثم تعود الى قشلاقتها وترجع العمال الهاربة طبقا لناموس توزيع العمل الذي يضع البطولة في جانب والخدمة في جانب شارعة في ترميم ما تخرب بسرعة هائلة مقدما كل منها كتلة برازه وقد حسب ان ساعة من هذا العمل السريع تكفي لسد ثلثة بحجم الكف فتأمل . وقد روى سافاج انه دمر منزلا للأرض في المساء ولما عاد عند الصباح وجده قد أصلح وتم ترميمه وعلى بطة جديده من الطين ولا عجب فان السرعة في العمل مسألة حياة أو موت وأقل اهمال في ذلك هودعوة لاعداء كثر وخاتمة ذلك الاستثمار

ان هناك قوة خفية تخضع لها جمهورية الأرض فاذا زاد عددها مثلا عن الطبيعي وهو خمس عدد سكان القرية فان تلك القوة المحجوبة التي لا تجهل قواعد الحساب على ما يظهر تتكفل حالا بإزالة العدد الزائد وارجاع النسبة الى ما كانت عليه من قبل ولا تحتاج في ذلك الى مذبحه كما يجري في ذكور النحل فان مائة عامل لا تقوى على جندي واحد من هذه الضواري التي لا تنال الا من القسم الخافي الضيف ، بل تفعل ما هو أبسط وأسهل وذلك بامتناع العمال من إطعام الجنود فهلك هذه جوعا . أما الطريقة التي يتم بها تعداد الجنود المحكوم عليها بالموت وفرزها ووضعها في مكان منفرد فلا تزال غامضة كالسيرة من امور هذه الاحياء العجيبة . وقبل أن نختم هذا الفصل عن جندي مملكة الظلام نذكر للقارئ بعض حالات لها غريبة من الاستعداد أو الميل للموسيقى فهناك أصوات خاصة تكون تارة انذارا وطورا استنجادا أو تحييا أو غير ذلك وكلها ذات ايقاع موزون تجيب عليه جماعة الأرض بزجل خاص (١) مما جعل بعض العلماء على انقول بانها تتخاطب باللقرون فقط نظير العمل بل بلغة نطق خاصة

وبديه ان مثل هذا النظام الواسع الدقيق ومافيه من توازن في القوى وتضامن في الاعمال لا يمكن أن يكون بغير تفاهم بين أبنائه وحسبنا دليلا على وجود هذا التفاهم انتشار المستعمرة الواحدة في جذوع كثيرة قد تكون متباعدة بعضها عن بعض ولكنها ملتفة حول عرش واحد أي ليس لها الزوج ملكي فاذا زالت في أحد الجذوع فرقة الاحتياطي التي يحفظها الأرض للتعويض من الملكة في حال الموت أو الهجر تسرع سكان الجذع المجاور الى اعداد فرقة جديدة بدلا منها . وسنعود الى الكلام عن هذا الابدال أو التغيير الذي هو من أغرب وأبداع أشكال السياسة الأرضية

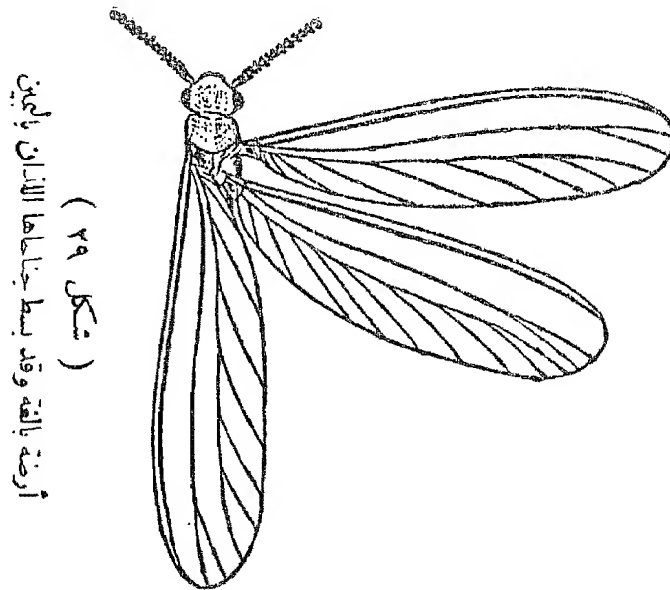
ولست هذه الاصوات من غميمة واحتكاك أو صفير وانذار واقاع ينم على احساس موسيقى كل ما عند الارضة . فان لها أيضا حركات موزونة يشترك بها الجمهور ما خلا المولود الجديد كانتها صادرة عن جوقة رقص وأنغام مما وقف عنده العلماء موقف الدهش والهجز وهي نوع من الرقص الاختلاجي تثبت فيه القدم وتهادى الجسم متميلا من وراء الى الامام وعلى الجانبين . ويدوم هذا الاختلاج ساعات مع فترات من الراحة قصيرة . وأكثر ما يكون قبيل طيران العرس كأنه حفلة صلاة أو تقديس تفتح الباب لأعظم ضحية تقوم بها الأمة . ومن السهل مرأى هذه الحركات اذا خفضت أو أثرت لجأة أنابيب الزجاج التي تجلس فيها الأرض في المختبرات على ان ذلك شاق صعب اندورة بقاءها طويلا في الانابيب فانها تحرق الصمادة من فليين أو معدن وتصل كاحسن الكيهيين الى خرط الزجاج

الملك والمملكة في حجرة مستطيلة الشكل ملاء الأرض منخفضة السقف منيعة الجوانب يعيش هذا الزوج الحزين الموكل اليه حفظ النوع دون أن يستطيع من موضعه حرا كما . أما الملك فهو ملك بالاسم لانه زوج الملكة ، ضعيف حقير صغير جبان خجول لا ينفك محتبئا تحت بطن زوجته . وأما الملكة فهي من أغرب ما يرى في هذا العالم الكثير الغرائب لان لها بطنا ضخما هائلا منتفخا بما فيه من البيض يكاد يتفزر لفرط تمدده وقد

(١) الزجل : اختلاط الاصوات

يبلغ طولها به نحو ١٠٠ ملليمتر حالة كون العامل لا يتجاوز ٧ ملليمترات طولاً . وهي عاجزة عن الحركة لانها لا تملك غير قوائم صغيرة في صدر غارق في الدهن ومتوسط ما تضعه من البيض هو واحدة في الثانية أى ٨٦ ألفاً في اليوم وثلاثين مليوناً في العام . ولا ينقطع وضعها ليل نهار مدة الاربع أو الخمس السنين من حياتها كما دل الاختبار والملاحظة

(فصل) - اذا ولي الخريف ودنا موعد المطر دقت ساعة الحورية فاذا بالقلعة الحصينة المحسنة السد والمنفصلة عن العالم الخارجي كل الانفصال والتي لا منافذ لها إلا ما كان تحت الارض أو ما هو لتجديد الهواء قد أصابها نوع من الجنون فانتسحت في جوانبها جثة ناريب لا تحصى (١) ومن وراء هذه التخاريب وقفت الجنود تحمي برءوسها الدخول والخروج . هذه التخاريب تتصل بأسراب وأنفاق قد ازدجت فيها الجحشات وهي تنتظر بفروغ صبر إفلاتها من الأسر . حتى اذا صدرت الإشارة الخفية وأمرت القوة الحاكمة المجهولة انسحبت الجنود من مواقعها فأنكشفت الثغور وشق للعرائس طريق الفضاء . وحينذاك يبدو للعين مشاهد يفوق مشهد النحل روعة وجالا فان البناية العظيمة نبهة كانت أو هрма أو قلعة تصير كالمزجى الغالى يكاد يتفجر . ومن شقوقها العديدة يرتفع ضباب كثيف مؤلف من ملايين الاجنحة الشفافة المضطربة في الهواء ساعية وراء الحب سقيا يساوره الريب وتصنع الخيبة . منظر جميل غير أنه قصير العمر كمثل ماهو حلم أو دخان فلا يلبث الضباب أن يهبط بأجمعه الى الارض جاعلاً لها غطاء من تلك الاشلاء وهكذا ينتهى العيد وقد نسكت الحب بهوده وحل الموت محله . ولا يكاد يسدل الستار على هذا المشهد حتى تعقبه مأساة أخرى أشد هولاً فان الاستعدادات السابقة وإلهام السليقة الذى لا يتخضع يدعو ان كل مشتاق الى تلك المأدبة السنوية التى تقيمها عرائس الارض فتحشد العصافير والحيات والهررة والسكالب وسائر الحشرات ولا سيما النمل وتهاجم على هذه الفرائس المحرومة من الدفاع والتي تقطى أحياناً ألوفاً من الامتار وتبتدىء الجزرة الهائلة كل على قدر جشعه وشهوته بل ربما أفرط بعضها فى الاكل كالعصافير فخرجت من الولجة وهى لا تستطيع اقبال مناقرها . والانسان نفسه يشترك فى اقتسام الغنيمة فيجمع ما يصيبه بالجرقة ويأكله بعد التحميص أو يخبز بالسكر فيصير كاللوز ويبيعه فى السوق كما فى جزيرة جافا . وبعد الطيران وخروج آخر مجنح من القرية ثقيل هذه بأمر القوة المحجوبة المدبرة وتسد التخاريب فى وجه الخارجين كأنما حكم عليهم بالنفى المؤبد ( انظر شكل ٢٩ )



(١) جمع نخروب وهو الشق فى الحجر أو الثقب فى كل شئ

## ( تخریب الارض )

ان قرى الارض بانتشارها وتعددتها وشرعها القاسية الباقية منتهى النظام وبحيوييتها وتناسلها الهائل قد تكون خطرا عظيما على البشر وربما غطت وجسه البسيطة لولا معاندة الاقدار لها وجعلها سرية العطب شديدة التأثير من البرد فهي لا تحتل من الحرارة إلا ما كان تحت درجة ٣٣ ستغرادو وفوق ٣٠ وهذا ما جعل بقية المناطق في مأمن منها . على انها حيث أقامت كانت عاملا لهدم والتخريب وما أقلت الارض في البلاد الحارة حشرة مثلها في حرب دائمة مع الانسان فتأكل بيوته من أساساتها وتفتي ما عنده من فراش وكساء وورق ومؤونة وخشب ونعال ونبات ولا ينجو شيء من موجوداته من هذا التخریب الفظيع الذي يتم في الخفاء فعنده من خوارق الوجود . وانك لتجد أشجارا كبيرة سليمة في الظاهر فلا تسكك قد اليها يدك حتى تنهار لتأكلها من الباطن

تلك هي عادة أعمال الارض في التخریب المنزل وقد يتسع نطاقها فيشمل مدينة بأسرها ففي عام ١٨٤٠ أسرت إحدى السفن المعدة لتجارة الرقيق فادخلت الى عاصمة سنت لائن (جامستون) نوعا من الارض البرازيلي الصغير ذي الجنود المسلحة بالمخافن فهدم قسما من المدينة وفعل بها فعل الزلازل . وفي عام ١٨٧٩ نشب الارض بسفينة حربية اسبانية في ميناء «فروول» فلم يبق وليذر . وزعم الجنرال لسرك أن جزر الأنتيل الفرنسية لم تقو في سنة ١٨٠٩ على رد الإنجليز لأن الحشرة الهدامة كانت قد خرّبت المنازل وترك المدافع والذخيرة في حالة لا تصلح للعمل . ويطول بنا الشرح لو أردنا ان نعدد الجرائم التي يرتكبها هذا العدو الشديد الحول على ضعفه وقد سبق فقلنا انه غاب الانسان على أمره في بعض نواحي أستراليا وجزيرة سيلان فامسك عن الزراعة . وفي جزيرة فورمور أرضة تخرط حتى الهاون وتلك الجزران اذا لم تمسك بالطين امساكا شديدا

وقال أيضا « لو أعطى للنحل أن يتصور الجحيم لما كان في نظره أشدهولا من هذا لأنه يحوز لنا أن نعتقد أن النحلة لا تشعر بنفاسة حياتها ولا تعدم لذة الحبور عندما ترتوي من ندى الفجر وتعود ثمة من الزهر فتستقبل باكرام في قصرها العسلي العاطر . أما الأرض الملاصقة بالتراب تدب ديبا في ظلمة خبائها القدر فمن أين لها الراحة أو السرور واية مكافأة تنتظرها أو ابتسامة تنسيها عملها الشاق وهل عاشت هذه الاحقاب الطوال فقط لتبقى كما هي أو بالآخرى كي لا تموت فتتكاثر بدون لذة وتخلد بلا أمل صورة من أحقر صور الوجود وأشقاها . من يدري الاسرار الروحية أو الحيوية أو الاثرية أو الكهر بائية التي تختبئ في هذه القرى ولا نصل الى حل طلاسمها ؟ والحق يقال ان الانسان كلما تقدم في ادراكه ادرك انه من أجهل المخاوف وأضيقها علما

إن المبادئ التي تديرها هي أسمى وأمتن نظاما من أحسن اجتماع بشري ولا يمكن التلاعب بالألفاظ للقول بأن حركات الأرض ليست حرة وانه لا يستطيع الخروج على نظامه الأعلى فان العامل الذي يرفض العمل أو الجندي الذي يهرب من القتال يجازى بالطرد أو على الأظهر يقتل ويؤكل ، أفليست هذه الحرية نظير حريتنا ؟ ثم هل كان الذكاء البشري القلب الوحيد الذي تفرغ فيه قوى الوجود الروحية والعقلية ، وهل كانت أعظم وأعرب وأدق هذه القوى لا تظهر فينا إلا بواسطة الذكاء الذي اعتبره تاج الأرض والعلم ، إن أهم شيء في حياتنا أي سرها العميق هو غريب عن الذكاء معادله ، وما الذكاء إلا اسم نعطي له لإحدى القوى الروحية التي لا نفقهها \* وفي المعنى

انما نحن في اختلاف عقول \* مثلما نحن في اختلاف وجوه

فربما كان للذكاء كما للحياة صور متعددة وليس لنا ما يدل على أفضلية بعضها على بعض ، وما الانسان الا فقاعة عدم يريد أن يقيس بها العالم . وبعد هذا كله فاننا لا ندرك كل ما اخترع الأرض لأنه بقطع النظر عما ذكرنا من عمرانه ونظامه في الاقتصاد والاجتماع وتوزيع العمل والتموين والكيمياء والصناعة وتوليد

الماء وتحويل الصور والأشكال فإن هناك أشياء لم يحط عنها الناس . لقد تقدمنا الأرض في هذا الوجود بملايين من السنين فليس بعيد أن يكون اعتراضه في طريقه من العقبات ماسية عرضنا يوما فنحتاج مثله الى تدليله كذلك أن تكون تقلبات الجو والاقليم في الأعصار الجيولوجية أيام كان يقطن شمال أوروبا كما دلت آثاره المكتشفة في إنجلترا وألمانيا وسويسرا قد اضطرته الى المعيشة تحت الأرض فأفضى به ذلك الى تساؤل بصره وكفه عند السواد الأعظم منه . من يدري اذا كانت هذه الرزايا لا تنتظرنا في المستقبل البعيد عند ما يجبرنا البرد على الالتجاء الى الكهوف والغيان في بطن الأرض أو اذا كنا نقوى عليها مثله . ثم اننا نجعل طريقة المعاملة عند هذه الحشرات ولا نعرف كم اقتضى لها من الوقت والتجربة قبل الوصول الى هضم السليافز . أما تحوّلها العجيب الذي نستطيع به أن نخلق هذا الشكل أو ذاك فهو فضلا عن غموضه يعد خطوة واسعة في طريق الابتكار والابداع لم يتسق بعد للإنسان أن يخطوها . ألا ترى اننا لانستطيع تحديد الجنس وتكوين الجنين كما نشأ بل نجعل حتى ساعة الولادة أكان ذكر أو أنثى . فلو كان لنا علم الأرضة لاستطعنا أن نوجد عند الحاجة والضرورة أبطالا وعمالا ومفكرين لا يكون من عندنا اليوم من أهل البطولة والعمل والتفكير بالقياس اليهم شيئا مذكورا . ما الذي يمنعنا من الوصول يوما الى تضخيم الدماغ آلتنا الوحيدة للدفاع في هذا العالم كما وصل الأرض الى تضخيم مشافر جنوده ومبيض ملكانه ؟ وهل يمثل للخطاير ما يستطاع عمله يومئذ فان رجلا يبلغ من الذكاء أضعاف أضعاف ما بلغه (نيوتن) و (باسكال) مثلا فهو يقطع من مسافة العلم في ساعات ما يحتاج نحن الى عصور لا جتيازها . ولعله يصل الى كشف الحجاب عن أسرار هذا الكون فنفهم لماذا كل هذا الشقاء الذي يحيط بنا وهذه الآلام اللازمة لبأوغ الموت

هذا الانسان الجديد قد يصل الى اكتشاف حياة أخرى ، تلك الحياة التي يجذبنا سراها منذ القدم وقد وعدت بها كل الأديان دون أن تؤيد بالبرهان وجودها ، ومهما يكن دماغنا اليوم ضئيلا فانا نشعر أحيانا اننا على ضفة هاوية العلم بعيدة الغور وان دفعة صغيرة قد تكفي لتلقينا في عبابها ، ولعل هذا التضخم الدماغي يكون خشبة الخلاص في الأعصار الجليدية التي تهتد البشر ، على انه يحق لنا أن نفترض أن هذا الانسان وجد في سالف الأدهار وانه كان أوفر ذكاء من انسان اليوم بما لا يقدر ، غير اننا نبحث عنه فلا نجد له أثرا لنعد الى الأرضة ، من يجسر على القول أن الخاصة التي تتكلم عنها لم تنلها إياها الطبيعة . فالطبيعة هي الهادي الوحيد لكل مخلوق قال (أرنست كابل) « كل مخترعاتنا وأدواتنا هي تقليد لعمل الطبيعة من غير أن نشعر ، فمخترعاتنا منقولة عن مضخة القلب ، وآلة التصوير هي غرفة العين المظلمة ، والتلفراف هو جهازنا العصبي ، والأشعة المجهولة رؤية الأجسام من خلال الحجب كقراءة الكتاب دون أن يفض عنه الغلاف ، واللاسلكي مناجاة الأرواح بواسطة تموجات غير منظورة وفي تحريك الأجسام بدون أن تمس (وهذا غير محقق) دلالة على ما يمكن عمله من تغيير شرائع الجاذبية والنقل والاتصار عليها »

ثم قال « يجوز لنا أن ننسب غريزة الحشرات ولا سيما النمل والأرض والنحل الى الروح المشتركة الخالدة فقد قلت فيما مر أن هذه الشعوب هي كذات واحدة أو كأن حى مستقل أعضاؤه مؤلفة من خلايا كثيرة . تفرقة في الظاهر مجتمعة في الواقع حول الشرعة المركزية . وهذا الخلود المشترك هو السبب الذي من أجله يموت المئات والالوف من الأرض دون أن يؤثر في الذات أو الجسم الواحد المستقل لأن غيرها يقوم مقامها كما أن اندثار ألوف الخلايا فينا لا يغير حالة مانعبر عنه بكلمة « انا » ولهذا تظل الأرضة عائشة كما هي منذ القدم دون أن يضيع لها اختبار أو يفصل لها وجود ولا تنشأ تذكاراتها لان هناك ذاكرة واحدة للجميع . وهذا ما يفسر لك كيف ان ملكات النحل لاتنكح تبيض منذ ملايين من السنين ومن دون أن تزور زهرة أو تجمع لقاحا أو تمتص عسلا تستطيع أن تخرج عاملات تعرف ما جهلته أمهاتها كل هذه العصور والدقيقة الاولى من طيرانها تفهم كل

أسرار الطوبى وجمع العسل وتربية العذارى وكيمياء القفير . تعرف ذلك لأن الجسم الذى هو احدى خلياته يعرف ذلك فتراها منبعثة فى الفضاء وهى متفرقة الشمل فى الظاهر ولكنها مربوطة بالوحدة المركزية . فهى تكلايا جسمنا تعوم فى سائل إلا أن هذا السائل أوسع مدى من سائل الجسم البشرى وأكثر ليونة وخفة وروحانية

\*\*\*

هل يمثل الأرض لنا نموذجا للنظام الاجتماعى الآتى ؟ من يدري ما يخبئ لنا الغيب مما لا يمر له خيال فى تصور راتنا فقد يكفى أحيانا شئ لا يذكر ليقلب نظام الادب ومقدرات الشعوب . ان غاية ما نصبوا اليه اليوم هو حياة جال ورخاء وسلام ويمن وقد آتى على الانسان ساعات من الدهر قارب بها هذه الغاية فى أثينا أو أطلنطا أو بعض أدوار المسيحية . فمن يؤكد لنا اليوم اذا كانت الانسانية تتمشى حقيقة فى هذه الطريق لافى الطريق المعاكسة لها ان ما لا ريب فيه أن السعادة الكاملة الثابتة لا نجد لها إلا فى حياة روحية بحتة فهل هذه الحياة ممكنة ؟ نظريا نعم أما عملا فمن المستحيل ذلك لأننا لا نرى من حولنا إلا المادة وبسوى المادة لا نشعر . ودماغنا نفسه مادة فكيف نرجوا أن نفهم به غير المادة . كلما جرب الواحد منا أن يفات من قيود هذه المادة أصابه الدواخ وهبط الى الحضيض . ان المادة عموما الانسان الوحيد وقد انفقت الأديان على ذلك سواء سمي هذا العدو شرا أم خطيئة ولهذا كانت حالة البشر محزنة على الأرض لأنه لا سبيل الى الخلاص من المادة . وكيف الخلاص وكل ما فى العالم هو منها والقوة نفسها والحياة انهما إلا صورة من صور المادة وشكل من أشكالها بل الجسم الجامد الذى لا حراك به أو المادة الضخمة الميتة فيها حياة أكثر روحانية من أفكارنا . تلك الحياة الهائلة الخالدة ، حياة السكهارب التى لا تتعب متحركة كالسيارات حول نواتها المركزية . كيفما أجلنا الفكر نرى شيئا وهذا الشئ هو غير العدم فما أن يصير « أنا » عظيما الى حد أن ينسى معه ذلك الحيوان الصغير الذى كان يقال له الانسان أو يبقى حقيرا خاملا على مدى العصور وهى لعنة لا يوازىها أكبر عذاب من حجيم المسيحيين . على كل حال يقول ابكتت الفيلسوف : لا ينبغي أن نحاول تغيير طبيعة الاشياء فليس هذا بمستطاع ولا بمجد . ولكن على قبولنا بها لننتعلم أن نطبق تصرفاتنا على نواحيها « عشرون قرنا مرت على الانسان منذ رنت فى أذنه هذه الكلمات ولم تصل به بعد الى نتيجة ترضيه » انتهى (يقول المؤلف عمل الطبيعة يريد عمل خالق الطبيعة) اهـ

### ( خطاب للمسلمين )

أيها المسلمون : هذا اخترته من كتاب « مملكة الظلام » أو « حياة الأرض » الذى عربّه الدكتور (نقولا فياض) . نعم أنا أفضت فى الكلام على (الأرض) ومعيشتها وسياستها ونظامها ، وانما حركنى لذلك قوله تعالى - ما دهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته - . يا سبحان الله : مالنا وللأرض ، وما لنا وللمنساء سليمان ، وما لنا ولا كل الأرض لها ، وما لنا ولكون سليمان لم يعلم اليهود موته إلا بعمل الأرض ، عجيب والله هذا القرآن ! عجيب والله أن تكون هذه الكلمات باعثة لى على تعقب أحوال الأرض ، فإذا عرفنا منها ؟ عرفنا أن لله جنودا وجنودا وتلك الجنود لها ملوك ولها سياسات ونظم اجتماعية عجيبة ، وعرفنا أن فى أمم أورو با من يدرسون هذه الحشرات ليستخرجوا منها علما عسى أن يرتقى به الانسان فى مستقبل الزمان ولقد ظنوا أن هذه الحشرة الحقيرة قدرت أن تستخرج الماء من المواد التى حولها . يا الله : أنا أنوجه اليك وأسألك أن تبعث فى نفوس قراء هذا التفسير حبا للعمل وحبا للعلم والحكمة حتى يكون للمسلمين نظام مع الأمم حولهم به يعيشون فى حبور وحياة منتظمة ، فأنت الولي الجيد

أيها المسلمون : إن الناس تمنوا الطيران فطاروا ، وهامهم أولا ، يتمنون عقولا أرقى من هذه العقول ويسعون لكسبها فسيروا مع الناس بل أنتم أولى فان اشارات القرآن تبعث المسلم على العمل ، أولاترون

أيها المسلمون الصادقون كيف كان سليمان في هذه السورة هو سليمان في سورة النمل ، ويعجب يا الله وألف عجب . اللهم انك أنت المعلم ، أنت الملهم . أنت الحكيم ، كيف كان سليمان في ﴿سورة النمل﴾ يتجسم ضاحكا من الغلة ، ونفس سليمان في هذه السورة تدل على مونه ذابة الأرض يعجبا . كأن الله يقول لكم أيها المسلمون إن بين النمل والأرض علاقة فلتدرسوها ، فهاقمتها في القرآن قصة سليمان وعلاقتها في العلم اشتراكهما في المدنية والسياسة وأن بينهما عداوة ، فالدرس الدرس الله أكبر : قصة سليمان في هذه السورة وفي سورة النمل يفهمها العامة والخاصة ، شارحة للصدور وهي باب لدراسة النمل ولدراسة الأرض ، فأتى عجب العامة والخاصة من قصة سليمان مع النمل وقصته مع الأرض فوالله ليكونن عجبهم أكثر وأكثر حين يدرسون الجانبات التي أبدعها الله فيهما - إن ربي لطيف لما يشاء انه هو العليم الحكيم - انتهى المقام الأول في المبحث الأول

### ( المقام الثاني في المبحث الأول )

( في قوله تعالى ... فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين - )  
اعلم أن طائفة من الناس يقرؤون عزائم ودعوات كفرية أو دينية أو غيرها ويؤمنون انها تقضى حاجاتهم بها وينادون أسماء شيطانية ويبتهلون اليها ، وهذا في الحقيقة نوع من العبادة ، وما الفرق بينها وبين الأصنام فالأصنام شفعاء وهؤلاء شفعاء ، فليحذر المسلمون من هذا ، إن الإيمان بالله يهلى الهمم ويرفع النفوس الى المستوى الرفيع الشريف كما كان الصحابة رضوان الله عليهم . فعلقوا الهمة هو الذي يرفع الانسان عن العوالم كلها الى بارئها فينال ما يريد اذا كان ذا عزيمة صادقة . ثم ان الذين يحضرون الأرواح في هذا العصر يعلقون آمالا عليها في أمورهم الدنيوية أوفى معرفة الغيب . وهذا كله خروج عن القضايا الدينية ثم لا يفيد فاعله ويكون ذلك أشبه بالعبادة ويحجب الانسان عن ربه . ومن ذلك ما تقدم في هذا التفسير من الأوفاق التي كان يستعملها قدماء المصريين كالمثلث والمربع والخمس الى المتسع للكواكب السبعة . والمسلمون اليوم هكذا يستعملها بعضهم وهو لا يدري انها كالشرك بالله تعالى . ولأورد لك أسئلة من كتاب الأرواح ألقاها العلماء على الأرواح في أوروبا لما استحضروها . وهاك بيانها

- (س) هل من أسئلة تكرهها الأرواح الناقصة  
(ج) لا تكره إلا الأسئلة التي تريح النقاب عن جهلها وخداعها  
(س) ما قولك فيمن يتخذون الخابرة الروحانية بابا للهو والهلل أولا يستنبأ أمورهم صواحبهم الزمنية  
(ج) هؤلاء نسرتهم جدا الأرواح الناقصة لمداعبتهم وخداعهم  
(س) هل تستطيع الأرواح أن تكشف لنا أمر المستقبل ؟  
(ج) كلا : إذ لو عرف الانسان المستقبل لأهمل الحاضر  
(س) ماهي أخص دلائل النبوات الكاذبة ؟  
(ج) هي التي لا تأتي بفائدة عامة أو يكون مرجعها النفع الخاص  
(س) لماذا تكون الأرواح الرصينة عند تنبئها عن أمر لاهين زمن حدوثه  
(ج) يكون هذا إما عن عمد منها أو عدم معرفة ، إن الروح يستشعر أحيانا وقوع أمرانما زمن وقوعه يكون في الغالب متعلقا بحوادث لم تتم بعد ولا يعلمها إلا الله ، أما الأرواح الطائشة فلا يهملها أمر الحقيقة وتحدد الأيام والساعات من دون التفات الى صحة النبوءة وعدمها ، ومن الواجب ههنا أن أكرر عليكم القول أن غاية رسالتنا إنارة بصيرتكم وترقيتكم الروحي لا العراقة وفتح القال ، فن أحب هذا تألفه الأرواح الماكرة

ويصبح العوبة بين أيديها . انتهى المقسود من كتاب الأرواح  
وهذا يكتفيك من ذلك فان الأسئلة توضح الآية هنا ايضاً كافياً ، إن هذا من أعظم معجزات اقرآن  
كيف لا ونحن نجد أن أوروبا التي لم تسمع أن في القرآن هذه القصة لعدم ايمانها به تكون نتيجة حديثها  
مع الأرواح أن الجن لا تعرف خبر الغيب ، ولا معنى للجن إلا النفوس الناقصة كما لا معنى للأشعة إلا الأرواح  
الكاملة وكل منهما درجات ، إن هذا معجزة وأى معجزة ، إن المسلم يمر على مثل هذا مراراً ويكتفي بالإيمان  
أما اليوم فانه يرى اليقين في العلم ، فان كذبت أيها الفطن الغربية فدونك العلم فاستعمل الطرق التي أرشدتها  
في كتابي ﴿الأرواح﴾ واجعل نصب عينيك الحقائق لا الامور الدنيوية . وهناك تعرف بنفسك لا بأوروبا  
لكن مع الصبر والجد ، وإن أردت إلا الزيادة فعليك بكتاب الأرواح ، وإن شككت فاستقل بالعلم ، واعلم  
أن الله جعل هذا الزمن هو الزمان الذي فيه يظهر سر القرآن - وقل الحمد لله سيرىكم آياته فتهرفونها -  
فالمسلمون إن لم يدرسوا فليرحوا من العالم وبأقوى الله بأمر أخرى لهذا الدين أرقى من هذه الأمم النائمة  
فأما الكسل والتكذيب والاستهزاء فليس يجدي في زمن العرفان والعلم والحكمة والارتقاء . وبهذا تم  
الكلام على المبحث الأول بمقاميه معا

﴿ لطيفة في قوله تعالى - فلما خر تبينت الجن - الخ ﴾

( تذكرة في ليلة الخميس ١٣ يناير سنة ١٩٣٠ )

في هذا اليوم حضر عندي رجل عظيم ذكراً عالم وقال لي : ألم تطلع على « مجلة الدنيا المصورة » في هذا  
الاسبوع . فقلت ماذا فيها ؟ فقال إن فيها أصراً عجيباً ، وقصاً على ما أتى :

﴿ يد خفية تسكتب من وراء المجهول ﴾

( يهمل البرلمان المصري عاماً واحداً ، وتقعد المعاهدة في خلال ستة أشهر )

بين المنجمين وقرءاء الطولع الذين هبطوا مصر رجل هندي له طريقة مذهشة في الاجابة عن المستقبل  
يحار العقل في تعليلها ، وهل هي سحر ساحر عليم ؟ أم شعوزة مشعوذ ماهر في خداع العقول والأبصار ؟ ونحن  
نسرد فيما يلي بعض أعمال هذا الرجل الخارقة للعادة كما شاهدناها مندوبنا وترك للقارئ تعليلها

في شقة بسيطة الرياش يقيم رجل هندي لا يبتك مظهره عن خبره ، وكانت زيارتي لهذا الرجل حافلة  
بالمدهشات ، ولو اني حاولت أن أدرك خفي أمره وأستطلع وسيلته التي يتوسل بها لتأدية أعماله فلم أوفق في  
محاوأتي مع يقيني بأن الأمر مهارة خارقة لاعلاقة لها بالأرواح . لا ترى في شفته مظاهر التأثير والروعة التي  
تصحب عادة منازل المنجمين وعلماء الروحانيات بل هي ذات فرائش بسيط أشبه بكتب وكيل أعمال أو محام  
مبتدئ . ورأيت في صغير السن هادئ النظرات حليق الوجه يتحدث في ابتسامة صغيرة وبسيطة . سألتني  
بالانجليزية : أترى أن تعرف شيئاً عن مستقبلك ؟ أجبت : نعم . ودخلت حجرة مكتبه وليس فيها إلا مكتب  
واحد عليه أوراق متناثرة وأقلام ودفاتر عادية وقد طليت جدران الحجرة باللون الاسود . ولما رآني أنظر لهذا  
الطلاء الاسود انقلم مستغراً بما قال لي في هدوء : انني أهوى الحجرة لاستحضار الأرواح فانها لا تظهر إلا في الظلام  
وسألته : وفي أي ثوب تظهر الأرواح . فأجاب : تظهر متشكلة بشكلها الأرضي فتراها كما عهدتها على سطح  
الأرض في الجسم نفسه والملابس نفسها ، ثم طلب مني أن أكتب أربعة أسئلة على أربع ورقات صغيرة غما  
أود معرفته من شؤون المستقبل ، وتناولت ورقة صغيرة قطعها على أربعة أقسام وبينما أنا أقامها بتأن وبطء  
استأذن مني ليغيب دقيقتين وترك الحجرة وانصرف ، ومضيت أنظر حولي فلم أجد في الحجرة ما يريب وتناولت  
قلمي فكتبت على كل ورقة سؤالاً ثم طويت الورق وأودعته يدي ، وعاد الرجل بعد قليل وجلس الى مكتبه  
وسألني : هل كتبت الأسئلة ؟ فأجبت : نعم . وجلس يسطر جداول ورموزا والورق في يدي اليسرى مطوى



طيات عديدة وقد أطبقت كفى عليه ، ثم طلب منى أن أكتب فسكتت بيدي اليمنى على ورق أمامى وأنمض عيني ثم أملانى السؤال الأول فالثانى فالثالث فالرابع كلمة كلمة ومازالت الأوراق مطوية فى يدي ، وكان يملئ على الكلمات وكان نظره المنمض يخرق كفى ويخرق الأوراق المطوية ويتألف فيها ، وكان بين الأسئلة سؤال كتبت فيه كلمة ومحوها وكتبت كلمة محلها ، فلما أملانى هذا السؤال ذكر الكلمة الأولى ثم طلب منى أن أمحوها بالقلم وأكتب بدلها الكلمة الثانية . كتبت الأسئلة وأنا أبسم وأغالب دهشتى ، ثم ناولنى القلم من يده وطلب منى أن أضعه فوق الورق فى كفى فوضعت ثم استعاده منى وقال لى : افتح الورقات فان الأجوبة مكتوبة فيه . وفتحت الورق فرأيت فى أسفل كل سؤال الجواب عليه مكتوباً بالقلم الرصاص وكانت الأوراق لم تخرج من كفى وهى مطوية فيه طياً محكماً . وكانت حقاً مفاجأة لطيفة مذهشة . وقلت له : لتحدث كما يتحدث الأصدقاء . ما سر هذه المقدرة العجيبة ؟ أجابنى بهدوء : سرها بسيط فانى متصل بالأرواح أسخرها لخدمتى وأستطاع أنباءها فهى توحى الى ما يخفى أسره على الناس . ولكنى لم أشاركه القول بأن هذا السر أمر بسيط وإنما أعدت سؤالى : ومن أين لك هذه المقدرة ؟ وصفت طويلاً وكأنيما يستعيد ذكريات قديمة ثم قال : سأحدثك بما لم أحدث به أحدا . كنت وأنا فى التاسعة عشرة من عمري طالباً فى ( لاهور ) ببلاد البنجاب فى الهند . وكنت أقيم وحيدى فى شقة استأجرتها فأقضى نهارى فى الجامعة وليلى فى منزلى أراجع دروسى . وفى هذه الأيام تعارفت بفئة هندية حسنة كانت طفلة صغيرة ولكنها جعت كل معانى الانوثة الفاتنة وأسرار الجلال الآخذ . همت بحبها وطنى غرامها على كل حواسى حتى أصبحت ولا تشغلنى إلا فكرة واحدة مستولية على كل مشاعرى ومائلة كل رأسى وهى هذه الفتاة . ولكن الحجاب القاسى كان يحرمنى من لقائها ورؤيتها . وكانت تمر بى الأيام دون أن أراها فأذوب وجداً وتضطرب أفكارى وتختل أعصابى . وفى ذات ليلة جلست فى منزلى وحيداً وأنا أفكر فيها بكل قواى . أفكر فيها وأرغب فى رؤيتها وأحصر كل أفكارى وحواسى فى هذه الرغبة القوية . وخيل لى أن كل قوى العالم اجتمعت فى ذهنى ثم تركزت فى هذه الرغبة القوية واذ ذاك خيل لى أن قوة تفكيرى وشدة الرغبة الصادرة من ردى تخرق الحوائط والجدران والحوائط وتصل الى هذه الفتاة فى خبرها وتستدعيها وانها تجيء ملبية دعوى الحارة وانها تقرب من منزلى وانها تسير تحت نوافذى وأطلت من النافذة فرأيتها تسير فى الطريق وهى تنظر الى نوافذ حجرتى . وحدث ذلك مراراً فكتبت كلما فكرت فيها رأيتها أمامى . ولا ريب أن فى تلك إحدى معجزات الغرام والرغبة القوية . ولكنى لم أهنأ بحبيبتى فقد اختطفها الموت وهى فى زهرة شبابها وحزت عليها حزناً شديداً فهجرت الجامعة والدروس وأهملت نفسى ورحلت كالجنون لأريد من حياتى إلا أن أراها بعد موتها . وكنت أعلم أن بين جبال الهند وغاباتها يعيش جماعة الفقراء والدرائش الذين يقال عنهم أنهم من طائفة قضت أيامها فى التمسك والعبادة حتى أزيلت عنها الحجب واتصلت بعوالم الأرواح وتجردت من شوائب المادّة الدنيوية فبالت نفوسها درجة فائقة من القداسة . ودعائى شغفى بحبيبتى الميتة وجنوتى ورغبتى فى رؤيتها الى الهيام فى الغابات والجبال والى غشيان مجامع الدراويش الفقراء فى العراء أملاً بأن أستطيع أن أرى روح حبيبتى . وأخذت عهداً على بعض شيوخهم وكان لا بد لى من قضاء مدة التجربة بينهم . ولا تزال أذكر تلك الليالى الطويلة والحنن التى قاسيتها فيها حيث كنا نجلس حلقة كبيرة فى وسط الغابة تحت ضوء النجوم نتلو آيات معينة من القرآن الكريم ونكرر تلاوتها آلاف وآلاف المرات حتى تتجرد أرواحنا عن أجسامنا ونسبح فى عالم كله هدوء وسكينة وكنت أرى بعض وحوش الغابة تنسل نحونا ، فهذا فهنا يقف عن بعد يحملق إلينا وكأن عينيه شعلتان تتقدان فى ظلام الليل ، وهذا أفعوان ضخم يزحف بين الحشائش ويدور حولنا ، وكان الفزع يتولانى فى أول الأمر ، ولكنى أرى الدراويش فى ذكرهم وتلاوتهم لا يشعرون بتلك الضواري ولا يقيمون لها وزناً

فأجمع قواي وأشد على قلبي وأستمر في القراءة والذكر . وفي صباح اليوم التالي أسأل أحد رفقي عن هذه الكواسر فيجيبني إنها الأرواح مشككة في أشكال مخيفة تحاول قطع قراءتنا حتى لا تسلط عليها وتسمى لايقاع الرعب في قلوبنا ولهميتمنا قبل أن نهزمها ، وقضيت أربعين يوما على هذه الحالة وأنا لا أتناول طعاما ولا أرتدى ثيابا ولا أقطع وقتي إلا بالتلاوة والذكر ، وفي ختام اليوم الأربعين شعرت بأني بلغت ما بلغ أساتذتي الدراويش وانني أصبحت سيدا على الأرواح أباديها فتبلي ندائي . وسألته : ومن كانت أول روح استحضرتها قال بهادوه : روح حبيبتى طبعاً وقد لبثت ندائي وحادثتها وحادثني

\*\*\*

ومما يذكر عن نبوات رجل الأسرار واسمه الحقيقي (مير عبدالحيد) أن أحد الدواب الوفديين ذهب إليه ليسأله في أمور سياسية وكتب الأسئلة وطواها وكان بينها هذان السؤالان

(١) - كم يعمر البرلمان ؟

(٢) - هل تعقد بين مصر وإنجلترا معاهدة في بحرسة أشهر قادمة ؟

فسكان الجواب على السؤال الأول « يعمر سنة واحدة » والجواب على السؤال الثاني « نعم » ولم يجد النائب في هذين الجوابين ما يشفي غليله فان حل البرلمان لا يمكن أن يحدث اذا أبرمت المعاهدة وسأل سؤالا ثانيا : « اذا كان البرلمان سوف يعمر عاما واحدا فما هو نظام الحكم الذي يتلوه ؟ » وكان الجواب « يكون الحكم في يد حزب الأغلبية ويبقى في يده طويلا » وكان هذا الجواب يدل على أن الحكومة الوفدية سوف تحل البرلمان بعد سنة واحدة ثم تعود الانتخابات فيخرج حزب الأغلبية وهو الوفد فازوا ويتولى الحكم مدة طويلة والله أعلم اهـ

فلما قال صاحبي ذلك وقد قرأه في المجلة بنصه . قلت له : وهل لهذا علاقة بالتفسير . قال نعم : أذكرك بما تقدم في ﴿سورة النور﴾ ألم تذكر هناك أن الأسئلة التي وجهها الناس الى الشيخ أحمد بن المبارك تلميذ الشيخ الدباغ في أمر السحاب والمطر والبرق والجبال التي في السماء ، ولما رأى الشيخ ان المبارك أن علماء الاسلام قبله لم يعرفوا أغلب تلك الجباب هرع الى الشيخ الدباغ فأجابه وشرح مسائل لم يظهرها إلا لعلم الحديث فكان ذلك معجزة إذ ظهر أن في الجوجبالا من تلج ينزل منها برد وقد رسمتها أنت هناك ، وأنت قلت ان طبيعة دين الاسلام أن يسأل الناس علماءه عن كل شيء لأن القرآن يذكر أمورا كثيرة ، فاذا قال الله لنا ان الحق لا يعامون الغيب فما بالناس نرى رجلا هنديا في هذه القصة يخبرنا نحن المصريين بأن المعاهدة ستكون بعد ستة أشهر وأن البرلمان يغير ببرلمان آخر بعد سنة ، وكيف قدرت روحه أن تحضر محبوه الى منزله من وراء الجدران والحيطان ، وكيف يخاطبها بعد الموت . واذا لم يكن تفسير القرآن هو الذي يوضح ذلك فمن أين نعرفه ؟ ثم هذا الفتى الهندي يتمتع الآن بهذه المزية . فهل من المصلحة أن نسعى لنظيرها لأن الناس جميعا عندهم استعداد لأمثال هذا وان كانوا فيها مختلفين . فقلت له إن قولك يتضمن ما يأتي :

(١) كيف قويت روح الهندي على أن ينظر الفتاة من وراء حجاب

(٢) كيف قدر أن يحدث الأرواح

(٣) كيف يعلم الغيب والله يقول ان الحق لا يعامون الغيب وهو يقول إن الأرواح تعلمه ذلك الغيب

(١) أما قوته على رؤية الفتاة من وراء حجاب فذلك يرجع الى قوة في نفوس جميع الناس وهذه القوة

لا تتجلى إلا نادرا جدا لأن قوانا في الأرض موزعة على أعمالنا ، ألا نرى أن أرواحنا موزعة قواها على الخواص

الجنس الظاهرة والخواص الجنس الباطنة وعلى ما فيها من قوى شهوية وقوى غضبية وعواطف وعادات وأحوال

لاحصر لها ، وكل هذه مفرعات عن النفوس ، فاذا احصر المرء فكره في أمر ما نال منه على مقدار ما قسم له

وهذا الفتى حصر فكره في الفتاة وجميع السحرة في العالم من هذا الباب دخلوا ، فنفسهم حصروها في أمور خاصة بطريق خاص بهم تلقوه عن غيرهم وقد قالوا الشهوات فآثر على مقدار عزيمتهم ، وهذا الفتى ما حصر فكره إلا الحب الذي استحوذ على جميع قواه فصار هذا الجسم وحواشه الظاهرة والباطنة كأنها ملفاة لأعمالها وهذا تقدم تقريره في مواطن من هذا التفسير

(٢) وأما محادثته للأرواح فهو مفرع على ما قبله وقد تقدم تقريره في هذا التفسير كثيرا وهو مذكور شرحا تاما في كتابي ﴿الأرواح﴾ الذي ألفتة لذلك . ان النفس متى انصرفت عن أحوال هذا العالم اطاعت على عوالم أخرى

(٣) وأما جواب السؤال الثالث فهو المذكور سابقا وهو أن الأرواح لا تعلم الغيب سواء أكانت في أجسامها أم كانت مجردة منها بعد الموت ، وهذا الفتى الهندى إما أن يكون إخباره بالغيب في أمر البرلمان من قوة نفسية فيه ، وإما أن يكون بإخبار الأرواح وكلاهما ينبغي البحث فيه

نحن الآن لانعلم هل يصدق ذلك التنبؤ أم يكذب . ولم تمض الستة الأشهر ولم تمض السنة حتى نحكم بصدقه أو كذبه ، والذي ثبت في علم الأرواح انها لا تقدر أن تعرف الأحوال المهمة في الأرض وإذا أخبرت وقع الصدق والكذب فيها إلا اذا كانت أرواحا عالية تسخر بأمر فرض شريف فهذه يباح لها ذلك الإخبار فأما الأرواح الصغيرة فانها طائفة تخبر بما لاحظته من الصدق استهزاء بالسائل لأنها تحب الهزء والسخرية هذا ثم إن منزلة هذا الفتى الهندى في النوع الانسانى وأمثاله من أولئك المتبعين ليست هي المنزلة السامية . نحن خلقنا هنا في الأرض ولنا أعضاء وقوى وعقول فلا بد أن نعطيها حقها من العمل وحولنا عوالم أرضية وسماوية فلا بد أن نعطيها حقها من الدرس وحولنا نوع الانسان فلا بد من أن نكون نافعين له بقدر طاقتنا ، أما تعطيل قوانا وانسكانا على الأرواح فهذا نقص فينا كما هو مفسر في ﴿كتاب الأرواح﴾ وليس للإخبار بالغيب في عالمنا منزلة شريفة اذا صدق ولذلك قل الصدق في الاخبار بالغيب لأن الانسان اذا علم المستقبل أهمل الحاضر فنام وكسل وهذه هي سنة العوالم الأرضية ، الأرواح الصغيرة تخبر صدقا وكذبا والأرواح العالية لا تخبر إلا بالامور العالية للنافع العامة وذلك قليل ونادر ، إن عالمنا يضرب به العلم بالمستقبل فالجهل به هو السنة الصالحة في أرضنا ، وهذا الفتى الهندى هو وأمثاله اليوم لا يفيدون الانسانية أمورا عملية . نعم ربما كانت حياتهم مذكورة للناس بعوالم الأرواح ، فهم من هذه الوجهة قد أدوا خدمة وان لم يقصدوها ، ولكن العرافة والاخبار بالغيب أكثرها كذب لا يصح التعويل عليه ولو صح ذلك لسكان وبالا على الناس إذ يعلمهم الكسل والاتسكال على المستقبل ، ومن عجب أن يقول « إن الأرواح تظهر للناس في أشكال مخيفة خشية التسلط عليها لهذه العبادات » وهذا دلالة على انها أرواح من عوالم منعطة ليست راقية ، فإذا سخرت لهؤلاء الناس فهي أشبه بالاستعمار في الأرض . فالأثم التي عداها أسلحة تغزو التي لا أسلحة لها وهؤلاء ضعاف . إذن ظهورهم وافتقارهم لهؤلاء الناس وقت القراءة أشبه بمحاربة لاجبات أعمالهم فإذا تغلب الناس على تلك الأرواح استخدموها . إذن هذه الأرواح صغيرة ضعيفة يسخرها كل من قدر عليها وهذه هي الأرواح التي تكذب تارة وتصدق أخرى وإخبارها بالغيب مشكوك فيه لأنها محجوبة عن المستقبل إذ العلم بالمستقبل لا يعطى إلا لأرواح عالية الى حد مخصوص ليساعدها فيما تزاره من اصلاح العوالم الأرضية . هذا ما يعطيه علم الأرواح . فأما هذه الموهبة التي أعطيها الشاب الهندى فليست منزلة شريفة في الانسانية

وإذا قرأت ما تقدم في ﴿سورة الحج﴾ في (صفحة ٥٢) وما بعدها من الجزء الحادى عشر واطلعت على كلام الشيخ الدباغ والشيخ الخواص والشيخ الشعراى وجدت هذا المقام موضحا كل الايضاح وأن أهل الصلاح الذين اطلعوا على الامور الغائبة ليس لهم حظ في الآخرة لأنها شهوة نفسية وربما يموت الصالح مفسدا لأنه أخذ

حقته في الدنيا ، ولذلك ترى الشيخ الخواص يقول « إياك أن تقبل الفتوح والاطلاع على المنغيبات بل استمد بالله من ذلك ، وترى الشيخ الدباغ فسر لنا آيات وأحاديث بما لم يقله غيره من العلم والحكمة العالية وهو هو نفسه يقول ﴿ إن الذين يعبدون الله ويقتصدون بالعبادة هذه الأمور يصبحون أحسن نوع الانسان ﴾ فاقرا هذا المقام هناك وفي سورة الكهف عند قوله تعالى ... وما كنت متخذ المضلين عضدا - وفي موضع آخر قبله في نفس السورة . وإذا كان العباد والمجاهدون إذا قرؤوا القرآن وتعبوا الله هذه المقاصد مذمومين فما بالك بهذا الشئ الذي قصد من التجرد أن يخاطب محبوبه . ثم ان القرآن لم ينزل لمثل هذا ، كلا ثم كلا . على أن حصر النفس واحضار الأرواح لا يتوقف على القرآن ولا على كتاب سناوى بل حصر النفس يحصل بأمور كثيرة ومنها اتصاله بذلك الشيخ ومنها تلك العزائم التي تشتمل على ألفاظ لا يفهمها القارئ وهو مشغول بقراءتها فليس المقصود من قراءة القرآن أمثال هذا بل هو نزول تهذيب النفوس وإصلاح الأمم لا إخراجنا من الجسمية الى حال الروحية مرة واحدة . هذا ما أعلم في هذا المقام - وفوق كل ذى علم عليهم . فقلت الحمد لله رب العالمين كتب نصف الليل يوم ٢٣ يناير سنة ١٩٣٠

\*\*\*

فلما أتممت هذا المقال جاء الى أحد الاخوان وقال انظر انظر الى ما جاء في مجلة « الدنيا المصورة » بتاريخ يوم الأحد ١٣ ابريل سنة ١٩٣٠ م وقرأ ما نصه

### ﴿ قوة الإرادة تنتج أعمالا خارقة ﴾

( كيف يسلط المشعوذون قوى ارادتهم فيأتون بالغرائب والمدهشات )

لاشك أن في الانسان من القوى المعنوية المجهولة ما لم يستطع العلم بعد الوقوف على سرها أو كشف حقائقها ففي الناس من سمعنا عنهم أن نافورة من المياه المتدفقة تخرج من بين أصابعهم ساعات وأيام بلا انقطاع ، الى أن يباغ حجمها أضماف حجم الجسم الذي تخرج منه لو فرضنا أنه استحال كله ماء . ومنهم من يضع نفسه في صندوق محكم الغلق وبقي فيه مسدود الانف والمناسف عدة أيام وليال ثم يخرج منه كأن لم يكن في الأمر شئ . ومنذ آلاف السنين عرفت قوة الادارة واستعملت ولكن في دوائر محدودة وبين أفراد قليل جسد ، على النحو الذي يمارسه فقراء الهنود إذ ينامون على المسامير والحراب دون أن يشعروا بألم ، ويمزقون جلودهم بالمدى والأسنة دون توجع أو أتين

### ﴿ عملية جراحية بدون مخدر ﴾

ويقول علماء هذا العصر ان كل انسان يملك هذه القوة التي نرى أنها خارقة ، وكل ما عوزة هو تنميتها وتدريبها . فقد حدث أخيرا في أحد المستشفيات أن مريضا رفض أن يتعاطى مخدرا قبل اجراء عملية جراحية خطيرة ، وطلب الى الطبيب أن يقوم بعمله رأسا ، بعد أن تمكن بقوة ارادته من أن ينام نوما لم يشعر في غضون به مضاع الجراح . وقد فحص الأطباء بعض ذوى قوة الارادة فقرروا أنهم استطاعوا أن يزيدوا عدد النبض العادى أو يقللوه كإبر يدون ، بل تمكن بعضهم من أن يوقف دقات القلب زمانا

### ﴿ طهرا بك في لندن ﴾

لقد كان الناس يعدون فقراء الهنود الى عهد قريب دجاجة يفشون ويتخدعون ويكذبون فيما يظهر به من الخوارق ، ولكن العلم الحديث يمتدح بأنهم ليسوا كذلك ، انما هم قوم ذوو قوة إرادة مافذة وسيطرة عقلية على الجسم جميعه . ولعل القراء يذكرون ما عرضه « طهرا بك » في مصر من مدة قريبة ، وقد عرض هذا الرجل كثيرا من أعماله الخارقة في لندن فلم ير الاطباء أن فيها شبهة الكذب والخديعة . ذلك أنه دعا أربعين

طبيبا انجليزيا وأجلسهم معه على المسرح الذى كان يشغل فيه ، ثم غرز سكيننا عادة في أجزاء من جسمه كان يسيل الدم منها وينجس تبعاً لإرادته . ثم استلقى أمام الأطباء على لوحة من المسامير المدببة وأوقف رجلاً ضخماً على صدره دون أن يشعر بأى ألم ، ولما نزل الرجل جىء بشجر كبير وضع مكانه ووقف رجلان يقناوبان ضرب هذا الحجر بفأس حتى تسكسر على صدر « طهرا بك » الذى قام بعد ذلك سليماً معافى . وقد فحص الأطباء ظهره فوجدوا به آثار دخول المسامير فيه ، ولكنهم لم يروا أثراً نقطة دم مہرقة . وقد ظهر في برلين في العام الماضى رجل قام بأمثال هذه الاعمال جميعها وزاد عليها أنه كان يظهر للجماهير صليبا داميا على أديم ظهره ثم يخفيه ويهود الى اظهاره حسب إرادته . وقد قل هذا الرجل إنه رسم بموسى حلقة صليبا على ظهره بحيث لا يمكن أن تراه العين . حينما كان يريد اظهاره للناس يسلط بقوة إرادته على الدورة الدموية فتدفع الدم الى خطوط ذلك الصليب ، فيظهر للناس دما يارهيبا ، ثم يأمر الدورة الدموية بقوة إرادته فتمتص الدم من الصليب فتتمحى آثاره

### ﴿ يشنق نائم ﴾

وقد أمكن تحليل مكان عدم الشعور بالألم باستعمال قوة السيطرة العقلية على الجسم . بمآزاه في التنويم المغناطيسى حيث لا يشعر النوم بأى ألم تحدته به أو توجع لما يصاب به أثناء نومه . وأغرب من هذا ما حدث في مدينة شيكاغو إذ شنق شاب اسمه هارفى شيرش وهو نائم . فقد حوكم هذا الشاب ، من أجل حادثى قتل فظيعتين ثبتت أدانته فيهما وقضى عليه بالإعدام شنقا . وقد غلب الخوف والفرع ذلك السفاح ، فعمد الى السيطرة على نفسه ببطء الى أن غدا لا يشعر بشئ مطلقا مما حوله ، ولبت نائما في سبات عميق عدة أيام قبل تنفيذ الحكم وأخفقت كافة المحاولات لايقاظه ، وحل يوم التنفيذ غائب الوعى الى المشقة حيث شنق وهو في غيبوبة وعدم شعور تامين . وهذا مما يعزز صدق الافعال التى يقوم بها فقراء الهنود وغيرهم ، إذ أن السيطرة على الجسم بقوة الإرادة ، وتركيز القوى المعنوية الخفية ضد الشعور بالألم ، كل هذا يزعم اعتقادنا بأن هناك قوة غير طبيعية وخوارق شاذة ليس في مقدور البشر حل مبهماتهما

### ﴿ تخونه إرادته ﴾

وقد فحصت لجنة طبية في بومباي « الهند » فقيرا استطاع أن يوقف النبض في أحد ذراعيه دون الآخر وتمكن من أن يوقف دقات قلبه لمدة ستة ثوان حينما أمسى قلبه بذلك . وقد استطاع أيضا أن يوقف حركة التنفس بضع دقائق وبقى بعد ذلك حيا . على أن قوة الإرادة التى تمهد ل هؤلاء الناس التغلب على هذه الاشياء الخطيرة ، قد تخونهم في أخرج المواقف فلا يكون نصيبهم منها أقل من الموت ، كما حدث للفقيه « بلا كان » . فقد مارس هذا الرجل لعبة المكوث مدفونا تحت الرمل في أحد المسارح دون تنفس بضع ساعات ، وأجرى هذه اللعبة عشرات ومئات المرات كان يقوم بعدها دون أن يصاب بشئ . ولكن حدث مرة ، وهى الأخيرة أن أخرجه بعد المدة المقررة . وقد فارق الحياة . فقد خانت الرجل قوة إرادته في أرباب موقف وأخطر ساعة

### ﴿ الموت والحياة بالإرادة ﴾

ومن الممكن أن تتأثر الحياة والموت بالإرادة ، ويعزز هذا القول ما رواه أخيرا الماجور سميت حكمدار بوليس مستعمرة الساحل الذهبى في افريقيا ، ذلك أن أحد كبار الوطنيين المتعلمين ، تأثر من مشادة وشجار حدثا بينه وبين أحد مواطنيه فأعمل إرادته في نفسه ومات في اليوم التالى ، دون أن يكتشف الأطباء أى سبب لوفاة أو أى أثر لمرض فيه . انتهى

فقلت له : انك لم تفعل شئاً . ماهو إلا تكرار لما كتبناه هنا وهو ملخص ما كتبناه في نفس هذا الموضوع في « سورة الاسراء » وشرحنا نفس هذا الشرح في ( طهرا بك ) المذكور وفي الرجل الألماني .

فقال : حقاً أنت قلت نفس هذه المعاني . فقلت : فاجد الله على العلم والحكمة . اللهم إنا نحمدك على الحكمة والعلم واثارة أعم الاسلام في هذا الزمان

### ( المبحث الثاني )

#### ( من الفصل الثالث )

( في سبأ وسيل العرم وعجائب العلم والكشف الحديث )

قد ذكرت لك في أول السورة أن قوله تعالى - يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها - واختصاص ذلك بهذه السورة ابذان بما حدث في هذا العصر من العلم والحكمة وظهور آثار عربية في البلاد السبئية فبعلمه نزلت في أرض سبأ وخبثت في أرضها وبعلمه سبحانه استخرجت من أرضها وأظهرت النقوش في أحجارها سبحانه ربنا . قد كنت كتبت الفصل الثاني من تفسير هذه السورة منذ سنين وهو موجز السورة ولم أكن إذ ذاك لأطلع على ما عرفه الاورو بيون عن بلاد سبأ فكان القول اجاليا والعلم استنتاجيا . ثم ان العوائق وقفت في طريق اتمام التفسير ونشره نحو عشرين سنين فاطلعت في أثناءها على الكشف الحديث المصدق للقرآن العجيب البيان . فلما أن أذن الله بالتفسير الآن أخذت أكتب ما رأيته وألخص ما علمته

علم الله بخزائن الأقدمين من أمنا العربية وطمعها في الأرض أجيالا وأجيالا فعاملنا معاملة الأيتام مات عائلهم والجهال غاب سائسهم وكثر اليتيم لا يسلم له إلا عنسد بلوغه . لقد مضى على المسلمين زمن كانوا فيه غير راشدين بعد الخلفاء الراشدين بأجيال فعميت عليهم آثار آبائهم وناموا في كهفهم لا ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا بل ستمائة سنين وازدادوا ثمانية عشر

نام المسلمون واستيقظ الغريبيون وأخذوا يحلون الرموز ويكشفون الكنوز وقرؤا التوراة ، قرؤا فيها آثار اليمين فهاهم بالآثار والمسلمون قرؤها في سبأ فلم يلقوا لها بالا ، فهم كالغلامين في المدينة والكنز تحت الحائط ، فأمر الخضر عليه السلام أن يظهر الكنز وهو مال مخزون وعلم منقوش ، هكذا المسلمون يتأخروا وقد خزن في بقاعهم العلم والمال فلم يسلمه الله لهم ، ولكنه اليوم أراد سبحانه أن يسلم اليهم الأمانة فأرسل أولا علماء الفرنجة فأسوا خلال البلاد اليمنية واطلعوا على الخزائن الخفية والنقوش الجيرية والكتابة السمارية فوجهوا لبلادهم ناشرين واصور أعمال أجدادنا مظهرين وهاهوذا سبحانه أراد ولاراد لقضاه أن يظهر القرآن بالمظهر العلمي للعالم الاسلامي ويعلم أبناء المسلمين أن كتابنا الكريم يحضنا على بحث أعمال الأقدمين وان من لم يشكر النعمة بتقبلها وحفظها يسلبها الله منه ، بل أقول فوق ذلك إن ذكر هذا المقال في التفسير الآن من علامات اقبال الدهر على أمة الاسلام ، سيقرا هذا الشبان المسلمون والشيخوخ الشرفيون فقهتهم نفوسهم أن يرجعوا بمجدهم ويحفظوا كنزهم ويدرسوا ما كن في أرضهم ، سيكون ذلك في مصر وفي سوريا وفي العراق وفي اليمن ، وسيتولى البحث على هذا علماء الدين ، كيف لا . ألم تسم السورة باسم سبأ . ألم يذكر الله قصتها هنا ، نعم فبعلم الله وضعت الكنوز ورسمت النقوش ، وبعلم الله أخرجت واستخرج وبالوحي على رسول الله أنزل القرآن وفيه هذا السر المصون ، وبعلم الله جاء أمثال هذا التفسير ، فليشر المسلمون باقبال الأيام وظهور الحكمة والعلم في الاسلام ، فلا شرع في المقصود في هذا المقال ولأجعله ﴿ ثلاثة مقاصد ﴾ الأول ﴿ في الكاشفين لآثار سبأ ﴾ الثاني ﴿ في الكلام على مدينة مأرب ﴾ الثالث ﴿ في الكلام على سد العرم

### ( المقصد الأول في الكاشفين لآثار سبأ )

قد ذكرت لك في أول السورة أن أول من خطر له ذلك العالم الألماني (ميخائيلس) وهو عالم بالفلسفة

واللاهوت ومات سنة ١٧٩١ م وكان يميل الى نبد التقليد ويتب أهل النظر وهو المقترح على ملك الدينارك ارسال البعثة الى اليمن سنة ١٧٥٦ ليحقق ما في التوراة من المسائل المتعلقة بجغرافية الشرق وعادات الشرقيين  
 ياغبيا : انظر كيف أهدم الله الأمم أن تحفظ التوراة التي هي مجموع حوادث وقصص وكم فيها من خطأ ، ولكن الله لا يبقى شيأ إلا حكمته . فانظر كيف كانت التوراة سببا في حب هذا العالم لكشف آثار اليمن .  
 انظر كيف أحب القوم دينهم ولودخل قصصه التعريف . ومن حب الدين والمطالعة أحب كشف بلاد آياتنا . فإذا يقول المسلم بعد هذا . المسلم الذي يقرأ سورة سبأ والعرب في المسلم ربما كان من نسل سبأ . بل العرب في مصر والشام والعراق وشمال افريقيا والجزائر يمتون بالنسب والجوار واللغة الى سبأ إذ الجميع عرب فهذه الأمم كلها لم تفكر في آياتها ولا في بلادها ولا في آثار دينها . ثم يجيء (ميخائيلس) فيقول (لفريدريك الخامس) ملك الدينارك : **﴿ شكل لجنة والبحث عن آثار سبأ ﴾** فأجابه الملك وأرسل خمسة علماء رئيسهم عالم اسمه (كارستن نيبوهر) . لماذا ؟ لتحقق ما في التوراة عن اليمن . فإذا تم لهذه اللجنة ؟ سافرت في سنة ١٧٦١ الى الاسكندرية وصرت بمصر ووصلت اليمن سنة ١٧٦٢ م . فإذا حصل ؟ ماتوا بالتدريج من المشاق والعطش إلا الرئيس فرجع وألف كتابا ونشر في أوروبا وقال انه عثر على (مدينة ظفار) و (حدافه) وفيهما نقوش يجهل اليهود والعرب حلها . ثم سافر (زسن) الألماني الى اليمن سنة ١٨١٠ فعثر في ظفار على ثلاثة نقوش وفي (مخا) على خمسة وهو في كل ذلك معرض للموت من عرب اليمن . ثم سافر ضابط انجليزى اسمه (ولستد) سنة ١٨٣٨ م فعثر على نقوش حجرية في قلعة يقال لها (حصن غراب) ووجد هو ومن معه نقوشا من نفس مدينة مأرب التي كان فيها السد المشهور . ثم ذهب العالم (ارنو) الفرنسي سنة ١٨٤٣ وعاد معه (٥٦) نقشا كما تقدم من صنعاء والحريه ومأرب وحرم بلقيس ، وكان (ارنو) هذا صيدا لاما لصنعاء فأشار عليه أحد أصحابه أن يحتال للوقوف على آثار مأرب التي يتحدث الناس عنها في أوروبا والمسلمون لا يعلمون عنها شيأ مع انهم في أرضها ، فاحتال بحيلة : وذلك انه أظهر الفقر والمسكنة للبدو واصطحب مع قافلة فقاسى في تلك الرحلة العذاب والشدائد من الخوف والتعب ، وذلك انه مع غناه وثروته الطائلة قد تواضع لهؤلاء وهم يجهلون أمره فكانوا يكفونه مالا يطيق من الأعمال والمشاق ، ولم يتركوا له فرصة ينسخ فيها النقوش أو يطبعها فكان يفعل ذلك سرا تحت خطر القتل حتى أصيب برمد فعاد الى صنعاء أعرج فأرسل ما كان نسخه الى صديقه (فرسنل) فنصل فرنسا بجده الذي أشار عليه بذلك ، وقد نشرت أخبار تلك الرحلة بالجملة الاسيوية ، وفي بعض الأجزاء خريطة سد مأرب ، وهو أول من تمكن من مشاهدة تلك الآثار وقد حل العلماء نقوش (ارنو) سنة ١٨٤٥

ثم شككت **﴿ جمعية الآثار السامية ﴾** واهتم بذلك ناظر المعارف بباريس فأرسل المستشرق (هاليفي) سنة ١٨٦٩ م مهندبا بمن قبله فرجع ومعه (٦٨٠) نقشا وهو في ذلك خائف وجل من العرب ، وكان يتظاهر وهو ينقل النقش بأنه راقد أو بأنه يصلى صلاة الاسلام . كل ذلك خوفا أن يقتله العرب . واطلع (هاليفي) على بلاد الجوف مع ان علماء الجغرافيا يجهلون أهل صنعاء لا يعرفونها مع قربها منهم . ثم اطلع على بلاد (معين) عاصمة دولة المعينيين ولم يأت ذكرها إلا في كتب اليونانيين

ثم سافر العالم الألماني (ادوارد غلازر) ونقل ألف نقش من مأرب وغيرها وفي بعضها تاريخ سد مأرب واصلاحه . ثم سافر الى اليمن غير هؤلاء علماء فأتوا من فرنسا والنمسا . وبالجملة فان في متاحف أوروبا الآن عددا كبيرا من آثار اليمن منها ما هو منقوش على البرونز والألواح والأحجار تزيد على ألفين قد نشر منها كثير في المجلات الألمانية والفرنسية والانكليزية

هذه صورة ما كشفه الاوروبيون من آثار اليمن ذكرتها ليفطن المسلمون وليقوم فيهم الخطوة والحية وليكونوا أمة عالية الشأن وليغاروا على مجدهم ودينهم . انتهى المقصد الأول

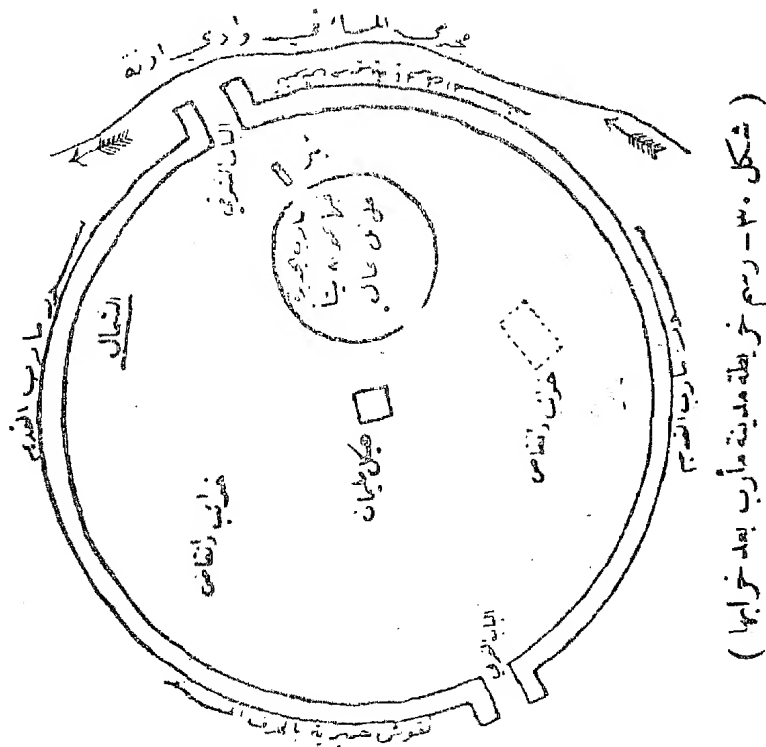
### ( المقصد الثاني في الكلام على مدينة مأرب )

اعلم أن اليعقوبي في القرن الثالث الهجري ذكر مخاليف اليمن التي كانت في عصره . وجاء الهمداني في كتابه « وصف جزيرة العرب » ففصل تلك المخاليف وقرأها وأوديتها وجبالها وهذا الكتاب أوثقي مصادر الكتب العربية وأوفاه . وأهلك تريد فهم المخاليف فأقول لك :

إن المخلاف وجهه مخاليف أشبه بما يقال له ( مديرية ) بالقطار المصري كالأكورة عند قدمائنا أو الرستاق ويحكمه ملك صغير يسمى ( قيل ) جمعه أقيال . والمخلاف يشتمل على محافد جمع محفد أشبه بالمركز في بلادنا المصرية فكل مخلاف مقسم إلى تلك المحافد والمحفد الواحد عبارة عن قصور والقصر الواحد كالقلعة أو الحصن ويعرف صاحب المحفد بلفظها ( ذو ) فيقال ذو غمدان وذو ميمين وهؤلاء الحكام يسمون الأذواء أو الذوين كاللوردات في أوروبا وقد يتغلب رجل منهم فيسمى نفسه ملكا عليهم جميعا ويتوارث الملك بنوه والذي عرف الآن ثلاثة الدولة المعينية والسبئية والحديرية وهي الدول الكبرى . أما الدولة المعينية فلا شأن لنا فيها . وأما دولة سبأ فهي الدولة التي نحن بصددنا الآن . واعلم أن التاريخ الذي وصل لنا عن تلك الدول غير موثوق به وهو مبهم وغير منظم . وإنما يقال إن قطان أبو اليمن كلها وقد أتى من جهة بابل وتعلم اللغة العربية من العرب البائدة . ولعل القططانيين لما جاؤا من بلاد ما بين النهرين وهم لم تدنسهم المدنية والترف اختلطوا بالعرب البائدة وتعلموا منهم على طول القرون والسنين ثم عدوا عربا . وقد ثبت الآن أن أهل سبأ أنشأوا دولة عظيمة وبلغ عدد ملوكها الذين قرؤهم على آثار مأرب وصرواح وغيرها بضعة وثلاثين ملكا . وقد حقق بعض العلماء أن دولة سبأ ابتدئ سنة ٨٥ ق م وتنتهي سنة ١١٥ ق م ثم ظهرت دولة حير . أما دولة حير فقد كانت من سنة ١١٥ ق م إلى سنة ٥٢٥ ب م وآخرها دونواس وحكمها ٤٦ سنة ثم دخل الحبشة

ودولة سبأ التي كلامنا فيها كانت عاصمتها لما اتسع ملكهم ( مأرب ) التي كشفت حديثا بعد نقلها من ( صرواح ) وقد وجد في نقشها رسم ملك اسمه ( يثعمر ) وهالك رسم خريطة مدينة مأرب ( انظر شكل ٣٠ )

### ✽ خريطة مدينة مأرب بعد خرابها ✽



( شكل ٣٠ - رسم خريطة مدينة مأرب بعد خرابها )



هذه خريطة مدينة مأرب القديمة وتسمى (عاصمة سبأ) وقد عرفت أن لها بابين أحدهما شرقي والثاني غربي  
\* قال الشاعر

ومأرب قد نفقت بالرغام وفي سقنها الذهب الأحمر  
وهناك أشعار كثيرة قيلت فيها أعرضنا عن ذكرها . وهناك على مسافة نصف ساعة من مأرب نحو  
الشرق الشمالي أنقاض بناء عظيم يقال له (حرم بلقيس) وهو غير قصر بلقيس  
ها أنت ذا رأيت خريطة مدينة مأرب عاصمة سبأ التي ذكرها الله في القرآن ، ثم انظر في كتب التاريخ  
العربية هل تجد لدولة سبأ ذكرا ؟ هل هناك دولة اسمها سبأ . كلا . انظر كيف يقولون « إن عرب اليمن ينسبون  
الى يعرب بن قحطان » ويعرفون بالعرب المتعربة لأنهم توارثوا أى اتبسوا اللغة العربية من العرب العاربة  
وهي البائدة ، ويقولون إن بنى قحطان لما نزلوا اليمن كان فيها بقية من العرب العاربة والملك والقحطانيون  
كانوا لا يعرفون الملك والتعرف ثم كثروا وزاحوا العرب العاربة فأبادوهم وأنشأوا الدولة القحطانية على أنقاض  
البائدة ويقولون إن أول ملوكهم يعرب بن قحطان غلب على قوم عاد في اليمن والعمالة في الحجاز وولى اخوته على  
جميع أعماله ، فولى جرهما على الحجاز وعاد بن قحطان على الشجر وحضر موت بن قحطان على جبال الشجر  
وعثمان بن قحطان على عمان (انظر ابن خلدون) وبعده ابنه يشجب بن يعرب ثم عبد شمس وهو سبأ  
لأنه كان كثير السبي ، وهو الذي بنى السد المشهور في أرض مأرب ، وخلفه سبأ المذكور وأولاداً منهم حجير  
وكهلان ، ولما مات سبأ خلفه ابنه حجير مؤسس دولة حجير ودولة حجير (طبقاً) الملوك والتبابعة وملوك حجير  
آخرهم (الحارث الرائي) وهو أول التبابعة ، ويقول بعضهم إن بين حجير والحارث الرائي (١٥٠) عاماً  
اقصيدة الحيرية عددهم جميعاً (١٦) فقط وجعلها أبو الفداء (١١) وابن خلدون (٨) والمسهودي (٥)  
وأما التبابعة عند مؤرخي العرب قدمائنا فأولهم الحارث الرائي وآخرهم (ذو جدن) وعددهم (٢٦)  
تبعا حكموا (١٧٠٠) سنة

وهناك خطأ وخط في هذه السنين والأعداد كما قاله نفس المؤرخين . ولعلك تقول ما لنا ولهذا التحققي  
والتدقيق وما لتفسير القرآن وأمثال هذه الجداول . أقول على رسلك : فكفر في أسماء الدول ، هل رأيت هناك  
دولة تسمى (دولة سبأ) . كلا . وإنما هي دولة حجير الذي أبوه سبأ ودولة حجير بعد قرون انقلبت الى التبابعة  
فاللثة كلها تقرب من أربعة آلاف سنة ما بين حجير بنى وتبابعة ، والتبع هو الملك الذي تبعه ملوك كالأباطور  
الآن ، وليس هناك في تاريخ أسلافنا دولة سبأ التبعية ، انظر كيف ذكر القرآن (سبأ) ولم يذكر حجير ، خلف  
القرآن قول المؤرخين ، خالفهم كل المخالفة وجاءنا بدولة (سبأ) اظهاراً للحقيقة ، ولقد ظهرت الآن وتبين أن  
دولة سبأ هي التي أعارت على أمة يقال لها (معين) لم تذكر في التاريخ وهذه الدولة عميرت طويلاً كما رأيت  
وانتقلت العاصمة من مأرب الى ريدان وهي ظفار بتقلب الحيريين على الملك . من هنا تبين لك أن القرآن  
يوافق الكشف الحديث ، وقد كان ذلك مجهولاً (١٣) قرناً وظهر الآن فهو من المعجزات للقرآن . انتهى  
المقصد الثاني

### ( المقصد الثالث في الكلام على سد المرم )

قد عرفت مدينة مأرب وأنها كانت عاصمة دولة عظيمة وهي دولة سبأ ، وترى في الجنوب الغربي من  
مأرب سلسلة جبال متشعبة من جبل السراة تمتد مئات الأميال نحو الشرق الشمالي ، وبين هذه الجبال متسع  
عظيم يتجه الى واد كبير يقال له (الميزاب الشرقي) فإذا أمطرت السماء على تلك الأقطار انتهت أخيراً الى  
وادى (أذنه) وهو يعلو (١١٠٠) متراً عن سطح البحر فتسير فيه المياه الى مكان قبيل مأرب بثلاث ساعات

وهو مضيق بين جبلين يقال لكل منهما بلق ، أحدهما الأيمن والآخر الأيسر كما عبر القرآن وأخذها منه  
المرحوم (جورجي زيدان) والمسافة (٦٠٠) خطوة بينهما ، والسيل يجري بينهما من الغرب الجنوبي الى  
الشرق الشمالي في واد هو (وادي أذنه)

ولما كان هذا الماء يجري من الجنوب الى الشمال بلا فائدة فسكر السبييون في ذلك فبنوا (سد العرم)  
في المضيق بين جبلي (بلق) وبين المضيق والمدينة (٣٠٠) ميل مربع فأصبحت جنانا بسبب هذا السد ،  
وهذا السد طوله من الشرق الى الغرب ثمانية ذراع وعاهه بضعة عشر ذراعا وعرضه (١٥٠) ذراعا  
وثلثه الغربي وهو الأيمن لا يزال باقيا لآذن معجزة للقرآن (انظره في الخريطة) والثلاثان الباقيان فاض  
الماء منهما وهجزوا عن ترميمهما . وترى النقط في الخريطة لحدتيهما . ومماثل العرم إلا كمثل الخزانات التي  
تصنع اليوم في مكوار على النيل الأزرق وجبل الأولياء على النيل الأبيض وخزان (اصوان) فيعالماء فيسقي  
الأرض . وإذا ترك ذهب الى البحر الأبيض المتوسط كما يجري الماء بين الجبلين هناك ويذهب في الشمال  
والرمال بلا فائدة

هذا وقد عثر الباحثون على ﴿ نقشين ﴾ أحدهما ﴿ على الصدف الأيمن وهو ﴾ ان يشعمر بين بن  
سمهلي ينوف مكرب سبا خرق جبل بلق و بنى مصرة رحب لتسهيل الري ﴾ والنقش الثاني على الصدف  
وهو ﴿ ان سمهلي ينوف بن ذمر على مكرب سبا اخترق بلق و بنى رحب لتسهيل الري ﴾ فأحدهما ابن  
الآخر وكما في القرن الثامن قبل الميلاد وهكذا يتوالى ما لك سبا ثم بناؤه . ولما أعياهم حفظ السد تفرقوا  
في البلاد كما ذكره القرآن

قال الأصفهاني « إن السد تهتم قبل الاسلام بأربع مائة سنة » وقال ياقوت « انه هدم في نحو اقرن  
السادس للميلاد » أي قبيل الاسلام ويؤخذ من كلام ابن خلدون انه تهتم في القرن الخامس للميلاد ولطائل  
في هذا النقل إلا معرفة ما قاله المؤرخون

### ﴿ الهمداني وسد مأرب ﴾

إن وصف الهمداني لسد مأرب مطابق للكشف الحديث وربما كان يقرأ المسند . قد ذكر الآية - لقد  
كان لسبأ - الى قوله - ورب غفور - . قال : ﴿ إن سبأ كثيرة الجباب والجنات عن يمين السد ويساره  
وهما اليوم غامرتان أي لازرع فيهما . وانما عفتا لما اندحق السد فارتفع عن أيدي السيول . وذكر انه  
وجد جذع نخلة أسود فقال من معه له انه بقي من مزارع الجنتين . فأما هو فقال لا أظن ذلك . قال ورأيت  
مقاسم الماء من مداخل السد فيما بين الضياع قائمة كأن صانعيها فرغ من عملها بالأمس . ورأيت بناء أحد  
الصدفين وهو الذي يخرج منه الماء قائما بحاله على أوثني ما يكون ولا يتغير إلا ان شاء الله . قال وقد بقي  
من العرم شيء مما يلي الجنة اليسرى يكون عرض أسفله (١٥) ذراعا ﴿

وقال تبارك وتعالى - فاعرضوا فارسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم ذوائب أكل خبط وأثل  
وشئ من سدر قليل - قيل الخيل الاراك والأثل الطراف والسدر المعروف وهو العلب وبها من الاراك ما ليس  
ببلد . ومن الحمام المطوق في الاراك ما يجلب عن الصفة . وكان السيل يجمع من أماكن كثيرة ومواقع  
باليمن (من عروش وجوانب ردمان وشرعة ودمار وجهران وكومان واسبيل وكثير من مخاليف خولان) والوادي  
اسمه (اذنة) وفي هذا السد يقول الأعشى :

كفى ذاك للثؤنسي أسوة \* ومأرب قفى عليها العرم  
رخام بناه له حسير \* اذا جاء مأوهم لم يرم  
فأروى الحرث وأعناهم \* على ساعة مأوهم ينقسم

فعاشوا بذلك في غبطة \* فخارهم جارف منهزم  
فطار القيول وقياها \* ييهما فيها سراب يطم  
وكان الهرم مسندا الى حائط مابين عضاد بالمنخر بهاذيب من الصخر عظام ملجمة ملبس الأساس بالقطر  
اذنى كلام الهمداني

وظل الناس مع ذلك في شك من أصل هذا السد حتى تمكن المستشرق الفرنسي أرنو من الوصول الى مأرب سنة ١٨٤٣ وشاهد آثاره ورسم له خريطة نشرت في المجلة الآسيوية الفرنسية سنة ١٨٧٤ وزار مأرب بعده هالبي وغلاز وروافقه في قوله وصادقا على وصفه وهو يطابق ما قاله الهمداني من أكثر الوجوه . وعثروا في أثناء ذلك على نقوش كتابية في خرائب السد وغيره تحققت بها خبره وأكثرتهم اشتغالا في هذا السبيل غلازرو بين الأساطير التي وقت عليها اثنتان جاء فيهما خبر ترميم السد في زمن الأحباش بالقرن السادس للميلاد فبدل ذلك على أنه ظل قائما الى قرب ظهور الإسلام . ولعل السبب في نسبة بنائه وتهدمه الى عصور مختلفة وأشخاص مختلفين كثرة تصدعه وترميمه فكانوا يعدون كل تصدع تهدما وكل ترميم بناء  
و بعد ما قدمناه من أقوال المؤرخين والنقابين بشأنه يحسن بنا الاتيان على أصل وضعه وما هو عليه الآن  
ويوضح ذلك (شكل ٣١ و (شكل ٣٢) الآتيان قريبا

﴿ أصل وضع سد مأرب ﴾

في الجنوب الغربي من مأرب سلسلة جبال هي شعاب من جبل السراة الشهير تمتد مئات من الأميال نحو الشرق الشمالي . وبين هذه الجبال أودية تصب في واد كبير يهر عنه العرب بالميزاب الشرقي وهو أعظم أودية الشرق تميزه عن ميزاب مور أعظم أودية الغرب المشعبة من جبل السراة المذكور . وشعاب الميزاب الشرقي كثيرة تتجه في مصابها ومنحدراتها نحو الشرق الشمالي . وأشهر جبالها ومواضعها في ناحية رداع العرش وردمان وقرن والجبال المشرفة على سويق وفي ناحية ذمار بلد عنس جميعا وهو بخلاف واسع وبه بينون ونكر وفيها المحافد العنسية وبلد كومان وبلد الحدا وجبل أسبيل ورجة وجبال بني وابس من مراد وغيرها وبخلاف ذي جرة وجهران وهران ومساقط بلد خولان من جنوبية ومانيامن من القحف (١)

فشعاب هذه المواضع وأوديتها اذا أمطرت السماء تجتمع فيها السيول وانحدرت حتى تنتهي أخيرا الى وادي أذنة وهو يعلو نحو ١٠٠ ، ٩ متر عن سطح البحر فتسير فيه المياه نحو الشرق الشمالي حتى تنتهي الى مكان قبل مأرب بثلاث ساعات هو مضيق بين جبليين يقال لكل منهما بلق عبرنا عن أحدهما بالأيمن وعن الآخر بالأيسر والمسافة بينهما ستائة خطوة (أو ذراع) ويسميهما الهمداني مأزهي مارب يجرى السيل الأكبر بينهما من الغرب الجنوبي الى الشرق الشمالي في واد هو وادي أذنة

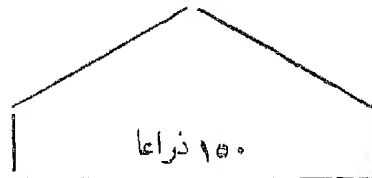
واليمن مثل سائر بلاد العرب ليس فيها أنهر وانما يستقي أهلها من السيول التي تجتمع من مياه المطر . فاذا أمطرت السماء فاضت السيول وزادت مياهها عن حاجة الناس فيذهب معظمها ضياعا في الرمال . فاذا انقضى فصل المطر ظمى القوم وجفت أغراسهم فكانوا إما في غريق أو في حريق قلما ينتفعون حتى في أيام السيل من استثمار البقاع العالية على منحدرات الجبال . وقد يفيض السيل حتى يسطو على المدن والقرى فينالهم من أذاه أكثر مما ينالون من نفعه . فسائقهم الحاجة الى استنباط الحياة في اختزان الماء ورفعها الى سفوح الجبال وتوزيعه على قدر الحاجة . فاختر السبايون المضيق بين جبلي بلق وبنوا في غرضه سوراعظما عرف بسد مأرب أو سد الهرم الذي نحن في صددده لرى ما يجاور مدينتهم (مأرب) من السهول أو سفوح الجبال والجبلان المذكوران بهمدان تقاربا عند بلق بنفرجان ويتسع الوادي بينهما . وعلى ثلاث ساعات منهما نحو

(١) الهمداني ٨٠

الشمال الشرقى مدينة (مأرب أو سبأ) في الجانب الغربى أو الايسر من وادى اذنة . فإذا جرى السيل حاذى بابها الشرقى (راجع الخريطة شكل ٣٠) وبين المضيق والمدينة متسع من الارض تبلغ مساحة ما يحيط به من سفوح الجبال نحو ٣٠٠ ميل مربع (١) كانت جرداء قاحلة فاصبحت بعد تدبير المياه بالسدغياضا وبساتين على سفحى الجبلين وهى المعبر عنها بالجنتين بالشمال واليمين أو بالجنتى اليمنى والجنتى اليسرى

رسمه وكيف ينصرف الماء منه

والسد المشار اليه عبارة عن حائط ضخيم أقاموه في عرض الوادى على نحو ١٥٠ ذراعا (أو خطوة) نحو الشمال الشرقى من المضيق وسموه «العرم» وهو سد أعظم طوله من الشرق الى الغرب نحو ثمانمائة ذراع وعرضه بضعة عشر ذراعا وعرضه ١٥٠ ذراعا . لا يزال نحو ثلثه الغربى أو الأيمن باقيا الى الآن كما ترى في الخريطة شكل ٣٢ (ج د هـ) وأما الثلثان الباقيان فهما اللذان تفجرا وفاض الماء منهما وعجزت الدولة عن ترميمهما وجرفت السيول انقاضهما . وقد نقطنا حديهما بالخارطة ليظهر امتداد السد على طوله كما كان في أصله بعرض الوادى ويظهر مما شاهدوه في جزئه الباقي انه مبنى بالتراب والحجارة ينتهى أعلاه بسطحين مائلين على زاوية منفرجة تكسوهما طبقة من الحصى كالرصيف يمنع انجراف التراب عند تدفق المياه ولوقطعت ذلك الحائط أو السور قطعا عرضيا لسكان شكل مقطوعه على هذه الصورة



فالعرم يقف في طريق السيل كالجبل المستعرض ويصد عنه الجرى فتجتمع مياهه وترتفع مثل ارتفاعها في خزان أصوان بأعلى النيل . وينتهى العرم في طرفيه بمصارف للماء يختلف شكلها وأساليبها عن مصارف خزان أصوان . وذلك أن الذين هندسوه جعلوا طرفيه عند الجبلين أبنية من حجارة ضخمة متينة فيها منافذ ينصرف منها الماء الى احدى الجنتين اليمنى أو اليسرى

فانشأوا عند قاعدة الجبل الايمن (الشرقى الجنوبي) وهو جبل بلق الايمن بنائين بشكل الخروط المقطوع (١ و ٢) علو كل منهما بضعة عشر ذراعا سموهما الصدفين أحدهما (١) قائم على الجبل نفسه والآخر (٢) الى يساره وبينهما فرجة عرضها خمس أقدام . وقاعدة الايمن منهما تعلو قاعدة الايسر ثلاث أقدام (انظر رسمهما في طرف الخريطة الى اليسار) والايسر مبنى من حجارة منحوتة يمتد منه نحو الشمال والشرق جدار طوله ٤ ذراعا ينتهى في العرم نفسه ويندغم فيه . وعلو الجدار المذكور مثل علو الصدف ومثل علو العرم وفى جانب كل من الصدفين المذكورين عند وجهيهما المتقابلين ميزاب يقابل ميزابا فى الصدف الآخر . والميزابان مدرجان أى فى قاع كل منهما درجات من حجارة كالسلم الدرجة فوق الأخرى . ونظرا لشكل الصدفين الخروطى ولما يقتضيه شكل الميزاب السلى أصبحت المسافة بينهما عند القاعدة أنصهر منها عند القمة . وقد مثلنا الميزاب فى الخارطة بشكل (ع غ) كأنك تنظر اليه بجانب الصدف

ويظهر من وضع الخروطين أو الصدفين على هذه الصورة ان أصحاب ذلك السد كانوا يستخدمون المسافة بينهما مصرفا يسيل منه الى سفح جبل بلق الايمن فيسقى الجنتى اليمنى . وانهم كانوا يقفلون المصرف بعوارض ضخمة من الخشب أو الحديد تنزل فى الميزابين عرضا كل عارضة فى درجة فتسكون العارضة السفلى أقصرها جميعا

(١) هذا من كتاب تاريخ العرب قبل الاسلام ناقلا عما رمز له بحروف (أ م أ) صفحة ١٣٧

فوقها عارضة أطول منها فاطول إلى العليا وهي أطولها جميعا . والظاهر أن تلك العوارض كانت مصنوعة على شكل تراكب فيه أو تتداخل حتى يتألف منها باب مئين يسد المصرف سدا محكما يمنع الماء من الانصراف الا عند الحاجة . فاذا بلغ الماء في علوه إلى قمة الصدفين رفعوا العارضة العليا فيعجى الماء على ذلك العلو إلى سفح الجبل في أقبية معدة لذلك ونقر أو أحواض لحزن الماء أو توزيعها في سفح ذلك الجبل . فلا يزال الماء ينصرف حتى يهبط سطحه إلى مساواة العارضة الثانية فيقف حتى أرادوا ربا آخر نزعوا عارضة أخرى . وهكذا بالتدريج وعلى قدر الحاجة

وفي الطرف الأيسر من الهرم وهو الغربي الذي ينتهي بالجنة اليسرى بناء كالحائط (س ط م) دعونه السد الأيسر عرضه عند قاعدته ١٥ ذراعا وطوله نحو ٣٠ ذراع وبجانبه من اليمين مخروطان أو صدفان إيمان (٣) و (٤) أحدهما (٣) متصل بالهرم نفسه والآخر (٤) بينه وبين السد الأيسر فيتكون من ذلك مصرفان (٦ و ٧) مثل المصرف الأيمن لكل منهما ميزابان مدرجان متقابلان تنزل فيهما العوارض وتنزغ حسب الحاجة لصرف الماء إلى الجنة اليسرى . وينتهي الهرم من حده الغربي بحائط منجلى الشكل (د ف) مبنى بحجارة منحوتة صلبة لهله الذي يسميه الهمداني « العضاد »

فكان السيل إذا جرى في وادي اذنة حتى تجاوز المضيق بين جبلي بلق صده الهرم عن الجرى فيتعالى ويتحول جانب منه نحو اليسار إلى السد الأيسر . فاذا أرادوا ري الجنة اليمنى رفعوا من العوارض بين الصدفين الأيمنين على قدر الحاجة وإذا أرادوا ري الجنة اليسرى صرفوا الماء من المصرفين (٧ و ٨) بنفس الطريقة فيعجى الماء في أقبية وأحواض في سفح الجبل الأيسر حتى يأتي مأرب لأنها واقعة إلى اليسار كما تقدم وسترى في (صفحة ١٧٢) وهي الصفحة التالية رسم (خريطة بلاد العرب) في أيام دول اليمن من القرن الرابع عشر قبل الميلاد إلى السادس بعده . وسترى أيضا في (صفحة ١٧٣) رسم خريطة سد مأرب أو سيل الهرم (انظر شكل ٣١) و (شكل ٣٢)







هأت ذأ أيها الذكىّ اطلعت على سد مأرب وهو سدّ الهرم وعرفت مدينة مأرب وعرفت أن دولة سبأ لم تكن معروفة في تاريخ أسلافنا ، فانظر كيف جاء الكشف الحديث كما في القرآن ، وانظر في كتب التفسير التي وصلت إلينا كالزحشرى والرازى والبيضاوى وأمثالها التي ألفها الفحول من العلماء ، كيف صهروا عليها رحمهم الله ولم يذكرها غير تفسير يرجع أكثره الى لفظ القرآن

أفلا ترى أننا جئنا في عصر نسجيه بحق عصر القرآن ، هذا العصر الذي يظهر فيه بأجلى بيان هذا السد كما رأيت . فالحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله . وانظر كيف يقول علماء التاريخ ( إن اليونان لم يعرفوا اسم حير قبل السنة العشرين قبل الميلاد ولم يكونوا يعرفون إلا سبأ لشهرتهم ) وانظر كيف كان أسلافنا لا يعرفون إلا الحيريين والتابعة وجاء القرآن بما هو حق في التاريخ

### ( عجائب القرآن في العصر العشرين )

يقصّ الله علينا قصص طوفان نوح . ويقص علينا قصص سدّ الهرم . ويقول إن سبأ أعرضوا ونارة يقول كفروا . فماذا جازاهم ؟ جازاهم بخراب الديار . لماذا هذا الجزاء ؟ لتفريطهم في السدّ سبحانه اللهم أنت الربّ المحمود فماذا هذا في دين الاسلام ؟ هذا هو المسعى فرض كفاية وما هو فرض الكفاية ؟ هو أن يقوم في الأمة أناس لكل عمل من أعمال الحياة فيحسنونه والاعواقب الجميع . ويقول امام الحرمين ( فرض الكفاية أفضل من فرض العين ) وأي منفعة للأئم أكثر من الماء والأنهار فانظر ماذا كتبت بعض مجلات مصر لما طفى النيل سنة طبع هذه السورة إذ ذكرت أن نهر الميسيني كاد يهلك الأمة فاجتمعوا لدرء خطره . أليس هذا هو الذي أنذره نوح قومه . وهذا هو الذي أهلك سبأ ؟ إذن القرآن يجعل اهمال أعمال الدولة تارة كفرا وتارة اعراضا ويجازى بالهلاك . والمراد بالكفر كفر النعمة وجزاؤه في الدنيا الهلاك وفي الآخرة العذاب . إذن في القرآن أسرار تظهر اليوم بالعلم . فانظر المقال التالى وهالك نصه :

### ( عبرة لمصر والمصريين )

( كارثة فيضان نهر الميسيني - بمناسبة ارتفاع مياه النيل في نحو سنة ١٩٢٨ )

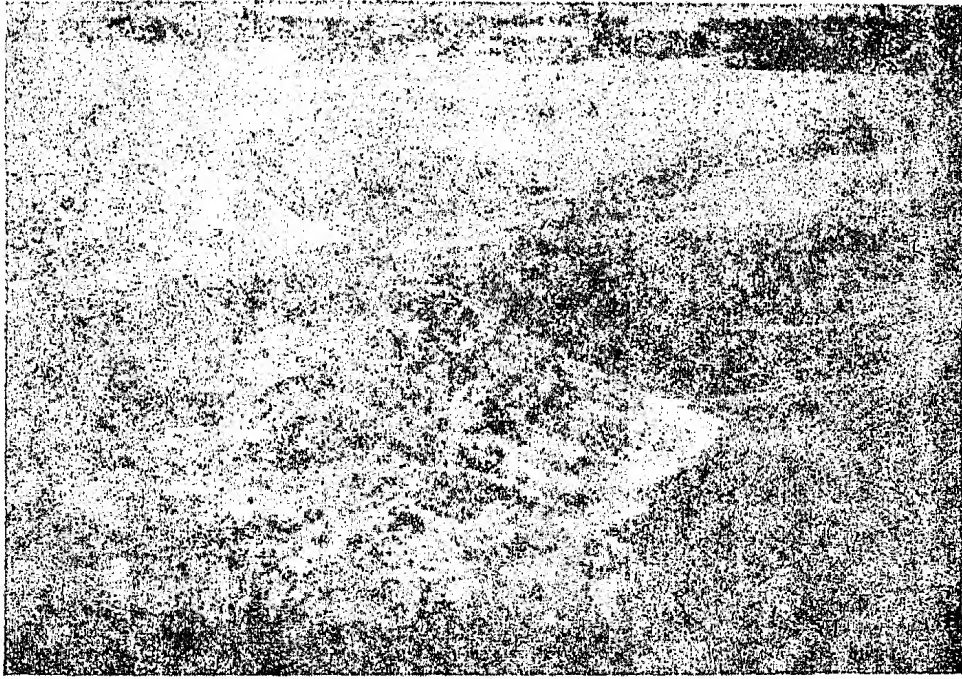
مضت أسابيع والأنباء تترى بارتفاع مياه النيل ارتفاعا لم تألفه مصر من قبل وقديت يهتد المدائن والقرى والارواح والأماك . ولقد اتخذت الحكومة لهذا الأمر الخطير أهبتها بقدر ما تستطيع حكومة أن تفعل وأنا انسر إذ تراها نعد الى بعث قانون ( العونة ) لحراسة الجسور والى انشاء خط دفاع ثان يقي البلاد غوائل الفيضان ولما كنا الى جانب ذلك نحزن إذ نرى الأهالى يتبرمون بهذين الاحتياطين ويرون في الأول تسخييرا للناس فيما لا يلىق بكرامتهم أن يسخروا فيه ويرون في الثانى تبديدا لأموال طائفة في سبيل اتقاء خطر من عوم . ولا شك أن أولئك المتبرمين لا يدركون ما قد يصيبهم من الزايات في أموالهم وأرواحهم لو فاض النيل وتقطعت جسوره وتدفقت مياهه تغمر الأرض وتكتسح الزرع والضرع ولا تبقى ولا تذر ويجهلون أن جسور النيل الرخوة قد تكون أوهى جسور الأنهر الكبيرة في العالم وان أراضى مصر سهل اذا جرى فيه الفيض لا يجد جبلا يصده أو تلا يحصى وراءه قرية أو مدينة . والواقع انه أصبح من أوجب الامور على الحكومة أن تنظم من الآن طرق وقاية البلاد بتدعيم الجسور تدعيا يضمن دفع ذلك الخطر كما أصبح من أوجب الامور على سكان وادى النيل أن يلجوا دعوة الحكومة متى دعيتهم ليعاونوها بكافة ما يستطيعون لتقوية الشاطئين . ولكي يدرك الناس أهمية ما يدعو الحكومة وقد هدم اليه نصف لهم كيف حلت بالولايات المتحدة الأمريكية منذ عامين تلك الكارثة الهائلة التي ترتبت على فيضان نهر الميسيني حتى اذا ما أدركوا مدى الأخطار التي تنجم من اهمال الجسور



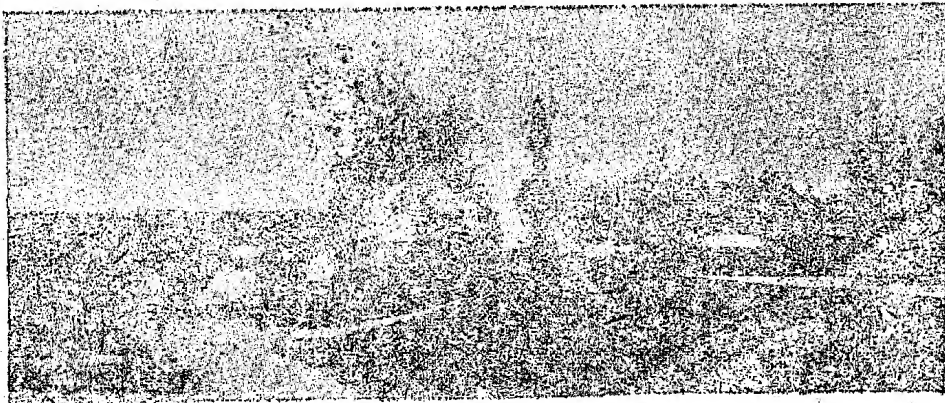
هرعوا الى القيام بما تمليه عليهم تلك الأخطار من الاحتياطات

نهر المسيسيبي أكبر أنهار الدنيا طولاً وعرضاً . يبلغ طوله خمسة آلاف كيلومتر ، و يبلغ عرضه من ألف الى ألف وخمسمائة متر ولكنه يتسع في بعض الأماكن حتى يبلغ خمسة وثلاثين كيلومتراً ، وتسير مياهه سيراً وثيداً من الشمال الى الجنوب فتشطر الولايات المتحدة شطرين متساويين وتقطع الموجة المسافة بين المنبع والمصب في ستة أسابيع وتجميع هذه الكميات الهائلة من المياه عند المصب الضيق الذي لا يتجاوز عرضه سبعمائة وخمسين متراً ثم تنصب في خليج المكسيك بمعدل ثمانين ألف متر مكعب في الثانية الواحدة . أما الخطر الذي يهدد الولايات المتحدة كل عام فناشئ عن غزارة مياه النهر واتساع مساحة حوضه مع ضيق مصبه ضيقاً يجعل تلك الكميات العظيمة من الماء تتجمع بوفرة ضخمة عند هذا المصب فتصعد ماوراءها فتتبع المياه وتفيض على الجانبيين أحياناً وأحياناً لا تقوى الجسور على تحمل ضغطها فتقطع وعندئذ تندفق المياه بقوة تجرف كل ما تصادفه في طريقها ، ولقد حدث في عام ١٩١٣ أن فاض المسيسيبي فبلغت الخسائر في (مقاطعة الاوهيو) وحدها أربعة وعشرين مليوناً من الجنيهات وهلك من الأنفس البشرية خمسمائة ، وهذه الكارثة مع فداها لا تعد شيئاً يذكر إذا قيست الى الكارثة التي حلت بأمريكا عام ١٩٢٧ م والتي نحن بصدددها في هذا المقال

لاحظ السكان في ربيع سنة ١٩٢٧ م أن الأمطار تهطل بغزارة لم يروا مثلها من قبل وأن الشوارع تنهار من أعالي الجبال وتذوب بسرعة غير مألوفة ثم تهوى الى نهر المسيسيبي فتزيد مياهه ارتفاعاً ، ولاحظوا أيضاً أن فروع النهر قد علت مياهها بنسبة لم يعهدوا لها مثيلاً ولكنهم ظاوا رغم هذه العلامات الخطرة آمنين مطمئنين معتمدين على متانة الجسور وقوتها . والحقيقة أن جسور المسيسيبي من أقوى وأضخم المشروعات التي حققتها يد الانسان في العصور الحديثة ، فهي تمتد على طول النهر وترتفع الى عشرة أمتار فوق سطح الماء في الأوقات العادية وتتسع حتى يبلغ عرضها خمسين متراً . ويسهر على رعايتها ومراقبتها بضعة آلاف من العمال ، وقد نصبت بين كل مسافة وأخرى آلات التلغراف والتليفون وأقيمت محطة رئيسية تتصل بجميع المحطات الأخرى في وقت واحد لتنهيها الى الخطر في الوقت المناسب ، ولا يمر أسبوع إلا ويطوف المهندسون يرتادون الجسور لفحصها ، وقد خصصت الحكومة عدة ملايين من الجنيهات تقطعها كل عام من ميزانيتها لحساب تلك الجسور . ظل السكان آمنين مدة أربعة وعشرين عاماً حتى كانت سنة ١٩٢٧ غلب اعتمادهم على قوة منشآتهم وأيقنوا أن قوة الطبيعة أكبر من أن تغالبها قوة الانسان ، ففي السادس عشر من شهر ابريل نقل البرق الى واشنطن أن النهر قد خرج من مجراه فظن أولوا الأمر أن الخطب يسير وأماوا أن يتداركوه ، ولكن الفيضان كان يزداد من ساعة الى أخرى حتى أضحت الوسائل المقامة لصيانة الجسور عديمة الجدوى لانقيد ، وبحلول الفيضان الى كارثة لم يسمع بمثلها بنو الانسان ، لم يمض يومان حتى غمرت المياه سبع ولايات وحتى بادت مساحات كبيرة من الينسوري والاركنساس وكنتوكي وتينيسي ولويزيانا وتكساس تحت الماء ، ثم انحدرت مياه النهر على الأراضي الزراعية فغطتها وكوّنت فوقها طبقة مائية ذات ارتفاع يبلغ ثمانية أمتار ، وقد انجلى السكان عن ثلاثين مدينة وتركوا مئات من القرى نهبا للماء الذي ظل يرتفع ويغذى فروع النهر حتى انهارت جسورها هي الأخرى وعند ذلك جلّ الخطب وعظم المصائب (انظر شكل ٣٣) و (شكل ٣٤ في الصفحة التالية)



( شكل ٣٣ - مياه نهر المسيسيبي ترتفع على الجانبين بالقرب من (نيو أورليانز) وقد ارتفعت على المنازل وأغرقت القرى )



( شكل ٣٤ - نسف أحد جوانب المسيسيبي حتى تتدفق المياه من الفتحة التي يحدتها النسف الى سهل مجاور للنهر فيخف الضغط عن (نيو أورليانز) وتنجو من الفرق )

وكأنما أبت عناصر الطبيعة إلا أن تتعاون في التخريب والتدمير فقامت زوابع وهبت عواصف قطعت أسلاك التليفون والتلغراف وعطلت وسائل المواصلات بين الولايات المنسكوبة وجاراتها وقضت على كل محاولة للالتقاء ، أفرغت الحكومة قصارى جهدها لحصر الكارثة وتخفيف آثارها فسيرت القطارات السريعة تحمل فيالق كاملة من الجيش تحفظ النظام بين المنسكوبين وتعاون السكان والعمال فيما يحتاجون الى المعاونة فيه . وسيرت أسراب الطيارات تحمل الأطباء والعقاقير والمؤن لاسعاف الضحايا والمصابين . ولكن الحالة تفاقمت باطراد ارتفاع الماء حتى أبلغ المهندسون حكومتهم « أنها اذا لم تبذل أكبر الجهود وأضخم النفقات لتحاصر الفيضان فستبلغ الخسائر في الأرواح والأموال مبلغا لا تحصىه الأرقام »

وقد كان مخاف المهندسون أن يكون و بلغ الفيضان أشده وتدفقت سيول النهر تكتسح في طريقها المدائن والقرى والسكرارى والعمائر والجسور حتى بات أكثر من مائتى ألف نفس من سكان مناطق المديسي بلامأرى ولا مأكل وطففت الجثث البشرية تغطي سطح الماء

رأت الحكومة الأمريكية نفسها عندئذ عاجزة عن مقاومة هذه الكارثة اذا هي اقتصرت على مالىها من الوسائل فأصدر الرئيس (كوليدج) نداء ناشد فيه الشعب الأمريكى أن يهب بأسره ليشترك في عملية الانقاذ فتقاطر المهندسون والبنائون والعمال والأطباء والمرضى من كل صوب وأقبلوا جميعا يلبون نداء الحكومة ويسعفون اخوانهم المنكوبين وأشرف رئيس الجمهورية ووزراؤها على اجراءات المقاومة والاعانة وظن الناس أن هذا الجهد العظيم للاحالة منتج خير النتائج ، ولكن ما الذى تستطيعه حييل الانسان اذا تألبت عليه عناصر الطبيعة العمياء ؟

أخذت الأمطار تهطل طوفانا في المناطق الشمالية فتزيد مياه النهر ارتفاعا ، والريح الصرصر العاتية تهب بهنف فتهدم كل وسائل المواصلات بين المناطق المنكوبة وسائر بلاد الدولة فاشتدت وطأة الفيضان على الأرض ، واشتدت أيضا وطأة المجاعة على الناس وارتدت أسراب الطيارات على أعقابها بما حلت من أقوات وملابس وعقاقير وهي لا تقوى على مقاومة العواصف والأعاصير الهوجاء ، وهكذا بقيت مئات الآلاف من الناس لا يجدون كهفا يلجؤون اليه ولا لقمه يتلقفون بها ، وكأنما أبت عناصر الطبيعة إلا أن تمنع في التشكيل بهم فأرسلت عليهم موجة من البرد أودت بحياة الكثيرين ، ولقد كان السكان يفرّون أمام الماء والماء يتعقبهم حتى التجأ ستة آلاف شخص الى لسان من الأرض ظنوه يعصمهم من الطوفان الذى يطلبهم ولكن سرعان ما أحاط بهم الماء وكاد يقتلعهم لولا أن تداركتهم همة الحكومة بفيلقين من الجيش أنقذاهم من بين براثن الموت ، ولكن يدرك القارىء ضخامة الوسائل التى عمد اليها الشعب لمعاونة الحكومة نقول : إن جمعية الصليب الأحمر وحدها استخدمت أربعين ألف سيارة وخمسين ألف سفينة مابين تجارية وذات شراع ، وإن الأهالى قدموا للحكومة كل ما يملكون من سيارات وعربات وخيول وزوارق وسفن حتى أصحاب اليخوت الجيلة لم يرضوا بها ووضعوها تحت تصرف المنقذين ، ولقد كان المنقذون يخاطرون بأرواحهم كلما زجوا بأنفسهم في المناطق المغمورة بالمياه حتى ان سفينة كبيرة غرقت برانها وبحارها وهي تحاول ازالة كمية من الأسمنت لمحاصرة الفيضان ، والى هنا قدرت الخسارة المادية بمائتى مليون من الجنيهات ، ولو وقف الخطب عند هذا الحد لكان ، ولكن ما وفى اليوم السابع والعشرون من شهر ابريل حتى بدأ الفيضان يهتد المدن الكبرى فانتقل رئيس الجمهورية ووزراؤه الى مكان الفاجعة وهناك ألفوا مدينة اركنساس غارقة لا يبدو منها غير سطوح المنازل والقباب وألفوا المياه تنذر مدينة (نيو أورليانس) بنفس هذا المصير ، عندئذ استولى الذعر على النفوس ووجدت الحكومة نفسها بين «أمرين» إما أن تترك المدينة العظيمة فرسة لتلفيان الهر ، وإما أن تحوّل جريان السيل الى الأراضى الزراعية فتضعى بثروة لا تحصى وبمحاصيل اذا ضاعت آذنت البلاد بنقص فى الأقوات لا يقدر ، وكان الفيضان يقترب والآفة تأزف ، وقد عجز مائة وخمسون ألف عامل عن تحويل مجرى الماء وبدأت المنازل تهتدم مئات مئات ، وارتفع الماء فوق سطح الأرض خمسة أمتار ، ورفرف الموت بجناحيه على (نيو أورليانس) الزاهرة الغنية بما تحويه من الثروات وكنوز الفنون ، عندئذ لم تردّد الحكومة فى اختيار أخف المصبتين وأصدرت الأوامر لنسف الجسور بالديناميت حتى تتدفق منها المياه الى المزارع والحقول ولكن الحكومة إذ أصدرت تلك الأوامر لم تفكر فيما ستلقاه من مقاومة أصحاب هذه المزارع والحقول . فما اتصل بالزارعين والملاك نبأ اعتزام الحكومة نسف الجسور فى سبيل المحافظة على مدينة لازرع لهم فيها ولا ضرع حتى هبوا صفوفاً مسلحة يندرون حكومتهم بالحرب اذا هى لم تعمدل عن عزمها الخطير . ولكن الحكومة

بادرت فالتحذت لهذا الطارئ الجديد عتته فأرسلت اليهم الجنرال (باركر) على رأس جيش كبير . وأعلنت الأحكام العرفية ونصبت قائد جيشها حاكماً بأمره يحكم بما يقتضيه الموقف من الحزم والصرامة وصرحت انها ستحل النظام محل الفوضى مهما كلفها الأمر وأمملت التوار نصف يوم ليلقوا السلاح . ولكن ذهبت كل هذه الاجراءات سدى وهب المزارعون يدافعون عن أموالهم فنشبت بين الفريقين معارك حامية استعمل فيها الفلاحون القنابل والمتراليوزات وانتهى الأمر بانتصار جيش الحكومة ونسفت الجسور في ثمانية وأربعين مكاناً وعلى طول بضعة كيلومترات وقد استخدم في هذه العملية وحدها عشرة آلاف من العمال ، وهكذا استطاع أولو الأمر أن ينقذوا مدينة (نيو أورليانس) بتضحية مائة وخمسة وسبعين ألف كيلومتر مربع من الأرض ملائى بالمحاصيل والخيرات وبحرمان خمسمائة ألف نسمة من الأقوات والأرزاق وبحو عشرات من المدن ومئات من القرى من فوق سطح المعمورة وبتحويل هذه المساحات الشاسعة العامرة الآهلة الى بحر ما كان نوح ليجراً أن يجرى عليه بسفينته ، وها قد مرت على الفاجعة سنتان وقد أقاعت السماء وبلغت الأرض ماءها وعاد الناس يستوون على هذه الأرض التي كانت بالأمس عمراً فهدت قفراً يحاولون أن يصلحوا ما أفسد الدهر ولكن كم يمضي من السنين حتى تسترد هذه الخراب عزها البائد وزهوها الزائل وكم تنفق أميركا من المال لتحيي بيد الإنسان ما أودت به عناصر الطبيعة العمياء انتهى ماجاء في المجلة المذكورة والله أعلم

\*\*\*

فلما اطلع على ذلك صاحى الذى اعتاد أن يسألنى فى هذا التفسير . قال : لقد جعلت طوفان أميركا كطوفان سدّ العرم ، وأبنت أن أهل أميركا قوم ذورجذ ونشاط وأن الحكومة قوية ومتمينة وأن حكومة سبأ كانت ضعيفة جاهلة فتهدم سدّها ، وائى والله لى عجب أن تكون الحكومات الاسلامية فى بلاد اليمن وغير اليمن لم تفكر كما فكر أهل سبأ فضلاً عن أن تكون كأهل أميركا . فهل لك أن تقيض القول فى أمر سدّ العرم فتبين لى ﴿أمرين : الأول﴾ هل هناك أسدّاد غير سدّ العرم ببلاد اليمن ﴿الثانى﴾ من هذا الذى بنى سدّ العرم ؟ بطريق أوضح مما تقدّم

إذا ذكرت لى ذلك فأنك تكون خدمت أمم العرب المسلمين إذ يعلمون أن الكافرين قبلهم كانوا أعمر بأسدّ الله منهم فيفكرون إذن ويجهدون فى ذلك . فقلت : أما الأسدّاد فاسمع ما قاله مؤلف كتاب « تاريخ العرب قبل الاسلام » وهالك نصه

#### ﴿ الأسدّاد ﴾

ومن أدلة العمارة فى (بلاد اليمن) الأسدّاد وهى جدران ضخمة كانوا يقيمونها فى عرض الأودية لحجز السيول ورفع المياه لرى الأراضى المرتفعة كما يفعل أهل التمدن الحديث فى بناء الخزانات ، وانما عمد العرب الى بناء الأسدّاد لئلا المياه فى بلادهم مع رغبتهم فى إحياء زراعتها فلم يدعوا وادياً يمكن استثماره بالماء إلا حجزوا سيّله بسدّ ، فتسكّاثت الأسدّاد بتسكّاث الأودية حتى تجاوزت المئات ، وذكر الهمداني فى محصب العلو من مخالفات اليمن وحده ثمانين سداً والى ذلك أشار شاعرهم بقوله :

وبالبقعة الخضر من أرض يحصب \* ثمانون سداً تقذف الماء سائلاً

وكانوا يسمون كل سدّ باسم خاص به أو بالاضافة الى بلده ، فن كبار هذه الأسدّاد قصعان وربوان وهو سدّ قتّاب وشحران وطمّحان وسدّ عباد وسدّ الحيج (وهو سدّ عرايس) وسدّ سحر وسدّ ذى شحال وسدّ ذى رعين وسدّ نقاطة عند قرية ذى ربيع وسدّ نضار وهران وسدّ الشعباني وسدّ المليكي وسدّ النواسي وسدّ المهباد وباقيها لطاف

وأشهر أسدّاد اليمن (العرم) وهو سدّ مأرب الشهير الذى تقدم الكلام عليه ، وسدّ الخائق بصعدة بناءه

نوال بن عتيك . وولي سيف بن ذي يزن في القرن السادس للميلاد . ومظهره في الحنفريين من رجبان . وقد أخربه  
ابراهيم بن موسى العلوي بعد هدم صعدة . وسد ريعان لابن ذي مآذن وسد سيان . وأسداد بلاد غنس منها  
سد خيرة وسد بيت كلاب في ظاهر همدان وآخر في ظاهر دعان وسد شبام قرب صنعاء على ثمانية فراسخ منها  
ولم يقتصر بناء العرب للأسد على ما بنوه في جزيرة العرب ففي مكران وبلوتستان في عدوة خليج فارس  
الشرقية آثار أسداد كثيرة لا يعرف عنها أهل تلك الناحية شيئاً فلعل بعض العرب نزحوا إلى تلك البقاع قديماً  
وابتنوا فيها تلك الأسداد

وأما الذي بنى سد العرم بطريق أوضح مما تقدم فاسمع ما جاء في الكتاب المذكور وهالك نصه : « وقد عثر النقبانيون  
في أنقاض سد مأرب على نقوش كتابية بالحرف المسند استدلوا منها على بانيه أهمها نقشان أحدهما على الصدف الأيمن  
الملاصق للجنة اليمنى تفسيره « أن يشمر بين بن سمه على ينوف مكرب سبا خرق جبل بلقي وبنى منصرف رجب  
لتسهيل الري » والآخر على الصدف الآخر تفسيره « أن سمه على ينوف بن ذمر على مكرب سبا اخترق بلقي  
وبنى رجب لتسهيل الري » وسمه على هذا هو والد يشمر المذكور وكل منهما بنى صدفاً أوطائطا وكلاهما من  
أهل القرن الثامن قبل الميلاد . فهما مؤسساه ولم تحكنا من اتصافهما فأنتم خلفاؤهما وبنى كل منهما جزءاً  
نقش اسمه عليه . فعلى المخروط أو الصدف في اليسار نقش قرأنا منه « كرب أيل بين بن يشمر مكرب سبا بنى »  
وعلى جزء آخر من السد اسم « ذمر على ذرج ملك سبا » وفي محمل آخر اسم « يدع ايل وتار » وعلى السد  
الأيسر مما يلي الجنة اليسرى عدة نقوش يمثل هذا المعنى مما يدل على أن هذا السد لم يستأثر ببنائه ملك واحد  
تلك هي العادة في تشييد الأبنية الكبيرة بكل زمان

أما تهديمه فالعرب يقولون انه حدث جفأة ففرقت قبائل الأزدي وغيرها في جزيرة العرب بسبب ذلك . ويؤخذ  
من مجمل أقوالهم أن ذلك وقع حوالي تاريخ الميلاد أي نحو ظهور دولة حبر (ملوك سبا وريدان) وانتقال عاصمة  
السبائيين إلى ظفار . فالظاهر أن السد تصدع حينئذ للمرة الأولى فرموه وظلوا خائفين منه فتحولت عنايتهم إلى  
تعمير ظفار وقل تمسكهم بالبقاء في مأرب نصاروا ينزحون بطوناً وأنفاذاً لأسباب مختلفة ومنها التقطع وغيره  
وأخذت مأرب بالتقهقر وكلما انتفى العرم من ناحية زهمر إلى قبيل الاسلام فتهدم وأهمله

ووفق غلاز في أثناء زيارته أنقاض ذلك السد إلى اكتشاف أثرين عليهما كتابة مطولة تتعلق بهدم السد  
بعد دخول اليمن في حوزة الأحباش أحدهما مؤرخ سنة ٥٣٩ م والآخر سنة ٥٦٥ م وهما من أهم ما وقفوا  
عليه من آثار تلك الدولة لما فيهما من الاشارات التاريخية والاجتماعية والعلائق السياسية أحدهما كتبه أبرهة  
الجبشى وهذه خلاصته : « بنعمة الرحمن الرحيم ومسيحه والروح القدس ان أبرهة عزيز الأحباش الكسوميين  
ملك أراجيس زيمان ملك سبا وذوريدان وحضر موت ويمت وأعرابهم في نجد وتهامة قد نقش هذا الأثر  
تذكراً لتغلبه على يزيد بن كبشة عامله الذي كان قد ولد كندة ودى وعينه قائداً ومعه اقبال سبا الصحاريين  
وهم مسرة وثمانمة وحنش ومرشد وصنف ذو خليل واليزنيون اقبال معدى كرب بن السمينع وهفان واخوته  
ابناء الاسلام فانفذ الملك اليه الجراح ذازنبور فقتله يزيد وهدم قصر كدار وحشد من اطاعه من كندة وحريب  
وحضر موت وفر هجان الذماري إلى عبران . وبلغ الملك الاستصراخ فنهض بجند الأحباش والحيريين  
أولفا في شهر ذو القياط ٦٥٧ (من تاريخ اليمن) فنزل أودية سبا . فجاء يزيد وبايع وخضع للملك بين يدي  
القواد . وهم في ذلك جاءهم النبأ بهدم السد والحايط والحوض والمصرف في شهر ذو المذرج سنة ٦٥٧ فامر  
بالعفو . وبعث إلى القبائل بأنفاذ الحجارة للاساس والحجر الخام والأخشاب ورصاص الصب . لترميم السد في مأرب  
فتوجه أولاً إلى مأرب صلى في كنيسها ثم عمداً إلى الترميم فنبشوا الانقاض حتى وصلوا إلى الصخر وبنوا عليه  
وعلم وهو في ذلك أن القبائل قضيت من العمل ورأى اعدائهم يعود بالضرر فعفا عنهم أحباشهم وحيرهم

وأذن بانصرافهم . ورجع الملك الى مأرب بعد أن عقد تحالفا مع الأقبال الآف ذكركم : اكسوم ذو مناهر  
ابن الملك وصرجف ذو ذرنج وعادل ذو فائش واذواء شولمان وشعبان ورعين وهمدان والسكلاع . الح وجاء  
اليه وفد النجاشي ووفد ملك الروم ورسول من المنذر وآخر من الحارث بن جيلة وآخرون جاؤا بعون الرحمن  
يخطبون مودته . في أواخر شهر داران وبعثوا اليه من غلة أراضيهم اترميم ما انصدع من البناء فرمود وسعوه  
حتى بلغ طوله ٤٥ ذراعا وارتفاعه ٣٥ ذراعا (ثم ذكر ما انفق فيه من الحجارة والأطعمة للعملة والحيوانات للعمل)  
واستغرق العمل في ذلك ٥٨ يوما و ١١ شهرا وكان الفراغ منه في شهر ذومعان سنة ٦٥٨ هـ

وهذه السنة في حساب الجريين تعدل سنة ٥٤٣ للميلاد لانهم كانوا يبدؤون تايخهم سنة ١١٥ قبل الميلاد  
ولغلاز كلام في هذا الشأن سنأتي عليه في الكلام عن التوقيات عند العرب ونكتفي هنا بالاشارة الى تاريخ  
الفتح من نقش حصن غراب فقد رأيت أنه سنة ٦٤ هـ جيرية أو حبشية والمعول عليه أنه كان سنة ٢٢٥ ميلادية  
والفرق بينهما ١١٥ سنة . انتهى من كتاب تاريخ العرب قبل الاسلام

### ﴿ تذكرة ﴾

أما أن للمسلمين أن يستيقظوا . ايه يا أمة الاسلام . ايه يا أمة الاسلام . أهذا يكون المسلمون . هأنتم  
أولاء رأيتم أعمال الأمم الغابرة والدول الفاتنة وشاهدتم سد العرم صنع الجاهلية الأولى ، صنع أهل سبأ قبل  
الميلاد بنحو ثمانية قرون ، هل بهذا أمر القرآن ؟ أيجمل في دين الروعة والنجدة والشرف أن يكون  
الجاهليون يعمرن أرض الله أكثر من المسلمين ، هل لهذا جاء نبينا ﷺ ؟ ألم يجيء نبينا رجة للعالمين  
وكيف يحفظ الجاهلية الماء بين البلقين ويسقون به الأرض والجنات هناك عن يمين وشمال قائمتان ثم يجيء  
الاسلام فلا يساوى أهله في العمران الجاهلية مع انهم كانوا الأولى بحفظ نعم الله ، هم الأولى بشكر النعمة ،  
وشكرها بحفظها والقيام بها لا لا ، إن أمة الاسلام ستأخذ دورها عن قريب ، أمة الاسلام النائمة قد انقضت  
دورها . وستأتي أمة الاسلام اليقظة التي تحفظ نعمة الله فلا تضع الماء يذهب في الرمال

أيها المسلمون : إن سيدنا محمدا ﷺ لم تقف رسالته عند هذا الحد . كلا . إن رسالته شأنها بعد أيامنا  
هذه ، ومن دلائلها ماتروته في هذا التفسير من عجائب القرآن وانه يعلم المسلم شكر النعم وحفظها  
بأيت شعري : لم ذكرت سورة سبأ ؟ ألقصه تذكر . كلا . والله ذكرت لنا الآن ، ذكرت لمن يتعظون  
دفن الله المال والعلم في السخور والألواح وعلى الجدران ، ثم أخرج ذلك الآن كأنه يقول للمسلمين : هاكم  
اقرأ كتابيه ، انظروا في علوم آبائكم ، هل تقوون بالأمر ؟ هل تحفظون النعمة ؟ هل تقومون بالشكر  
هل تبحثون عن نعمي فوق الأرض وفي باطنها ، إن لم تفعلوا بعد هذا كله فهاهم أولاء الفرنجة أحاطوا بكم  
من كل جانب فان لم تقوموا من غفلتكم وتعمموا التعليم لآخذن منكم أرضكم وأسلمها لهم كما فعلت مع  
بنى اسرائيل إذ سلطت عليهم بختصر فأخذهم الى فارس ودولة الرومان فأسروهم في بلاد الروم  
أنظنون يا أهل اليمن اني سلمت لكم الأرض لتمتعوا نعمي فيها عن عبادي ، انظروا حولكم في شمس  
وقرى وكواكب وهوائى ومائى ، ألم أجعل العوالم كلها متجاذبة بحيث تجرى الأرض حول الشمس وهكذا  
كواكب أخرى وهكذا العوالم تتجاذب ، فهكذا فليكن نوع الانسان ، تكن كل أمة مستخرجة من أرضها  
كنوزها وزراعة أرضها ليعيشوا بذلك وليرسلوا مافضل بالتجارة لغيرهم وهكذا غيرهم يفعلون ، فان غفلات  
أمة عما لديها أو عزت الى غيرهم فسلطتهم عليهم لأنى عدل ولأنى رحيم ومن رحمتي أن الناس يخدم بعضهم  
بعضا ، وهذا المطر النازل في بلادكم اذا لم تحفظوه فقد ضيعتم نعمتي فأعاقبكم على ذلك الضياع

هذا وان آية سد العرم تدل على أن الأمة كلها معذبة اذا فرطت فيما لديها من النعم . والآية الآتية وهي  
- ولو ترى إذ الظالمون - الح مثلها في أن الرؤساء لا ينفعون المرؤسين اذا تركوا مواهبهم لافى الدنيا ولا فى الآخرة

فقصة سبأ وآيات التقليد متقاربتان من حيث أن كلا منهما منذر بالوبال والهلاك لمن تواركا  
هكذا ما أُنهمه من ذكر هذه السورة التي ظهر أثرها في هذا الزمان والحمد لله على نعمة العلم والحكمة  
والدين والحمد لله رب العالمين

( جوهرة يتيمة )

( في آية - ولترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم - الخ )

( بيان خطر التقليد والاعتقار به )

( بسم الله الرحمن الرحيم )

اللهم إني أجدك على نعمة العلم والحكمة وأسألك جبر الحلال واجتناب الزلل واجادة الدليل وفهم التأويل  
وصدق القول وحسن العمل

اللهم إني أرى اليوم في بلاد الاسلام حالاً أحسن ، ورجالاً أكمل ، وعقولاً أبهى وأبهر ، نام المسلمون  
قرونا وقرونا بعد الصدر الأول والقرون الثلاثة الأولى خير القرون ، ثم جاء هذا الزمان الذي اشتدت فيه الاحن  
وكثرت الحن وظهر الخطر والحمل وزالت الخلافة اللفظية من البلاد التركية وقد أنامت الأمم العربية نحو أربعة  
قرون فلم تقم لهم فيها قائمة ولا سمعت لهم فيها كلمة ، ولكن هاأنذا الآن في هذا اليوم ١٠ نوفمبر سنة ١٩٢٩  
أسمع أن بلاد العراق رفعت الصوت جهاراً نهارة الى الأمم الغربية قائلة : « أيتها الأمم : اسمي . إياكم أن  
تهينوا اخواني في فلسطين وتقدموا عليهم اليهود الذين وعدتموهم بالوطن القومي ، وهامهم سكان شرقي الأردن  
وبلاد سوريا وجميع المسلمين في الشرق والغرب يطلبون بلسان واحد ازاحة الكابوس والظلم عن أهل  
فلسطين . سبحانهك اللهم وبحمدك . أنت الذي أخذت تغيير حال المسلمين من ضعف الى قوة ومن ذلة الى  
عزّ ومن جهل الى علم . أليس هذا معصداق قولك في التنزيل - ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في  
الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين - وقولك - ليظهره على الدين كله - إن هذا زمانه وهذه أيامه وكما  
تجلت أنوارك في قلوب الأمم الاسلامية برابطة الجأش وقوة البأس وعزة النجدة وعلو الشمع ورفق الهمم  
هكذا أخذت التأليف تتغير أساليبها وتتجدد أصولها وتختط خططاً جديدة وأحوالاً جديدة وأقوالاً مفيدة  
وانشئت الصحافة وقامت الخطابة وظهرت بوادر جيل جديد وقد تقدمه أمثال هذا التفسير ليكون فيه  
لنقطة عجلان ويقظة وسمان وبهجة ندمان وحديث خلان ومحاضرة علماء وأنس حكاء وسمر فضلاء  
وهدي وبشرى للمؤمنين . ولقد بسطت لي فيه القول وشرحت لي الصدر ويسرت لي الأمر لأن الأمم الاسلامية  
اليوم أجدر بالفهم وأقبل للعلم وأحقّ بالاقبال فأسألك اللهم أن أكون لك من الشاكرين  
أما بعد : فإني أريد افاضة القول في التقليد ، ذلك الذي خيم على عقول كثير من الأمم الاسلامية في  
الأحقاب الغابرة والأيام الخالية وأضلّ سعيهم وأحبط كثير من أعمالهم

كانت الأمم الاسلامية في القرون الأولى طفلاً ترعرع وتغذى بالبان النبوة المحمدية إذ القرن في حياة الأمم  
سنة واحدة في حياة الفرد . وعلى هذا الحساب صارت هذه الأمة الآن في سنّ الرابعة عشرة كما أشرت اليه  
في السور السابقة فهي كأنسان مرأق شارف البلوغ . ومتى بلغ باسناً أو بالقوة أخذ يظهر على الأمم الأخرى  
كان المسلمون في القرون الثلاثة الأولى يتغذون بلبن النبوة فرضعوا أفريق أيام الصحابة والتابعين فنفعوا  
عباد الله من بلاد الصين الى جنوب بلاد فرنسا فدانت لهم أمم من آسيا وأوروبا وإفريقيا . ذلك انهم كانوا  
محمديين . ثم لما كان الفطام بعد الحولين (هما قرنان) تحوّل الحال شيئاً فشيئاً وخذت جذوة الحاسة وأخذوا  
يفكرون بأنفسهم فعل الصبي بعد سني الرضاع يلتبس الطعام بنفسه . هنالك يحضر له المؤدّبون والمعلمون



والمربون وفي هذه الأجيال التي اعتبرناها سنين لم تكن هذه الأمم إلا عائلة على الملوك والعلماء ورجال الدين  
 وشيوخ الطرق . فهم كانوا كأيام إن أحسن الوصى القيام عليهم استقاموا وإن أساء التصرف ولم ينم بالأمانة  
 ناموا ، فقامت دول فارسية وأخرى تركية وثالثة إمارات عربية . ولا زالوا يتدهورون المرة بعد المرة . ولقد  
 مضى في هذا التفسير نبأ من بعض أماراتهم وهما السكهم وكيف اختلت الحكومات وبارت النظم وضاعت  
 الأمم . لماذا هذا ؟ لأنهم كانوا بعد سنن النظام قبل سنن المراهقة والباوغ . ولا جرم أن الطفل في تلك الأيام  
 يعمل المربون بالآمال ويوارون عنه الحقائق ويخيلون له مستقبلا سعيدا وعمرامديدا ويعطونه الحلوى  
 والمضرب والسكر . ويقولون له أقوالا لذيذة ويغرونه بكل ما لذ وطاب فيستقيم لأقوال المربين وتستويبه  
 أكاذيب المواعيد وتخدعه خرافات الأسانيد وهذه السنن خلية بذلك . لذلك كثرت الفرق وتباينت الطرق  
 وظهرت الخواارج وادعى المهسوية كل من أحسن من نفسه بقوة اللسان وسعة العقل ورجاحة الفطن . ومن قرأ  
 كتاب (الفرق بين الفرق) عرف تلك الأضاليل أوقرا ما تشتم في (سورة الشعراء) من أكاذيب الدجالين  
 في الاسلام واستواهم على عرش الامارة عرف كيف تنحدر كواذب الأقاريل واحتيايل المحتالين . ذلك كله  
 لأن الأمة كانت لاهي في سنن الرضاة من أفوايق النبوة المحمدية . ولاهي بلغت السنن التي تؤهلها لتسلم زمام  
 أمرها والقيام بشؤونها فلا يحصى لها من التقليد . ولا مفر لها من اتباع من تتوسم فيه مخايل النجابة فتسلم  
 زمامها أقوام منهم الصادقون ومنهم الخادعون وكل يعاملهم معاملة ذلك الطفل الصغير . لذلك كثرت فيها  
 الخرافات وشاعت الضلالات واتكوا على الشيوخ فغطت العقول وسادت النقول فجاء جيلنا الذي نحن فيه  
 فإذا أقول ؟ أقول : أحدثكم أيها المسلمون بحديث أحد المهديين في الاسلام أجعله مثالا من أمثال أسلافنا  
 السابقين أريد بذلك استنارة الشيعة الاسلامية ومتى عرفت الشرأقلت عنه وأخيرا اجتلبته فأقول :

لقد كان يوسف بن تاشفين أمير المرابطين قد استوثق له الأمر في الأندلس بعد القبض على أبي القاسم  
 ابن عباد المعتمد على الله بعد أن تولى الملك ٣٠ سنة وذلك سنة (٤٨٤) هجرية . ولقد قام بالأمر خير قيام  
 إذ أثار الجهاد والغزو وقمع ملوك الروم والحرص على المصلحة في جزيرة الأندلس إلى أن توفي سنة ٥١٤ هـ وقام  
 بالأمر بعده ابنه علي بن يوسف بن تاشفين وتلقب بلقب أبيه أمير المسلمين وسمى أصحابه المرابطين فجري على  
 سنن أبيه في إثارة الجهاد وإخافة العدو وحماية البلاد . وكان حسن السيرة . جيد الطوية . نزيه النفس .  
 بعيدا عن الظلم حتى كان إلى الزهاد والمتبتلين أقرب منه إلى أن يعد في الملوك المتفلبين . وأخذ يكرم الفقهاء  
 والعلماء ولا يفعل أمرا إلا بمشاورتهم ولكنه تمادى في الغفلة واختلت حال أمير المسلمين بعد الخمسة اختلالا  
 شديدا فظهرت في بلاده مناكير كثيرة . وأخذ أكابر المرابطين يدعى كل منهم صريحا أنه أحق بالامارة منه .  
 واستولى النساء على الأحوال وصارت كل امرأة من أكابر (لتونه) تحمي شريرا وقاطع طريق وصاحب خمر  
 وماخور وأمير المؤمنين يزاد غفلة واكتفى بأمره المسلمين وبصيام النهار وقيام الليل . فإذا فعل الله للمسلمين  
 إذ ذاك ؟ قوم لا قوام لأمرهم إلا بالأمراء فإن صلحوا صلحت الأمة وإن فسدوا فسدت . فهم على حسب  
 من يديرهم . ألم أقل لك أيها النكبي أنهم فطموا من الرضاة أولا فهم الآن في السنة الخامسة وهي سن الطفولة  
 وهذه سن الغفلة واليتم ولم يصلوا لسن الرشد . لما طغى أمراء الأندلس وشربوا الخمر وأولعوا باللهو والزهو  
 أرسل الله لهم (يوسف بن تاشفين) فأدخل عليهم تحت إمرته ولما قام ابنه أضاع الأمة من طريق الاشتغال  
 بالعبادة كما أضاعها أولئك من طريق الفسوق والخمر والجهالة . هنالك قبض الله لهم رجلا آخر يأمر بالمعروف  
 وينهى عن المنكر . فبينما عمال الأمير علي بن يوسف بن تاشفين يعثون في الأرض فسادا ويمسكون أعراض  
 الرعية علنا بلا احتشام جهارا بعد الخمسة إذ لهم الله رجلا يقال له (محمد بن تومرت) ينسب إلى الحسن بن  
 الحسن بن علي بن أبي طالب من أهل (سوس) من قبيلة تسمى (هرغه) من أقوام شرفاء هناك أحب العلم



فرحل الى المشرق سنة ٥٠١ هـ أى فى السنة التى ابتداء فيها فساد الدولة وانتهى الى بغداد أى كما ينتهى المسلمون اليوم الى أوروبا ولقى أبا بكر الشاشى فدرس عليه الفقه والاصول وسمع الحديث على أكابر الشيوخ ، ويقال انه لقي أبا حامد الغزالى بالشام أيام تزهده وذكر له ما فعله أمير المسلمين بكتبة التى وصلت الى المغرب من احراقها وافسادها وابن توصرت حاضر ذلك المجلس فقال الغزالى ﴿ لينهين عن قريب ملكه ﴾ وأشار الى أن ذلك يتم على يد حاضر المجلس أى ابن توصرت ، وهذه الحكاية سواء صحت أم لم تصح لا تخرج فى روايتها ، ويقال إن هذه الاشارة قوت طمعه فى ذلك فرجع الى الاسكندرية ثم الى بلاد المغرب . وبينما محمد بن توصرت كذلك اذا رجع آخر هناك يسمى عبد المؤمن يعلم الصبيان فى موضع اسمه (فزاره) من بلاد (ميتجه) واتفق انه رأى فى النوم كأنه يأكل مع أمير المسلمين (على بن يوسف بن تاشفين) فى صحنة واحدة ثم زاد أكله على أكل أمير المؤمنين ثم زاد فيه الشره فاختطف الصحفة وانفرد بها وحده وفسرها لها المشرق بأن شذوه تكون لرجل غيرك يكون أهلا لأن يشارك فى الملك ثم انفرد به . فهذه الأحاديث والرؤى قد أعدت الرجلين لعمل عظيم فتلاقيا فيقال إن محمد بن توصرت عرف عبد المؤمن بعلامات رسمها فى نفسه وعرفها من كتب المتقدمين . وقد كان عبد المؤمن عند المقابلة متوجها الى المشرق فى طلب العلم فاستصحبه محمد بن توصرت للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأقاما بمدينة (ماللة) أشهراً ورحلا ورجل معهما رجل آخر اسمه عبد الواحد . وقد كان محمد بن توصرت شديد الصمت كثيرا لا ينطق إلا فى مجلس العلم . وحل مع صاحبيه فى (تلمسان) وقضى بها مدة ثم توجه الى (فاس) فأظهر عقيدة الأشعرية فى التوحيد وأخذ يعظ الناس فاجتمع الفقهاء عليه فوجدوه رجلا قوى العارضة فأشاروا على والى باخراجه لئلا يفسد عقائد العوام فأخرجه . وإنما فعلوا ذلك لأنهم كانوا جميعا صائمين عن جميع العلوم ما عدا الفقه فتوجه الى مراكش وكتب الى أمير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين . ولما دخل عليه أحضره الفقهاء فناظروه فغلبهم ومنهم رجل يقال له (مالك بن وهيب) له معرفة بعلوم كثيرة حتى الفلسفة فأشار على الملك بقتله لأنه فصيح حسن العبارة وهو مفسد لا تؤمن غائلته فلم يقتله الملك خوفا من الله فقال له اسجنه حتى يموت فقال الملك لا ذنب له . هنالك نفاذ عن مراكش وهناك كانت الطائفة الكبرى فتوجه الى (سوس) فشرع فى تدريس العلم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وأخذ يذكر المهدي ويشوق اليه (كما فعل المهدي السوداني محمد أجد فى زماننا سواء بسواء) فكلاهما ابتداء أسره بالقشويق للمهدي من غير أن يذكر نفسه وجعل له أنصارا يستميلون له رؤساء القبائل . هنالك تقرر فى نفوسهم فضل المهدي ونسبه ونعته . فلما تم ذلك قال أنا محمد ابن عبد الله ورفع نسبه الى رسول الله ﷺ وصرح بأنه معصوم وانه المهدي المنتظر . فلما استقر لهم ذلك بايعوه على انه المهدي وألف لهم كتباً فى العلم وعلمهم فكان يبطن التشيع . وأول درجة من أصحابه كانوا عشرة وهم المهاجرون الأولون سماهم الجماعة وهم أول من صدقوه والطبقة الثانية سماهم الحسين . ثم قال لهم : ما على وجه الأرض من يؤمن بإيمانكم وأتم العصاة المعينون بقوله ﷺ ﴿ لا تزال طائفة بالغرب ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتى أمر الله ﴾ وأتم الذين يفتح الله بهم فارس والروم ويقتل السجال ومنكم الأمير الذى يصلى بعيسى ابن مريم . ولا يزال الأمر فيكم الى قيام الساعة . ويقال انه كان يخبر ببعض الحوادث فتقع . وكان يقول ﴿ لو شئت لعددت خلفاءكم خليفة خليفة ﴾ ولقد جاء هذا القول فى نظر رجل من أهل الجزائر من مدينة من أعمال (بجاية) وقد وفد على أمير المؤمنين أبى يعقوب وهو (بقينملا) فقام على قبر محمد بن توصرت بمحضر من أتباعه الموحدين وأنشد قصيدة بليغة وهالك نصها :

سلام على قبر الامام الممجد \* سلاطة خير العالمين محمد  
ومشبهه فى خلقه ثم فى اسمه \* وفى اسم أبيه والقضاء المسدد

ومحبي علوم الدين بعد مماتها \* ومظهر أسرار الكتاب المسدد  
 أنقذناه البشري بأن يملأ الدنيا \* بقسط وعدل في الأنام مخلد  
 ويفتح الامصار شرقاً ومغرباً \* ويملك عرباً ومنجداً ومنجداً  
 فن وصفه أئقنى وأجلى وأئنه \* علامات خمس تبين المهدي  
 زمان واسم المصكان ونسبة \* وفعل له في عصمة وتأيد  
 ويلبث سبعاً أو قسماً يعيشها \* كذا جاء في نص من النقل مسند  
 فقد عاش تسعاً مثل قول نبينا \* فذا لكم المهدي بالله مهدي  
 وتبعه للنصر طائفة المهدي \* وفاكرم بهم اخوان ذى الصدق أجد  
 هي الله المذكر في الذكر أمهرها \* وطائفة المهدي بالحق تهدي  
 ويقدمها المنصور والناصر الذي \* له النصر حزب أذير روح ويفدي  
 هو المنتقى من قيس عيلان مفرجاً \* ومن مرة أهل الجلال الموطد  
 خليفة مهدي الاله وسيفه \* ومن قد غدا بالعلم والحلم مرشد  
 بهم يجمع الله الجبارة الاولى \* يصدون عن حكم من الحق مرشد  
 ويقطع أيام الجبارة التي \* أبادت من الاسلام كل مشيد  
 فيغزون اعراب الجزيرة عنوة \* ويعرون منها فارساً وكأن قد  
 ويفتحون الروم فتح غنيمة \* ويقسمون المال بالترس عن بد  
 ويغمدون للدجال يغزونه ضحى \* يذيقونه حد الحسام المهند  
 ويقتله في باب له وتعلمي \* شكرك أمالت قلب من لم يوجد  
 وينزل عيسى فيهم وأميرهم \* امام فيدعوهم لحراب مسجد  
 يصلي بهم ذاك الامير صلاتهم \* بتقديم عيسى المصطفى عن تعمد  
 فيمسح بالكفين منه وجوههم \* ويخبرهم حقاً بعز مجد  
 وما أن يزال الامر فيه وفيهم \* الى آخر الدهر الطويل المبرم  
 فابلق أمير المؤمنين تحية \* على النأي منى والوداد المؤكد  
 عليه سلام الله مادر شارق \* وما صدر الورد عن ورد مورد

فهذه حال (محمد بن تومرت) الذي هو المهدي المنتظر وأصبح القوم مقتونين به حتى لوقال لرجل اقتل  
 أباك أو أخاك لقتله . وكان اظهارة المهدي سنة ٥١٥ هـ وفي سنة ٥١٧ هـ جهز جيشاً عظيماً من المصامدة جلهم  
 من أهل (تبنمل) ومعهم قوم من أهل (سوس) وأمرهم بحرب المرابطين وأن يدعوهم الى الأمر المعروف  
 والتهى عن المنكر واتباع المهدي المعصوم ، فان أجابوا فهم اخوانكم والا فقاتلوه وأمر عليهم عبد المؤمن  
 وقال أتم المؤمنون وهذا أميركم ، وقاتلوا المرابطين قرياً من مراكش بموضع يسمى (البحيرة) وأمير  
 المرابطين الزبير بن علي بن يوسف بن تاشفين ، فدعا المرحسون المرابطين لما التقى الجيشان الى ما أمروا به  
 فردوا عليهم أسوأ رد ، وهكذا كتب عبد المؤمن الى علي بن يوسف بما عهد اليه محمد بن تومرت فرد عليه  
 ردّاً يحذر فيه من سفك الدماء ، ولما التقى الجهان قتل من المصامدة خلق كثير وانهمز الجيش ولكن نجا  
 عبد المؤمن . ولما رجعوا الى ابن تومرت هؤن عليهم أمر الهزيمة وبشرهم بالشهادة والجنة ، ومن ذلك  
 الوقت أخذ المصامدة يشنون الغارات على نواحي مراكش وهو يزاد تقى وصلاً وتشدداً في دينه واقامة  
 للحدود كلها حتى مات سنة ٥٣٤ هـ وقام بالأمر بعده عبد المؤمن فبايعه المصامدة ، ولد بضعة من بلاد تلمسان

وقد ولد سنة ٤٨٧ هـ وتوفي سنة ٥٥٨ هـ وقد ملك بلاد المغرب وأكثر بلاد الأندلس ، وقد خلفه في الملك ابنه أبو يعقوب يوسف ومات سنة ٥٨٠ هـ وخلفه ابنه أبو يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن وتوفي سنة ٥٩٥ هـ الذي أمان الفيلسوف ابن رشد وجده ثم عفا عنه ، ولم تقم للحكمة بعد ذلك قائمة في الاسلام وبعده ابنه محمد بن أبي يوسف أمير المؤمنين وتوفي سنة ٦١٠ هـ وتولى بعده ابنه أبو يعقوب يوسف بن محمد هذا ملخص كتاب تاريخ الأندلس المسمى ﴿ بالمعجب في تلخيص أخبار المغرب ﴾ تأليف الشيخ محي الدين عبد الواحد بن علي التميمي المراكشي

أقول : إن هذا العالم كان في زمان تلك الدولة فلم تطل مدته الى انقضاءها حتى يعرف ما آل اليه أمر هذه الدولة ، وأيضا انه كان تحت حكم ملوكها فلم تكن له الحرية التامة في إبانة الحقائق الناصحة عن المهدي (ابن تومرت) ووظيفة هذا التفسير امتحان الحوادث العامة وعرض نتائج الامتحان على أم الاسلام بعدنا أما مجرد سرد التاريخ فقيمته زهيدة ضئيلة ونحن الآن في تفسير آيات قرآنية ننبذ التقليد وهذا التاريخ الذي سردته هنا مسوق لتبيان أن الوقوف على التقليد بلا علم ولا هدى ولا كتاب منير هو الشؤم الأكبر والخطب الجلل والموت الزؤام

فلأذكر إذن في هذا الصدد ما عثرت عليه في المکتب الأخرى وما ذكره أيضا العالم الفرنسي (سديو) ليحق الحق ويبطل الباطل . واذن يفرح المؤمنون والعلماء المخلصون والأمم الحمديون بنصر الله بالهداية العالمة والله هو الولي الحميد

جاء في كتاب ﴿ خلاصة تاريخ العرب ﴾ للعلامة سديو ما ملخصه : « إن العرب باسبانيا انشقوا على المرابطين أيام علي بن يوسف الذي ظهر عجزه كما تقدم القول عنه وانه كان مشغولا بالصلاة والصيام وكلا أمر الرعية للنساء مع اكرامه للعلماء . وقد كان هؤلاء العرب لا يفسكرون إلا في محاربة أمراءهم المرابطين ولم يعرفوا كيف يتحدون ويتخذون لهم مركزا عاما حريا لصد النصارى المحيطين بهم من سائر الجهات وغاية الأمر أن الفرص قد سنحت لأناس منهم استقوا بالامارة من سنة ١١٤٤ في مرسية ووالنسة وغرناطة واشبيلية وقرطبة وغيرها فادعى كل هذا المنصب بالحق وانفصل عن الآخر فذهب المرابطون من اسبانيا سنة ١١٤٦ وغاية الأمر أن عبد الله بن غانية بقي تحت يده جيش ضعيف وقد اضطر الى مساعدة النصارى له فساعدوه حتى أخذ قرطبة واشبيلية حتى اذا ما جاء جيش عبد المؤمن فقتل ابن غانية وذهب أمر المرابطين . ثم ان الأميرين يوسف ويعقوب المتقدم ذكرهما أبلاوا بلاد حسنا في منح غارات النصارى عن مدن الاسلام ثم بعد ذلك أغاروا على من جاورهم من النصارى . وهناك تجدد الرونق والعز في بلاد الأندلس . وقد زاد ذلك النصارى وعز المسلمين بما فعله الأمير يعقوب حتى مات وخلفه ابن محمد الناصر سنة ١١٩٩ م

هذا وقد هزمه النصارى في واقعة (طولوسه) سنة ١٢١٦ م وهناك ضعف أمر الموحدين فاقطعوا عن محاربة النصارى ، ولما مات الأمير محمد خلفه أبو يعقوب وقد عصته الأقاليم بالمغرب واسبانيا لأنه غير كفء ثم ان أرباب المشورتين الذين أنشأهم المهدي كما تقدم (وهم العشرة الذين سباهم المهاجرين الأولين والخمسين الذين سباهم الجماعة) كانوا متشوقين الى الاختصاص بالحكم لما رأوا فساد الأمر في البلاد فهتدهم المأمون ، وقد قام بشد أزره حزب ذو قوة و بطش وجعلوه أميرا عليهم ، فنصب أرباب المشورة المذكورون يحيى بن ناصر فتغلب عليه وعليهم المأمون وعاق رؤس هؤلاء الشيوخ على أسوار مراكش وألقى المشورتين ونسخ سياسة المهدي ومنع ذكره في الخطب وعامل أهل المغرب بقسوة لم يتدبروا بعدها على العصيان سنة ١٢٢٨ ثم إن محمد بن هود من ذرية قداماء ملوك سرقسطه أوقع البغضاء بين مغاربة اسبانيا ومغاربة افريقيا وأخذ منهم جيشا جوارا هزم به المأمون سنة ١٢٢٩ قرب (مدينة طاريغه) وألزم المأمون الإقامة بمراكش

هنالك انضم حلت دولة الموحدين شيئاً فشيئاً ، فانهم لما انتزعت منهم الأندلس أخذت بلاد المغرب تتساقط منهم شيئاً فشيئاً فقد عصى الموحدين في أيام خلفاء المؤمنين وإلى تونس سنة ١٢٤٢ م وعائلته ثم بنو حنص وفي سنة ١٢٤٨ أسس بنو زيان في تلمسان والجزائر سلطنتهم الممتدة إلى نواحي فاس ، وكذلك بنو مرين في جهات كثيرة ... والله الأصر من قبل ومن بعد .

هذا ملخص ما جاء في كتاب سديو ، وأريد عليه ما قرأته سابقاً في المطبوعات من أخبار ابن تومرت ثم أتبعه بالتأليف العلمية التي هي المقصودة بالذات في تفسير هذه الآيات فأقول :

إن محمد بن تومرت كما قلت جعله الله هذه الأمم أشبه بربي الأبطال ، ولقد جاء في كلام علماء الفقه أن السندب جائز في سياسة الأطفال ، وقد قلنا إن الأمم الإسلامية في القرون الأولى كانت في أيام الرضاة فسكني قرن سنة واحدة في عمر الأمة ولما كان الفطام أخذ الناس ينظرون شؤونهم بأنفسهم ولكنهم لقللة العلم سخر الله لهم أناسا يفعلون معهم فعل المربي مع الطفل . فإذا فعل محمد بن تومرت ؟ لزم الخلو كما تقدم وإلى أقول أنا معتقد في الرجل حسن مقصده وأنه يريد للمسلمين في تلك الأصقاع خيراً ، ولقد رأى أن يسوسهم بالدعوة المشهورة وهي المهدوية . فإذا يفعل ؟ نصب له دعاة وأعلن العصمة كما أعلنها غيره من الفاطميين بمصر وأعلنها أيضاً (أغا مهنون) بالهند في زماننا وغيره ، ولقد كان من أمر (محمد بن تومرت) أن بث الأرصاء والعيون والجواسيس ليستطلعوا أسرار القلوب ومن المصدق للمهدي ومن المكذب وأخذ يوازن بين الشهادات الواردة إليه عن عظماء أتباعه ، فمن ذكائه وفطنته لم يحكم على أحد بالكفر بمهديته إلا إذا توافرت الشهادات المختلفة بذلك من بطائنه الذين جعلهم عيوناً عليهم . أما الذي اختلف فيه اليهود . ومعهم أن أحدهم لا يعلم ما يقوله الآخر فإنه لا يحكم بكفره به . فهناك اجتمع له من أسماء أتباعه جدول حفظه عنده لوقت الحاجة

وبينا هو يثبت الأرصاء والعيون والجواسيس لمعرفة أسرار أتباعه كان قد أسر لرجل من أتباعه يدعى علي ما أذكر (الونشريني) فهذا الرجل كان عالماً فاضلاً جليلاً وأخذ يهيم على وجهه ويمر في المجالس فلا يأتبه له أحد لأنه محذوب لا يبي . وكان إذا صرّ على (محمد بن تومرت) يقول إن في هذا الرجل لسراً . وبقى الأمر هكذا إلى أن كان ذات يوم محمد بن تومرت يصلي الفجر نظر فرأى رجلاً وراءه يصلي وعليه ثياب بيض بهيئة جيلة فاطمها الدهش واذ سأله من أنت ؟ فقال أنا الونشريني . أتى في هذه الليلة أتاني النبي ﷺ بقلعة وعامني كذا وكذا وعرفني العواقب وأهل الجنة وأهل النار . ولا جرم أن هذه هي الحيلة التي تكررت كما تقدم في هذا التفسير إذ ذكرت نظيرها في ﴿سورة الشعراء﴾ عند آية السعير فليفتطن المسلمون وليستيقظوا فقال ابن تومرت له بدهشة ولهفة : سبحان الله . أخبرنا بأمرنا من أنا ؟ فقال أنت المهدي ومن كذب بك في النار (ولاجرم أن الجدول الذي فيه الأسماء قد سلم إليه سرا حتى عرف جميع الكفار بأشخاصهم) فهناك قال له المهدي : أخبرنا بأهل النار وأهل الجنة . فأمر المهدي فاجتمع القوم وحفهم الونشريني صفين صفاً أمام صف فنظر إلى صف اليمين فقال هؤلاء أهل الجنة وصف جهة اليسار فقال هؤلاء أهل النار . ثم قال ليقبل أهل الجنة أهل النار فصر صف اليمين صف اليسار حالاً بالسيوف واستولوا على ما يملكون ، ولكن هؤلاء المقتولون وإن كان أمر قتلهم سماوياً على حسب الاعتقاد بقي له أثر في النفوس فشغلهم المهدي بالحروب المتقدم ذكرها ضد المرابطين أيام (علي بن تاشفين) كما عرفت وصار يعدهم وبنينهم بملك فارس والروم وأنهم هم الذين يبقون حتى أيام نزول المسيح إلى آخر ما تقدم . هذا هو الذي وعده الذاكرة مما قرأته من الكتب والله أعلم

﴿ امتحان هذه السير والأحوال ﴾

سبحانك اللهم وبحمدك . أنت ناظم الأمم والجماعات ومعط كل ذي حق حقه . أنت الذي علمت أن هؤلاء قوم جهال مشتتون فهيأت لهم محمد بن تومرت ليمنع الظلم عنهم فقام وادعى المهدوية . اللهم إن المهدوية

قد تقدم الكلام عليها في أول (سورة الحج) وقد ذكرنا هناك أمر المهدي وأن الأحاديث كلها مطعون فيها . سبحانك اللهم وبحمدك . إن أحاديث المهدي قد سرت إلى نفوس أكابر الأمة وأن يحيى الدين بن عربي قد وقع فيما وقع فيه غيره وسرت عقيدة المهدي في الأمم الإسلامية وقلت هناك أنها لا تزال باقية لم ينقص منها شيء حتى ظهور المهدي السوداني ، فما نتيجة ذلك كله ؟ نتيجة ضعف العقول والالتكال على الشيوخ ونوم القوى العاقلة ، نام المسلمون آماداً وآماداً ، تركوا مواهبهم ، تركوا عقولهم ، كما تركت الحيوانات المنزلية تدبير أنفسها للانسان بخلاف الحيوانات البرية الوحشية كالغزلان ، إذن المسلمون المتسكون على المهديين أو على الشيوخ والذين استناموا لمن ملكوا قيادهم من الظالمين مسلمين وغير مسلمين أصبحوا كالغنز والبقرة اللتين ضعفتا عن تدبير أنفسهما وفاقتهما الغزالة والبقرة الوحشية ، فصارت الأمة ذليلة والعضو الذي لا عمل له يضمحل ويضعف ، وليس الأمر قاصراً على محمد بن تومرت فهو رجل نفع القوم بأساويه ومنهجه واستعان بالكتمان والصبر وعلوم السيمياء وبايمامهم أنهم خير أمة أخرجت للناس وانهم هم الذين يقعون إلى نزول عيسى عليه السلام وقد فعل ذلك معهم ولكنه في الوقت نفسه علمهم الصدق والاخلاص والشجاعة والعلم على حسب زمانه ، الرجل مزج الحق بالباطل وقد أفاد القوم . ولا يزال بعض شيوخ الطرق الآن في أمم الاسلام يرفعون نفوسهم إلى مقام العظمة ويجعلون أنفسهم وسائط بين الله وبين خلقه . وقد أنام كثير منهم المسلمين إذ أفهمهم أنهم بتعاليمهم مع جهلهم الفاضح ينجون من العذاب يوم القيامة . تعليم ابن تومرت وغير ابن تومرت نافع وضار . النفع مؤقت على مقدار همته . انظر الفرق بين هؤلاء الصالحين وبين الأنبياء انظر إلى الأنبياء كيف دامت دياناتهم آماداً وآماداً . كثير المهديون في الاسلام ولكل مهدي أيام تنقضي واسكن الاسلام باق لم ينقص منه شيء وما يفعله هؤلاء الشيوخ تمحوه كرور الأيام لأنه لا ثبات له وهل لغبر العلم ثبات ؟ الأمم الإسلامية يجب تعليمها وترقية عقولها ونشر التعليم والثقافة العامة فيها . ليكن التعليم اجبارياً في جميع الأقاليم ليتعلم الرجال والنساء

هذا هو المهدي . فأما إني أؤمن بثلاث انه المهدي ومتى ذهب ذهب ذلك الايمان ( كما فعل المؤمن فأبطل اسم المهدي ونسخ تعاليمه وقتل الشيوخ ) فان النبوة تهمحل وتذهب كما رأيت في دولة الموحدين لا لا أيها المسلمون : - وقبل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً - قال موسى ما جئتم به السحرة إن الله سيبطلهن إن الله لا يصلح عمل المفسدين -

تذكر أيها الذكي ما جاء في (سورة طه) وأن بني اسرائيل لما رأوا العصا قلبت حية آمنوا وهم في مصر ثم لما خرجوا منها وصروا على قوم يعكفون على أصنام لهم - قالوا يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون - ولما رأوا عجل السامري المصنوع من الذهب - قالوا هذا إلهكم وإله موسى - فهذا الايمان المشؤم الذي لا يرجع إلى تمام العلم يكون عرضة للتقلب فان من رأى عصا انقلب حية لحري أن يكفر اذا رأى مجلاله خوار مصنوعاً من ذهب فانه أجل وأبهي وأعظم هيئة من الحية

وهل وردت تلك القصص في القرآن إلا لهذه النتائج . ألم يقل الله تعالى - أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم - وهو القائل - وما معنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظاهاوا بها وما ترسل بالآيات إلا تخويفاً - والآيات المذكورة هي خوارق العادات . إذن القرآن في ناحية وجهور المسلمين في ناحية . القرآن يدعو إلى العقل والعلم وتعليم الناس . واذا كنت قد خلقت في الرمم الميتة دوداً وسلطت على الأحياء منها الاسود والنمور الخ رجة مني وعدلاً وحكمة أفلا أخلق في رمم الأحياء باطنياً وبلاد الاسلام ما يشبه هذا السود ويشبه الاسود والقهود والنمور من رجال الدين ومن الأمم المستعمرين أو لا ترون أني أخلق العنكبوت تنصب الخيام لاصطياد الذباب . أفلا أفعل كذلك في الانسان الذي أشبه الذباب

فأسلموا عليه عنكبوت الشيوخ والبراهمة والدجالين . هذا فعلى وأنا الحكم العدل . أتم أيها الناس جميعا اليوم في حال تشبه حال الأطفال من حيث مجموعكم والأطفال لا يستمعون غالبا لما يعقله البالغون . ملأت أرضكم بالأصنام وبالخرافات لأنكم لا تعقلون سواها . ثم أرسلت رسلا وآخرهم خاتم الأنبياء ﷺ فسرت دعوته في الأرض ووصلت الهند وفيها نحو خمسين مليوناً من المسلمين وهم أرقى الجميع . وهذا العدد لم يسلم إلا بعد حروب دامت قرونا وقرونا . ثم مضت فترة ولم يقدر المسلمون على إزالة الأذى عن عباد البقر والأصنام هناك فأرسلت دول أوروبا فأخذوا يمنعون بعض تلك العادات تيمنا لما فعل المسلمون قبلهم . وكل ذلك اليوم تهديد للزمان المقبل القريب إذ يظهر الجيل الجديد من المسلمين لاسيما قراء هذا التفسير . وهؤلاء هم الذين يرون أن الناس جميعا اخوانهم وانهم خلفاء الله في أرضه . فهؤلاء هم الذين يرقون الانسانية كلها بعلمهم وحكمهم وامتزاجهم بالأهم وهناك يزاون الخرافات أولا من بلاد الاسلام وثانيا من بلاد غير المسلمين من أهل الهند وغيرهم . هنالك يفهم المسلمون معنى قولى في القرآن - كنتم خيرا مة أخرجت للناس - وقولى - وكذلك جعلناكم أمة وسطا - وقولى - وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين -

هنالك يفهم الناس لماذا ذم الله التقليد في هذه الآيات التى نحن بصدد الكلام عليها وما فوائد الهدى والعلم والاستبصار

فلما سمع صاحبى ذلك . قال : والله لقد شفيت ما فى نفسى . فقلت الحمد لله رب العالمين . كتب يوم الأربعاء ١١ نوفمبر سنة ١٩٢٩

\*\*\*

### ( جمال العلم وبهجة الحكمة )

( فى ذم التقليد )

أيها المسلمون : اننى بينا أنا أكتب هذا الموضوع يوم الاثنين (١١) نوفمبر سنة ١٩٢٩ وقد اختمرت هذه الفكرة فى نفسى طلع «الاهرام» وفى صدره هذه المقالة الآتية من بلاد الهند فأدهشنى صدور هذا القول اليوم وفكرت فى أمر الاسلام وأمة الاسلام وقلت إن هذه من المصادفات العجيبة . كيف يظهر اليوم هذا المقال وقد ظهرت فيه أحوال الهند المقسمين الى أربع طبقات وأن البراهمة أو هوهم أنهم نواب الله فى الأرض وعاشوا عالة على الشعب وأن هذا هو أكبر سبب فى خضوع الهند التى تعد بمئات الملايين الى عشرة آلاف من الانجليز . اللهم إن هذه المقالة سيتجلى بها هذا المقام حقا وصدقا ، كيف لا والبراهمة قد نبغوا فى احتقار الشعب وادخال الغفلة عليه وبعض النصارى والمسلمين قد قلدهم فى ذلك الاحتقار ، فياللعار ، وبياللشنار

أليق بخلفاء أبى بكر وعمر وعثمان وعلى وأتباع النبى ﷺ (ذلك الذى قال « لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى » والذى أمر بلالا أن يؤذن على الكعبة بمحضر من قریش والذى نزل عليه - يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم - ذلك النبى الذى منع الاستثناء ونبت كل خوارق العادات وحكم عليها بأنها كهانة ، وجاء بالانصاف والعدل ، وأتى بمدينة تحترق بجانبها مدينة بعض الاوروبيين ، أولئك الذين يحرقون أن يكونوا مع السودانيين فى مكان واحد كطعمهم أو ملعب ، ذلك هو الذى سمعناه اليوم عن بلاد الانجليز ) أن يكونوا كالبراهمة فيفسدوا عقول الشعوب الاسلامية بمهدويتهم أو بمشيختهم . كلا . والله لا يلىق

فهذا هو المقال الذى به نعرف معنى قوله تعالى - وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين - ووصفه ﷺ بأنه سراج منير وانه خاتم الأنبياء ، فقد ضرب المدينيات القديمة ضربة زلزلات الأرض ولكن لا تزال الأمم فى حاجة

الى ارشاد المسلمين الذين سيظهرون بعد ظهور أمثال هذا التفسير ، فالاسلام لاتزال أمامه مشاق وأعمال ملقاة على عاتق الأجيال المقبلة قراء أمثال هذا التفسير .

إن أكثر المسلمين يهوش على عقولهم قوم بطواهر أحوال أو بأخبار بالغيب صدقا أو كذبا أو بالتكشف والزهد ، كل ذلك أمره قد مضى في حال طفولية الأمم الإسلامية ، ولقد قلت لك أيها الذكي أن الأمم الإسلامية اليوم في القرن الرابع عشر قد أزف زمان باؤها بالسوق وقد صارت كمن بلغ بالحلم ولها ترى الحقائق في زماننا هذا وتخرج من حضنة أولئك الذين لا يرون لها سياسة إلا بالايهام وحجبهم عن الحقائق وإبعادهم عن سواء السبيل

أيها المسلمون : لا عطر بعد عروس . ولا مخبأ بعد بوس . هذا كتاب التفسير « الجواهر » هاهو ذا بين أيديكم فتفكروا فيه وقلبوا صحائفه وسيظهر جيل جديد سائر على منواله . فويل لمن تركوا مواهبهم وعقولهم واتكوا على شيخ من غير تعليم . وويل ثم ويل لمن نسوا نعم الله عليهم بالعقل والحواس والنعم الجليلة ثم انتظروا محيى المهدي ليهدى أبناء أبنائهم وهم لا يهتدون كأن الله عز وجل ليس هاديا للناس الآن مع أن من أسمائه تعالى (الهادي) وكأن النبي ﷺ ليس من أسمائه الهادي . الله جعل الهدى في الأرض في كل زمان ومكان ولا يحجبه إلا التقليد الذي ذمه الله في هذه الآيات إذ يقف المستضعفون أمام المستكبرين ويقولون لهم أنتم سبب جهلنا فيقول المستكبرون . كلا . بل أنتم قوم مجرمون أي لأنكم لو كانت لكم عقول ما أطعتمونا وكيف تركتم مواهبكم وعقولكم

اللهم إنا نحمدك على ظهور حقائق القرآن في التاريخ الذي جعل نبراسا ونورا لمن بعدنا . فانظر أيها الذكي إلى أهل الأندلس كيف قصرت أنظارهم أيام على بن يوسف بن تاشفين إذ انهم بعد أن عصوا أعمال المرابطين لم يتفطنوا أن الفرنجة من خلفهم بل استقل كل بمملكته . لماذا هذا ؟ لأن العقول خدت بسبب الجهل . ثم انظر اليهم بعد أن طردوا الموحدين من بلادهم كما تقدم فانهم تفرقوا شيعة وذاق بعضهم بأس بعض وذلك من نقص العلم والغفلة إما بالفسوق والاكتفاء بالشعر كما تقدم في « سورة الشعراء » . وأما بمجمود القرائح بتعليم شيوخ يجعلونهم بالأمانى قانعين وعلى الرؤساء متسكين والله لا يهدي القوم الظالمين

إن الله قد أذن في هذا الزمان بظهور الحقائق ونشر المجلات والصحف فسهلت على مؤلف هذا التفسير الأثر واستبانت حقائق كثيرة كانت مطوية التفصيل عن أنظار الجمهور . فهذا المقال الذي سأذكره هنا عن الهنود يريكم أيها المسلمون مضار التقليد بأوضح سبيل وهذا عار على أمم الاسلام الذين بعدنا الدارسين العارفين . أما أكثر الأمم الإسلامية المتأخرة فان شيوخهم فعلوا معهم بعض فعل البراهمة مع الهنود وكان من حقهم أن يكونوا مرشدي جميع الأمم لأنهم هم يتبعون الشهوات كأولئك البراهمة القدماء والخالين . فهناك نص المقال المذكور

### ﴿ حديث الهند ﴾

( من عرف العلة في جسم غيره دفع شرها عن جسمه )

مصر مع العالم تنظر الى الهند وتصفى باسمائها لشكواها . ومصر دون العالم تهتم بأمر الهند لان شأن تلك البلاد شأنها ولأنها تشاركنا بالامنا كما تشاركنا بالآلها . وتتمنى خلاصها كما تمنى خلاصنا واذا قلنا الهند فقد أردنا الهند المفكرة العالة الناهضة . ولكن ما هي الهند ؟ أهى كصرامة واحدة بلغة واحدة وعصر واحد بجو واحد وتقاليده واحدة وآداب واحدة ؟ وهل هى تحيا حياة ديموقراطية كصر لا يفضل فيها المصرى المصرى الا بعمله وبما يقدمه لوطنه ؟ لا . انها ليست مثانا ولا نحن مثلها فاهى الهند اذن ؟ وماهى أدواؤها لندفع شر

تلك الأدواء عن أنفسنا إذا نحن أحسبنا بها . ان أصدق الجواب على هذا السؤال طر بالارقم . فلهذا التي أسماها  
الاغريق باسم أحد آلهها ليندرا كهاتهم في التسمية إذا كانت شطرا من القارة الاسيوية فهي تسكون  
يسما منفصلا عن العالم بالماء من جهات البحار والجبال الشاخنة جدا حتى لا تجاز من جهات البر . مساحتها  
٩٢٤٥٥٩ كميا ومتر بها يسكنها ٣١٩ مليون منهم ٢٤٧ مليون هم المستعمرة الانسكازية والآخر ١٢  
أبارة خاضعة للانسكاز وهذا المجموع من الأهالي مؤلف من ٢٠ عنصرا وهم بتسكامون ٢٢٢ لغة أو طيعة وليس  
لهذا المجموع لغة عامة ولغاتهم ٥٠ نوعا من الكتابة ولكل كتابة من ٢٠٠ حرف الى ٢٥٠ حرفا كذلك تعدد  
أديانها . وجو بلادهم يختلف باختلاف المناطق فعلى مقربة من السواحل يهبط مستوى الأرض الى ٢٠ متر  
فوق سطح البحر فيكون الجو محرقا بدرجة ٤٧ يميزان سنتراد وفي أعلى القمم على ارتفاع ٨٨٩٠ متر يوجد  
البرد الدم بالعروق . جميع الفاتحين الكبار غزوا تلك البلاد وملكوها من سيزوستريس الفرعون المصري  
الى الاسكندر المقدوني الى غزاة التبت الاربيين الذين ملكوا ناصية تلك البلاد وأسما أهلها بالبار بين  
النجسين ثم تفرقوا بعد ذلك قبائل وصلت الى أوروبا وملكها والى العرب الى الهولنديين والبرتغاليين  
الذين فتح قائدهم البحري فاسكودي غالما طريقها سنة ١٤٩٨ الى الفرنسيين الى الانسكاز الذين تملكوا  
ناصيتها من الفرنسيين واتخذوها مزرعة لشركة من شركاتهم الى أن ابتاعها حكومتهم من تلك الشركة في سنة  
١٨٣٣ وأخذت بتوسيع حدودها . وظلت حتى الآن لتلك الدول التي تقدمت انسكازا أملاك وسجز في جوانها  
والانسكاز يستعمرونها للرزق والتجارة لان مبادلاتها التجارية من الصادر والوارد لا تقل في السنة عن  
٥٠٠ مليون جنيه وكل استعمار للرزق ولرخاء العيش . وأقدر الدول على الاستعمار من قوت رزقها في وطنها  
ولا يتعب الانسكاز كثيرا في حكمها وجيشهم باحصاء ١٩٣٦ لا يزيد فيها على ستين ألفا . وكبار الموظفين على  
٣٣٣ موظفا ورجال البوليس منهم على أربعة آلاف كما أن عدد الأورو بين وأكثرهم من الانسكاز لا يزيد  
على ٢٠ ألف فهل من المنقول أن يحكم هذا العدد القليل مثل ذلك العالم الضخم ؟ ان الجواب على ذلك يجده  
الباحث في حياتهم الاجتماعية والادبية . فالسكسون وهم أرق العناصر كانوا عضدا الدولة الحاكمة وهم خمسون  
مليوناً لان حكم التفريق كان سائدا بينهم ثم الجمل الذي ترك فيه الأهالي ولا يزيد الآن عدد الذين يسرفون  
القراءة على ٨ بالمئة . ولانهم يقسمون الأمة الى طبقات بحكم شرائعهم القديمة . فالطبقة العليا هي طبقة البراهمة  
نواب «الاله الارضى» في خلقه . وهم فوق الجميع . ثم طبقة الكشانترياس أى المجاهدين والمقاتلة ثم طبقة  
الغاشياس أى الفلاحين والزراع . ثم الطبقة الاخيرة الحقيرة النجسة وهى السودا التي خلقها الله لخدمة  
الآخرين . وعند البراهمة نص في شريعة «بها كافلا» بان من قتل برهانا يحوله الله الى حشرة من حشرات  
الاقذار الى أن يولد ثانية بعد موته فيأتى من عنصر باريا أى السودا ويظل أهيمى عدد شعر البقرة من السنين  
ولا يغفر له ذنبه الا اذا أطعم . ٥٠ ألف برهاني أما اذا قتل أحد البراهمة واحدا من السودا فيكفى للعفران ان  
يرتل الغويالى وهى من أناشيدهم المقدسة ليظهر . فانظر الى قيمة هذا وذاك في شريعتهم المقدسة ثم اسأل  
أين المساواة ؟ البرهمة من آفة الهنود منذ عهد بعيد لا يقل عن ستة آلاف سنة . كان العلم محصورا بهم دون  
سواهم قبل دخول الغزاة بلادهم لذلك زادوا على الكتب المقدسة ما يعزز نفوذهم وبوصفهم وكلاء «اله  
الارض» وجد البغاء المقدس فى الهياكل لاجلهم . وحكم على الناس أن يقدموا لهم جميع حاجاتهم دون أن  
يقوموا بعمل فاذا ولد الطفل الهندي أعطوا الجعمل واذا بلغ اليوم السادس عشر من عمره أعطوا الاناوة  
ليطهره من رجس الولادة واذا بلغ الشهر الثالث أعطوا الاجر قص شهوره . واذا بلغ الطفل الشهر السادس  
أعطى البرهانا الأجر عن فطامه . كذلك اذا أتم السنة . ومن السنة الواحدة الى السنة السادسة عشر وهى  
سن الزواج يعقد البرهانا الزواج مقابل الأجر وكذلك فى حالة الموت واحتراق الجثة ووضع الرماد بالحق وفى كل



شهر من السنة الاولى بعد الوفاة يقدم للبرهانة كل ماهوعز يز على الميت على اعتقاد أنه يتبع به في آخرته وفي كل حفلة من هذه الحفلات يفسون أقدام البرهانة ويشربون ماء الفسل . تلك طبقة ليست عاطلة فقط بل كالعاق تتنصص دم الأمة وتقتل معها ونفوسها لما ابتدعتها من الاحكام والشرائع . كذلك تقديس البقر حتى انه لا يموت منهم ميت الا اذا هو أمسك بذيل بقرة من تلك الأبقار المقدسة . وهم في الصحة والمرض يلتفتون رؤسها وبولها ويمزجونه بلبنها ويضعونه في أحقاد ليؤكل ويشرب فيشفي من كل داء ويدخل الأكل والشرب الى الجنة وقد بلغ عدد البقر في سنة ١٩٢٠ مليوناً و١٤٦ ألف بقرة وبلغت النفقة عليها ١١٧٦٠٠٠٠ جنيه أي أربعة أضعاف غلة الأرض ومن هذه الأبقار ٧٠ ألف بقرة لا يجوز الاقتطاع بلعصها وعظمها وجلدها . وفي كل سنة تقوم المعارك بين المسلمين والهندوسيين من أجل ذبح البقر والذين يزورون الهند قد يشاهدون تلك الأبقار المحترمة المقدسة والناس يتراكمون لالتقاط بولها بأوعيتهم . بل ذلك في زعزعة وفي تلك الأمة ما يؤخذ أيضا من احصاء ١٩٢٠ أن عدد الشجاذين والسجاليين خمسة ملايين و ٨٠٠ ألف وعدد الراو يش والاولياء ٤٥٢١٧٤ شخصا فأى جسم يتحمل مثل هذا العلق ويظل قويا ؟ الهندو يقدسون الزواج والاطفال يصلحون له عندهم من سن الواحدة فصاعدا فإذا أتم الطفلان فعل الزواج قبل البلوغ قدمت الهدايا لوكلاء «الاله الأرضي» أي البرهمانا . ولهم سيفا يصورونه في كل مكان بصورة أحد أعضاء التناسل ولهم فيشو بصورة فعل الزواج . فلها قرر مؤتمر جنيف في سنة ١٩٢٣ أن تحرم الدول نشر الصور المغيرة للأدب وأن تنصص قوانينها بالعقاب الشديد قابل مسلمو الهند هذا القرار بالارتياح بل بالفرح والسرور وقابله الهندو بالسخط والغضب فنص في القانون الذي يحرم نشر الصور القذرة على اشتراط مخالفة الدين وسن قانون الزواج بعد ذلك على أن يكون سن الشابين بين العاشرة والثانية عشرة ونادى غاندى بهذا الاصلاح ولم يكتب به وأعان ناغور شاعرهم حروبا على هذا القانون الذي عده فوزا للمادة على الروح وأصر على تزويج الاثنى قبل أن تصير بالهة بحجة أن الاثنى في هذه الحالة لا تعرف أنها أئى الا وهي متزوجة . أما حجة غاندى فسكثرة الوفيات وضعف النسل وشيخوخة الرجال وهم في الخامسة والعشرين ورهن النساء في سن الشباب وكانت حرب شعواء وانتهت بان اقترح مجلسهم في سنة ٢٥ رفع سن الزواج الى ١٤ سنة ودل الاحصاء على أن البنات اللائي يتن في سن الطفولة بسبب الزواج يبلغ متوسط عدهن في السنة ثلاثة ملايين و ٢٠٠ ألف وقد عرف الناس أنهم رفعوا السن في تشرع هذا العام الى ١٦ سنة أما الارامل وعدهن في الهند ثلاثون مليوناً فلا يمكن أن يتصور الانسان على ما وصف داس وغاندى والمس مايور الأميركية حالاً أسوأ من حالهن مرضاً وسقماً وضعفاً . فلرأة اذا مات زوجها كانت تحرق نفسها على قبره أوهم يحرقونها الى أن أبطل الانجليز ذلك بعد جهد جهيد . أما اليوم فانها تخلق شعر رأسها ولا تطعم الا العيش اليابس مرة في اليوم ولا تخاطب الا بعبارات التحقير والازدراء ولا تقابل أحداً وقد نادى غاندى بالهنديات الرقيات ليشرن الدعوة لزواج الأرملة ولا كرامهن وكانت فسكرة هذه الجمعية موجودة منذ سنة ١٨٩١ ولكنهم لم يفلحوا حتى الآن كما أنهم لم يفلحوا بإبطال البغاء المقدس وهو أن يقدم الرجل بنته وهي طفلة للاله فيتقوم وكيل الاله الأرضي مقامه وهكذا تصير الفتاة بغيا مقدسة لمن يدخلون الهيكل . وفي معبد كالى ألهة السم المسماة كالكونا باسمها . ألوف منهن . ومن أسباب انحطاط الهند طبقة السودرا أي الطبقة النجسة وعدها ٦٠ مليوناً فهم في نظر الطبقات الأخرى الثلاث دون الناس فلا يجوز لهم دخول المدارس ولا دخول الهيكل ولا المحاكم ولا الخازن ولا المستشفيات حتى انه لا يجوز لهم امتياز المياه من الآبار العمومية وفي بعض الجهات لا يجوز لهم السير بالطرقات العمومية واذا وقع ظل واحد منهم على شئ أو على انسان نجسه واذا وقع على ماء كل أو مشرب حرم أكله وشربه . واذا رأى أحدهم برهمانا مقبلاً وجب عليه الابتعاد عن طريقه نحو مثنى متر على الأقل . كما انه يجب عليه الابتعاد عن الطبقات الأخرى نحو ٣٠ متراً ولم يتعرض الانكابر

لهذه الحالة احتراماً لامر ملكهم في ٣ ديسمبر ١٨٥٨ بالاعتراض أي الانسحاب لاحكام الدين والعقائد وهؤلاء التعساء يعتقدون أن ذلك حكم الله عليهم . ولكن غاندي هب للدفاع عنهم بحجة أن الدين لم يحرم رفع هذه الطبقة الى مصاف الطبقات الأخرى فمن الواجب أن ترفع اليها ففقدوا في بمباي مؤثراً ضخماً لحاربه هذا المبدأ ولما صدر القرار في مارس بان يكون تعليم الهنود جميعاً اجبارياً خصصوا ٦٩ مكاتب لاولاد هؤلاء النجسين وعينوا ٨١٥٧ مكتبة للآخرين وفي سنة ١٩٣٦ أصدر مجلس الشورى بمباي قراراً بقبول أطفالهم بالمدارس وبالسماح لهم بتناول الماء من الآبار العمومية ولما أوفدت انكليزاً المستر مونتاغو الى الهند في سنة ١٩١٧ ليسأل الهنود عما يريدون لبلادهم جاءه أناس من هذه الطبقة وقد تنوّرت أذهانهم من الاحتكاك بالاجانب وقالوا انهم يرفضون الحكم الذاتي لانه لا يمكن الا أداة تسليم الخندق للثعiban ولما نزل ولي عهد إنجلترا في بمباي سنة ١٩٢١ وأذاع غاندي رسالة قال فيها ان هذه الزيارة أهانة للهنود واحتقار لأذرب الناس عن مقابلة الأمير وسادت الاضطرابات في شوارع تلك المدينة مدة أربعة أيام قتل ٥٠ وجرح ٤٠٠ . ولكن لما أراد الأمير السفر من بمباي الى دلهي ركب من القصر الى المحطة وهي تبعد ثلاثة كيلو مترات فاجتمع ألوف الألوف على طريقه يحيونه وسبقه ألوف الى دلهي للفرض ذاته وكان هؤلاء جميعاً من طبقة السود لانهم يحبون رجلاً قويا وكل قوي له وهكذا جعلهم جماعة منهم على تخية ذلك الأمير فمال رأي التاريخ ما هي الأمراض الاجتماعية التي تجعل ٣١٩ مليون انسان خاضعين خائفين لستين ألفاً وهم هم الذين كان من أبنائهم ٩٨٥ ألفاً في ميادين القتال للدفاع عن الامبراطورية فظهروا في ذلك الدفاع أبطالاً أشداء تلك أمراضهم ومن عرف مرض سواه وفي نفسه واذا أردنا وصفا للهند جامعا وجدنا هذا الوصف الجامع بين شقي قلم غوستاف لبيرون القائل : ان الهند حلقات أولها مع أول عهد الانسانية وآخرها مع آخر مرحلة وصلت اليها المدنية . فهي سجل صادق لتاريخ الانسانية وأديانها . وتقاليدها وأطوارها وضعفها وقوتها وتدينها ورقبها اه

هذه صورة أهل الهند قد وضحت الآن في هذه المقالة وظهرت حقائق يتروق لمعرفة العقلاء في الاسلام . ولقد تقدم في هذا التفسير ما فعله (ابن الصباح) في قلعة الموت وكيف تعلم تلاميذه شرب الحشيش فصاروا حشاشين وخيل لهم أن الجنة تحت أقدام رؤسائهم . وهكذا ما فعله كثير من رؤساء الصوفية . وكيف كان التدليس في أمم الاسلام . ألا انما مثل هذه الأمم كمثل نوع من الطير يعيش في بعض الفصول في بحيرات مصر بالوجه البحري وسياسته هكذا : ينام الطير ليلاً ويحرسه أربعة طيور من الجهات الأربعة والمقدم هو الرئيس وهذه الطيور النائمة لا تطير إلا بأمر ذلك الرئيس اذا صرخ عليهم . وقد اعتاد الصيادون أن يقتلوا ذلك الرئيس بطريقة وهي أن يلبس الرجل على رأسه ما يشبه وجه هذا الطائر ومنقاره وهو مختلف وراء تلك الصورة وتقوم هذه الصورة على وجه الماء فيظن الطير أن هذا من جنسه حتى اذا وصل الى ذلك الرئيس جزه من رجله تحت الماء فقتله . فاذا أحس بذلك أحد القواد في اليمين واليسار والخلف من الحراس الأربعة أسرع وصار رئيساً بدله ، وعليه يأتي الصيادون أربعة رجال فيقتلون هؤلاء الأربعة مرة واحدة وتبقى تلك الطيور بلا قائد ، ثم يأتون الى أرجل تلك الطيور النائمة فيكسرونها تحت الماء حتى لا تنبأ

هذا فعل الصيادين في بحيراتنا كبحيرة المنزلة مع ذلك الطائر ، وهذا العمل عينه هو الذي حصل في تلك الأمم الاسلامية المحكومة برجال أناموا عيونهم وأقفأوا قلوبهم

ألم ترالى ما فعله المرابطون إذ أحرقوا كتب الغزالي واقتص له محمد بن تومرت . ألم ترالى الموحدين في آخر دولتهم لما حرموا الفلسفة وأهانوا ابن رشد كما تقدم في غضون هذا التفسير وبعد ذلك لم تقم للعلم قائمة حتى أوائل هذا الزمان

ولقد أذن الله عز وجل بالاقبال والعز والنصر المبين ، لقد نصر الله أمم الاسلام ، والدليل على ذلك نشر

هذا التفسير ، فاننا والحمد لله نكتب فيه آراء الأمم قديما وحديثا ولم ندع حكمة قلت أوجلت مما تفتخر به الأمم قديما وحديثا إلا أدرجناه فيه ومع ذلك قبله المسلمون جميعا في أقطار الأرض إلا طوائف ضئيلة لا يعتد بهم ، وإنى أقول بأعلى صوتي : إن المسلمين في هذا القرن الرابع عشر قد صاروا أشبه بغلام بلغ بالحلم . ذلك لأن الحروب والحوادث المريعة في الشرق والغرب أيقظتهم وإن لم يبلغوا القرن الخامس عشر الذي اعتبرناه السنة الخامسة عشرة جدير بأن تسمى هذه الأمة قد بلغت الحلم والله أذن لها بالارتقاء والسعادة والحمد لله رب العالمين . كتب مساء يوم الثلاثاء ١٢ نوفمبر سنة ١٩٢٩

### ﴿ نور على نور ﴾

#### ﴿ الكلام على البراهمة ﴾

تفسيرا لقوله تعالى - ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم - الخ  
التي تحض على التكفير ونبد التقليد

( بسم الله الرحمن الرحيم )

حضر صاحبي اليوم (الأربعاء) بعد الظهر (١٣) نوفمبر سنة ١٩٢٩ واطلع على ما كتبت وأخذ يقرأ طوائف البراهمة والظلم والحق والخرافات . فقال : إن هذا التفسير قد عودنا أن يبحث في الشبه التي تعرض لنا في أثناء المباحث العلمية ، وهاهي ذه الشبه تترى عند قراءة مقال البراهمة ، ذلك المقال الممتع فأقول : إن قراءتي لأكثر هذا التفسير قد جعلتني لا أرى طائرا ولا حشرة ولا غزالة ولا كوكبا ولا شمسا ولا قرا إلا تمثل أمامي كأنه حكمة مجسمة وقبسة نورية وبهجة لا لبصار ينظر الإنسان فيرى الحشرات الطائرات ملوذة حكمة مزدانة بالأتقان . أليس من أعجب العجب أن يمر في هذا التفسير نقلا عن علماء الأمم في الأرض بلانكبير أن للذباب أربعة آلاف عين كل عين منها مستقلة . ألم يتقدم في ﴿سورة النمل﴾ أن للنملة خمسة أعين منها عيان مركبتان كل عين منهما مركبة من نحو مائتي عين . فيألت شعري ماهي النملة ؟ وماهي عيناها ؟ وما هي الذبابة ؟ وماهي عيناها ؟ وما هذه الحكمة البديعة الجيلة الكثيرة التي لا حصر لها في مخلوقات منبذات قدرات محقورات ، وما هذه العناية بها حتى سمعنا الله في القرآن يقول - إن الله لا يستحي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها - ثم أعقب ذلك بما يفيد أن الناس ﴿قسمان﴾ قسم يعلم أن هذا حق ، وقسم جاهل مستهزئ . وأيضا سمعناه سبحانه وتعالى يسمى سورا بأسماء الحشرات من نمل ونحل وعنكبوت هذه عناية الحكمة الإلهية بأقذر المخلوقات وأحق الحشرات فكيف عمت رحمته هذه المخلوقات كلها ثم هو نفسه سبحانه يدع أمما من نوع الإنسان في الضلال والوبال والخسار والجهالة العمياء . وإذا منح الذبابة أربعة آلاف عين باصرة قد ثبتت فعلا ورؤيت بالنظار المعظم بشهادة جميع العلماء في الأرض ، أفليس من رحمته أن يمنح أمثال هؤلاء الهنود قوى عقلية ترفعهم عن هذه الجهالة والذل والخمران وضلال العقول الذي أورثهم ذل الأبد وضياع البلد والخزي المين

فقلت : حياك الله . لقد أجدت في إيراد هذا السؤال وحسن منك انك أوردته لأنك فتحت لي بابا واسعا من الحكمة لولا سؤالك لم يخطر بنفسى معناه ، إن الله فعل مع هؤلاء الهنود من الرحمة أكثر مما منح تلك الحشرات وأعطى كل ذى فضل فضله . فقال أريد الإيضاح . فقلت : إن الله بهذه الأحوال الهندية كأنه يخاطب الناس قاطبة يقول : « أي عبادي ، أنا حكم عدل في الدنيا والآخرة ، فهل أخرت الشمس ثانية واحدة عن موعدھا ؟ أم سرت القمر في غير طريقه ؟ أم أخلت بأى جسم من الأجسام السماوية ؟ هل نسيت حقيرا لحقارته ، أم حايت عظيما في نظركم لعظمته ، أما ما تظنون مما يشبه الجور منى في هذه الأمم

الانسانية فذلك ليس جوراً مني وإنما هي الحجب أسدلت على عقول أكثركم فلم تفهموها ، وظلمات الذنوب غشت على أفئدة أكثركم فلم تعقلوا ما نحن بأهل الهدى وبغيرهم صانعون

« أيها الناس : أنا لأعطي ولا أنسخ إلا بحق فلست أعطي الأطفال علم العلماء ولا أنسخ مستحق الحكمة علم الحكماء ، والناس في الأرض ليسوا على شاكاة واحدة بل هم طوائف وفرق وأصناف لكل طائفة شأن يفنيها وحال تواتيها ، إن هذه المادة قد قبلت الصلابة والسيولة والحال الغازية كالجليد والماء والهواء فلم أبخل عليها بجميع هذه الأحوال هكذا الحيوان اختلفت أجناسه وأنواعه وأصنافه ، فله بقة ومنه فيل ومنه حيوان ذرّي لا تزونه بأعينكم ومنه جبل كبير ، أنا واسع ، أنا حكيم ، وكل طائفة من هذه الحيوانات سعيدة بما لها فرحة بحياتها شاكرة لخالقها فتكون المناوقات كلها خادمة لي ، فهل من العدل أن أوسع نطاق الحيوان والمعادن والنبات والجمادات ثم أعبد إلى أرقى حيوان وهو الإنسان فأجعله في دوائر ضيقة . كلا . أنا واسع . أنا حكيم . تتعجبون أيها الناس من قوم عبثوا البقر وهذا البقر يطوف عليهم آناء الليل وأطراف النهار . تتعجبون انهم تركوها في سبلهم وحقوقهم ترتع وتأكل ما تريد . تتعجبون من ذلك كله وتقولون أيضاً إن البراهمة استحوذوا على عقول القوم وغشوا على أبصارهم واستعبدوا (٩٠) مليوناً وحقوقهم وعدوهم في الأذنين وهم الفريق الرابع . كلا . لا ظلم اليوم ولا ظلم في المخلوقات كلها من حيث النظام العام ، هؤلاء أناس استعدادهم بدياتهم وأخلاقهم وتركيب عقولهم لا يسع أكثر من هذا . نظرت إلى تركيب عقولهم وإلى نظام أمورهم فوجدتهم لم يتجاوزوا المحسوسات وهذا لا عيب فيه ولا ظلم ، ألم أخلق في البراري والغابات ما لا يحصى من الحيوان . ألم أخلق في الغابات في خط الاستواء طوائف من الحيوانات والطيور ولكل منها مكان خاص إما في أسفل الشجرات وإما في أواسطها وإما في أعلاها ، وكل سعيد في مكانه ، مقيم في بيته ، راض عن ربه ، فهكذا من نوع الإنسان طوائف ارتقوا عن الحيوان ولكنهم لم يصلوا منتهى الكمال وأحبوا القرب مني ، ولكنني أنا لست كخفاوقاتي . وإذا كنتم أنتم لا ترون الهواء ولا السكرباء فكيف ترونني ! فمن رحمتي إذن أن أقيض لهم أناساً يضربون لهم الأمثال المجسمة إما بالأصنام وإما بالحيوان ومنه هذا البقر . فإذا رأيتم البقر يطوف عليهم ليلاً ونهاراً وهم يعظمونه فما هذه إلا أصنام متحركة . بمنظورها يتخضعون لها يتوهمون فيها من القوة القدسية فيعيشون معها بسلام وأمان لأنهم يتذكرون الحلال والحرام في نظرهم بالأصنام في المدن وبالبقر في الحقول والسبل . أصنام متحركة اخترعوها وعجول سائبة عظموها . فهؤلاء ليس في طاعتهم ولا في أسكانهم أن يفكروا في جلال شمسهم وقمرهم وكواكبهم ولا في تركيب نفوسهم تفكيراً جدياً ويعرفوا بذلك مقدار عظمتي فأعطاهم رؤسائهم تلك الصور والأشكال لتكون تذكرة لهم كما قلت لكم في القرآن حاكياً من الكفار - ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى - وإذا كنت أنا قد سلطت الذباب على قنذري العيون ومتسخي الأجسام وأرسلت طوائف المسكروبات (الحيوانات الذرية) على ضعفي الأجسام ليفارقوا الحياة في هذه الأرض رحمة بهم ، وخلقت الدود وساطته على أجسام الناس في قبورهم فذلك لأنني حكيم أضع الأشياء مواضعها ولا أعطل موجوداً ، وكيف أسطل الأجسام الميتة وهي جديرة أن تكون قوتاً لأمة من أمة الحيوان ، وتعمل المنافع إخلال بحكمة الوجود ، فهكذا إذا ضلت أمة من أمة الإنسان على مقتضى سنن الكون وأخذت تقترب من أخلاق الحيوان فأنا أعطيها ما يشبه العلم رحمة بها ويكون ذلك أشبه بالهواء الفاسد يبعث فيه الناس والحيوان إذا لم يكن سواه وهواء فاسد خبير من الاختناق والموت السريع بهدم الهواء وبعض الشرأهون من بعض وليس في طاقة أرضكم وعوالمها بحسب النظام أن تكون على غير هذا النظام ، ألم تروا يامعشر المسلمين انكم في حال جهالتكم (كان ذلك منذ خمسين سنة وأنا مجاور بالجامع الأزهر وصصل في قريتنا كفر عووض الله حجازي شرقية وشاهدته بنفسه) إذا قل العلم وكثر الجهل تفعلون فعل الطنود مع انكم مسلمون وأنتم بذلك

فرحون ، ألم تعينوا عجولا من البقر ومن الجاموس وتعلقوها في الحقول والفيضان باسم ولي من أوليائي عندكم (ذلك كان فعلا في بلادنا فيقولون هذا الجبل للسيد البدوي وهذا للزب) وهكذا فما كان الناس ليقدروا على طرد تلك الدواب من حقولهم خوفا من السيد ومن الخبز بل الاصوص كذلك لا يجسررن على سرقة تلك المحصول لاخرفا مني بل خوفا من عبادي الميتين (وقد تنوّرت بلادنا اليوم بالعلم وألغيت تلك الأحوال) « تقولون أيها المسلمون إن البراهمة غشوا على عقول الهند ، أولستم ترون شيوخ الطوق والمشي بهم يندون ويروحون في طول بلاد الاسلام وعرضها لشدة جهالة المسلمين وقلة العلم عندهم ، وهؤلاء الشيوخ أتم تصديق النعم عليهم وتطلبون منهم الدعاء كأني أنا أطلب منكم وسطاء بيني وبينكم مع ان النمل والنحل والذباب أنعمت عليها بلا واسطة بيني وبينهن ، ألم تروا بأعينكم في جميع أقطار الاسلام في جهاتها (ذلك رأيت) بنفسى في قريننا أيضا منذ خمسين سنة) شيوخا معتمدين يطوفون على منازلكم وينصبون حلقات الذكر وينفي مغنيتهم وأتم تهطونهم (العادة) من أموالكم (وهذا اليوم قد أننى إذ تنور أهل بلادى الآن) وإنما طاف عليكم هؤلاء لأنكم لما حرمت من العلم سخرت لكم قوما يعطونكم ما يشبه العلم من القصص الخرافية وجعلت هيتاتهم تدل على الصلاح لتعيشوا في بلادكم بسلام على قدر الامكان ، فإذا كان جهالة الشيوخ عندكم أيها المسلمون يأكلون من أموالكم ولا عمل لهم إلا هذا ، وإذا كان البراهمة يحقرون الشعب وينمون عقوله وليس لهم عمل إلا هذا ويعيشون من أموال صريديهم فذلك ان هؤلاء الشيوخ وهؤلاء البراهمة أشبه بالحكام الظالمين الذين أساطهم على الأمم المجرمة فيكون نفعهم أكثر من ضررهم في الحياة الدنيا لئلا يقتل بعضهم بعضا إذا لم يكن لهم حاكم ، قوم جهلاء لم يستعدوا للعلم فلتسكن لهم صورة الصلاح يرزنها بأعينهم وليأخذ أولئك الشيوخ من أموالهم ليرزؤهم عسى أن يفكر مفكر فيخرجهم من الجهالة الى مرتبة العلماء ، هذا هو نظامكم في الدنيا أيها الناس

« أما نظام الأرواح وصراتها بعد الموت فأمره عنكم مستور ، ولكنى أقول أيها الناس : إن الأعمى هنا أعمى هناك ، إني خلقت (حشرة الأرض) ذات المملكة الواسعة وهى عمياء ، أفلا أخلق انسانا أرق منها بما لاحد له وأضعه في مرتبة بعد الموت لا يستحق سواها ، فان كان أعمى البصيرة هنا أعمىته له هناك ، وان كان مفكرا هنا جعلته مفكرا هناك . إذن لاظم اليوم . أنا خلقت النمل وخلقت الأرض وما قلت إحداهما لماذا لم تخلقنى كالآخرى بل كل يعمل على شاكلة . هكذا أهل الهند الذين ضلوا ببقرهم وأصنامهم وجهال المسلمين الذين اتكأوا على شيوخهم وأتباع (أغا مهنون) في الهند من الاسماعية الذين قتلوا رؤسهم . وكذلك رجال البهائية اليوم الذين انتشروا في الفرس وفي غيرها وأمريكا وأوروبا . وكذلك أباغ (غلام أحمد) بالهند وغيرها . هؤلاء وأمثالهم يقولون ان رئيس مذهبهم هو المسيح . وعزّتى وجلالى أنى لم ينه المسلمون عن التواني والكسل لأسلطن عليهم أقلّ الرؤساء الحكام عدلا وأجهل الوعاظ علما وهذا في الحقيقة عذاب الدنيا ولعذاب الآخرة أشدّ وأخرى وهم لا ينصرون . أهل الهند معذبون بشيوخهم . معذبون ببقرهم وهم لا يعلمون انهم معذبون . والمسلمون معذبون بجهالة شيوخهم وبأساطيرهم وهم لا يعلمون انهم معذبون »

فلما سمع صاحبى ذلك قال : لقد وفيت المقام حقّه وأزاح الله عزّ وجل بقولك خرافات أسدات على العقول عجبا ولكن أرجو أن تبين هذا المقام (أولاً) أن تفيض القول في أمر الهند الذين خضعوا للبراهمة فغضب مثلاً أضرتهم من التقاليد (ثانياً) أن تبين لى نموذجاً من كتب أكابر المسلمين تدعوا الى ما يشبه بعض الشبه ما قبله البراهمة حتى يظهر لنا بامتاحتها انها لا تصالح لهذا الزمان ، ومتى فعلت ذلك انصرف المسلمون عن هذه الأحوال (وثالثاً) أرجو أن تضرب مثلاً تتعله بعض الأمم التى لم يقتلها التقليد في زماننا حتى يوازن

المسلمون بين من قتلهم التقليد الجاهل وبين من أحياهم العلم . فقلت : إذن ذلك ( ثلاثة فصول : الفصل الأول ) في بيان الضرر الفعلي في بلاد الهند من سوء التقليد ( الفصل الثاني ) في نموذج من كتب منسوبة لبعض عظماء الاسلام تدل على الطريقة التي كانت متواترة فيما بين الملوك ورجال الدين ( الفصل الثالث ) في ضرب مثل لمن صاروا أحرار الآراء وماذا فعلوا . وهناك بيانها

### ( الفصل الأول )

( في بيان المضار الحاصلة في بلاد الهند في هذه الأيام بسبب سوء التقليد تفسيراً لهذه الآيات )

جاء في جريدة « الاهرام » بعنوان « رسالة الهند بالبريد الجوي » من مدراس بتاريخ ( ١٧ ) أكتوبر سنة ١٩٢٩ م ما نصه :

كانت الجمعية الهندية التشريعية في خلال الأسبوع منهمكة بمشروع اصلاح اجتماعي نال الشيء الكثير من اهتمام أعضاء الحكومة والزعماء الوطنيين وهذا المشروع هو من اقتراح رأى ( هو يلاس سردا ) أحد الاعضاء الخصوصيين وهو عبارة عن مشروع قانون عقوبات على زواج الذكور قبل سن الثامنة عشرة والاناث قبل الرابعة عشرة وقد اجتاز هذا المشروع المصاعب الأولية بفوز ونجاح . وذهبت جميع مساعي المدافعين عن تقاليد المذهب الهندي وبعض المسلمين أدراج الرياح وتقرر النظر في المشروع مادة مادة . ولا ريب أن ما لقيه هذا الموضوع من التأكد العظيم سيقنع العالم الخارجي أن الرأي العام في الهند قد بدأ يثور على العادات القديمة وهذه علامة تبعث على الرجاء . ان الزواج في الهند يكون عاما للنساء والرجال . فالهندوكيون يكررون في الزواج أما عنصر البارسي فلا يتزوجون الا كبارا وهناك شيعة من الهندوكيين تجيز تعدد الزوجات وطائفة السكوليين من مذهب البراهمة يتزوجون أكثر من زوجة واحدة والمسلمون وان كانت ديانتهم تبيح زواج أربع نساء فانهم لا يتزوجون عادة أكثر من زوجة واحدة . ولا تزال عادة الزواج بالأسير شائعة في طائفة الخول في أواسط الهند . والهندوكيون يعتبرون الزواج سرا مقدسا والزوجة الهندوكية تعتبر شريكة مساوية لزوجها . ولا تزال سيثا زوجة راما بطل لامايانا لدى الهندوكيين المثل الأعلى للزوجة وحسبنا أن نقبس هنا ما وصف به جنكا والديسيثا ذلك الملك الحكيم ابنته عندما زفها الى عروسها البطل ( السر راما ) فجاء وصفه مطابقا لما يعبده الهندوكيون المثل الأعلى للزوجة في كل عصر وقد قال مخاطبا ( السر راما ) شعرا مؤداه : « هذه هي سيثا ابنة جنكا التي هي أعز عليه من الحياة . وستسكون من الآن فصاعدا شريكة فضيلتك أيها الأمير وزوجك الأمين . وستشاركك في السراء والضراء في كل بلاد . فأكرم مشراها وتلطف بها في البهجة وفي الاخران وضع يدك في يدها . ان الزوجة الامينة يجب أن تكون كالظل لزوجها لا تفارقه . وبنيت سيثا خيرا للنساء ستبعلك في الموت والحياة » ان مراسيم الزواج في الهند بدعيته يهتفها الشيء من الأفراح والمسررات . والطلاق نادر عند الهندوكيين ولكنه شرعى جائز عند المسلمين . أما البارسيون سواء من المسيحيين أو البوذيين فنسبة المتزوجين منهم الى غير المتزوجين هي ٤٣٨ في الألف من الذكور و ٤٧ في الألف من الاناث . وتكاد تكون هذه النسبة ذاتها في الطوائف الأخرى . والزواج المبكر شائع لدى بعض طوائف الهندوكيين والاقتران قبل سن العاشرة أكثر شيوعا في باهار واوريسا ومباي وأواسط الهند وحيدرآباد وهونادر جندا في عسام وبورما ولايات الحدود الشمالية الغربية والسند ولكنه على كل حال قاصر على الطبقات الدنيا غير المثقفة . فكثيرا ما يتفق أن يقترن شيخ فان بفتاة في ربيع العمر وهذا بنوع خاص عند الهندوكيين . فالوالد الذي يهب بنته لقاء قبضة من الذهب لشيخ بقية أيام حياته معدودة يكون بعبارة أخرى قد ابتاع لها الترميل الأبدي وهو نوع من قتل الاطفال ولسوء الحظ لا ينهى عنه القانون الا في ولاية ميسور الراقية حيث لا يجوز قانونا أن يقترن رجل في الخمسين من العمر بفتاة دون الرابعة عشرة من عمرها وفي بارودا قانون يمنع زواج البنت دون الثانية عشرة من العمر والغلام دون

السادسة عشرة . وهذه الأعمار ليست طبعاً آخر ما يقال ولكن بقية الولايات الهندية حتى الهند البريطانية لم تقتد بهاتين الولايتين الرافيتين اللتين يحكمهما أصراً متتوران احراز المبادئ من الهندوكيين ولم ينسج على منوالها عدة أسباب ، والذي زاد هذا النظام ضرراً هو ما يقبضه الهندوكيون في مسألة الأرامل لان مذهبهم لا يحجز زواج الأرملة وان كانت في زهرة صباها حتى ولو كان الزواج لم بعد عقد الخطبة . ويبلغ عدد النساء الأرامل في الهند ثلاثين مليوناً ومعنى ذلك أن بين كل مئة امرأة ١٩ أرملة مع ان نسبة الأرامل في أور بالاتزيد على ٩ في المئة ولكن بينما لا يوجد بين أرامل أوربا سوى ٧ في المئة دون سن الأربعين من العمر يوجد بين أرامل الهند ٢٨ في المئة دون هذه السن وما يدعش قراءكم أن هناك ١٦٠٠٠ أرملة في الهند لا تتجاوز سنهن خمس سنوات وهناك نحو ألف أرملة لا يزيد سنهن على سنة واحدة . فالقضاء على هذه المخالقات البريئة أن تقضى العمر في الترميل مع ما فيه من الحرمان عند الهندوكيين سخافة جنائية

وقد اهتمت الطبقة المتعلمة أخيراً وبذلت كل ما في وسعها لالغاء هذا النظام المتعلق بالأرامل . وتبذل الآن مساع عظيمة من عدة مصادر لتشجيع مشروع زواج الأرامل الذي أبيع قبل الآن بفضل جهود المصلحين ومن مجموع أرامل الهند عشرون مليون أرملة من الهندوكيين فهذه المسألة وغيرها من المسائل الاجتماعية كزواج الاطفال والامومة المبكرة قد انتقدت أشد انتقاد ولاسيما من الكتاب الغربيين وأخص بالذكر منهم ( المس مايو ) السكاتبة الامريكية الشهيرة التي صورت هذه المسائل تصويراً مجسماً وأفاضت في وصف هولها وشناعتها وقد ذكرت في رسائلها الماضية الجهود التي يبذلها زعماء الهند لتحسين حالة المرأة الهندية . والحقيقة ترغمني على القول انه حتى نهار أمس كانت حكومة الهند أكبر حليف للرجعيين الذين يأبون اصلاح النظام الاجتماعي من جميع الطوائف . وبالرغم من هذا كله فان الحوادث سائرة سيراً سريعاً شطر اصلاح وشعرت الحكومة بانها مرغمة لان تعين لجنة تمثل الهندوكيين والمسلمين للنظر في مشروع تحديد سن الزواج . وقد كان العضوان المسلمان في هذه اللجنة كلاهما من معارضي المشروع ولكن أحدهما وهو منان شاو وأخان رأى نفسه أخيراً مرغماً بالأدلة الساطعة التي قدمت الى اللجنة على أن يغير اعتقاده فاعترف في الساعة الاخيرة إن زواج الاطفال المتبع حتى الآن يجب أن يحرم وتفرض على مرتكبيه العقوبات وإن معارضة المتمسكين بحرفية أصول المذاهب يجب أن لا يأبه بها بتاتا . وكانت سيدة هندية ضمن أعضاء هذه اللجنة . وقد أصدرت هذه اللجنة قرارها قبل انعقاد الجمعية التشريعية الحالية . وما استوقف الانظار في أثناء التحقيق الذي كانت تقوم به اللجنة هو ازدياد الرأي العام الذي يؤيد فكرة وجوب تغيير مشروع قانون عقوبات زواج الاطفال واعتبار البغاء الخارج عن دائرة الزواج جريمة خطيرة قبل سن الثامنة عشرة وهي السن التي يمكن اعتبار المرأة فيها راشدة وان ما تركبها يكون برضاها . وفوق ذلك فان البعض طلبوا بالخالف أن يعتبر البغاء جنائية بصرف النظر عن سن المرأة . وقد أوصت اللجنة بوضع قانون يحدد النهاية الصغرى لسن زواج البنات ١٤ سنة وأوصت بأن يكون سن الرضا بدخول الزوج على عروسه ١٥ سنة . وأن يكون سن الرضا لصيانة البنت من اغواء شخص غير زوجها الشرعى ١٨ سنة وأن يعتبر دخول الزوج على عروسه قبلما تبلغ سن الخامسة عشرة جريمة تدعى سوء استعمال حقوق الزواج . وانه لما كان كل شيء يتوقف على سن البنت أوصت اللجنة بوجوب اتخاذ تدابير فعالة لتسجيل المواليد وتسجيل عقود الاقتران واصدار شهادات بالولادة والزواج . في جو مثل هذا عقدت الجمعية التشريعية جلستها أمس للنظر في مشروع قانون زواج الاطفال المعروف بمشروع سردا . انتهى الفصل الاول

## ( الفصل الثاني )

( في ذكر نموذج من نماذج الكتب الإسلامية التي تدعو إلى ما يشبه بعض الشبه ما فعله البراهمة في الهند )  
 هاهو ذا أمانى كتاب ( سر العالمين ) لأستاذى وأستاذ المسلمين جميعا (الامام الفزائى) وهذا الكتاب  
 يخالجنى فى نسبتى اليه شكوك بل وجود لأن فيه ما يخالف طريقته ، ولكن الكتاب فيه آراء هى التى  
 ظهرت فى كل زمان ومكان بأمثال المنسويين كابن تومرت المتقدم ذكره وشيوخه البارق ، الكتاب صفحة  
 واحدة بها يتجلى للشبان بعدنا كيف كان رجال الصوفية ، وكيف كان الملوكة يوهمون الشعب ويضعفونه  
 ويفعلون بهم ما ينهون البراهمة أيام أن كان أبواؤنا فى أزمان طفولية الأمم الإسلامية فحجبوا عن العلم ، الكتاب كما  
 يرجع الى جملة واحدة ذكرها العلامة (ابن المقفع) فى كتاب ( كايلى ودمته ) الذى ترجمه من الفارسية  
 الى العربية وهى يجب أن تكون أحد رجلين ملكا عظيما أو ناسكا عابدا ، وهذه الآراء بانتشارها فى الاسلام  
 أضلت الأمة ، فكل متعلم يتعالى على الشعب إما بالعظمة العلمية وإما بالعظمة الروحية والزهد . وهذه العظمة  
 بأبها الاسلام . فالأمة كلها متعاونة وعلى كل أن يكون له عمل يأتى قدرته فتكون الأمة كجسم واحد . هذا  
 ولأسمعك شذرات من الكتاب تبين مقاصده . وهالك نصها

( قال السيد الامام زين الدين حجة الاسلام أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الفزائى قدس الله روحه ونور  
 ضريحه لما رأيت أهل الزمان همهم قاصرة على نيل المقاصد الباطنة والظاهرة وسألنى جماعة من ملوك  
 الأرض أن أصنع لهم كتابا معدوم المثل لنيل مقاصدهم واقتناص الممالك وما يعينهم على ذلك استعجرت الله  
 فوضعت لهم كتابا ، وسميته بكتاب ( سر العالمين ) وكشف ما فى الدارين ) وبوتة أبوابا . ومقالات  
 وأخبارا . وذكر فىه مراتب صوابا . وجبلته دالا على طلب المملكة وعائنا عليها . ووضحنا لتحصيلها  
 أساسا جامعا لمعانيها . وذكر فىه كيفية ترتيبها وتديرها فهو يصلح للعالم الزاهد . وللعالم المالك  
 بتطبيب قلوب الجند وجذبهم اليه بالمواعظ . فأول من استعجسته وقرأه على بالمدرسة النظامية سرا من الناس  
 فى النوبة الثانية بعد رجوعى من السفر رجل من أرض المغرب ، يقال له محمد بن تومرت من أهل سلمية ،  
 وتوسمت منه الملك ، وهو كتاب عزيز لا يجوز بذله لأن تحته أسرار تقتصر الى كشف إذ طباع العالم نافرة  
 عنها وتحته علوم عزيزة وإشارات كثيرة دالة على غوامض أسرار لا يعرفها إلا أفول الحكماء ، فانه يوفقك  
 للعمل به فانه دال على كل ما تريد ان شاء الله تعالى )

وقال أيضا « فاركب بسر علو الهمة وحصل الاتها لىتم لك كيمائها وصير عندك نديما كاتما مطالعا  
 على كتبها ، أعنى بها كتب سر العالمين ، ثم حصل أرباب صناعة التقلب الذين هم علماء تقلب الكيمان  
 قادرين على صبغ الأجر والأبيض . فان كنت قليل الرجال ضعيف المضد وقليل المال فكأن كثير الفضل  
 والعلم واتخذ لنفسك زاوية على طريق التزهد واجذب اليك تلاميذ وكثر عددهم واتخذ طريق الكرامات  
 لينصبوا اليك واستهو الكبار واسلك طريق الصلاح وزنها لنفسك واختل . فاذا هب نسيم سعادتك  
 فاكشف لتلاميذك ما الناس عليه من الفسق والفجور وارتابك بالايحوز من كل أمر منكرو وأمر أصحابك  
 تستهوى وتجذب كل طائفة منهم قوما آخرين »

وقال أيضا « وقد شاهدت محمد بن الصباح إذ ترعد تحت حصن الموت . وكان أهل الحصون يشبهون  
 أن يطلع اليهم فلم يفعل وهو يحصل المرادين ويعلم طريق الإرادة والتلذذة وشيا من الجليل . ثم جعل يهذر  
 بكلام على قدر عقولهم . ثم جذب الناس وجعل يقول للمرادين ، أما ترون الناس قنتركوا الشريعة . فلما  
 كبر الأمر خرج اليهم بطريق - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - فصبا اليه خلق كثير . وخرج صاحب



القاعة الى الصيد والتلازمة أكثرهم أهل القاعة فضجروا بالحسن ودخله وقتل الملك في الصيد وفشا أمره ومذهبه حتى صفت في الرد عليهم كتابا وسميته (قواصم الباطنية) ومنتظرهم ذللا بد في آخر الزمان أن يهجروا النرائع ويبيعوا المحرمات»

وقال أيضا «ولما مات هارون استخلف الأمين وفر المأمون الى مدينة أصفهان ومعه الحسن بن سهل وكان المأمون ذا فنون وعالم وأدب فقدم المأمون في المسجد الجامع وقد فرش بالبلد زهدا والناس يهرعون اليه لتعلم الناموس وابن سهل يوصي الى الطوائف ويقول لهم أليس هذا هو الخليفة عفا فبايموه ويقول لهم سنة هذا سنة الأولين الطاهرين . فلم يزل يستدرج الناس حتى حوى عسكره ثمانين ألفا وكانت الأعاجم تسمع بطريق الأمين الفاسد فقرروا بطايع المأمون حتى عقد الجيوش لظاهر بن الحسين فدخل على الأمين فقتله واستولى المأمون . فسكن من هذه السير المفقولة وإنما نسميها بتقوية وإعانة لهما»

هاهوذا بعض ما في الكتاب . وقد ذكر أظهار السكرات وذكر حسن بن الصباح . وأنت اذا قرأت الجزء الأول من الكتاب أيقنت أن ما فيه هو ما فعله محمد بن تومرت . وأذكر لك بما صرت في (سورة الشعراء) من أن كثيرا من الأمراء كانوا مشعوذين والأمم تتبعهم بالتقليد . وانظر نبذة مما جاء في الجزء الثاني من كتاب (سر العالمين) المذكور وهالك نصها :

(واعلم ان الزمان حبيب أهله وطائفة تخترع لها مذهبا في الناموس بطريق الزهد كالسيح والمرقعات وجلود النعم والبرانس وأذان الليل والانتطاع في الكهفان وكبر الامور بحيث أن يقول لصاحبه اذهب في موضع الفلاني كذا وكذا . وطائفة تظهر النور وأخرى تقعد بين القبور واظهار الخزعبلات والنيرنجيات بمعرض السكرات ودهن الاقدام والخوض في النار واظهار الخرق من سمندل الصين التي يذهب وسخها النار ودمت الشعبة وضرب طلسم على النعل فيعبر الماء ووقوف السجادة في الهواء وشعلة القاذيل واشغال السراج بالماء دون الدهن وكثير من ذلك لا عسدد لها . والفرق بين المعجزة والسحر والسكرامة هو دوام الشيء واظهاره للناس كاترآن الجيد فيو المعجز الأكبر والناموس الأعظم) اه

إن هذا الكتاب أكثره أو كله مدخول على الامام الغزالي . وقد قلت لك انه صفحة من تاريخ المهديين وكثير من الأمراء والرؤساء الروحانيين وغيرهم

فقال صاحبي : يا سبحان الله . انك إذن تذكر كرامات الأولياء (وبعبارة أخرى) إن كتابك هذا انكار لأعز شيء عند المسلمين وهي الولاية . فقلت حاشا لله أن أنكر الولاية والله سبحانه وتعالى يقول - ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة - . فقال نعم ولكنك وازنتهم بالبراهمة وقلت إن هؤلاء الأكابر يسيطرون على الشعوب بأحوالهم وبأعمالهم . فقلت : أنا أقول لك إن هذه الحياة غير ثابتة ونحن على الأرض أياما معدودات ولا بد لنا من السفر منها وتوديع أهلها والحياة بدون حب حياة محاولة والمحبة للجمال والجمال والولد والملك والاصيت ولذلك كر الحسن لا تدوم لأن الجمال وما بعده في الأرض كلها زائلات سرعات العطب ، والعلماء لما فسكروا لم يجدوا محبوبا أجلا من كل محبوب إلا من هو منيع للجمال والملك والاصيت وليس يعطي الجمال ولا الملك إلا من يملكه ، فالولا أن صانع العالم أجلا من كل جليل ، وأحكم من كل حكيم ، وأعظم من كل عظيم ما خلق الجمال ولا الحكمة الخ لأن فاقد الشيء لا يعطيه . هنالك جعلوا حياتهم كلها وقفنا على (أمرين) العلم بذلك الجليل المحبوب بدرس مصنوعاته والعمل لاسعاد أشرف من على الأرض وهو نوع الانسان ، فالولى هو الذى انصف بهاتين الصفتين وهما العلم بهذه العوالم حتى يحب الصانع والسعى في اسعاد الأمم ، إن ذلك الولي يرى أن محبوبه الذى عرفه بمصنوعاته له عناية تامة بكل مخلوق على الأرض ، فهو إذن يحب ما أحبه ويسمى

في اسعاد عباده وأقربهم اليه بنو آدم ، فالله عليم وحكيم في صنعه ، فهذا أيضا يعلم وتكون له أعمال صالحة متقنة اتقاناً تاماً بنظام بدیع . وكل صانع متقن صنعه سواء أكانت الصنعة تأليفاً أو آلة نافعة للناس كان قريبه على مقدار اتقان صنعه بمقتضى درجته .

فقال صاحبي : هذا حسن . ولكن ما تقول في الكرامات . فقلت : هذا هو بيت القصيد . لقد تقدم في هذا التفسير ما نقلته عن الشيخ الخواص والشعراني والديباج من كبار الأولياء في الاسلام إذ أجمعوا أن الكرامات ليست مقصودة لذاتها . وأن الصالح اذا ظهرت على يده خوارق العادات إن فرح بها واطمأن كانت سبباً في حرمانه وإذلاله وطرده لأنه لا فرق بين المال وبين تلك الكرامات حتى قال الشيخ الديباج : « إن من كشف له عن الهوالم العلوية يكون في خطر شديد ، وهذا الفتوح أكثره عذاب واستدراج وبعد عن الله فالحجاب خير من هذا لأن هذا الفتوح يفرّ النفس فتقف عن الرقي فيكون استدراجاً قال الله تعالى - سنستدرجهم من حيث لا يعلمون - » فهذا القول اجماع من القوم

فقال صاحبي : ولكن النفوس الانسانية يدهشها أن ترى اخباراً بالغيب وأموراً خارقة للعادة فمن حقها أن تنبع أولئك الذين ظهرت على أيديهم تلك الخوارق . فقلت : هذا هو الذي جاء الرسل بنبهه وإنكاره . إن خوارق العادات المنقولة عن الشيوخ أكثرها كاذب والذي صدق منها ليس يدل على الفضيلة لأن الفضيلة كما قدمت في العلم والعمل وأما هذه الخوارق فليست من خواص دين الاسلام بل هي أمر عام عن الجوس واليهود والنصارى وعباد الأوثان . فكم في البراهمة من مخبرين بالغيب . وكم في الأمم الوثنية من لهم أعمال خارقة للعادة . وهؤلاء وهؤلاء يمتنون ولا فضل لهم إلا ان الناس يهدونهم الهدايا ويقدمون لهم القرابين . فجزأؤهم قد أخذوه في الدنيا . وقد قدمت لك قول الشيخ الخواص للشعراني « ان الرقي يجب عليه أن لا يأخذ من الناس شيئاً . وانه اذا أقبل الناس عليه كان هذا الاقبال جزءاً مجحلاً في الدنيا فيموت مفلساً لا له ولا عليه ، وربما مات مديناً ولا ثواب له بعد الموت »

وانما ذكرت لك كلامهم ( وأيضاً أحيلك على كتبهم ) لأنني أعلم أن الأمم الاسلامية توقن اليوم ايحاً تاماً بما يقوله نفس هؤلاء الأولياء رحمهم الله وان يقدر أحد أن يقول . كلاه وأعظم الكرامات العلم واحساس النفس بحسب صانع العالم ثم الشوق الى لقائه . ومن لم ينل هذه المرتبة وهي الشوق الى لقاء ربه وحبه والغرام به وانتظار الموت للاقائه فهذا ليس ولياً . ومن قعدت به همته عند اعظام الناس له بسبب كراماته فهذا رجل جاهل مسكين أحب الدنيا وانقطع لها بقلبه والناس من غفلتهم يقبلون يده . فقال : وما دليلك . فقلت قوله تعالى - قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين - ولا يتمونه أبداً بما قبضت أيديهم والله عليم بالظالمين - قل إن الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبشكم بما كنتم تعملون -

فقال صاحبي : إن هذا القول منك حسن وأنا نظرت ما نقلته أنت في هذا التفسير عن هؤلاء الأولياء ولكن لماذا لم يقل القرآن ولا النبي ﷺ هذا ؟ القرآن مملوء بخوارق العادات فحسبنا ذلك فيها وفيمن ظهرت على أيديهم . فقلت القرآن هو الذي نزل لا يقال هذا الباب ، ألم تر الى عجل السامري إذ عبده بنو اسرائيل إذ رأوه أفضل من عصا قلبت حية والى سحرة فرعون كيف آمنوا لأنهم علماء ، إذن المدار على العلم لاعلى هذه الخوارق والله يقول - أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم الخ وأذكرك بحديث الدجال ذلك الذي تظهر على يديه خوارق العادات ، فانظر حديثه الذي رواه البخاري بسنده عن المغيرة بن شعبه أن المغيرة قال له يارسول الله انهم يقولون ان معه جبل خبز ونهر ماء قال هو أهون على الله من ذلك ، ويقول الشيخ محي الدين النووي عن القاضي عياض « انه شخص ابتلى الله به عباده فأقدره على أشياء من المقدرات

من إحياء الميت الذي يقوله ومن ظهور زهرة الدنيا والخصب معه وجنته وناره واتباع كنوز الأرض له ﴿ الى آخر ما قاله انظره فيما نقله الخازن في تفسير آية - خلّاق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون - في تفسير ﴿سورة المؤمن﴾ وهي سورة غافر

وأنا أقول إنما جاءت مسألة عجل السامري في القرآن وجاء أمر الدجال في الحديث وحذر النبي ﷺ المسلمين منه وأفادهم أن الأنبياء حذروا قورهم منه . أقول إنما جاء ذلك كله ليعرف قراء هذا التفسير وأمثاله أننا نحن الآن قد خدعنا الدجالون في داخل الإسلام وفي خارجه . وقد يكون الرجل دجالاً ولا علم له بحاله . وكل من صدّ الناس عن الحكمة والعلم وأرجعهم الى طريقتة وحده فهو دجال علم أولم يعلم . فإذا يصنع الله للمسلمين بعد هذا . ذكر لهم في القرآن أن المدار على التعقل والفهم . ان عجل السامري عبده الجهال وأما العلماء فلا . وأخبرهم ﷺ أن الدجال تكون على يديه خوارق العادات وأن جنته يجب الاحتراس منها وأن ناره تصير برداً وسلاماً على داخلها

وأنا أقول كما قلت في مواضع كثيرة من هذا التفسير ﴿ العلم والعمل صعبان على الناس والجهل والخلوة والذكر مع اهمال أعمال الحياة سهلة على الناس ﴾ فلينرجع المسلم بنفسه في العلم والعمل وان كانا شاقين عليه فهما سعادة له في الدنيا والآخرة . أما السكسل فانه معطل للأواب وهو حجة ظاهرة وجهنم حقيقة . وإذا وجدنا أن عيسى قتل الدجال فلنقتل نحن الدجالين في أمم الإسلام قتلاً أدنياً بأن نعمم التعليم في ديار الإسلام فاعلم وحده يقضى على الخرافات ويحيى النفوس . فالمسيح رمز للعالم والدجال رمز لأوثك الذين أضلوا الأمم وهم جاهلون . لا دجل أكثر من الجهل . انظر الى الأمير عبد القادر الجزائري . ذلك الرجل الحكيم كيف حارب الفرنسيين سنين وسنين . ولكن لما عمّ الجهل بلاده جاء عالم فرنسي وصار مطالعاً على أسرارهم . ومن هنا غلب المسلمون على أمرهم لأنهم لم يقرأوا توارخ الأمم فقلّ احتراسهم . ثم انظر الى محمد أحمد المهدي السوداني ظهر للناس بالكرامات ولكن لنقص العلم بأحوال هذه الدنيا لما أسلم رجل نمساوي كان في الجيش الانجليزي (أثمته) وبه وحده فتح السودان ولقد كان ينال على باب المهدي ويبيت به يقول « لا إله إلا الله محمد رسول الله محمد أحمد المهدي ولي الله » وهكذا

فقال صاحبي : أنا الآن اكتفيت أن تلك الخوارق لا نقيم أمة وأن المدار على العقل . فهل لك أن نتحدثني عما رأيته أنت منها . فقلت انظر كتاب الأرواح تأليني . فلقد صرّ في هذا التفسير منه كثير وهو ملء بهجائب الخوارق العجيبة على يد الأرواح المحضرة من احضار الفاكهة في غير أوتانها ومن الاخبار بالغيب الخ واني أحدثك حديثاً حصل في مصر . وذلك اني يوما كنت جالسا مع المرحوم صديقي حسن باشا جلال في منزله بالاسكندرية فحضر صدفة مستشار كبير في محكمة الاستئناف وقال أنا أريد أن أحدثك كما حديثاً عجيباً . أنا كنت قاضياً في قنا بصعيد مصر فحضرت عند عمدة البلدة وكان هناك رجل يسمى الشيخ سليم فقالوا له أظهر شيء (للبك) أي القاضي فرفض وأبى فألحوا عليه ثم قالوا للبك اطلب شيئاً فقال اطلب منك أن تحضر لي زجاجة (فيها روائح عطرية) قال وهذه لانكون إلا بالاسكندرية . فقال له : حالا أعطني (٢٥) قرشا فأعطيتها له فرماها في الجوّ وصار يضرب على عجب ذنبه في مؤخر ظهره ثلاث دقائق ، ثم قل ضع يدك في جيبيك قال فوضعت يدي في جيبي فوجدت الزجاجة فدهشت وقرأتها وهي باللغة الفرنسية وعجبت أشد العجب فقال المرحوم حسن باشا جلال ديني يمنع ذلك وكنت لم أطلع على علم الأرواح الحديث اطلاعا تاما ولم أؤلف كتاب الأرواح . فقلت إن كتاب الاشارات لابن سينا فيه ان بعض النفوس الانسانية تقدر على أعمال عظيمة وعلى اخبار بالغيب ، وضرب مثلاً لذلك بأن الترك يأتون برجل يعرفونه ويربطون حبلًا في رقبته ويذهبون به ويحيون فيغشى عليه فيخبر بالغيب . وهكذا يقول : ﴿ إن قوما يضعون قطرة حبر في زجاجة فيها ماء

ويأمرهم شخصاً مخصوصاً فينظر إلى تلك النقطة نظراً طويلاً فيخبر بالغيب ﴿ وانتهى المجلس على ذلك . ثم إن الشيخ سليماً المذكور سمعت بعد ذلك عنه من كثير من النضاة والمستشارين والخامين والعلماء والمدرسين غرائب تنوق التصور ومع ذلك كان رجلاً جاهلاً . ثم انني لم أجد من شيوخ الطرق أخبرني غير واحد منهم انهم يتظاهرون بالاخبار بالغيب إيهاماً للعامّة واستحواداً على عقولهم

فقال صاحبي : أنت الآن أعلمتني علماً اقناعياً أن هذه الخوارق ليست مقصودة ولا نافعة بل قد تكون ضارة فهل يوافقك علماء الاسلام على ذلك ؟ فقلت انهم يقولون ﴿ إن خوارق العادات كما تكون على أيدى الأنبياء تكون على أيدي العامة وعلى أيدي السكاذبين والفاستين وتسمى على يد الولي كرامة وعلى يد النبي معجزة وعلى يد الجاهل معونة وعلى يد الفاسق استدراجا ﴾ فقال والله هذا عجب فأرجو الآن أن تختم هذا القول بحادثه تكون مدونة في الكتب موثوقاً بها عند الأمم التي تعيش معنا حتى تكون مقوية لما ذكرته أنت لأن ما ذكرته أنت يسمى خبر الانسان واحد ولكن ما ذكره عن أهل العصر يكون قد اطلعت عليه الأمم وأقرته . فقلت : أحدثك عما جاء في « مجلة الجديد » تحت العنوان التالي وهذا نصه :

### ( أشمودة أم علم ؟ )

اعلم أن (هوديني) رجل ساحر أمريكي كان يعيش في عصرنا هذا واشتهر بأفعاله الغريبة التي برز بها كل ساحر سبقه حتى اذا مات منسند سنوات دفن معه سر كثير من أعماله التي لم يجد لها الناس تهيلاً ، فن ذلك انه يأتي بكرة ضخمة يدخل فيها رجلاً ثم يربط شرائط السكر إلى بعضها ويطلب من الرجل أن يخرج من السكر دون أن يمزقها ودون أن يفك الشرائط ، وهذا العمل مستحيل كما هو ظاهر ، ولكن هوديني استطاع أن يفعله بكل بساطة وسهولة ، ويحبس (هوديني) نفسه في تابوت من الرصاص أحكم إغلاقه ثم يدفن على عمق ستة أقدام من سطح الأرض فاذا بك تراه أمامك بعد لحظة ، وقد يدخل أيضاً إلى الخزائن الحديدية الهائلة التي تستعملها البنوك الكبيرة وتوصد الأبواب الضخمة عليه ولكنه لا يلبث أن يبدل ذلك كأنما هبط من السماء ، وهزأ (هوديني) بجميع سجون أمريكا وأوروبا كما ان الأغلال لا تستمر في يديه إلا ريثما يمضي ثوان معدودة فاذا بداه طليقتان واذا هوجر يرح ، والآن بعد أن مات يقساهل الناس : كيف تسنى له أن يمارس كل هذه العجائب ؟ ويقول (السرارثكونان دويل) « انه يعمل هذه الظواهر الغريبة بأن لهوديني القدرة على التحلل من الحالة المادية » ولكن هوديني نفسه سخر من هذا الرأي الذي يريد أن يقرره (السرارثكونان دويل) فقد كتب هوديني يقول :

« لست أنحلل أو أتجسد ، وكل ما في الأمر انني أحكم في ارادتي وأسيطر على الأشياء المادية على طريقة أفهمها وحدي ولا يستطيع أن يفهمها سوى من قد أبوح لهم بأسراري ، على انني أرجو أن أدفن بأسراري معي لأنها لا تفيد الإنسانية ، واذا عرفها بعض عديدي الذمة تسنى لهم بواسطتها أن يسيؤوا إخوانهم » ولقد بلغ من ركون (هوديني) إلى كفايته وقدرته الشاذة انه سجن نفسه في سجن (سبيريا) الشهير الذي يفخر البوليس الروسي باستحالته الهرب منه على أي سجين ولكن (هوديني) استطاع أن يرى الضوء بلامشقة ، ولقد قيد (هوديني) بالسلاسل الضخمة وربط إلى فوهة مدفع تنطلق منه قنبلة بعد ربع ساعة ولكن هوديني تخلص من قيوده في ست دقائق

وجلة القول ان (هوديني) أتى بعجائب يخارفيها العقل ومازلنا حتى الساعة نجعل شأنها . انتهى ماجاء في المجلة المذكورة والله أعلم

فلما سمع صاحبي ذلك قال : لقد وضع الأمر وعرفنا لماذا ذم الله التقليد ، والله لقد كنت في حيرة

وشك في أسرة الاسلام ، فيما أنا أقرأ تاريخ النبي ﷺ وأصحابه فأجدهم قد تفانوا في خدمة النوع الانساني رهاديته فمات عمر مقتولا وعثمان كذلك وعلى كل هؤلاء كانوا صادقين صالحين لم يحبوا الدنيا ومع ذلك لم تنقل عنهم هذه الحوادث المدهشة . أقول فيدينا هؤلاء كذلك إذ أنا أجد جميع مشايخ الطرق إلا قليلا وكذلك المهديين كابن تومرت وغيره ، كل هؤلاء تنقل عنهم أحوال لم ترد عن الصحابة والتابعين فيحار الانسان . أيرجع الى الصدر الأول وإلى فعل رسول الله ﷺ فيكون بلاكرامة ولا يقبل عليه الناس اقبالا روحيا ، أم يترك الدنيا ويزهدها عسى أن يتبعه الناس ويقبلوا عليه ويكونوا له أعوانا وأصحابا فان لم يصل لهذا فقد أراح نفسه من الناس واستراح في منزله وتعبس لربه وصار وليا وانهى الأمر . قال : فأقول الآن إن هذا كله أصبح في نظري جهالة وأنا أقول أنا الآن مطمئن لقولك وسأرفع صوتي بين المسلمين قائلا لهم بالبرهان بالتقليد

« أيها المسلمون جميعا : نحن اليوم مغرورون فكونوا جميعا عاملين علماء مفكرين وياكم أن يخذعكم قوم عن طريق النبي ﷺ وأصحابه وصالحوا بالليل لتقربوا من ربكم ولا تشغلوا أنفسكم بما لا يفيد دنيا ولا أخرى . فقلت له : لقد فتح الله عليك وأرشدك يقينا بأن هذه الطرق القديمة ضارة بالمسلمين قاتلة لهم وانما طرق دجل وخداع وإن كان بعض أصحابها مخلصين على مقتضى تعليم شيوخهم كحسن بن الصباح وأمثاله أذكرك بأميراطور اليابان وهو جسد الأميراطور الخالي فانه كان من أسرار ديانتهم أن جسدهم التي مضى عليها أربعة آلاف سنة كانت امرأة نازلة من السماء فكان يعتبره اليابانيون نصف إله باعتبار أمه وهي إلهة وعلى ذلك كان لا يراه أحد لأن من رآه احترق بالنار . فإذا فعل ؟ نظر الرجل فوجد أن أوروبا أكلت الشرق - أكلت - . فإذا يصنع ؟ نزل الى الشعب وسار في الشوارع وقال للناس أنا الأميراطور انظروني لا تخافوا فأزال هذه الخرافة . ثم انه أمر بالتعليم العام وقرأ الشعب علوم أوروبا كلها وحاربوا الروس فانتصروا فعظموا هم وعظم الشرق في أعين أهل أوروبا . فهل يلقى لعظماء الاسلام وشيوخ الطرق أن يبقوا على هذه التقاليد العتيقة التي أهلكت المسلمين والتي هي فعل المسيح الدجال . فليعلموا أن من الجهالة أن ينتظر المسلمون ذلك الدجال والمسيح الذي يقتله وإن كان هذا لا مانع منه ولكن المهم لنا الآن أن نقتل الدجل والكذب بالعلم كما فعل الصحابة والتابعون أولئك الذين رأوا الفرس والروم حوهم وهم أولوا حول وطول فناموا فاضاعوا الدوائين ليرجعوا العالم الى الصلاح

فليعلم المسلمون قاطبة الآن أن الدجل والكذب الحاليين في بلاد الاسلام يجب محوهما وذلك بالروح العلمية العامة وبغير ذلك لا سبيل لاسعادهم . لهذا جاء ذكر الدجال ولهذا جاء ذكر عيسى قاتله بل لهذا جاء رسول الله ﷺ ولهذا ألف هذا التفسير في الزمان الملائم - والله الأمر من قبل ومن بعد -

### ( تذكرة )

( المهديون وبعض شيوخ الطرق . وماذا يفعل المسلمون بعدنا اذا لقوهم ؟ )

لقد ذكرت فيما تقدم في هذا التفسير في ﴿ سورة مريم ﴾ مأسطره صديقا (اللورد هيدلي) الانجليزى الذى يقول في كتابه ﴿ ايقاظ الغرب للاسلام ﴾ ما يأتى :

« إن جماعة من الألمانين عثروا على كتابه في بلاد آشور تاريخها قبل المسيح بنحو (٩) قرون مسطورة في الألواح ملخصها أن ابن الله البكر قد صلب ، وهذا الصلب يشبه صلب المسيح من كل وجه . فقال لأهل الغرب : بأى أبناء الله أقتدى ؟ أبين الله الذى كتب تاريخ صلبه قبل المسيح بتسعة قرون منقولاً عما كتب عنه قبل ذلك بأكثر من ألفى سنة ، أم أبين الله الذى حدث بعد ذلك ؟ وهو المسيح ابن مريم ،

فأنا لا أتبع هذا ولذا ذلك بل أقول ان عيسى نبي الله وروحه وأتبع دين الاسلام لاغير . هذا هو أول الأمر وآخره اه

هذا خفى ما تقدم في ﴿سورة صريم﴾ وأقول الآن : يظهر لي أن العالم الانساني عالم كله مقلد جاهل إلا قليلا . وقليل من عبادى الشكور . وان تطاع أكثر من فى الأرض يضالوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن وان هم إلا يخربون . قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه هو الغنى له مائى السموات ومائى الأرض إن عندكم من سلطان بهذا أتقولون على الله ما لا تعلمون . . تبين لي من أحوال هذا الانسان انه يشبه

كرة طرحت بصوالجة ✖ فقلقةها رجل رجل

فانه قبل الاسلام أدخلت عليه الغفلة فى جميع أنحاء الكرة الأرضية فقال له الأجبارة والرهبان وأمثالهم « إن لله ابنا فاتبعه » وكلما تقدم العهد جددوا له ابنا آخر . وفى الاسلام حوررها وقالوا هذا هو المهدي فن السفاح وهو أول خليفة عباسى أزال الدولة الأموية وأخذ بثأر الحسين رضى الله عنه واستمر ملكهم عدة قرون الى المهدي الفاطمى الذى ظهر فى بلاد الغرب وجاء مصر . والمهدي بن تومرت . والمهدي السودانى . والمهدي الفارسى وهو بهاء الله . والمهدي الهندى وهو غلام أحد وغير هؤلاء كثير

ويقول الاستاذ (هنرى دى كاسترى) الفرنسى قريبا فى هذا الكتاب : « انه لمثل هذه الأفهام وجد فى الاسلام (مذهب الواصلين) والذين بيدهم توزيع كثير من الميراث فى اعتقاد العامة واليهم صار يرسل الجمع العديد من القوم الذين ضلوا سواء السبيل الخ » انظره فى ﴿سورة الأحزاب﴾ عند الكلام على انه <sup>صلى الله عليه وسلم</sup> خاتم النبيين وانه سراج منير

أقول : فاذا رأينا هؤلاء الاورو بين يفر علماءهم ويمهز حكاؤهم من دين اخترعته عقول للأثم إذ كانوا أطفالا . فهكذا سيقول المسلمون بعد قراءة هذا التفسير « بأى المهديين نفتدى ؟ أبلهمدى السودانى أم بالمهدي الفاطمى ؟ أم بالمهدي (محمد بن تومرت) ؟ أم المهدي العيسوى البهائى ؟ أم المهدي الذى انتهى أمره من ولد العباس أم المهدي الهندى ؟ لاهؤلاء ولا هؤلاء بل أقرأ القرآن وأتخلق بأخلاقه وأهتدى بهديه

هذه هى الأمة الاسلامية المستقبلة . أما تلك الفرق المتشاكسة والأقوال المتضاربة فانما هى من اتباع أمة الاسلام الأثم كما فى الحديث ﴿لتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه﴾ ومما يحزننى وأسف له انك اذا قرأت القصيدة المتقدمة التى قرئت على قبر (محمد بن تومرت) وانه هو المهدي المنتظر وأن أتباعه يبقون الى زمان عيسى ابن مريم وأن الحديث الوارد فى المهدي انه يبق سبعا أو تسعا وانه هو بقى تسعاً يحول عليه

أقول : اذا قرأت ذلك فانك تجد هذا بهينه هو الذى يكرره الامام (محى الدين بن عربى) فى الفتوحات بعد موت (محمد بن تومرت) بهشرات السنين . ولا يعتبر رجحه الله بما تم له وأن ملكه زال وأتباعه انفضوا من حوله و بشر هو بمهدي آخر وعين زمانه وظهر اليوم عدم صحته . كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم قد بينا الآيات لقوم يعقلون .

واعلم أيها النكى انى أكتب هذا وأنا أعلم أن كثيرا تحذتهم أنفسهم بأنهم المهدي المنتظر ومنهم واحد كان صديقى فى مدرسة (دارالعلوم) ولكنه عاقل فانه بعد أن أراد اظهار انه المهدي ترك ذلك

إن هذه الأمة الاسلامية بعد اليوم ستقرأ التاريخ والعلوم الرياضية والطبيعية وسياسة الأمم وأحوالها . وهناك سيظهر فيهم مصلحون مجتدون حقا . وهؤلاء هم الذين سيزيلون الخرافات والدعاوى من بلاد الاسلام وسيكون ظهورهم عقب تمام نشر هذا التفسير . وهؤلاء هم الذين يظهر الاسلام ظهورا أثم على أيديهم فيش لهم من لا يعرف دين الاسلام ويش لهم من يتبعه ولكنه متحير فى أمره فيجد البلاد قد لاها الشيوخ

❖ وكل له غرض يسمى ليدركه ❖

هذا آخر ما خطر لي في تفسير آية - ولوترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم - الخ حوالى فجر يوم الأرباء (٢٣) إبريل سنة ١٩٣٠ م والحمد لله رب العالمين

فلما سمع صاحبي ذلك . قال : لقد اتضحت آية - ولوترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا - الخ . هذا هو أهم سرها ومقصودها في زماننا وكل من قرأ هذا من المسلمين يصبح وقد صار موقفا بهذه الفكرة عاشقا للعلم مكبا على العمل والله هو الولي الحيد . فقلت الحمد لله رب العالمين

فقال هذا قد أفهمنى أصر خوارق العادات وأن التقليد ليس مفيدا ، فهل تذكر لي شيئا من التقليد في أمور أخرى كالطب ولوحدة واحدة . فقلت له : أذكر لك بما مضى في ﴿ سورة الشعراء ﴾ عند قوله تعالى - وإذا صرخت فهو يشفين - . انظره هناك فانك تجدني نقلت من كتاب فيه تراجم الأطباء لابن أبي أصيبعة أن الهرمة كانت تقاقل أففى وكلما دغتها رجعت الى نبات فتمرت غت فيه فيزول ألمها فترجع كرة أخرى وتقاقل . قال في الكتاب المذكور (وهو الذي نقلته هناك) إن ذلك الذي رأى هذا قلع هذه الشجرة ، فلما رجعت الهرمة لم تجد تلك الشجرة فماتت . أقول لك : لما ظهر ذلك (في الجزء الثالث عشر من هذا التفسير) كتب كاتب في « جريدة الاهرام » يقص هذا القصص بنفسه ويدعى أنه رأى ذلك رأى العين وهو كاذب لأنه قرأه في هذا الكتاب وطب من الأطباء بحث هذا الموضوع فبحثوا وردوا عليه وقالوا إن هذا النبات هو المسمى في مصر « رعاع أيوب » وليس فيه هذه الخاصية مع أنه هو يقص نفس ما كتبت في هذا الكتاب بطريق النقل ، فهذا القول عن الأقدمين غير صحيح وليس هناك بحسب ما عرف الناس نباتا على هذه الشاكلة فهنا كذبان بحسب مظهر ، كذب القدماء في ذكر هذه الحسكية ، وكذب هذا الشاب الذي ادعى أنه رأى وهو يرى إلا ما كتبناه هنا . وبعد أن كتبت هذا عثرت على نفس المقالة المكتوبة في الاهرام فهناك نصها :

### ﴿ حول ترياق سم الأففى ﴾

( ولعاب القط )

سيدى الفاضل رئيس تحرير جريدة الاهرام الفراء

تقبعت بامعان وشغف ما كتبتموه تحت هذا العنوان سواء ما كان منه بقلم تحريركم أو بما وصل اليكم من حضرات قرائكم الأفاضل وأنا لا يسعنى إزاء سعة صدركم في متابعة هذه الحركة العلمية ومناهضتها على صفحة جريدة كبيرة كجريدة الاهرام الواسعة الانتشار أقول لا يسعنى الا ابداء شكرى لكم بالاصالة عن نفسى وبالنيابة عن كثيرين غيرى ممن يهمهم أمر هذا البحث المفيد . ويهمنى بصفة خاصة ككيمارى خيرى في هذا النوع من الابحاث أن ألفت النظر بافى قت بالتجربة التى نوهتم بها في هذا الصدد للتثبت من لعاب القط وهل في الخلايا اللسانية أو اللعاب الذى يفرزه عند المقاومة ما يصح أن يكون ترياقا لسم الأففى يتقى به غائلته . الواقع ينكر ذلك بتام والتجربة تنفيه اذ المفروض في اللدغة أن يتسرب السم الى الدم ويسير معه في دورته المعتادة فلا مقاومة والحالة هذه الا من دفاع الكريات البيضاء وعلى قدر هذه الكريات البيضاء ونشاطها يكون التأخر أو التقدم في التسمم فاذا كان للعاب القط والحالة هذه من فائدة (وهو ما لم يؤيده البحث بعد) فهمته في هذه الحالة أن يكون وسيطا ليس الا ليشير في الكريات البيضاء حركة النشاط المطلوبة للمقاومة . هذا تعليل . وثم تعليل آخر أن لعق القط لمكان اللدغ ماهى الاحركة فسيولوجية بحيث يقصد بها امتصاص الدم الذى عساه أن يكون قد تلوث بالسم قبل سريانه وهذه هى نفس الاسعافات الأولى التى يتبعها العامة عادة من عمل تشريط

لاستنزاف الدم الملوث أو المص في مكان اللدغ على شرط خلوازم من أى جرح يتسرب اليه السم وهذا التمايل الأخسب هو الذى أراه أقرب الى الصواب في مسألة لعاب القط . ثم مسألة التمرغ في نبات الغيرة أو الرعاع (رعاع أيوب كما يسميه العامة) للتمسح به كواق من تسرب السم فهذا مدفوع من جملة وجوه فليس لنبات الغيرة أى ذكر في المادة الطبية ولا في النباتات الاقرب باز يذية ولم نسمع باستعماله في عقاقير ما كهلاج لاي داء وما هو النبات طفيلي كالحشائش التي تنبت في وسط البقول عادة دون النخاس ولو أنه تدور حوله أساطير تترافية غريبة والمادة الفعالة فيه لزجة حريفة قلوية ذات رائحة خصوصية وقد أجرينا على هذا الرعاع المذكور الصفة التحليلية فوجدناه خاليا من الجواهر السامة والمختلة وبالبحث في تأثيره كهلاج لما ذكره كأن يفيد في حالات التسمم وذلك باحداث اللدغ في خنازير غينا (كوباي) ومعالجتها بالمادة المستخلصة منه فكانت النتيجة سلبية بحجة . فالقول بان نبات الغيرة أو الرعاع له أى فائدة كترىاق في سم الأفعى والعقرب قول مردود لا أساس له من الصحة وإذا كان حقا مارواه شاهد عيان على صفحات «الاهرام» من أنه رأى القط يلحق مكان اللدغ ويتمرغ في نبات الغيرة فهو كاذ كرت آنفا حركة فسيولوجية بحجة يقصد بها امتصاص الدم الفاسد وما تمرغه في نبات الغيرة . على فرض صحة وجوده مصادفة وقت اللدغ الامن قبيل تخفيف الألم كملوكنا نفرك محل الألم عند ما يشكنا دبوس أو نرتطم بشئ صلب . هذا ما علق لى أن أسطره بخصوص ترياق الأفعى والعقرب وأعلى قت ببعض الواجب المقروض على شعوقراء «الاهرام» الغراء من يهمهم أمر هذا البحث انتهى ماجاء في الجريدة المذكورة

هذا ماجاء في «الاهرام» أفلا نحمد الله إذ جعل في أمة الاسلام في مصر من نراه يبحث هذا البحث ولا يشكل على آراء القدماء ، وإذا رأينا علماءنا يقولون لسكل من قلد في التوحيد ايمانه لم يخل من ترديد فهكنا نقول فيمن قلد في الطب أو في السياسة أو غيره بل يجب البحث حتى تستبين الحقيقة . فبحث الفتى الكماوى المصرى (أمين براده) في هذه المسألة قد أظهر لنا الحقيقة فيما قرأناه في كتاب (ابن أبى أصيبعة) فهكنا نفعل في كل علم . انتهى والحمد لله رب العالمين

فقال صاحبي : وهل تذكر لى مسألة واحدة أيضا في نظام الأمم قلد الناس فيها وهم مخطؤون كالمسألة الطبية فقلت : قلد أمان الله خان مصطفى كمال باشا منذ ستة واحدة في انه قتل علماء الدين الذين عارضوا في الاصلاح فقام الشعب عليه فنزل عن الملك إذ اغتصبه رجل كان ابن سقا بحجة المحافظة على الدين ثم قام عليه الشعب فأنزلوه عنه وقتلوه ، وتولى الأمانة (نادرخان) الذى كان قائد الجيش أيام أمان الله خان ، فأمان الله قلد مصطفى كمال في ادخال الاصلاح بدون تدريج ولكن التقاليد خطأ لأنه هناك فرقا بين الأمتين ونفس مصطفى كمال انتقد المتقدمون في تسرعه وتغييره نظام تركيا سريها ، فانه بينما هو يترك الحروف العربية ويكتب الشعب كله باللاتينية نرى أوروبا تتبرم من الحروف اللاتينية وهذا عجب أن يقلد الناس بلا برهان . وهالك ماجاء في إحدى المجلات العلمية وهى «مجلة الجديد» فقد جاء فيها مانصه :

### ﴿ الحياة الاجتماعية ﴾

( نبرم أوروبا من حروفها الكتابية )

ظهرت في الشرق من هذا العهد نزعة الى سحارة الغرب بين في حروفهم الكتابية ويعرف القراء أن تركيا بأجهها قد دخلت المدرسة من جديد لتعلم الحروف الأوروبية كما أمر الغازى مصطفى كمال ولا فرق بين العجوز والفتاة والهرم والغلام . فان العقوبة الزاجرة تترقب من يتوانى في تنفيذ هذا الأمر المشدد ويذكرون أيضا ما تتهزمه فارس من تركها للحروف العربية واعتناق الحروف الأوروبية وما كان ينويه جلالة الملك الخلع أمان الله خان



في بلاد الأفغان ولو اننا مقتبسوا الاصطلاحات الأوروبية الى الجوهر دون المظهر لرأوا أن نقل المظاهر الشكلية لا يندشياً في تقدم الأمم وفي دسهم أن يحتذوا مثال اليابان التي أبت تراثها القديم وأدخلت في بلادها الاصطلاحات الجوهرية كالتعليم والصناعات والفنون والزراعة والتجارة واعداد الجيوش البرية والبحرية . ولقد كان من رأينا من زمن أن الحروف العربية تفضل الحروف الأوروبية من عسدة وجوه لأنها في الحقيقة نوع من الخط المختزل الذي يدل على الكلمات بأقل رسم وأوجز حروف . وقد كان الأوروبيون يفسدون مثل هذا الخط الكتابة كلماتهم فأوجدوا الخط المختزل ولكن طريقة ابتكاره لم تكن ناضجة ولم ييسر استعماله للدلالة على الكلمات بالضبط ولذلك قل من يكتب به على كثرة ما يعانيه متعلمه من آلام دراستها ومشاقها . ولذلك لا يزال الأوروبيون يفسدون نوعا مختصرا من الخط لأنهم يريدون أن استمرارهم على الكتابة بحروفهم القديمة ضياع للوقت الثمين وعيب ثقيل ينال دونه كاهل المتعلمين . ونسوق اقراء فقررة مما كتبه رئيس تحرير مجلة « النيشن » الانكليزية في هذا الصدد :

« واني أتساءل لماذا يستمر أبناء هذا العصر في حمل هذا العبء الثقيل وهو الكتابة بالحروف المطولة ؟ يقال ان الكتابة من أعظم الاختراعات التي توفى اليها الانسان . ولكن هل يلزم من هذا أن نلبث الى الأبد عاكفين على ما اخترعه الانسان الأول في عصور التأخر ثم نزع أننا شعوب الثقافة في المدنية ؟ ألا يعد ذلك من أكبر وأشنع سقطات مدنيتنا الحاضرة التي لا يقوم مظهر حضارتها وجوهرها الا بالكلمات المكتوبة فهناك جيوش لا يمكن أن تحصي من الرجال أو النساء لا تكتب أقواتها الا بالأعمال الكتابية ولا يمكن أن تجد أحدا في دوائر الأعمال تخاويه من قلم الحبر أو الرصاص ليدون ما هو منوط به من الأشغال . وربما كانت مدة الكتابة تستغرق على الأقل نصف الوقت . ويرى المستراسبندر أن ما يكتبه الصحفي في اليوم لا يقل عن ٣٠٠ كلمة وهذا ما يقوله الناس اليوم في التقليد في أمور النظام العام . ولو شئنا لنرحنا التقليد في العلوم كدوران الشمس حول الأرض الذي كان يقوله الناس قديما وكيف دحضه العلماء بعد ذلك وكسألة الكواكب السيارة وانها سبعة فظهر بعد ذلك أورانوس ونبتون ولم يكن يعرف الناس إلا شمسا واحدة حتى عبدها فعرف الناس اليوم آلاف آلاف الشمس وشمسنا بالنسبة لها كأنها برتقالة أو أصفر فان كوكب الجوزاء أكبر من الشمس (٢٥) ألف ألف مرة . إذن التقليد جريمة . ولهذا نزلت هذه الآيات - ولوترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم - الخ انتهى الكلام على الفصل الثاني

### ( الفصل الثالث )

( في ضرب مثل لمن صاروا أحرار الآراء وماذا فعلوا )

أذكر في هذا الفصل « حادثتين » الحادثة الأولى « الحرية السياسية . فانظر ماجاء في جريدة الاهرام بتاريخ يوم الاثنين (١٨) فبراير سنة ١٩٢٩ م وهذا نصه :

« رجل انجليزى يفعل في السياسة ما فعله مؤمن آل فرعون في سورة غافر »

( مظاهرة ضد الكولونل لورنس في إنجلترا )

« نظم المستر (سكلافالا) العضو الشيوعي في مجلس العموم البريطاني مظاهرة كبيرة في لندن ضد (الكولونل لورنس) المعروف على أثر الاشاعات التي راجت بأنه أضرم نار الثورة في قبائل الأفغان ضد الملك (أمان الله) فسارت المظاهرة مسافة طويلة تحمل صورة (لورنس) وأخيرا أضرموا النار فيها على صوت الخطباء الذين وصفوه بأقبح الأوصاف » انتهت الحادثة الأولى

## ﴿ الحادثة الثافية نبذ التقليد في الزراعة ﴾

( البحث عن السعادة الزراعية بطريق خارج عن التقليد الذى ذمّه الله فى القرآن )  
اعلم أيها الذكىّ ان هذا قد أشرنا اليه سابقا فى هذا التفسير ، ونزيد عليه الآن ملجاء فى جريدة الاحرام  
يوم الخميس (١٣) اكتوبر سنة ١٩٢٩ م وهذا نصه :

### ( الزراعات فى الماء )

( طريقة جديدة لانماؤها )

ظهر فى الولايات المتحدة اقتراح عظيم الشأن ينتظر أن يخالف الفلاحين وزراعى الفاكهة والازهار من  
متاعب الزراعة وخدمة الارض ومن قيود المواسم والاحوال الجوية وأجور الأتبان ، ويحدث انقلابا عظيما  
فى فن الزراعة . فقد أعلن قسم فسيولوجية النبات فى جامعة كاليفورنيا انهم توصلوا الى انتاج غلال وخضروات  
من مزروعات زرعوها فى حياض رقاقة الماء ، وتعهدوها بأقراص كيميائية أسموها «أقراص النبات» فى جو  
جاف خال من الرطوبة أشبه بجو الصحراء ونسنى لهم انتاج الفاكهة والخضراوات الشبيهة بالفاكهة قبل أوانها  
المعتاد . كذلك زرع أنواع مختلفة من الازهار التى لاتنبع الا فى أواسط الصيف فازدهرت وقطفت أزهارها  
فى غرة فصل الشتاء . وتبين أن القمح والشعير والأرز اذا زرعت على هذا القطر يزيد محصولها من ٢٥ فى المئة  
الى ٥٠ فى المئة . أما البنجر والجزر والكرب وغيرها من الخضروات التى من فصائلها فقد نمت نموا أسرع  
من نموها المعتاد بمدة تتراوح بين عشرين وثلاثين يوما . وقد زاد متوسط حجمها العادى ٦٠ فى المئة بغير أن  
تفقد شيئا من رسمها ونضارتها . وزرعت « الطماطم » بهذه الطريقة الجديدة فزاد محصولها ٤٠ فى المئة  
ونسنى زرع الورد فى جوف المنازل فى فصل الشتاء القارس فلما وازدهر فى مدة لاتزيد على الستين يوما . وزرعت  
« البازلة » فى فصل الشتاء داخل المنزل ودرجة الحرارة فى الخارج دون الصفر فتمت وبلغ طول أصولها خمسة  
أقدام وازدهرت وأنت ثمارها فى مدة تتراوح بين الستين والسبعين يوما . وقد بلغ عدد التجارب التى أجريت  
نحو خمسة آلاف تجرية فى خلال خمسة أعوام أسفرت عن هذا الاكتشاف العجيب الذى وصفه الدكتور  
جارىك رئيس قسم تشريح النبات فى جامعة كاليفورنيا بأنه أعظم منحة وأفضل هبة لفن الزراعة منذ بدء تطبيق  
علم تسميد المزروعات حتى الآن ، وتؤيده فى هذا رأى كلية الزراعة فى تلك الجامعة وعدد كبير من الخبراء  
فى الزراعة وخريجي كلية الزراعة وتجار الازهار الذين ساعدوه فى تجاربه . وخلاصة السر فى هذا الاكتشاف  
المؤدى الى سرعة الانماء وزيادة المحصول هى اعطاء النبات مقادير مركبة تحوى العناصر السبعة التى يتألف منها  
غذاء النبات واعطاء كل نوع مايلزمه من الغذاء بالدقة والضبط ، وهذه العناصر مركبة فى أقراص اسطوانية  
الشكل تذاب فى الماء أو فى التربة التى ينمو فيها النبات ، وهى تجمع معا فى أنبوبة قصيرة أو اسطوانة بمادة كاسية  
تشبه الخوصين وتحتوى هذه الأقراص على أجزاء معاومة من النتروجين والفوسفور والمغنيزيا والحديد والبوتاس  
والكبريت والكالس (الجير) . وقد وجدنى أثناء اجراء هذه التجارب والاختبارات أن كل نوع من الشجر  
والحبوب والخضراوات والأزهار يتطلب تركيبا مخالفا من حيث الكمية من العناصر السبعة كلها أو بعضها  
فالتركيب الذى يفدى « البازلة » ويجهل نموها ويزيد انتاجها مثلا لا يفيد الورد وفصيلة البنفسج .  
وقد دلت التجارب على أن عدد التركيب اللازمة يمكن حصره فى عشرين نوعا . ومع أن أقراص النبات  
استعملت بنجاح للزروعات فى التربة ، فقد أسفرت التجارب أن خير وسيلة للانماء هى الماء بمقدار لتر لكل  
نباتة . فقد جرى بثلة ورد زرعت حديثا فى الأرض ولم تسكد جذورها تمتد ، ووضعت فى الكمية اللازمة  
من الماء بعد أن أذيب فيه المقدار اللازم من أقراص النبات المختصة بفصيلة الورد ، فتمت وترعرعت وتفتحت

أكامها عن ورد نصير كبير الحجم في خلال ثمانين يوما . وأجريت مئات من التجارب من هذا القبيل في الجيوب والخضراوات وشجيرات الفاكهة وأشجارها فكان النجاس في زراعة الجيوب والخضراوات عظيما جدا ، فتبين أن حجم الهليون ( أسارجوس ) قد تضاعف تقريبا من غير أن يطرأ أي تغيير في غضاوته أو عدد فروعه ، وكذلك البطاطس زاد حجم محصولها خسين في المئة بغير أن يزيد نمو شجيراتهما . وتبين أيضا أنه اذا زرعت النباتات الغذائية في الماء بدلا من زرعها في التراب يزداد معدل نموها نحو مئة في المئة ويزداد حجمها ويتسنى زرع عدد كبير منها في مساحة واحدة . وأسفرت التجارب في زرع القمح وافية . وختم الدكتور جاريك حديثه قائلا ان أهم ما في اكتشافه هذا أنه يمكن ملايين من الناس أن يعيشوا على محاصيل تنفعهم المياه في أراض كانت لا تنتج سوى الشوك « والقطن والتبغ لهما نتائج باهرة . فقد نما القطن من البذور حتى طرح اللوز في مدة تسعين يوما . وظهر أن القمح اذا زرع في الماء المذابة فيه أقراص النبات يزيد نموه خسين في المئة أكثر منه اذا زرع في التراب المغذى بأقراص النبات . وحملت نتائج هذه التجارب الدكتور جاريك ومساعديه على الشروع في اجراء تجارب زراعة النباتات الغذائية في الماء لمعرفة نفقاتها اذا زرعت على قياس تجارى فوجد أن الحياض التي عمقها من ست الى ثمان بوصات هي أصلح ما يكون لزراعة الجيوب والخضراوات وقد استعملت حياض طول كل منها عشرون قدما وعرضها خمسة أقدام مصنوعة من الخشب ومبطنة بورق مدهون بالقار وترك الورق زائدا من كل جهة ليصلح غطاء للحوض وجعل في هذا الغطاء ثقب صغيرة قريبة بعضها من بعض وأدخل في كل ثقب منها شتلة من النباتات بحيث تصل جذورها الى الماء الذي وضع فيه عدد من أقراص النبات وقد تبين أنه يتسنى بهذه الطريقة زرع ضعفي أو ثلاثة أضعاف ما يزرع في المساحة ذاتها من الارض مع سرعة النمو وزيادة المحصول كما ذكرنا آنفا . وقد أدت مواصلة هذه التجارب الاقتصادية الى أن هذه الحياض الخشبية المسقوفة بالورق المدهون بالقار أو بالاسلاك الوثيقة هي خير الوسائل وأقلها نفقة لزراعة الجيوب والخضراوات في الماء وقد رأى الدكتور جاريك ومساعدوه أن نفقة حياض من هذا النوع تغطي مساحة فدان مع ترك طرق بينها تبلغ على الأكثر ٣٥٠ ريالا في أية ناحية من أنحاء الولايات المتحدة حيث المواد غالية الثمن وأجرة العمل باهظة . أما في الانحاء الأخرى من العالم فالمعتقد أن النفقة لا تزيد على ١٥٠ ريالا واذا زادت المساحة الى خمسة أفدنة أو أكثر فإن نفقة الحياض اللازمة لتغطيتها لا يمكن أن تزيد على مئتي ريال في الولايات المتحدة ، وهكذا تبلغ نفقة حياض خمسة أفدنة ألف ريال أو ثلاثة أضعاف ما يلزم لتصلح الأرض للزراعة كل عام . ولكن متى أنشئت هذه الحياض فمما تهتم على الأقل خسين عاما ولا تحتاج الى حرائق أو ري ولا عرق أو تنظيف من العشب وكل ما هناك أن الحياض تملأ ماء وتوضع الأقراص الكيميائية فيها مع سرعة النمو وزيادة المحصول ، والنخلص من آفات الزراعة التي تنشأ من الأرض

وعلى هذا المتوال يتسنى للزارع أن يربح نفقة صنع الحياض في عامين . ثم ان مسألة المناخ ورطوبة الهواء أو جفافه وخصب الأرض أو عدم خصبها كل هذه العوامل الهامة في زراعة الأرض يظهر ان لاثاثيرها في التجارب التي قام بها الدكتور ( جاريك ) ومع ان طريقة الزراعة في الماء لا يمكن بها زرع نباتات في غير اقليمها فانها تجعل نمو النباتات وتزيد محصولها في منطقتها الخاصة بها . فقد قام الدكتور ( جاريك ) ومساعدوه بتجارب اكتشافه في جو درجة حرارته ورطوبته مضارعة لدرجة حرارة ورطوبة جو صحراء الاريزونا والمكسيك الجديدة والجنوب الشرقي من كاليفورنيا فزرعوا الفجل واللفت والبسبح والخس والسبانخ والطماطم والباذنجان وغيرها من النباتات الغذائية فتبين انه في الامكان زرع ٣٠٠٠٠ شجرة من شجيرات الطماطم في حياض مساحتها تعادل فداناً بمحصول يزيد على محصول عدد مثلها في الارض من خمسة وعشرين في المئة الى ستين في المئة . ويرى الدكتور ( جاريك ) ان أهمية اكتشافه الحقيقية هي استخدام طريقة

زراعة الحياض في المناطق القاحلة القفرة في جميع أنحاء العالم إذ يمكن أن يزرع فيها الشيء الكثير من النباتات الغذائية . ويقول الدكتور ( جاريك ) أنه يعلم أن رمال الصحراء يمكن جعلها صالحة للزراعة إذا تسنى ريهها بالماء العذب رياوافيا ، ولكن يوجد ملايين وألوف الملايين من الأفدنة التي لا يمكن أن تصل إليها المياه العذبة لريها وزرعها . على أن كمية ضئيلة من الماء تكفي لاستعمال طريقته وزرع النباتات الغذائية في صميم أجندب الصحارى وأقفرها . فأى نبع صغير أو بئر أو ترازية أو صهر يجتمع فيه ماء المطر ويكفي لتغطية قاع حوض طوله عشرون قدما وعرضه عشرة أقدام يكفي مئة قدم مكعبة من الماء وهذا الحوض يمكن أن يزرع ١٧٠ شجيرة من الطماطم وإذا فرضنا أن نصف هذه الكمية تازم لتعويض ما تمتصه الشجيرات في أثناء النمو وما يقبخر منه ويسرب من منافذ الحوض كان مجموع كمية الماء اللازم لهذا الحوض طول موسم الزراعة ٢٠٠ جالون أو ثلثمائة صفيحة من حجم صفيح البترول مع أن هذه الكمية من الماء لا تكاد تكفي لرى نصف هذه المساحة من الأرض موسما واحدا مع العلم أن مساحة من الأرض معادلة لهذه المساحة إذا عهدت بالرى الوافى لاتسع لزراع أكثر من خمس ما يزرع في الحوض وكل نبات تزرع في الأرض لاتنتج من المحصول الاستين في المئة مما تنتجه النباتات التي تزرع في الحوض وينظر الدكتور ( جاريك ) الى مستقبل اكتشافه لهذا فيرى أن كل نبع ضئيل أو بئر أو صهر يجتمع في الصحراء والاراضي القفرة القاحلة سيكون محوطا بحياض فيها ماء قراق يغطي قيعانها الى ارتفاع ثلاث بوصات أو أربع وكل منها ضرور نبتا ذا محصول غذائى ومما تنتجه زراعة هذه الحياض كاف لمعيشة عدد كبير من السكان . ويرى سطوح المنازل المرتفعة بدلا من أن تترك بلا نفخ ولا فائدة حدائق غناء بالرياحين والأزهار أو بساتين تزرع فيها الفاكهة والخضراوات ، ويرى كل صاحب منزل في المدينة يستعمل جزءا من فناء داره أو حديقة لاتنتج ما يلزمه من الخضراوات والأزهار بريح وافر وأنه يصبح في وسع أى انسان مقيم في أقصى بقعة من بقاع الأرض القاحلة أن يزرع كل ما يلزمه ومن معه من الخضراوات والنباتات والاشجار المثمرة التي يلائمها الاقليم . والعمل الذى يتطلبه الزرع على هذه الطريقة الجديدة لا يبلغ عشر معشار ما تتطلبه خدمة الأرض اه

\*\*\*

### ﴿ تذكرتان ﴾

(الأولى) تذكر في سورة الأحزاب في قوله تعالى - والصائمين والصائمات - (والثانية) تذكر في سورة سبأ في قوله تعالى - يعلم ما يلج في الأرض - الخ وسر من أسرار الفهم المستخرج من الأرض

﴿ التذكرة الأولى ﴾ في قوله تعالى - والصائمين والصائمات - وهي سر من أسرار الطب في الصيام المذكور في الآية فوق ما تقدم في (سورة البقرة) من المسائل الطبية والصحية في آية - أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير - وفي سورة الأعراف عند آية - وكلاوا واشربوا ولا تسرفوا - وفي سورة الحجر عند التلخيص الى قصة آدم ، وفي سورة طه عند قصة آدم أيضا ، وفي سورة الشعراء عند آية - وإذا مرضت فهو يشفين - . ففهم هذه المواضع من التفسير أهم ما فى علم حفظ الصحة من التجافى عن الأدوية المشهورة والاكتفاء بالمداواة الطبيعية ، وكذلك صر في سورة القصص عند قوله تعالى - ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار - الخ بيان كيف يكون الهواء الطلق وضوء الشمس حبوراً وسعادة وصحة ، وهكذا فى أول سورة العنكبوت ﴿ عند ذكر الجهاد كيف كان الصوم أصبح نافعا في العلاج بإيضاح تام ، أما هنا فأنى أقول : جاء فى سورة الأحزاب فى هذا المجلد انه ﷺ سراج منير بنص الآية وأن ضوء الشمس هو الذى يفتك بالحيوانات النورية المهلكة الحادثة من العفونات المسطحات على أهل الأرض ، فهكذا آى القرآن التى هى أشعة من نور الله أشرفت على أهل الأرض يجب أن يرجع الى المسلمون اليوم مع أمثال هذا التفسير لتزول من بلاد الاسلام

تلك الغفلة التي استحكمت بالآراء المنحرفة عن ادراك جمال هذا الوجود الذي سخره المسلمون أجيالا وأجيالا ولا جرم أن مذكورته هناك في القرآن على هذا النحو يمثل له في الحياة المادية الدنيوية بما يفعله أهل أمريكا اليوم من التمرّض للشمس والصوم أى ترك الطعام مع شرب الماء أمد أر بعين يوما فيزول من أبدانهم فقر الدم ، فإذا كان الصيام الطبي (الذي له شبه ما بالصيام الشرعي وليس من كل الوجوه) قد اتحد مع ضوء الشمس والهواء النقي على إعادة الصحة وإزالة فقر الدم والمرض الناشئ عن المداواة بأكل اللحم في ذلك المرض هكذا أتم الاسلام باعراضها عن الخرافات والبسوع وتمسكها بنفس كتاب الله الذي يحرضهم على معرفة مافي هذه الدنيا من الجلال والابداع يرجع لها مجدها وشرفها القديم العظيم ، فهالك ماجاء في إحدى المجلات العلمية وهي « المصور » بتاريخ (٢٨) مارس سنة ١٩٣٠ م تحت العنوان التالي وهذا نصه :

### ﴿ فقر الدم ومعالجته بالصوم ﴾

جاء في بعض الصحف الأمريكية انه طرأ تحوّل في الطب عند كثيرين من الأطباء فانهم بعد ما كانوا يصفون اللحم الدامي للصائين بفقر الدم أصبحوا يصفون لهم الصوم الآن ، وفي الولايات المتحدة مستوصفات ومستشفيات يعالج فيها من يصف لهم الأطباء الصوم ، ومن أوصافها وقوعها في مكان طلق الهواء نقيسه ، تعرض غرفها وسطوحها للشمس واحاطتها بخدائق تعطر الهواء بأريجها الطيب ، ولا يتغذى المستشفى إلا بالماء ومع ذلك لا يكون ما يطلب منه في مقابل اقامته في المستشفى مبلغا يستهان به وتتفاوت مدة المعالجة بين (٤٠) يوما و٥٠ يوما يكون المستشفى في خلالها تحت مراقبة الطبيب ، أما نتيجة هذا الصوم فتكون جلاء بصر من يشكو ضعف البصر وزوال ما يسببه من فقر الدم ، وشفاءه من مرض البول السكري واندمال قروح معدته وعودة القوة الى الذين هجرتهم من جراء الافراط في العمل ، ويكفي الانسان مدة ثلاثة أيام ليتعود الصوم ويتخلص الجسم من السموم العائشة به بعد ستة أسابيع أو سبعة ، ويقول العارفون « انه اذا لاحظ الانسان الحيوانات وجد انها حين تكون مريضة تمتنع عن تناول الطعام ، وعند الانسان نفسه يكون فقدان الشهية للطعام دليلا على اضطراب صحته » وعلى كل حال ينبغي للمرء ألا يعتمد الى الصوم بدون أن يستشير الطبيب اه هذا ماجاء في مجلة « المصور » وبه تم الكلام على التذكرة الأولى والحمد لله رب العالمين

### ﴿ التذكرة الثانية ﴾

( خواطر في صلاة العصر في قوله تعالى - يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها - )

( كتب يوم ٩ رمضان سنة ١٣٤٨ هـ )

لقد علمت فيما ذكرناه مشروعا ومرسوما موضحا أن أكثر الألوان التي تصبغ ثياب الناس في الشرق والغرب اليوم انما تكون من القطران ، وذلك القطران من الفحم والفحم مما يخرج من الأرض ، ومن عجب أن هذا الفحم مكث مئات الآلاف من السنين وهو يتلظى ويتقلب ويحترق في النار الحامية في جوف الأرض ، فهناك حرارة عظيمة جعلت الخشب فخما ، فلما أن أخرجه الناس اليوم كشفوا أمره فوجدوا فيه مئات الألوان فصبغوا بها الثياب فأكب عليها الناس في الشرق والغرب وكان هذا التهلك سببا في هلاكهم في الدنيا وعذابهم - وعذاب الآخرة أشد وأبقى -

ولذلك تجد جميع الأمم التي استعمرها الفرنجة مكبين على الزخارف والزينة التي تبهرهم ببريقها ولمعانها فتزول ثروتهم وتضيع بلادهم . مثال ذلك بلادنا المصرية أيام المغفور له اسماعيل باشا فانه استدان واستدانت البلاد فكثرت دين الأمة وكثرت دين الحكومة ، فقد ضلت الأمة ودخل الانجليز البلاد بحجة المحافظة على الدين وهمل هذا كله إلا بتلك الثياب التي صبغت بالقطران المستخرج في تلك الدول العظيمة من الفحم الحجري

أوليس هذا هو ما تشير له قصة المسيح الدجال إذ يأتي بجنة ونار وقد أمرنا أن نترك جنته وندخل ناره فتكون جنته نارا وناره جنة ، فهذه الأمم المتأخرة الإسلامية لما بهررها بهرج الفرنجة استعملته فوقعت في الذل وساءت الحال ، ومتى ذات الأمة ذهبت منها الأمانة والشرف والشجاعة والعفة فصاروا عبيد الفاتحين وصعيدا جزرا تذروه الرياح فإذا ماتوا كانت أرواحهم ناقصة ، وهل للناقص إلا جهنم لأن جهنم للناقصين ، والمسلم الناقص يكون في جهنم يتم مدة عذابه ، أليس هذا هو سر قوله تعالى - سرايلهم من قطران وتغشى وجوههم النار - . أوليس هذا هو سر القرآن ظهر الآن ، وان كنت في شك مما قررت لك الآن وقلت هذا القول غامض بعيد عن الصدق . أقول : أفلا أذكرك بما نقلته لك في آخر ﴿سورة آل عمران﴾ عن الزعيم الهندي (غاندى) عن مجلة الجامعة الهندية إذ يقول فيها في الفقرة الخامسة مانسه : « إن الولوع بالمنسوجات الأجنبية يجلب العبودية الأجنبية والفقر المدقع وما هو أقبح من هذا ألا وهو العار على كثير من العائلات » اه فها هو ذا (الزعيم غاندى) من المعاصرين لنا يقول : إن المنسوجات الأجنبية تجلب العبودية وما تبعها ، (وبعبارة أخرى) أنها تكون مثارا لأنواع الذل والشقاء ويتبع ذلك الخسة وهذه تجمع أنواع المعاصي أفليس هذا من أسرار القرآن إذ ذكر أن سرايل أهل النار من قطران ، وهما هي ذه السرايل ملونات بألوان من القطران الفحمي فتهاقت الناس عليها كما يتهاقون على جنة المسيح الدجال وهذا التهاقت أورث ضياع البلاد والاسراف والله لا يحب المسرفين فتهلك الأمم وتضيع البلاد ، فهذه النفوس الناقصة تعذب ﴿عذابين﴾ عذابا في الدنيا وعذابا في الآخرة لأن ذلك هو استعدادها ، وذلك كله سر آية - سرايلهم من قطران - وهو مستخرج من الفحم الحجري وهذا الفحم مما يخرج من الأرض في قوله تعالى هنا - يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها - الخ . تم الكلام على التذكرة الثانية والحمد لله رب العالمين

### ﴿خاتمة السورة﴾

( بسم الله الرحمن الرحيم )

أيها المسلمون : انظروا معي نظرة عامة الى هذه السورة ، هي مبتدأة بنعم الله الجزيلة وبأنه مستحق للحمد عليها وبأنها من السماء ومن الأرض والجنة خارجة نازلة صاعدة وهي مع ذلك لاتعزب عن علمه ، وأن هذه الحياة لاتقف عند حد الموت فهي ممتدة لتسكون أواخرها نتائج أوائلها ونهاياتها مبينة على بداياتها وأن علم العلماء في جميع القرون وكشف الكاشفين للمعلومات في الأرض يبين لهم أن هذا القرآن حق وهاد الى صراط العزيز الحميد

هذا مبدأ السورة ، ثم انه أخذ يبين لنا حال أمتين شرقيتين أمة اليهود وأمة العرب ، فهما أمتان متجاورتان ، فأما أمة اليهود فانها ازدهرت بالعلوم والعرفان والعمران أيام داود وسليمان عليهما السلام وكان ذلك الازدهار والعز موجبين لشكر الله على من أعطوا هذه النعم ، فأما أمة العرب وسبأ فانهم بطروا النعمة وكفروها فلم يشكروها فحاق بهم العذاب وساعدوا ابليس على تليسه عليهم واضلله فكفروا فحق عليهم الوعيد ، لذلك أرسل الله النبي ﷺ لجميع الناس من عرب ويهود وعجم فانتشردينه في أقطار المعمورة وازدهر العمران

ثم أخذ يقص علينا نبا النوع الانساني من حيث التقليد واستقلال الرأي وأن المقلدين انخامدين لا ينفعهم عند الله الاحتجاج بأنهم غرهم الرؤساء ، فكل عن عمله مسؤول وأن الرؤساء الضالين أشبه بالذباب يطوف على الوجوه والعيون فيبيض في القفرة منها فيخرج فيها بيضه دودا فيحصل الرمد للعين . فالعيب على من أصابه الرمد لأنه مستعد لوقوع الذباب على عينه وهذا هو قوله تعالى - ولن ينفعكم اليوم إذ ظنتم أنكم في

العذاب مشتركون - وقوله هنا - وقال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم بل كنتم مجرمين - ردًا على قولهم - لولا أنتم لسكننا مؤمنين - كما تقول العيين الرمداء للذباب لولا أنت لكنت سليمة من المرض ، فتقول الذباب : إن استعدادك لوقوعي عليك أغراني بذلك فأصبت بالرمد بسبب بيضى الذى وضعته فيك ، فأنا وقعت عليك لأضع البيض فيك وهذا طبعى الموافق لطبعك ، فنحن معا نشترك فى خلق واحد ، بيننا جامعة تجمعنا ، فأنت مرتضى الخصيب ، وأنا الرائسة فيه ، فأى فرق أيتها العيين بيننا وبين الأنعام ، ترى فى الرياض النضرة والحقول الخضرة ذات الأزهار البهجة ، ألسنت أنت روضتى وجنتى ونعيمى لأن القذارة محبوبة لى وأنا بها قريرة العين سعيدة

فهذه المحاورات بين الذباب وعين الأرمد أشبه بالمحاوراة بين الرؤساء والرؤسين إذ يقلد الآخرون الأولين كما اتفق فى أُمم الاسلام المتأخرة إذ استسلم المجموع الاسلامى لبعض من قلَّ علمهم وضعف يقينهم فاستنزلوهم بعد عزٍّ من صراتهم حتى عموا عن آيات القرآن كالذى جاء فى هذه السورة وغاية أحدهم انه ربما يقرأ فى أمثال هذا التفسير فيفرح بمجراته صلى الله عليه وسلم التى ظهرت فى هذا الزمان كما تارسد العرم المرسومة فيما تقدم وأن ذلك يوجب تصديق أهل العلم ، فان من يقرأ هذا ويعلم أن المؤرخين كانوا يشكون فيه فظهر لهم الحق بكشف أولى العلم فانه لا محالة يصدق بالقرآن ومن أنزل عليه ولكن أيها المسلمون ليس التصديق بأن القرآن حق هو كل ما يطلب منا ، فهذه مرتبة الرجل المبخوس المنزلة الضليل المعرفة ، فبلاغة القرآن ومجرات العلم كل منهما يرشد قوما الى صدق القرآن ، ولكن التصديق بالقرآن بعد هذا الجدل يشاركنا فيه العالمى والصبي فهما مؤمنان والايمن شئ والتشهير لمقتضى الايمان شئ آخر يقول الامام الغزالي رحمه الله تعالى : « إن من لم يكن له حظ من القرآن إلا لفظه وتفسيره واعتقاده بالقلب فهو مبخوس الحظ نازل الدرجة فان ادراك اللفظ بسلامة حاسة السمع وفهم المعنى يكون بمعرفة اللغة العربية التى يشارك العارف بها الأديب اللغوى بل الفنى البدوى ، وأما التصديق بأن كلام الله حق فهذه مرتبة يشاركنا فيها العالمى الجاهل بل الصبي . قل :

وهذه درجات كثير من العلماء فضلا عن غيرهم » اهـ

إذن فلتعزنى أذنك أمها الذكى وتجلس معى دقائق أحدثك فيها حديثى عن أُمم الاسلام التى أعيش معها مدة ما ثم أترك الأرض ومن عليها وأتوجه الى لقاء ربى . فأقول :

« يارب أنت أرسلت نبيك محمدا صلى الله عليه وسلم للناس كافة وقلت لنا - كنتم خير أمة أخرجت للناس - وأسكننا فى مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لنا فى آثارهم كيف فعلت بهم وضربت لنا الأمثال ، ومن الأمم المذكورة أهل سبأ وقد ملكتنا أرضهم . فماذا فعل المسلمون لما ملكوا ؟ هاهم أولاد تركوا مواهبهم العقلية والجسمية وتركوا نعمك التى أنعمت بها عليهم ولم يبالوا بنعم المطر النازلة عليهم من السماء . فخاؤه يجرى بلاست يصدده ولا عزم يحفظه فعطوا نعمك . نعم ان جهورهم اليوم لا يعلمون إلا ماورثوه عن آبائهم من العلم وهذا تقليد والتقليد مذموم . وهاهم أولاد يا الله يقرؤن فى سورة سبأ التى أنزلتها باسم بلادهم التى أهمها (مدينة مأرب) التى تقدم رسمها والتى تسمى باسم سبأ أيضا . وقد قلت فيها لا فى صنعاء كما يقول الجمهور من المفسرين - بلدة طيبة رب غفور - وقرؤا أن هؤلاء الوثنيين لما أعرضوا عن حفظ السدة وترميمه أنزلت عليهم عقابك فى الدنيا ففرقتهم فهم لم يشكروا النعمة ولم يحفظوها كما حفظها داود وسليمان عليهما السلام . فهم قوم غير شاكرين . والذى لا يشكر النعمة يحفظها تزول عنه . ثم أقول يا الله : قرأ المسلمون هذا فى القرآن ولكنهم وقفوا على القشور وجدوا على الألفاظ ولم يفتنوا أكثرهم لما نزل من هذه الحكم وهى أن يعمروا أرضك ليكونوا - خير أمة أخرجت للناس - كما كان سلفهم الصالح أيام الصحابة والتابعين لا أن يعكفوا على جمع المال وادخاره وعلى الملك والاكتفاء بالمجد الكاذب الذى هو كسر اب ببيعة

يحسب الظلم أن ما حتى إذا جاء لم يجد شيئا ووجد الأمم المحيطة بانتغلب على أطراف البلدان الإسلامية لجهل أهلها وقلة تبصرهم وعدم تعقلهم أمثال هذه الحكيم في التخصيص القرآنية حتى أنك ألهت محمد بن نورث في بلاد المغرب فظهر لهم بهيئة المهدي الذي يتبعون قوله أمدا ثم دالت دولتهم بعد مائة سنة وكانت هذه سنة تلك الأمم إذ اقتعدوا غارب التقليد الأعمى بمن سيطروا عليهم من الرؤساء الذين سخرهم الله لهم لما عمت البصائر من القرآن الهادي إلى طرق الحقائق وأخذوا يتخبطون في ديجور الظلام الحالك حتى جاء زماننا فوجدنا بلادك التي سلمتها لنا خاوية على عروشها ، فيها هي ذه بلاد شمال إفريقيا في القرون المتأخرة نصب معين الحضارة منها فأرسلت لها أم أوروبا أمة بعد أمة ، وهما هي ذه بلاد العرب التي كانت منبع حضارة الأمم شرقا وغربا قد حل بها البوار ولحقها النكال وهما هي ذه بلاد اليمن وحضرموت وما والاها من البلدان لم نجد فيها ملكا اليوم يعادل ولا يقارب ملك السبئيين الوثنيين الذين عبرتهم بأنهم أعرضوا عن نعمك وضربت لهم مثلا بهمال سدّ العرم الذي هو واحد من مئات الأسداد في تلك البلاد فلم يظن عالم من علمائهم إلى هذه العبر وقد أحاطت بهم النذر من كل جانب ، وهما هي ذه أوروبا واقفة لهم بالمرصاد ، أنت يا الله خاطبت المساميين بكلامك القديم اليوم منذرا ومخدرا ، فكلامك القديم لا يتسنى لنا أن نعرفه إلا بأحد طريقين إما بالفاظ ترد على لسان نبي كالذي جاء في هذه السورة . وأما بفعلك أنت لأن المعاني تظهر بالقول تارة وبالفعل أخرى فأما القول ففي القرآن وأما الفعل فهو مآظهر اليوم في العالم قاطبة . فكم يا الله من نعم ببلاد العراق ونجد والحجاز واليمن وحضرموت مخبوءة فيها . وكم من سحائب مطرات مطرا يحيي الأرض بعد موتها ثم ترك ذلك كله وشأنه فلم يحفظ في زمن الاسلام بالاستخراج وبالأسداد كما حفظ أيام الجاهلية فانتفع الناس به .

« هذه حال المسلمين اليوم يا الله . وهما هوذا التفسير قد كتبته وهم يقرؤنه وهو آخر انذار للمسلمين فان فكروا فهموا وانتفعوا وان ائتمضوا أعينهم عن الحق أهلكتهم الأمم »

أيها المسلمون : ها أنذا أنذرتكم وحذرتكم . ويا أبناء العرب اخواني وأصدقائي فكروا في قصص هذه السورة . فكروا في قول ربكم - فأعرضوا - ولما أعرضوا أرسل عليهم سدّ العرم . أليس هذا اصلاحا دنيويا . ألم يكن خراب سبأ أو (مدينة مأرب) من نتائج الجهل الذي وقعنا فيه الآن . أتم يا أبناء العرب اخواني قد أنزل الغطاء عن أعينكم فأخذتم تفكرون وهذا كسائي بين يديكم وأنا أعلم انكم تقرؤنه ومستحيل أن يمرّ هذا القول بلا نتائج بل أقول فوق ذلك انكم سترجعون المجد القديم الذي يجعلكم - خير أمة أخرجت للناس - كما كان آباؤكم الأولون . وانما خصصت الخطاب لكم الآن لأن مدينة مأرب وهي سبأ لا تزال في حوزتكم . فالفرصة سانحة لكم جميعا في العراق والحجاز ونجد وغيرها من البلدان . أنا أذكركم بقول الله تعالى في ﴿سورة الأعراف﴾ - لتذريه وذكري للمؤمنين - فالقرآن انذار لقوم وتذكير لآخرين . وجاء في نفس السورة - أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون أو آمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون - الى قوله - أولم يهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها أن لو نشاء أصبنهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون -

فما من أمة من أمم الاسلام إلا حلت محل أم بائدة . وأهل اليمن حاولوا محل أهل سبأ وأوائك أهملوا الماء فلم يحفظوا السدود وكفروا . وهؤلاء المسلمون أذنبا وأعرضوا عن حفظ هذه النعم . أفلا يحق لي وأنا أكتب هذا أن أخاف عليهم . فأنا أنذرهم وأقول لهم ان الذنوب على ﴿قسمين﴾ ذنوب ترجع الى اهمال النظام في الدولة وهذه جزاؤها في الدنيا أو الدل . وذنوب جزاؤها في الآخرة غالبا وهي الامور الاعتقادية (وبيانها) أن أكثر الأمم التي هلكت قراهم في القرآن كانوا غير منتظمين في أمور الحياة . ونسمع الله يقول - وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون - فاذا أصلحوا نظام بلادهم وهم كافرون فلا هلاك يلاحقهم فالكافرون



المعمرون لبلاد الله العادلون يكون عذابهم في الآخرة غالباً . انظر الى أمة الصين وأمة اليابان . فهؤلاء ذاقوا عذاب الخزي في الحياة الدنيا لما كانوا غير متفكرين في أمر نظام مدنهم العام ، فلما أن عرفوا ذلك ونظموا البلاد خرجت أوروبا من بلادهم هاربة

في أبناء العرب ، وبأهل اليمن ، وهذا كتاب الله وهذا فعلاه . يعذب الأمم في الدنيا بجهاها وإهمالها كما جهلت وأهملت سباً وأنتم ورثتم الأرض من بعدهم . فوعيد الله لكم ظاهر واضح . ولا سبيل لكم من النجاة إلا بصرف آخر درهم من أموالكم في تعليم الشبان تعليماً عالياً وهم هم الذين يقومون بنظام البلاد . والله لقد أذرت وحذرت وأنت يا الله تشهد - وكفى بالله شهيداً - . فهل لكم أن تسمعوا ما جاء في كتاب « التجارة الاقتصادية والجغرافيا البشرية » فقد جاء فيه ما يأتي :

### ( الانسان ونهضة الاستعمار )

( هذه نقط الموضوع )

(١) معنى الاستعمار (٢) أقسام العالم الطبيعية طبقاً لنظرية هربرتسن مثلية بخريطة (٣) الهجرة (٤) موقف المستعمرين . الأمم المستعمرة وميزانها (٥) أنواع المستعمرات (٦) ما يجب على المستعمر معرفته (٧) أوروبا بعد الحرب الكبرى

يدل معنى لفظ الاستعمار على عمران الأقطار وسكنى البوادي بعد اصلاحها واستيطان القفار بعد استنباتها واستثمارها فيقبل وحشها أنسا ويستحيل جذبها خصبا فينعم أهلها ببسطة في الرزق ووافر من الخيرات والنفرات ثم يرقى المجموع الانساني تباعا باستكمال أسباب الراحة المعيشية وهي كل مرامي في حياته الدنيوية قام الانسان في عصور الكشف الجغرافي بنهضة جلي كان غرضه منها تعرق جهات العالم جميعها فزج نفسه في المحيطات واخترق ظلمات القارات واستهدف للخطر وركب الغرر فهلك من هلك ولكن نال بغيته وأصبحت الأرض جميعا قبضته فانقسمت الى أقسام سياسية ترجع الى مختلف الجهود وما احتدم من قتال وما شجر من خلاف ، ثم تراث وأمعن فانكشف العالم أمامه أقساما طبيعية لا تحول ولا تحور

عمد الى كل جهة جديدة وأقبل عليها بخيله ورجله يحدث فيها من الحرف والأعمال بمادته عليه تجاربه في الجهات القديمة المأثلة لها والتي أقام عمرانها من قبل ، فأثبت القمح في أمريكا في الجهات الصالحة لزراعة وفي الأرجنتين واستراليا وزيلنده وأوجد القطن بالنيجر والسكر بالبرازيل وناثال واستراليا والبن والكافور والتبغ والفواكهة أشكالا وألوانا . غرس كلا في المبت الملائم له . ثم استثمر الغابات والأحراج الجديدة على نمط القديمة وسبرغور الأراضي وانتزع من معادنها وغاص أعماق البحار وانتفع من لآلئها فعمت هذه الخيرات العالم وأثرى المستعمر وأترفت النفوس الى العوالم الجديدة الفاتحة لبنا وعسلا وخفت اليها الرحال وانتهت اليها الآمال فأنعم بالاستعمار ! هاجر الناس من موطنهم على حبها وشدة تعلقهم بها فانتجعوا هذه الأقاصى طمعا في المال أو فرارا من شدة التزاحم ووطيس النضال وأقبلوا يزفون على مزارع عذراء ومناجم لم تطمث وأرض لم توطأ فصالوا وجالوا وطبق صيتهم الخافقين وأصبحوا قدوة لبني جلدتهم فأهتروا جميعا بحب الهجرة وأشربوها في نفوسهم وجرت منهم مجرى الدم حتى لهنى بها الصغير في غضاضة الالهاب ويصوب اليها الفضل القوى في زمن الشباب ويحن اليها شيخهم اذا هرم وشاب

الحا أن قال : فاذا لم يكن في الاستعمار غير تدمير أجزاء الأرض قاصيها ودانيها والأخذ بيد الشعوب المتأخرة للنهوض بها الى مستوى الحضارة لكفى لأن كثيرا من المستعمرات قد بلغ من الثروة الطبيعية أقصاها ولكن أهله الوطنيين للأسف غير قادرين عليه وعلى الانتفاع به لتأخر حالهم العلمية والكثير منهم همج وحشيون

يعيشون على الفطرة . فوقف المستعمرين في ذلك حرج . فلا هم بمنصفين اذا تركوا هذه الكنوز الثمينة طلاس في يد من لا يعرف أن يرعاها ولا هم بمنصفين اذا تدخاوا فلا يسلحون من الثلب والقدح ويدهم بالطمع والجشع والتعدي لغير شأنهم والتدخل فيما لا يعنيههم . واذن فليدخل المستعمرون لا للاعتلاك بل لغرض الاصلاح وارشاد الوطنيين حتى يبلغوا بهم من المستوى العلمي والأدبي ما يؤهلهم الى الانتفاع بما لهم وبلادهم فاذا تم ذلك كان الاستعمار نعمة ، والمستعمرون ملائكة الرحمة ، ولكن الانسان وما فطر عليه من حب الذات والسعي لها كثيرا ما يحيد عن المبادئ القومية العالية ويغفوعن واجبات الانسانية السامية فتشوهت صفة الاستعمار وخرج عن معناه الى معنى الاستعباد والاذلال

امتازت الأمم المستعمرة : **﴿أولا﴾** بشدة البأس والسطوة والجبروت . فهي تعد الجيوش وتبنى الأساطيل لتحمي دمارها وتحفظ حقوقها وتضرب بها العصاة الوطنيين اذا جنحوا الى العدا ورفضوا منهج الاستعمار الذي وضعته . وامتازت **﴿ثانيا﴾** بكثرة المال تنفقه فيما تشاء وعلى من تشاء فتفتح به المناجم والمصانع ويزهو به الزرع ، وتشق القنوات . وتذل الطرق . بل تذل كل صعب . وامتازت **﴿ثالثا﴾** بأنها الأمم العالة المحترقة المتفنتة في أساليب الرقي والحضارة . فمنها المهندسون والزراع والصناع والكيميائيون والأطباء ولقيف العالم الراقي جميعا . فأى قطر يحتله هذا النوع من الانسان وما وهب من المزايا ثم لا يرقى الى معارج الفلاح والنجاح أو لا يفيض على المستعمر والمستعمرة أرضه بالخيرات والبركات

والمستعمرات **﴿قسمان﴾** نزلية واستغلالية . فأما الأولى فينزل فيها الأجنبي لغرض الاستيطان اذا كان جوهها مما يلائم مزاجه وطبيعته لوجه الشبه بينه وبين بلاده الأصلية فينسنى له اذا استوطنها أن يقوم بالعمل الجسماني فيها ويرتزق من هذا الطريق ان شاء . ويقع عادة مثل هذه المستعمرات في الأصقاع المعتدلة . فمنها كندا واستراليا وزيلانده وأمثالها . وأما الثانية فهي التي يند عليها الأوروبيون لا للاستيطان بل لغرض الاستغلال والاستفادة من طيب أرضها وصيب خيرها حتى اذا جمع ما يكفيه قنل الى وطنه الأول وعاش فيه بقية حياته منعما بما كسبت يده فهو لا يستطيع القيام بالعمل الجسماني في ذلك الوطن الثاني لعدم صلاح جوه له ولذا يضطر الى استخدام أهله الوطنيين في ضروب الاستغلال والاستثمار على أحر معامول بينما تكون له الزعامة العليا بفضل ما امتاز به من العدة والمال والعلم . انتهى ما أردته من كتاب « الجغرافيا التجارية الاقتصادية » والحمد لله رب العالمين

أيها المسلمون : أليس هذا فعل ربكم سبحانه وتعالى . جاء نبينا ﷺ فقام معه العرب ونشروا العلم والامن في الأرض ثم خد المسلمون إلا قليلا وناموا فلم يتركهم بلا مندرين . فها هو ذا القرآن يدرسونه . ولما غفلوا وقلدوا آثار الله أهل أوروبا وحركهم لاستخراج ثمرات أرضه التي جهلها المسلمون فأخطوا بكم من كل جانب . انهم من مخلوقات الله تعالى وهو الذي أوعز اليهم أن يجعلوا المستعمرات **﴿قسمين﴾** نزلية واستغلالية ولا جرم أن بلادكم أيها المسلمون بلاد استغلالية . فهم ينزلونها للاستغلال لا للاستيطان . فدوكم كلام الله ودونكم فعله . فان لم تفهموا القول أفلا تعقلون الفعل ؟ فياكم أيها المسلمون أن تذكروا النعم في بلادكم لئلا يستعمرها قوم غيركم . واياكم يا أهل اليمن أن تتركوا الغابات والأشجار كأشجار الخروع الكثيرة في بلادكم فلا تنتفعوا بها . وكذلك السكنوز والآثار المظمورة فقد حذرت وأبذرت وبنيت - والله عاقبة الامور -

كتب في صباح يوم الاثنين الموافق (٢١) ابريل سنة ١٩٣٠ م وبهذا تم الكلام على (سورة سبا) والحمد لله رب العالمين

( تم بحمد الله وحسن توفيقه الجزء السادس عشر من كتاب «الجواهر» في تفسير القرآن الكريم ويليهِ الجزء السابع عشر وأوله تفسير سورة فاطر )

## ( الخطأ والصواب )

غلبنا التصحيح ففاتنا سقط وأشياء أخرى يدركها القارئ بالتنبية . وهذا جدول مما عثرنا عليه من ذلك وهما هودا :

صواب	خطأ	سطر	صحيفة	صواب	خطأ	سطر	صحيفة
بالغيث	بالغيبة	١٨	١١٣	في الأرض وفي	في الأرض في	٤	٤
وبدلوا بالجنتين	وبدل الجنتان بما	٢٥	١١٥	السورة	الصور	٧	٤
ملا ينفع	لا ينفع			ان	إذ	١	٦
مرّ الثمر	من الثمر	٢٥	١١٥	وجال	جال	٧	٨
وتيامن	وتبامن	٢٨	١١٥	فتكررت	تكررت	٨	٨
الاشعريون	الاشيريون	٢٨	١١٥	الغزالي	الامام	١٧	٩
هي	هل	٢٣	١١٩	فاننا	فانه	٢٧	٩
المصريين	المصريات	٣	١٢٠	في شجرة	في ورقة	٤	١٢
هاهاتان	هاهما	٢٢	١٢٠	منابر	منابرا	١٧	١٤
نحن بنى آدم	نحن بنى	١٠	١٢٣	النقية	السفلية	٣٤	٣١
زمانه	زمان	٢٦	١٢٤	شكرا	شكر	٢٣	٣٥
الحجرة	المجرات	١١	١٢٥	القولية	القوية	١٤	٣٧
جعلتهما	جعلهما	٢٢	١٢٦	الصماصيم	الصماميم	٨	٥٢
غباوته	عبادته	٢٦	١٢٧	لم يمتد	لم يعدوا	٣٤	٥٥
اننى	اننى	١٤	١٢٩	والغضب	والغضب	٨	٦١
إلا المسلمين	لا المسلمين	١٠	١٣٦	ليفهمها	ليفهما	٢٩	٦١
عنك	هتك	٢٨	١٤٢	لفت	ألفت	٣٤	٧٠
إذ هي	أوهي	٢١	١٤٦	لكامتهم	لكاموهم	٣٥	٧٠
مشفران	شفران	٣٣	١٤٧	وضعه	وضعتيه	١٤	٧٢
تصوّره	تصوّره	٧	١٤٨	فبعد	بعد	٢٢	٧٥
الشقوق	لشقوق	٣٠	١٥١	السكرات	السكرات	١٣	٧٧
التخاريب	التخاريب	٧	١٥٣	متجاورات	متجاورتين	٣٤	٧٧
د	د	٨	١٥٣	ميلا	ميل	٦	٨٢
د	د	٢٢	١٥٣	المشبه	المشبه به	٢٥	٨٢
أوبالأخرى	أوبالأخرى	٢٢	١٥٤	توجهوا	توجه	٥	٨٨
في شفته	في شفته	٢٤	١٥٨	أيقن	وأيقن	٩	٨٩
الأسئلة	ان الأسئلة	١٨	١٦٠	يأتون	يأتوك	١	٩١
وأياما	وأيام	١٧	١٦٢	أعزبا	أعزاب	٢١	٩٥
(سنة ٨٥٠)	(سنة ٨٥)	١٦	١٦٦	على ذاك	إذ ذاك	١٩	٩٧

صواب	خطأ	سطر	صحيفة	صواب	خطأ	سطر	صحيفة
يد	بد	١٦	١٨٤	يشعر	يشعر	١٢	١٦٨
مادر	مادر	٢٤	١٨٤	كأراضي الدنيا	كأراضي الدنيا	٦	١٧٣
أبليا	أبلا	٢٤	١٨٥	سنة ١٩٢٩	نحو سنة ١٩٢٨	٢١	١٧٤
ابنه	ابن	٢٦	١٨٥	بخارية	تجارية	١٩	١٧٧
الدهش إذ	الدهش واذ	٢٢	١٨٦	غمر	عمرا	١١	١٧٨
الآريين	الاريين	١٠	١٩٠	في القرنين الأولين	في القرون الثلاثة	٣١	١٨١
بالبارسين	بالبارين	١٠	١٩٠		الأولى		
فيها	فيها	٣٥	٢٠١	والمكان	المكان	٥	١٨٤
أنى	أنى	٣٢	٢٠٢	ويغزون	ويغرون	١٥	١٨٤

( تمت )

## ( تذكرات )

(الأولى) جاء في صحيفة (١٩١) أن ما يصرف على بقر الهند (١١) مليوناً و (٧٦٠) ألف جنيه وأن هذا أربعة أضعاف غلة الأرض ، وهذه العبارة نقلتها من الأصل وهذا الأصل خطأ لأن غلة الأرض أضعاف هذا بعكس ما جاء في هذه العبارة اهـ

(التذكرة الثانية) إن سنة وفاة (محمد بن تومرت) وهي سنة (٥٣٤) لاتوافق ما جاء في القصيدة التي أنشئت على قبره انه عاش (٩) سنين مع انه أظهر المهدوية (سنة ٥١٥) ومن عجب أن المؤلف أهدي اليه كتاب فيه تاريخ (ابن تومرت) وأن وفاته كانت سنة (٥٢٢) وهذه أقرب الى الصواب فلهذا مات سنة (٥٢٣) انتهى والله أعلم

## فهرست

( الجزء السادس عشر )

( من كتاب الجواهر في تفسير القرآن الكريم )

صحيحة

٢ تقسيم سورة الأحزاب الى ثلاثة أقسام وتفسير البسملة وأن ماتقدم في معنى البسملة في أول السجدة يرجع الى الفرق بين صفة الرب وصفة العبد مع ضرب مثل بالبر والشمس وبيان الرحمة في الطيور والأشجار الخ وأن الشر لا يكون بالقصد الأول وأن العداوات والمواد الفاسدة وجدت ليتفرق الناس فيسعدوا بالمنافع ، فلنبين هنا كيف كانت الرحمة مثيرة لما في السجدة من الرحات (بعد بيان معناها في سورة الروم ولقمان من حيث أن آلام الكسر والضرب الخ وآلام العقول بالحيرة ، كل ذلك لابد منه للادواة وللتعليم) مثل الكلام على تدمير الملك وأنه لاشفع عنده إلا بأذنه ، وأن الانسان العاقل مخلوق من طين وأن العوالم السفلية مشاكلات للعوالم العالوية وهكذا وإن أهم ما يدور البحث عليه في سورة لقمان ثلاث مسائل (الأولى) خلق الانسان (الثانية) موته (الثالثة) بعثه . فأما التسوية فإن جسمي أهم ماركب هو منه أربعة عناصر الاكسوجين والاودروجين الخ وهذه هي الأعمدة التي يقام عليها جسمي ، فلا اكسوجين مع بعضها يكون به الحياة ومع البعض الآخر به الموت وهو مع آخره السم ، فهذه المركبات أكثرها مهلك ولكنها في جسمي صارت حياة ، وهنا يكون الدهش كيف حلت الحياة فيما أكثر طباعه الموت ، وهنا خطاب للروح واعلامها بأن اللذة والألم لفتان فصيحتان . وخطاب لله تعالى مبدع هذا الجسم وشكره على تعليمنا انه سوى أبداننا فعرّفنا مسام الجلود فنطقت لنا وشهدت على المذنبين لدى حكوماتنا الخ

٧ أما الكلام على البسملة في (سورة الأحزاب) فقد بدى بذكر السبب في تكرارها في أول كل سورة وكيف نام المسلمون في تلك القرون وجهلوا الحكمة في تكرارها فحمدوا على اللفظ ونسوا رحمة الله كلهم سواء منهم الخطيب والواعظ والعامي ، فهم جميعا لا يعرفون من الله إلا عذاب جهنم ونعيم الجنة . أما رحمت الله الدنيا فهي منسية عندهم ، وبيان أن رحمة الله تعطى للعبد على مقدار ما يدرك منها ويطلبه ولا طلب إلا بعد العلم . ولو أن عاقلا عظيما من غير هذا العالم نظر الى المسلمين اليوم لقال لهم ان تكرار الرحمة اعظم قدرها كتكرار الآلاء في سورة الرحمن التي تعتبر كتفسير لبسم الله الرحمن الرحيم . فاذا كرر الله الويل في سورة المرسلات للتهويل وكرر الآلاء في سورة الرحمن لعظم مقام الرحمة فهذه تكرار البسملة لعظم أمر الرحمة المشروحة شرحا تاما في سورة الرحمن المفسرة لمعنى هذا الاسم الذي هو في البسملة وفي سورة الرحمن قد قدمت آيات النعم الدنيوية على الآخوية لنعلم أبناءنا على هذه الطريقة . فنعلمهم عوالم الأرض والسماء أولا كما رتب الله الآيات كذلك وكما رتب الامام الشافعي أعضاء الوضوء اتباعا لنظام آية الوضوء . ولقد صرفت عقول علماء الاسلام عن تعليم تلك الرحمة لأن الأمة اتخذت فتح البلاد مرتزقا لهم وشهوة ولذة فخانهم جهلهم نفر عليهم السقف من فوقهم . فالظلم حرمهم من العلم فنبذوا كتب ابن رشد ونفوه فتهلها أهل أوروبا فظهرت آثار نور الاسلام في أوروبا من كتب ابن رشد ثم كتب اليونان وهكذا . ومن العجب أن سورة الفاتحة في أولها علم وفي آخرها عبادة . وهنا بيان أن العلماء سيقروا هذا التفسير ويسارعون الى هذا النظام في تعليم الأطفال وأن أوروبا رجعت الى كتب اليونان وان

هناك تحريفا في نقلها مثل مسألة حدوث العالم فهى عقيدة المحققين منهم . ولكن المنقول عنهم قديما أن العلم قديم ونموذج كتب المطالعة تكون ذات نماذج جميلة كما ترى في ﴿سورة يس﴾ من حجر في الأوراق لاتراها العيون كثيرة العدد فيها مواد سائلة يعوم فيها مايلقونها بالحضرة الخ وفيه بيان كتاب القراءة الملوكية وموضوعاته (٤٦) موضوعا وهذا كله مناسب لكونه صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين

١٣ ﴿كتاب الرحمة﴾ فيه ثلاثة فصول وهو من كتاب (تيسير الوصول لجامع الاصول) في الأحاديث النبوية وفيها وعيد من لم يرحم وأن الرحمة غلبت الغضب وأن رحمت الله مائة واحدة منها في الدنيا الخ

١٤ وجوب رحمة الحيوان وأن رجلا سقى كلبا فغفر له وهكذا النبي غفر لها لما سقت الكلب ، وذكر الجبل الذي شكا بلسان حاله من التعب للنبي صلى الله عليه وسلم ودمعت عينه ، والنهي عن اتخاذ ظهور الدواب مجالس . والكلام على رحمة النمل

١٥ ﴿القسم الثاني﴾ من السورة وأولها - يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين - الى قوله - قديرا - ثم تفسير هذا القسم اللفظي

١٨ تفسير قوله تعالى - وإذا أخذنا من النبيين ميثاقهم - وبيان أن غزوة الخندق ذات ﴿ثلاثة فصول﴾ الفصل الأول ﴿في ملخص الكلام عليها﴾ الثاني ﴿في تفسير اللفظ﴾ الثالث ﴿في ربطها بما قبلها وملخص الفصل الأول أن اليهود حالفوا قريشا على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فنقد المسلمون حول المدينة فكان ما كان من الأخبار عند ظهور النور إذ ضرب صلى الله عليه وسلم الصخرة بالمعول وقوله : « سأملك فارس والروم وغيرها » ثم بيان تحاذل اليهود والعرب وانهمز بهم ﴿الفصل الثاني﴾ تفسير قوله تعالى - يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم - الى قوله - وكان الله على كل شيء قديرا -

٢١ ﴿الفصل الثالث﴾ في اتصال هذه القصة بما تقدمها في أول السورة الخ . وهنا ايضا الكلام على أن موسى عليه السلام ذكر قومه بأيام الله . وجاء في سورة السجدة - ولقد آتينا موسى الكتاب - الخ فكما ذكر موسى قومه بأيام الله كالنجاة من آل فرعون ذكر صلى الله عليه وسلم المسلمين بنجاتهم يوم الأحزاب أمة الاسلام اليوم وانه واجب على المسلمين أن يتدبروا هذه الغزوة الخ

٢٣ ﴿القسم الثالث﴾ من السورة من قوله - يا أيها النبي قل لأزواجك - الى آخر السورة

٢٦ بيان أن هذا القسم فيه فصول وأن الفصل الأول في خطاب النبي صلى الله عليه وسلم لأزواجه بالزهد في الدنيا وتفسير قوله تعالى - إن كنتن تردن - الى قوله - إن الله كان لطيفا خبيرا -

٢٧ ذكر سبب نزول آية التخيير وحكم الآية . وأن المرأة اذا خيرت فاخترت زوجها لا يقع شيء عند بعضهم وتقع طلاق واحدة عند الآخر . وان اختارت نفسها تقع طلاق رجعية أو بائنة أو ثلاث طلاقات على الخلاف ﴿الفصل الثاني﴾ في أحسن الأخلاق التي يكون عليها الرجال والنساء في الاسلام وهي عشر : الاسلام والايمان الخ . ذكر أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها

٢٨ تفسير - وما كان لمؤمن ولا مؤمنة - الى قوله - وكان أمر الله قدرا مقدورا -

٢٩ بيان أن عتاب الله على نبيه في مسألة زيد وزوجه وأن المسلمين أحق بالعتاب في عدم اظهار الحقائق التي يعرفونها

٣٠ ﴿الفصل الثالث﴾ في فضل النبي صلى الله عليه وسلم وعظم رسالته وتفسير ذلك من قوله تعالى - ما كان محمد - الى قوله - وكفى بالله وكيفا -

٣١ بيان أن السراج يقتبس منه السراج . فهذه كالأبوة النبوية فهى ولادة نورية

٣٢ الفصل الرابع ﴿ في المطلقة قبل الدخول الخ وتفسير الآيات من قوله تعالى - يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات - الى قوله - إن الله كان على كل شيء شهيدا - ، وذكر حكم من تهب نفسها

٣٥ الفصل الخامس ﴿ في وجوب تعظيمه ﷺ ومن تعظيمه أن يصلى عليه - الخ

٣٧ بيان معنى آية - إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض - الخ وههنا سبع لطائف

٣٨ سر تعدد الأزواج وتعدد أزواج النبي ﷺ وههنا أسئلة موجهة من (المدره) الى المؤلف ، وكيف تزوج النبي ﷺ تسعا مع أن غيره يتزوج أربعة ، والاجابة الأولى بأن ذلك ربما كان قبل تحريم الزيادة على الأربع

٣٩ ولم يطلق ما زاد على الأربع لأنه حرم عليه أن يستبدل بهن من أزواج وأن يتزوج غيرهن ، فهذا الحجر عليه في مقابلة إباحة الطلاق والاستبدال ، فهذه الخصوصية إذن ظاهرة ، وأيضا لو أنه طلق عائشة لمكان ذلك خلافا في سياسة الأمة الاسلامية وهكذا حفصة فأمر أبو بهما معروف وأم سلمة كانت أرملة أخيه في الرضاع ومعها ذرية ضعاف ، وزينب ابنة جحش أمرها معروف في القرآن

٤١ المجلس الثاني ﴿ وههنا ننظر في طلاق (هند بنت أبي سفيان) إذ أصيبت بتنصر زوجها في غربتها وبعد أبو بهما فلاحيص من زواجه ﷺ بها ، وجويزية من بنى المصطلق أصهار رسول الله ﷺ وهى بنت سيد قومها ، ثم بيان أن رؤساء القبائل ليس لهم ماله من هذه السياسة الزوجية وأن النساء يقدرن نعمة الزوجية الشريفة حق قدرها حبا في الشرف ، والدليل على ذلك أن أخت دحية السكبي لما علمت انه ﷺ تزوجها ماتت من الفرح ، وأنهم رضين بالقوت مع ترك القسمة على أن يكن أمهات المؤمنين

٤٣ بيان أن تحريم أزواجه على المؤمنين بهذه لسد باب الفتنة وحسم الامور السياسية لئلا يتناول زوج أم المؤمنين بذلك الى التدخل في السياسة ، وبيان انه اختص ﷺ بأربع وترك باقيهن لما ذكره الحكمة والقرآن وأن هذه أول مدرسة نسائية في بلاد الاسلام ومدرسة الرجال كان تلاميذها أهل الصفة

المجلس الثالث ﴿ في بيان رجال الصفة وأنهم أر بعمائهم يحفظون القرآن ويتعلمون . وبيان انه ﷺ لوفجاً نساءه الباقيات بعد الأربع بالطلاق لقامت فتنة كالفتنه التي قامت في زمن عمر إذ تنهر (جبله) ومعه ستون ألفاً لأجل مفاجاته بالقصاص لأجل الاعرابي

٤٤ أما الجواب الثاني : وهو أن غيلان ومن معه انما اعتنقوا الاسلام بعد التحريم فوجب عليهم ألا يزيدوا عن الأربع فهو غير مفيد لأن الأمة أجمعت أن ذلك خاصية له ﷺ فاذا قلنا ان من عددوا قبل زول الآية يباح لهم ما زاد على الأربع كان ذلك قولاً باطلاً وخطأً لمخالفته الاجماع . فأما الجواب الثالث : فهو أن هذا النوع الانساني يعكس الحقائق عكسا والافا بالنار نرى داود وسليمان عليهما السلام كان عندهما زوجات كثيرات ويعظمهما جميع المسلمين والنصارى واليهود . فكيف إذن يعترض المكابرون على نبينا ﷺ إذ تزوج تسعا ! إن هذه من جهالة هذا الانسان وتعصبه

٤٦ المجلس الرابع ﴿ في ذكر ما قاله (كارليل) الانجليزى . وتبيان أن البناء الجاهل لا يدوم بناؤه وهذا الدين دام (١٢) قرناً فكيف يدوم بناء بانيه دعى في البناء . إذن محمد ﷺ نبي حق . واتمام الكلام في أن الأحاديث التي ألفت به انграм بالنساء كلها أحاديث كاذبة كحديث ابن سعد انه ﷺ جىء له بقدر فأكل منها فأعطى قوة أربعين رجلاً في الجماع وتبيان كذبه بالدليل

٤٧ المجلس الخامس ﴿ وفيه استطراد في كيفية الكذب على رسول الله ﷺ فالكاذب إما مبتدع ينشر

بدعته واما رافض يضع الحديث لما شاء واما مستعمل رضع الاحاديث للترغيب والترهيب . ومن الوضعيين غلام خليل ترك الشهوات واستعمل السكذب على رسول الله ﷺ وقد أغلقت أسواق بغداد يوم موته الخ

٤٩ وقوم من الوضعيين كانوا يتقربون للملوك بوضع الأحاديث . أقسام الوضعيين ثمانية : الزنادقة والذين ينصرون مذهبهم حقا أو باطلا والذين يضعون الحديث للترغيب والترهيب والذين يجيزون وضع الاسناد لكل كلام حسن . والذين يضعون الاحاديث لمجرد الغرابة . وآخرون يشجعون بالاحاديث ومنهم وهب ومحمد بن السائب ومحمد بن سعيد وأبو داود النخعي الخ . ومنهم من اعترف بذنبه . كل هؤلاء ذكروا للاستطراد على ذكر حديث طبقات ابن سعد المكذوب عليه ﷺ من حيث نسبة حبه للشهوات الفسائية

٥١ الكلام على تعدد الزوجات في الاسلام . وبيان أن أهل أوروبا وان برعوا في العلوم الصناعية لم يزالوا مقلدين في أمور كثيرة ومنها هذه المسئلة وهو تعدد الزوجات عند المسلمين . وبيان أن كتاب « ابن الانسان » الذي ألفته لنظام الأمم العام قد أثبت فيه أن تعداد الذكور والاناث في الأمم كلها متقارب وانما لم نسمع أن أمة قل نساؤها فأخذت تطلب نساء من غيرها بالعكس . اذهناك نظام لا يتغير ولا يتحول وأن في الرجال من هم ضعاف أو فقراء فلا زواج لهم كما أن منهم من هم أقوى وأقدر جسما ومالا وشهوة فهؤلاء يعدون في مقابلة الضعاف وهؤلاء في الاسلام بحسب أقوال الخبيرين اما ثلاث في المائة واما خمس في المائة وهذا العدد الضئيل لو أنه كان مفسدا ما أضرم هذا المجموع شيئا اذ في كل ألف ( ٣٠ ) انسانا فاسدى الأخلاق . فهل هؤلاء يضرون الألف . كلا . ثم كلا . هذا اذا كانوا مفسدين فكيف اذا ثبت أنهم مصلحون لأنهم حفظوا العدد الزائد من النساء فأولادهن البنين والبنات وأطعموهن وحفظوهن من الزنا والخنا . اذن هذا الانسان لا يزال طفلا يقاب الفضيلة وذيلة والحق باطلا والاحتجاج بان الاخوة من الأب يتعادون مردود بأن الاخوة الاشقاء ايضا يتعادون . وبأن الناس جميعا يتحاسدون ويتعادون ولم يوجب ذلك ازالته من الارض . ولعمري ان الله لم يعب الاورويون ذلك الا لأنهم حسدوا الشرقيين على نعمة تكاثر النسل وهم حرموا منه فيريدون إنزاله كما فعل بعضهم في جنوب افريقيا اذ يتزوج الرجل نساء كثيرة كأنه ( ديك ) معه جلاته ففرضوا ضريبة على أمثال هذا الزوج حسدا وبغيا لأولئك الوثنيين على كثرة ذريتهم

٥٤ بيان ماجاء في ( مجلة المرشد ) من أن عدد النساء في إيطاليا يزيد على عدد الرجال مليونين . وفي جريدة الماتان الفرنسية أن عضو مجلس البرلمان الفرنسي قال « ان في فرنسا مليون ونصف مليون فتاة غير متزوجات . وقال ان الفتاة لاصحة لها بغير الزواج . وأثبت أن هذا مغاير لقانون الطبيعة » ويقول ( شو بنهور ) الفيلسوف الألماني « ان قوانين أوروبا في الاقتصار على امرأة واحدة أوقعت الفقيرات منهن في الشقاء والغنيات في التعسر أمد الحياة حزنا على ععدم الاقتران برجل . وطلب أن يكون تعدد الزوجات أمرا واجبا »

٥٥ وقد ألف عالم فرنسي كتابا في العشقة الشرعية فطبع منه نصف مليون نسخة

٥٦ ( اللطيفة الثانية ) في معنى قوله تعالى وخاتم النبيين وذكر جواب عبد الله كويليام الانكليزي المسلم وابتدأته جوابه بنظرة عامة في السموات والأرض وما بينهما من السحب والنبات والحيوان ثم زوال ذلك وحياة غيره وهكذا

٥٧ بيان أن هذه الهجائب توجد في القلب اذعانا لخالق هذا العالم وإيمانا به وامتنالا لأمره . وبعد معرفة



الله نجد أنفسنا متشوقين لمعرفة السكرة الأرضية فنرى العلم يقول لنا انها كانت كرة حارة بردت بالتدرج وخلق عليها المواليد الثلاثة بالتدرج ومنها ما انقرض ومنها ما حدث وآخرها هذا الانسان وهو عالم كبير في أول أمره كان كالحیوان ولم يكن من الكواكب ولا غيرها إلا ما تدركه البهائم واهتم أولاً لما كنه وممكنه في الاشجار والغارات هائماً في الفلوات يقتل غيره لشهوة نفسه فكان لابد له من قانون . فهياً الله له أناساً مصطفين كل واحد أرقى من قبله بحسب القابلية . فمهم من علم الناس الملابس وسترة العورة ولو بالورق . ومنهم من علم بعض الاخلاق الجبيلة وهكذا حتى جاء موسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام . واذالم يحرم عيسى الخمر وحرمة محمد ﷺ فليس معناه نقص عيسى . كلا . وإنما النقص في استعداد المرسل اليهم لاغير

٦٠ والقصد من الرقي انما هو في العموم والافنى كل عصر أناس متوحشون حتى في عصرنا هذا . ولما جاء محمد ﷺ أصبح الانسان أرقى من الانسان الذي كان قبل مبعثه بمراحل وهو في تعليمه يدعو للترغيب والترهيب . وهنا ذكر جميع محاسن الاسلام كالعدل والتواضع الخ تقرب من الثمانين عدداً في عشرة أسطر ثم ذكر المنهيات وعسد ما يقرب من الاربعين . ثم بين هنا أحكام الشريعة الاسلامية المتعلقة بسياسة الملك والميراث والصحة والعجاز في البلاغة . قال : وكل هذه المباحث لم توجد في الكتب السماوية . وهناك أمور ستعلم في المستقبل وهذا الدين لم يكن هكذا طفرة فهو آخر الأديان وهو ناسخ لما قبله من الشرائع لأنه أكملها ولا ينسخه غيره

٦٢ نبذة من ترجمة المؤلف عبد الله كويليام المذكور وأنه كان واعظاً عالماً بالعلوم الرياضية وأصيب بمرض استوجب تبديل الهواء في جبل طارق وطنجة فأعجبه دين الاسلام وصلاة المسلمين فقرأ القرآن بالانكليزية ووازنه بالبيانات الأخرى فأسلم وأسلم معه أصدقاؤه

٦٣ ثم بعد ذلك اتخذاوا لهم مسجداً يقيمون فيه الصلاة وقابل السلطان عبد الحميد ثم رجع الى مدينة ليفربول ببلدته وله كتاب يسمى (دين الاسلام) . هذا ومن آثار نبوته ﷺ أن أتباعه لا يهتمون باختلاف اللون . أما أمريكا وانجلترا فانهم يطردون ذا اللون الاسود من مطاعمهم وهذه صفة أقل من صفة الانعام التي لا تبالي باختلاف اللون . ومن تلك الآثار الاسلامية أن اليهود دخل في دينهم بعض الإصلاح في التوحيد على يد موسى بن ميمون الذي ولد سنة ١١٣٥ م وأدخل في كتب اليهود خلاصات من علوم كتاب المل والدجل واخوان الصفاء وتحقيقات الغزالي وغيره من علماء الاسلام ومن الدلائل الساطعة على أنه ﷺ سراج منير ما شهد به الجاسوس الفرنسي الذي أرسلته فرنسا لعبد القادر الجزائري وقد صار من خواصه وقرأ الاسلام فأفاد أن دين الاسلام حق ولكن العلماء لا يصلحون لبثه بين الناس . ومنهم من اشترى الفتوى منه بالثمن اذ شهدوا أن فرنسا خير أمة اخرجت للناس وهكذا ولو كان علماء الاسلام أرقى من هؤلاء لكان المسلمون مثل تلك الأمم . من تلك الشهادات الفرنسية ما جاء في كتاب (خواطرو سوانح) للعلامة هنري . وهالك ملخصها

٦٧ انتشار الاسلام أيام الفتوحات العربية . ابتدأ بإبطال ما يقوله الأوربيون في أسباب انتشار الاسلام وأخذ يبين الحقائق قائلاً : لو كان الاسلام يفتش بالسيوف لوقف انتشاره بانتضاء الفتوحات الاسلامية أو بزوال التمدين العربي فاذا كان هكذا صحيحاً فلماذا يتقدم الاسلام الآن في بلاد الصين التي ينتظر أن يسيطر الاسلام فيها على دين (ساكياموني) وهو دين بودا . وقال مؤلفه : الاسلام ظافر لاحتالة في بلاد الصين وهو وان قل في أوروبا كثير في أفريقيا

٦٨ يمتد من سبار اليون إلى موزنبيق ويمر في مرا كشر . ويصل إلى السويس ويمتد من البحر الاحمر إلى المحيط الانطالطبقى ومن البحر الأبيض المتوسط إلى الدرجة السادسة من العرض الشمالى ويصل إلى الدرجة العاشرة من العرض الجنوى . وهو كثير الانتشار في وسط افريقيا وفي تنجيتو وسقطلو وكانو وكوكا ووداى وشادواشارى ولوغوتى ولوغراتى

٦٩ وهل الاسلام دين عمومى : أجب بنعم من حيث أصله وأما لطوارى عليه فقد كثرت الاتباع وانكسرها جعلت أتباعه مخالفين لاسلامهم إذ جعلوا لله وسطاء بينهم وبينه والقرآن ينهى عن ذلك . ومن عجائب الاسلام انه دين رحيم فهو يعد بالجنة أصحاب الاعمال الصالحة المختلفى الاشكال والألوان لافرق بين عباده وعالم وتال للقرآن الخ . وقد حرم المسكرات لحفظ المسلمين من غوائلها التى منها طوائف الفوضوية وأعلى شأن النفس الانسانية بالصاوات الخمس . وهودين ذو بساطة يلازم كل نفس حتى أبسطها وهم الزنوج بل الشهادة يعتاض عنها المسلم برفع السبابة الى السماء عند الاحتضار . لذلك يفضل الناس عن الدين المسيحى كما قال ( القس ماراشى ) « لقد جرد الاسلام تعاليمه من الأحاجى التى فى الدين المسيحى . لذلك ينشر الاسلام . وليس لذلك الاسلام مبشرون كالدين المسيحى الذى يعرض على السود فينبذونه ويقبلون الاسلام بلا عرض . وعند خط الاستواء هناك اسلامية زنجية مثل : شارى ولوغونه وغيرهما . ولهم نظام سياسى يحكمون به من جاورهم ويتدخلون بين القبائل ويدخل الناس فى دينهم أفواجا بالحسنى لا بالحرب . ومن الوسائط لذلك أن يتزوج المسلم من القبائل الوثنية فيكون ذلك السبب فى جذب الجيران الى اعتناق الاسلام . ولقد كان النبى ﷺ غير مغرم بالشهوات وكثرة نسائه كانت لتحبيب تلك القبائل فى الاسلام . هكذا يفعل أولئك الزنوج بالزواج من نساء جيرانهم . وهناك مزنة سماوية وهى مافى التوراة : من أن الله يبارك فى ابن الخادمة وهواسماعيل فتخرج من صلبه أمة كبرى

﴿ اللطيفة الثالثة ﴾ فى قوله تعالى - ياأيها الذين آمنوا اذكروا الله - الخ . وفيها أربعة فصول : الفصل الأول فى الذكر وبيان أن فضائل الذكر عرفها الهنود قبل آلاف السنين وهذا من المعجزات . واهتران آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم

٧٢ فهؤلاء الهنود يقولون ان فى البدن فقرات ظهرية داخلها جبل شوكرى موصل كل مانع إلى الدماغ فتعلم الاشياء . ولكن هناك عجب الذنب وهو مركز علوم الدنيا والدين وكان هذا المثلث المصمت الذى فى آخر الفقرات قد كتب فيه « ان الانسان يحيط بالكائنات علما بقدر طاقته ويظل هذا العلم محجوباً عن العقل حتى يفتح بكثرة الذكر والفكر والعمل » ويصل للدماغ بواسطة الفراغ الذى يمتد فى الفقرات بواسطة الأعصاب المبلغات العلوم القليلة الدنيوية وتكرار ذكر الله مما يستعين على ذلك . ولكن ضبط النفس فى نظرهم (حبس الهواه داخل فى الرثة أو خارجاً مدة ما وتزيد بالتدريج يعطى النفس قوة عظيمة تجعله مسيطراً على قواه العقلية فهناك يصل لله تعالى وصولاً حقيقياً لانه إذ ذاك يزهد فى الدنيا . هذه آراؤهم على علالتها . والمقصود منها أن تكرار الذكر كره قبلما قوم وهكذا عجب الذنب الذى ورد فى شريعتنا الغراء . وهو عجب وألف عجب . اذن هنا معجزتان الذكر وعجب الذنب . هؤلاء هم الذاكرون أما المسيحيون فهم يكررون كلمات التسبيح كأنها بالمسم يدأوى جراحات القلوب والعلمل من الشكوك التى تهترض النفس كأن يقال : اذا كان الله رحيماً فلم هذه الأمراض والموت والحروب وهكذا . فتكرار هذه التسبيحات أشبه بالتمائم تنويمها مغناطيسياً عن الشكوك . ولكن المعارفون

يقرؤون جميع العلوم فيها فيعرفون كون الله تعالى منزها عن المادة بالجلال والجلال والحكمة وكلمات التسبيح كأنها أجسام والعلوم كأنها أرواح لها وأجسام الانسان والحيوان يعيش بها الحي وان كان لا يقتلها هكذا التسبيح فهو نافع للتسبيح بدون معنى كما ينفع جسم الحيوان له بدون فهم الجوانب

ومن عجائب الجسم الانساني الدالات عند الحكماء على تنزيه الله تعالى ما ستره في سورة فاطر ﴿ عند آية - والله خلقكم من تراب - من السورة الدموية والسورة الليمفاوية وأن الثانية تعطى الاولى قوة كأنها قلاع الجنود مخلوقة من المواد الدهنية حيوانية أو نباتية وبها يتم خلق الكرات البيضاء الفاتكات بالذرات المهلكات . وهي المكروبات فالذين يعصرون السمسم مثلاً يحضرون جنود الأجسام الحيوان وأجسامنا وان كانوا لا يعلمون . هذا هو التسبيح العملي

﴿ الفصل الثالث ﴾ في قوله تعالى - هو الذي يصلي عليكم - الخ . ولا جرم أن الصلاة من الله الرحمة فالولا الرحمة ما كان نظام تلك السورات بأنواعها وهكذا

﴿ الفصل الرابع ﴾ في النجاة والسلام . وهذا هو نهاية السعادة الانسانية فان نهاية العلوم لهذا النظام الجيب الامان من القطيعة والجهالة إذ يرى السورة الغذائية مثلاً قد أعد لها نحو (٤٢) آلة لسير الطعام مثل : الأسنان وأنواع اللعاب الست في الفم والبنكرياس والغدة الصفراوية والاحاض في المعدة والامعاء وكلها مرتبات منتظمات . هنالك يدesh العاقل ويعلم علماً ليس بالشك أن الرحمة لاحد لها وأن هذا الرحيم يهتدأ بالسلامة من القطيعة بناء على ما علمنا من رحمة الهجيمة . ثم بيان أن هذا التفسير كاف لذلك المقام وسيخرج به طائفة كبيرة من عقلاء النوع الانساني ويحشرون إلى ربهم وهم عارفون به أجل معرفة وهم آمنون

﴿ اللطيفة الرابعة ﴾ في قوله تعالى - يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً - الى قوله - وسراجاً منيراً - وبيان أن تشبيه النبي ﷺ بالشمس ليس كتشبيه النابغة النعمان بالشمس . لا آثار للنعمان . أما النبي ﷺ فاننا اذا رأينا للشمس حرارة استخرجت بخاراً طار في الجو فصار سحابة يرتفع عن الارض عند خط الاستواء ثم يقع عليها عند المدارين ثم يرتفع كرة أخرى عند المدارين ثم يرجع منه قسم الى خط الاستواء وقسم آخر منه يذهب الى الدائرتين القطبيتين ثم يرتفع ويحل محله هواء آت من القطبين وهكذا . فهكذا النبي ﷺ أشرق علمه في القلوب لما أرسله الله تعالى فامتد شرقاً وغرباً . فالجيوش كالرياح والقرآن كالسحاب . وهذا السحاب نزل في الاندلس مطراً علمياً ومن هناك انتشر العلم في أوروبا ورجع قوم منه الى الشرق يحاربونه أيام الحروب الصليبية وقسم توجه الى أمريكا فانتشر العلم بينهم في مقابلة الرياح التي انقسمت عند المدارين شطرين شطر رجوع وشرط استمر صاعداً

وهنا في صحيفة (٨٠) ضرب مثل للرياح وتقلبها باللاعب الذي قسم الملعب (١٨٠) قسم الخ وهذا المثل موضح بالرسم شكل (١) في صحيفة (٨١) وكل هذا مقدمة لقياس انتشار الاسلام على انتشار الرياح حدوا القذة بالقذة . فاذا كانت الشمس حركت الرياح والمطر في السكرة الأرضية كلها فهكذا شمس الاسلام حركت الأمم كلها للعلم شرقاً وغرباً ووصلت الحركة لليابان والصين . كل هذا باشراف شمس الاسلام في بلاد العرب النبي ﷺ مشبه بالشمس والشمس بها حياة كل شيء ولكن في المخلوقات ما حجب عنه الشمس خلقت فيه حيوانات ضارة ولا يقتلها إلا التعرض للشمس كما هو الطب الحديث . هكذا المسلمون اليوم دخات عقولهم كثير من الآراء الضارة . فليرجعوا إلى نفس القرآن ثم نفس علوم الكائنات . هنالك تطهر عقولهم من الجهالات كما تطهر الارض من الحيوانات الذريات بتعرضها للشمس . هذا واقعد جلست في

الخلاء نحو ساعتين معرضا للجسم لشمس فأفريت العوالم كلها في عرس . طيور . مغردات وأضواء  
ساطعات . رعوده كالدافع واطلاق البنادق في أعراسها والسحاب كجماعات مدعويين في ولائنا ومحافلنا  
فهذا عرس دائم كلي . أما ولائنا ومظاهرها فإفراحنا فانها وقتية وهي تشير لنا أن السعادة إنما تكون  
بملاحظة الموجود الدائمة مظاهرها أفراحه ومسررات أعماله . ثم إن كل فرد لو فكر لوجد أن هذه الشمس  
ومائتها مسخرات له وحده كما أن غيره يرى هذا الرأي بالنسبة لنفسه لأن كل امرئ يتخدمه أمته كلها  
والأمم الأخرى تبع لها . وهكذا السموات والأرضون ولا جرم أن الابداع في هذا النظام جعل كل واحد  
يتسنى له أن يقول هذا النظام لي

٨٩ آثار النبوة وانتشارها في أوروبا ورسالة السيد ناصر الدين « دينيه » المسلم الفرنسي والمصور الشهير  
الذي مات وهو يبلغ من العمر ٧٠ سنة وقد أحب الاسلام حبا جما وجمع وأوصى أن يدفن في بلاد  
الجزائر . قد أعظم أمره المسلمون والحكومة الفرنسية جميعها . وقد ألف تاريخا لحياة نبينا ﷺ ولام  
أوروبا على اضمحارها الشر للشرقيين . ويقول « إن المسيحية لم يرقها الأناثا ليسوا منها كاليهود والذين  
خرجوا على الكنيسة والفضل للعرب في نهضة أوروبا . وقد تباعد الأوروبيون اليوم عن المسيحية  
تباعدا تاما

٩٢ الاسلام لا يبالي إلا بالعقل وينبذ خوارق العادات فهو بهذا خالف جميع الأديان . المسلمون أشد الناس  
تسامحا والمسيحيون اليوم يتعلمون التسامح من المسلمين إن المسلم يعظم عيسى والمسيحي يكرم محمدا . إن  
أصل حريتنا العالمية فضلها للنبي العربي . ومن فضائل الاسلام منع الخمر وأنه لا واسطة بين الله وعباده  
ولا يسأل الإنسان الا عن نفسه . والله له عند المسيحيين شكل رجل هرم لحيته بيضاء وعند المسلمين  
هو مقدس - وليس لله عند المسيحيين الا أقل الصلاة أما أكثرها فانما هي للدين والام والروح القدس  
وزوج الأم وقلب يسوع المقدس : وفي الاسلام علو الهمة . أما المسيحية فمن ضرب فيها على خده الأيمن وجب  
عليه أن يدير خده الأيسر وفي الاسلام المساواة ومسايرة الطبيعة . وتعدد الأزواج تدعو اليه طبيعة  
الوجود وقصر الزواج على واحدة أحدث في المسيحية الدعارة وكثرة العوانس والابناء غير الشرعيين  
ومن عاش مع المسيحيين من المسلمين تعلم منهم الفسوق والفجور . والصلاة في الاسلام ذات بساطة  
لا تكلف فيها وعند المسيحيين فيها تكلف كثير . والاذان أمره عجيب فهو أدعى الى الاصغاء له من  
الناقوس

٩٧ المؤتمر الديني الدولي بخدمة السلام العام . رجال الأديان في أمريكا عقدوا اجتماعا للسلام العالمي وكل ممثل لدين  
يدين لتعاليم دينه في السلام العام . وقد حضر الاجتماع (٦٠) عضوا الخ

٩٨ الكلام على حالة العميان في مصر وسؤال تلك الجمعية للحكومة المصرية في أمر العميان وهل لهم اعانة  
وكم عددهم ؟ وبكم ساعدتهم الحكومة ؟ وما أنواع مصنوعاتهم ، وما الرائج في السوق منها ؟ وهكذا .  
وهذا كله من السلام العام الذي كان المسلمون أحق به لأنهم أول من نشروا التعليم العام وبسببهم  
انتشر في الأرض

١٠٠ تفسير قوله تعالى - يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا - الخ . معنى - وحلها الإنسان -  
من القاموس . لطيفة عامة للسورة كلها

١٠١ تفسير سورة سبأ . تفسير البسملة وبيان أن رجة الله في هذه السورة موجهة الى المسلمين من حيث  
انه يذكرهم بأمر خلت في بلاد اليمن كانوا ذوي علم وجد وشمير ، فمن العار أن يكون المسلمون أدنى

منهم منزلة وأضعف رأيا وأقل عملا . ومن رحمته التي في البسملة أيضا انه أبان بقصة داود وسليمان عليهما السلام كيف يكون شكر النعم كما أفاد بقصة سبأ كيف يكون كفرانها ، ومنها أيضا انه حذر المسلمين من تصديق ما تلقوه الأرواح في زماننا على يد المستحضرين

١٠٢ ﴿ القسم الثاني ﴾ في تفسير السورة كلها . وبيان حكم فوائده السور كالمجدة وكالحروف الهجائية (الم) وهكذا وأن الحمد في الفاتحة والأنعام والكهف وهذه السورة كل لحكمة خاصة ، والكلام على أرجل الحيوان وعددها بمناسبة السور

١٠٤ ههنا ﴿ ثلاثة فصول \* الأول ﴾ في تفسير الألفاظ مع الإيجاز ﴿ الثاني ﴾ جعل السورة ستة مقاصد ﴿ الثالث ﴾ في معجزات القرآن في هذا الزمان بالعلم الحديث

﴿ الفصل الأول ﴾ في تفسير الألفاظ وذكر السورة كلها مشكلة قبل ذلك

١٠٧ ابتداء تفسير الألفاظ

١١١ الكلام على محاجة الكافرين والمعاندين الخ من قوله تعالى - قل من يرزقكم من السماء - الى آخر السورة

١١٣ ﴿ الفصل الثاني ﴾ في أن هذه السورة ستة مقاصد

١١٤ المقصد الأول والثاني والثالث من أول السورة الى قوله - رجز أليم - وبيان أن السورة ابتدئت بالحمد توطئة لما سيذكر في السورة من ملك داود وسليمان عليهما السلام الذي استوجب شكر النعمة عليهما ﴿ المقصد الرابع ﴾ في التهديد والوعيد للمستهزئين ﴿ المقصد الخامس ﴾ وفيه غرضان : بيان أدوار ملك بنى اسرائيل الثلاثة بمصر وفي حكم الشيوخ ودور عظمة الملك أليم داود وسليمان موازنة ملك سليمان بملك سبأ

١١٦ ﴿ المقصد السادس ﴾ الاستقلال والحرية في الآراء . الاغترار بالرؤساء . الضلال بالغنى

١١٧ ﴿ جوهرتان ﴾ في آية - الحمد لله - وآية - يعلم ما يلج في الأرض - الخ وبيان أن الناس في أول أمرهم يعشقون الصور الجميلة ثم الصناعات الانسانية ثم الصناعات الكونية هذه ثلاث درجات . ومن الدرجة الثانية ما نراه من تراحم وتوارد الزائرين الأجانب من سائر أنحاء العالم لمشاهدوا بهجة الجبال الصناعية في مقبرة (توت عنخ أمون) مثل السريير الذهبي وآنية من مرمر وأخرى مثلها ، ونوع من حلى الصدر وصندوق الملابس وهكذا . هذه نماذج جمال الصنعة الانسانية المناسبة لعقول الناس في الأرض . المثال الرابع أعلى مما تقدمه وهي الصنعة الإلهية . فهذه ليس يغرم بها إلا قليل لعظمتها وان كانت مبدولة لـكل أحد . انظر لحشركى الجراد والنحل في الضر والنفع كأنه يقال ان لم تعقلوا النحل لنفعه فاعقلوا الجراد للضره ، هنا خير وشر فاذا لم تعقلوا النافع أفلا يذكركم الضر بأن النوعين يسيران بقانون واحد من حيث نظام الجسم ونظام المملكة وتوزيع الأعمال ، وأي فرق بين النحلة مع مملكتها وبين الأرض وأتباعها والشمس وسياراتها والمجموع العصبي في الانسان وأعضائه فالأعضاء والسيارات والحشرات كلهن مطيعات للأوامر الصادرة من مركز الرئاسة ، هذا معنى قوله - له ما في السموات - الخ

١٢١ صورة المجموعة الشمسية

١٢٢ صورة ملكة النحل والأرضه وجسم الانسان من حيث أن هذه الممالك قد اتحدت في أن لكل مركز رأسه وأتباع يطيعونها من النحلات والأرضات والسيارات وأعضاء الانسان

١٢٤ كل من خلق في صناعة وشاهد شيئاً منها أدرك سرّها وعرف فاعلمها لأن صنغته متشابهة كما اتفق للعالم الانجيزى المستشرق الذى أدرك طبقات الكتاب السودانين المتحولين بسبب معرفته بطبقات الكتابة والشعر والنثر في أدوار اللغة العربية ، هكذا يفعل العارف بجبايب هذه الدنيا اذا اطاع على بدائع الجسم والكواكب والحيوان فانه يقول فاعلمها واحمد لسريان النظام المتحد في الجميع . هذا هو سرّ قوله - له مافى السموات - الخ على سبيل الحصر ، فالحصر هنا كحصر الحاذق في الصناعة إذ يرى صنعة رجل فيفسرها له لعلها بأساوبه في العمل ، ومثل المجموعة الشمسية المجرة والمجرات الأخرى والسدم فسكها من هذا القبيل نظام محكم متشابه . هذا معنى - ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت - الشمس كاللجاجة وكالأوزة ترجع لها صفارها ولم يحجب الله عن نظام نخله بنظام سيرشمسه إذ يحسبه بالثانية ونصف الثانية ولا يشغله حساب الخسوف والكسوف بالدقيقة والثانية (والمواعيد المحددة لكل ٧٠ خسوفا وكسوفا (١٨) سنة و (١١) يوما) عن عيون النحلة التي تكون (٤٠٠) و عيون البقابة (٤٠٠٠) كل عين منها مستقلة

١٢٨ ﴿ الجوهرة الثانية ﴾ - يعلم مايلج في الأرض - الخ ولنبدأ بالبحث في الأرض ونبين الصور التي رسمها بعض العلماء في أدوار فهمها المختلفة مثل انها كسياط (شكل ٦) أو كشجرة (شكل ٧) أو مجسولة على اثني عشر عمودا (شكل ٨) أو كلاسطوانة (شكل ٩) أو مكعبة (شكل ١٠) أو كروية تحيط بها جبال (شكل ١١) أو ان الجبال ترتفع في القطب الشمالى فتصل السماء (شكل ١٢) أو هي محارة كبيرة مستديرة على أربعة أفيال (شكل ١٣) أو بيضاوية (شكل ١٤) أو ككرة مفرطجة (شكل ١٥) كحبة لقوطة (الطماطم) أو تشبه القلب (شكل ١٦) أو كمثل الكمثرى (شكل ١٧) أو هي من عدة كرات متداخلة بينها فواصل وهي خمس مملوءة بالهواء والسكان وكل سطحين للكرة مسكونان ولها فتحتان عند القطبين وقطر الفتحة في القطب الشمالى أربعة آلاف ميل وفي القطب الجنوبى ستة آلاف ميل (شكل ١٨) و (١٩) والمارشال (جاردنر) سنة ١٩١٣ يقول « إن الأرض مجوّفة وسمك طبقتها التي نعيش عليها (٨٠٠) ميل وهي مفتوحة عند القطبين وفي داخلها شمس (شكل ٢٠) والفتحة (١٤٠٠) ميل أو هي على شكل هرم (شكل ٢١) ﴿ المقام الثانى ﴾ فيما يقوله علماء الاقتصاد في مباحث المعادن والفحم

١٣٣ القربة إما سوداء جلها الغرين (الطمي) وإما نباتية وإما بركانية ، فالسوداء كأرض بلاد النيل جلها الطمي لا تحتاج الى سقى كثير بخلاف الرملية وضدها البركانية في الولايات المتحدة الهزات الخفيفة والزلازل التي تبلغ (٣٠) ألف في السنة لا يشعر الناس بها تحدث ارتفاعا وانخفاضاً نشأة البركان الذي هو جبل مخروطى تخرج منه مواد مصهورة وجم بركانية . وقد يشور البركان فتكون سحب من بخار ومن تراب بركانى يظلم الجو ، مثل بركان كركتوا سنة ١٨٨٣ خسف بذلك ثلثا الجزيرة فحلّ بحر عظيم محل الجبال العالية بعمق ألف قدم وهاك (٣٦) ألف نسمة و (٣٠٠) قرية وارتفع التراب (٢٠) ميلا

١٣٥ أما الفحم فهو مخزون قديم في الأرض ومنه يكون انتراسيت والفحم البخارى وفحم السكوك وهكذا وهاك صورته في الأرض (انظر شكل ٢٢) و (شكل ٢٣) زيت البترول في بلاد القوقاز والولايات المتحدة وغيرها (شكل ٢٤) فيه صورة الأعشاب في مدة الفحم الحجري

١٣٨ (شكل ٢٥) فيه ما تفرع عن الفحم من السكوك والقطران والتار وزيت القار والنفط وغاز النشادر والأصباغ وهكذا ، وهذه في الرسم نحو (٦٠) نوعا تقريبا

١٣٩ تفصيل بعض ما في هذا الشكل مثل الزيت الطبيعى والكبروسين والبراتين والفازولين

١٤٠ والبنزين والريفولين

١٤١ جبال العلم في قوله تعالى - وما يخرج منها - مثل الينابيع المحجرة بسبب ما فيها من الجبر المذاب في الماء كغابة هليوبوليس المسكونة من ينابيع حارة فيها أذيب الرمل ومثل الصخور الروسية الكيميائية من ذوبان صخور جيرية أو من صخور الملح التي ترى في (تشكوساوا كيا) وهناك مدينة منحوتة من الملح ، ومثل الصخور الطينية والرملية والجيرية وهكذا ، والصخور المتحولة بسبب الضغط والصخور النارية . أنواع الصخور المتحولة المائية كالاردواز محولا عن الطين ، والنارية كالنيديس من الجرانيت وكالصخور المائية تكون عضوية كالجير والفحم وكيميائية كالمح ورسوبية كالطين والجبر الرملى ثم النارية بركانية كالبارزات وباطنية كالجرانيت

١٤٢ (حركات القشرة الأرضية) . الزلازل والبراكين والنافورات . السواحل الطالعة كساحل المحيط الأطلسى الغربى وهو المجاور لأمريكا المكون من صخور رسوبية حديثة العهد وفيه كهوف ومغارات أصلها من تحت أمواج البحار وكذلك الفواقع والأصداف وسواحل أوروبا الغربية آخذة في الهبوط التدريجى تحت سطح الماء ، فبقي الرومان في أيرلنده غارت الآن تحت مستوى ماء المحيط

١٤٣ الجبال تكون غالبا على حافة المحيطات الكبرى وعند تجمع القارات وتخرج بسبب التواء الأرض من أضعف الجهات وقد برزت جبال الألب من قرار البحر في أزمنة حديثة . الأنهار تجلب للبحار موادًا تكون بها جبالا جديدة في باطن الأرض بدل الجبال التي تبرز بالزلازل أو بحركة القشرة الأرضية وحركة القشرة بسبب الدوران الذي يغير شكل الأرض وهذا التغير البطيء اليوم يكسر الصخور ولذلك (سببان) جذب الأرض . وضغط الطبقات العليا . وكلما كان الصخر أسفل كان أثقل وبالعكس . والجبل في خروجه من البحر بالعوامل العظيمة يكون أسفله أعلى وأعلاه أسفل . ففي البحر تكون الطبقات النارية أسفل ويعالوها ثلاث طبقات أعلاها أخفها وأثقلها أسفلها طبعًا . ومتى ارتفع الجبل كان الأعلى هي الطبقة النارية التي هي أثقل الجميع وتليها الطبقات الأخرى . فالأصل يكون أخف والأعلى يكون أثقل عكس وضعها في البحر

الأخاديد الغائرة . الهضبات المرفوعة . الجبال المختلفة . الزلازل كزلازل مصر (سنة ١٩٢٦ م) وزلازل (سن ترنسكو) و (لشبونيه) و (مسينا) و (اليابان) الذي هلك فيه (٢٠٠) ألف نفس

١٤٥ باطن الأرض عند القطبين مملوء فما به يكون القطب الشمالى ملتحق الخطوط الهوائية . ومن الجباب أن باطن الأرض كما أن فيه فما من أشجار طمرتها الرمال قديما هكذا فيه كهرومان وهو الذى فيه قوة كهروبائية كان قديما ينزل كاللبن من أشجار عظيمة قد انقرضت وتجمد وهو في شمال ألمانيا يستخرج من الأرض التي طمره فيها من أزمان

١٤٦ (الفصل الثالث) في مبحث الحق وسيل العرم . ومبحث الجن مذكور في الكلام على حشرة الأرضة وهي التي أكت منسأة سليمان عليه السلام . وهذه الحشرة حكومتها منظمة تنظيمًا مدبها تعريف الأرضة وانها عجماء غبشاء الخ

١٤٨ سياستها فوق تناول العقول وأنواعها (١٥٠٠) والمشهور نحو (٤٠) نوعا فقط ومساكنه إما سراب

١٤٩ تحت الأرض أو بيوت ظاهرة تعاو عليها (٤) أمتار وتكون كالفالق السكر قاعدته (٣٠) قدما (شكل ٢٦) قرية الأرض وتكون تلك المساكن في افريقية الوسطى وفي كولفو والبلجيك فيعاو المنزل الى (٨) أمتار ولا يقطعها الناس إلا بالديناميت وهي تجعل الخشب قوتا لها مهضوما وفضلاتها تصلح لها طعاما

١٥٠ والأرض تطرد الانسان وتبنى مساكن في أرضه كما بنت في استراليا (١٦) قرية في مساحة (١٣٥) مترا ولها مهندسون وجنود يصنعون لها كل ما نريده (انظر شكل ٢٧) وهو رسم الأرضة العاملة (شكل ٢٨) الجنود وعدو الأرضة هي النملة ، وللجنود الأرضية ثكنات تعود اليها بعد هزم عدوها ولكل قرية عدد من الجنود لا يزيد وما زاد يقتل بطريق سياسى خاص ، ولهذا الحشرات طرق بها يفهم بعضها بعضا ، ألا ترى انها المملكة تكون في أشجار كثيرة وهي تابعة لعرش ملكة واحد ولها أصوات موسيقية خاصة تشترك فيها المملكة كلها وهن جميعا يتمايلن الى الامام والخلف ويدوم عدو ساعات مع فترات قليلة . والمملكة والمملكة في حجرة خاصة وهي أعظم جثة منه

١٥٣ متى آن فصل الشتاء تفتح المنافذ المحرّم فتحتها طول السنة في ساعة خاصة . وتخرج حشرات من هذه المملكة ذات أجنحة تعد بالملايين وتنشئ في الجو ما يشبه السحاب بمنظر جيل قصير المدى وكل ذكر يبحث عن أنثاه فهو مشهد جميل ولكنه سريع العطب إذ يهبط هذا الجيش كله الى الأرض حالا وما أسرع ما تنقض عليه العصافير والحيات والهرر والكلاب والكل وتأخذ في أكل تلك الغنائم التي خرجت لأعراسها فصارت هي نفس المآدب لغيرها

(شكل ٢٩) وهو رسم أرضة بالغة بسطت جناحها

١٥٤ تحرب حشرة الأرض للأرض إذ هي تناسل بسرعة مدهشة ولولا البرودة لغطت الأرض كلها وهي تفتك بما عند الانسان من ملابس ومسكن وغيرها . فمدينة جامستون دخلها نوع من هذه الحشرة ففعل فيها ما تفعله الزلازل وجزائر الانجيل الفرنسية منعها هذه الحشرة عن مغالبة الانجليز لأنها خربت المنازل . النحل في جنة والأرضة في جهنم لأنها محبوسة عمياء تحت الأرض . ان لها شريعة قاسية لا يغفران فيها فالعامل الذي لا يعمل يقتل وهكذا

١٥٥ حشرة الأرض تقدمتنا بملايين السنين وقد كان في أوروبا قديما فاختفى في الأرض فعمى على ما يظهر ولعلنا نحن ننتظر مستقبلا مثل هذا متى بردت هذه الدنيا . إن هذه الحشرة تعرف كيف تنظم الذكور والجنود من حيث إيجادها بقوة إلهية . أما نحن فلا . ولوتسنى للانسان ذلك لكان ذلك سببا في انه يكون فيه الأذكاء النادرون الذين يعلوننا من العاوم ما نجهله الآن

خطاب للمسلمين وكيف درس القوم حشرة الأرضة وأنتم لم تدرسوها وهي في القرآن

(المقام الثاني) - فلما خرّ تبينت الجن - الخ - ويان أن العزائم والدعوات الكفورية وغيرها تذكر فيها أسماء الشياطين فيها نوع من العبادة . ويان أن الأرواح الصغيرة تكذب وأن الروحانية لا يصح أن تكون بابا للرزق ولا علم للأرواح بالمستقبل في الكشف الحديث

١٥٨ (تذكرة) الكلام على آية - فلما خرّ تبينت الجن - الخ - وتبيان ما قاله الرجل الهندي بمصر وأن

البرلمان يعمرسنة . وأن المعاهدة مع الانجليز تتم وأن هذا القول بمقتضى علم الأرواح لا وثوق به

١٥٩ وأن الخبر بهذا أرواح صغيرة . وأنه هو كان أحب فتاة فلما بعدت عنه تفكر فيها فظهرت أمامه بقوة الروحانية فلما ماتت وهي صغيرة جلس مع الناسك يقرؤن آيات من القرآن في الخلوات (٤٠) يوما بلا أكل



ففسخ لهم الأرواح التي كانت تظهر لهم بهيئة وحوش . وبيان أن هذه الأرواح ناقصة . وأن هذا العمل لم يخلق الإنسان لأجله في الدنيا وأنه لا يرقى هذا الهندى ولا كل من فعل مثله الخ . وأن هذه الأحكام قالها الشيخ الدباغ والشعراني والخواص إذ أجمعوا أن من فتحت له أبواب الاخبار بالغيب ونحوها فهو مبخوس الحظ شهوانى شهوة دنيوية وربما دخل جهنم

١٦٢ قوة الإرادة تنتج أعمالا خارقة للعادة مثل الهنود الذين اشتبه عنهم أنهم ينامون على المسامير ولا يألمون ، ولقد ظهر (طهرا بك) في لندن أمام (٤٠) طبيباً انجليزيا وغرر سكيناً حادة في جسمه ونام على المسامير ووقف رجل ضخيم على صدره ثم نزل ووضع حجر كبير مكانه ووقف رجلان يتناوبان ضرب هذا الحجر حتى تكسر ذلك الحجر على صدره وقام معافى ، كل هذا أظهر أن الهنود ليسوا خادعين وأن هذه قوة ارادة نادرة

١٦٤ (المبحث الثاني) في سبأ وسيل العرم الخ . وبيان أن المسلمين اليوم أشبه باليقيمين الذين حفظ الله لهم كنزهما باقامة الحائط عليه إذ أهم انخضر ذلك حتى بلغا أشدهما فاستوليا عليه ، هكذا المسلمون دفن الله لهم كنوزا وعالوما في بلاد سبأ وأنزل عليهم مطرا تركوه سدى ، فهاهوذا اليوم قد أرسل لهم الفرنجية سرا فكشفوا ماخبأه الله في بلادهم بآشارة علماء ألمانيا وغيرها ، فإذا لم يفكروا بعد الآن فان الله لهم بالمرصاد والأرض أرضه والملك ملكه

١٦٦ مخالفين الذين التي يحكمها الأقبال أى الملوك الصغار ، والخلاف يشتمل على قصور حوطها مساكن يحكمها أذواء (جمع ذو) وإذا تغلب رجل على مخالفين سعى ملكا فهو ملك على هؤلاء الأقبال الحاكمين هؤلاء الأذواء ، وملك الملوك هو التابع أى ملك يحكم ملوكا . إذن هنا أربع درجات : أذواء أقبال ، ملوك ، تبابعة

١٦٧ (خرية مدينة مأرب بعد خرابها) وهى عاصمة سبأ وهى نفسها تسمى (سبأ) وهى المعنية بالبلدة الطيبة فى الآية

١٦٨ الخياط والخبط فى تاريخ تلك البلاد ، وبيان أن المؤرخين ليس عندهم دولة اسمها سبأ ولكن الكشف الحديث كشف ذلك موافقا للقرآن مخالفا للتاريخ المشهور ، وهكذا سد العرم كان الناس يشكون فى أمره وفيما كتبه عنه الهمدانى حتى ظهر اليوم بالكشف ورسمت خريطة كرسمت هنا فى هذا التفسير وهذا من أجل المعجزات النبوية

١٦٩ كان الناس يشكون فى وجود سد العرم حتى تمكن المستشرق (ارنو) من معرفته ونشر فى المجلة الاسيوية سنة ١٨٧٤ وزاره هاليفي وغلازر ، ووجدوا صدق وصف الهمدانى له فى كتابه « وصف جزيرة العرب » و « الاكليل » . وههنا بيان الميزاب الشرقى والأودية التى تصب فيه وحبل السراة وغيرها وهكذا ميزاب مور ووادي أذنه الذى تسير منه المياه الى ما بين الجبلين وهما البلق الأيمن والأيسر ١٧٠ رسم سد العرم وكيف ينصرف الماء منه ، والسد عرضه (١٥٠) ذراعا وطوله ثمانمائة ذراع ، وثله الغربى وهو الأيمن باق والثلاثان الباقيان تهتما ، والأيسر عرضه عند القاعدة (١٥) ذراعا وطوله (٢٠٠) ذراعا

١٧٢ خريطة بلاد العرب

١٧٣ خريطة سد مأرب أو سد العرم

١٧٤ عجائب القرن العشرين ، وبيان أن ذكر سد العرم يذكرنا بطوفان نوح عليه السلام وبما حصل

في مصر سنة ١٩٢٩ م وما حصل في أمريكا سنة ١٩٢٧ م و بأن منه فرض كفاية وأن ذلك الفرض عند بعض العلماء أفضل من فرض العين لآساع فوائده . و بيان أن نهر المسيسي أنار على الجسور فقطعها وأن هذا النهر سنة ١٩١٣ م قاض على مقاطعة (الاهيو) خفرت البلاد (٢٤) مليوناً من الجنهات ، فأما في سنة ١٩٢٧ م فقد خرج البحر عن مجراه وأغرق سبع ولايات وارتفع على الأرض (٨) أمتار

١٧٦ (شكل ٢٣) مياه المسيسي ترتفع على الجانبين وشكل (٢٤) نسف أحد جوانب المسيسي  
١٧٧ بيان اشتراك الشعب كله في دره الخطر ، وأن مئات ألوف من الناس باتوا بلا مأوى ، وأن الحكومة أغاثتهم بفيلقين من الجيش وبلغت الخسائر مائتي مليون ، ثم جاء الخوف على مدينة (نيو أورليانس) العظيمة فسفت الجسور في ثمانية وأربعين مكاناً ونفذت الحكومة في سبيلها خمسمائة ألف إنسان بلا قوت لهم و (٧٥) ألف كيلو متر ، وكان هذا الهدم بعد محاربة الأهالي للحكومة بأنواع السلاح ومنها المتروليوز والقنابل ، ثم تمتة السكلام على أسداد اليمين واينصاح من بنو اسد العرم

١٧٩ الأسداد وانها تبلغ في العدد مئات والذي بنى سد العرم أولاً سمع على ثم ابنه يشمر ثم ابنه كرب ايل ثم ذكر على ذرح ملك سباً ثم يدع ايل دنار ، وقد تهتم صرارا وأصلح ، ولما ملك الأحباش اليمين ظهرت لهم كتابة عليه سنة ٥٣٩ م وسنة ٥٦٥ م ونص إحدى السكتاتين التي كتبها أمير الحبش « بنعمة الرحمن الرحيم ومسيحه الخ » وفيه تاريخ تغلب ذلك الملك على الخارجين عليه

١٨٠ (تذكرة) فيها ايقاظ المسلمين الى هذه النعم الخبوءة في أرضهم ، وكيف عرف قيمتها الوثنيون ولم يعبأ بها المسلمون ، وهذا في الحقيقة انتكاس ، فأين شكر النعم إذن وقد أهملناها !

١٨١ (جوهرة) في آية - ولوترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم - وأن أتم الاسلام اليوم استيقظوا وأحسن العرب والحجم بما يصيبهم من الخطر ، وأن المسلمين كانوا في القرنين الأولين يرضعون من أفوايق النبوة ثم في القرون التي بعدها صاروا أيتاما وأوصياؤهم أمراء وشيوخ إن صلحوا صلحت الأمة والعكس بالعكس ، مثال ذلك محمد بن تومرت وهو الذي اعتبروه مهدياً وكان رجلاً حسن النية قضى على دولة المرابطين وأنشأ دولة الموحدين في القرن السادس الهجري ، وكسر عبيد المؤمن نائبه جيوش (علي بن ناشفين) الذي اشتغل بالعبادة قياماً وصياماً وترك الرعية تحت رجة النساء اللاتي كن يحمين اللصوص وقطاع الطرق ، وعبد المؤمن هذا رأى رؤيا تبدل على انه يتغلب على الملك مع انه كان معلم صبية ، ومحمد بن تومرت قابل الامام الغزالي أولاً ولما توجه الى (السوس) أخذ يعظ الناس ويدكرهم وجعل له شيعة أولهم عشرة هم المهاجرون الأولون وبعدهم جماعة اسمهم الحسنون وهؤلاء أشبه بمجالس الشورى والنواب ، وأخذ يظهر الكرامات حتى اعتقدوه كما فعل ابن الصباح وأوهمهم بأن ملكهم باق الى آخر الزمان وانهم يفتحون فارس والروم ويقتلون الدجال . وأكثر هذا في قصيدة رجل من أهل الجزائر أولها

١٨٤ سلام على قبر الامام المجدد ✽ سلالة خير العالمين محمد

وهي مذكرة هنا (٢٤) بيتاً

١٨٥ السكلام على أبي يعقوب يوسف وعلى ابنه يعقوب الذي أهان ابن رشد وعلى ابنه محمد وابنه يوسف والمأمون من هؤلاء وهو الذي نسخ سياسة المهدي وقتل أرباب المشورة وأذل رجال الدولة واستعان عليهم بالنصارى فلم تقم لهم بعدها قائمة وأذل المأمون المذكور محمد بن هود

١٨٦ هنالك تفرقت الدولة شذرنذر . و بيان أن ابن توصرت استعمل رجلا من أصحابه في طريقة الجذب و اظهار الكرامات و ادعاء أن النبي ﷺ علمه العلوم و أطلق لسانه ، فقسم الأمة الى قسمين : أصحاب الجنة و أصحاب النار بمقتضى قائمة سرية يعرف بها المصدقون بالمهدى المعصوم و المكذبون ثم أمر أصحاب الجنة بقتل أصحاب النار و أخذ نساءهم و أموالهم و بعد ذلك شغلهم المهدي بالحروب حتى لا يحققوا عليه بقتل رجالهم

١٨٧ ذكر امتحان هذه السير و الأحوال ، و أن الكلام على المهديوية تقدم في أول سورة الحج و أن أكثر أم الاسلام تركوا مواهبهم و اتسكوا على شيوخ جهلاء كما اتسكت العزلة على اطعامنا أياها فسكان نقصها عظيما بالنسبة لنظيرتها الغزاة في البادية ، فحمد بن توصرت و كثير من مشايخ الصوفية نفعتهم مؤقت و ضررهم أكثر ، إذن لتعلم الأمة كلها رجلا و نساء ، و القرآن أبان هذا بهجلى السامري الذى غلب ذهبه و خواره على انقلاب العصا حية ، فالقرآن في ناحية و جمهور المسلمين في ناحية ، و مامل الشيوخ الجاهلين و البقر المعبود عند البراهمة و شيوخ البراهمة إلا كمثل الدود الذى يأكل لحم الميتة إذ لا معطل في الوجود ، و المسلمون الذين في الهند لم يقدروا على إزالة خرافات أهل البلاد فجاء اختلال البلاد ليزيل بعضها آخر ، و على المسلمين في المستقبل أن يزلوا ما بقى

١٨٨ جمال العلم و بهجة الحكمة في ذم التقايد ، وفيه ذكر انه لا يلقى بالمسلمين (الذين لا يفرقون بين الأمم كما تفعل أوروبا و أمريكا اليوم) أن يفعلوا فعل البراهمة ، و المسلمون السابقون هوش على عقولهم أناس ادعوا الاخبار بالغيب و لكن الأمة اليوم قد فتحت لها باب العلم

١٨٩ ﴿ حديث الهند ﴾ و بيان انها أمة بلغ الرقى فيها أعلاه في بعض الأفراد و في مؤخرتها أناس لا يزالون في أخريات الأمم كعهد الفطرة الأولى و الانجليز يحكمون (٢٤٧) مليوناً و جميع السكان (٣١٩) مليوناً و الباقون (١٢) ولاية ، و الأهالي عشرون عنصرا لغاتهم (٢٢٢) و كتبائهم (٥٠) نوعا و لكل كتابة من (٢٠٠) حرف الى (٢٥٠) حرفا و البلاد إما حارة جدا و إما باردة بردا شديدا و قد توات عليها الفتوحات ، فن (سير و ستريس) المصرى الى الفرنسيين فالانكليز الذين لهم هناك (٦٠) ألف جندي و ثلاثة آلاف موظف و رجال الشرطة أربعة آلاف و الاوروبيون (٢٠٠) ألف و هم براهمة و مجاهدون و فلاحون و السودرا المحقرون و الطبقة الأولى عالة على الجميع بالانوات للولود و الميت و غيرهما و البقر المقدس مليون و نصف و الشحاذون و الأولياء و غيرهم نحو ستة ملايين ، كل هؤلاء عالة على الأمة ، و هناك البغاء المقدس و عدد الأرامل في الهند ثلاثون مليوناً و البنات يموت منهن في سن الطفولة بسبب زواجهن ثلاثة ملايين و نصف . و قد سن تشريع جديد للزواج يخفف ما تقدم و بيان أن طبقة السودرا لا مقام لها في الهند و لكن التشريع الجديد رفعها نوعا ما . و أعمال البراهمة يشبهها أعمال ابن الصباح و كثير من رجال الصوفية الجهلاء . و نظير ذلك ما يكون في بعض طيور بمصر لها (٤) رؤساء متى أهلكن أصبح الطير كله في قبضة القانصين

١٩٣ ﴿ نور على نور ﴾ الكلام على البراهمة في آية - ولوترى إذ الظالمون موقفون - الخ و أن الله الذى نظم عيون النمل و النباب لم ينفل عن أهل الهند إذ جعل لهم بقرا و براهمة يطوفون عليهم كأنهم أصنام متحركة و لم يعطهم إلا على مقدار عقولهم حتى يستعدوا للإسلام فيما بعد متى حان الوقت و هذا البقر المقدس له نظير عند جهلة المسلمين إذ يطلقون عجولا باسم الأولياء بمصر قبل تنور المسلمين . و يفعل مثل ذلك أيضا (أغا ممنون) بآتباعه

١٩٦ ﴿ الفصل الأول ﴾ في بيان المضار الحادثة في بلاد الهند بسبب سوء التقليد وشرح أضرار الزواج وتخفيف ضرره . وبيان نسبة الأرمال إلى غيرهنّ ونبد العادات القديمة من قتل من مات زوجها وإذا عاشت فلا بد من زواجها اليوم بالقانون الجديد وأن هناك ألف أرملة لا يزيد سنهنّ عن ستة واحدة و (١٦) ألف أرملة لا يزيد سنهنّ عن خمس سنوات وهنّ محرومات من الزواج بالقانون القديم

١٩٨ ﴿ الفصل الثاني ﴾ في نماذج من الكتب الإسلامية التي تغرى المأوك بالخداع وحباطل النصب ليقيموا على الشعب وهو كتاب ﴿ سرّ العالمين ﴾ المنسوب للغزالي كذباً وأن هذا الكتاب يأمر باظهار الزهد والكرامات . ثم يظهر الداعي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وضرب مثلاً بين الصباح والمأمون أخى الأمين بن هارون الرشيد . وبيان أن الوليّ هو الذي لاهمه الحياة الدنيا ويحب لقاء الله . أما الكرامات وخوارق العادات فما هي إلا امتحانات للناس . وتبيان حديث المسيح الدجال . وأوت خوارق العادات على يديه امتحان للناس

٢٠١ إن العلم والعمل صعبان على الناس وما أسهل الراحة والنوم والكسل والجهل والاكتفاء بالكرامات وتقبيل الأيدي وما أشبه ذلك . أولئك الناس أن المسيح الدجال رمز لهذه الطائفة التي اغترت بهذه الامور . وخوارق العادات قد تصدر على أيدي الجهلاء وهم غافلون كالشيخ سليم بالصعيد وله حادثة جرت مع أحد مستشاري محكمة الاستئناف وقد سألتني وسأل صديق حسن باشا جلال فأخبرت بأن مارآه من احضار زجاجة الرائحة من الاسكندرية أمر جائز عقلاً وذكره ابن سينا اجبالاً وذلك قبل الاطلاع على علم الأرواح الحديث

٢٠٢ ﴿ أشعوذة أم علم ؟ ﴾ (هوديني) رجل أوروبي في زماننا يدفن نفسه في الأرض على عمق بعيد ثم يخرج وفعل ذلك في كل دولة وأخذ يهزأ بالسجون جميعها وخزائن الحديد التي تقفل عليه فيخرج حالا بحضور وزراء الأمم وعظماؤها وهو القائل : « هذا سرّ لوعرفه غيري لأضرّ بالناس اذا لم يكن أميناً » وهذا يؤيد قول علماء الاسلام « إن خوارق العادات لا تختص بالأولياء بل هي عامة »

٢٠٣ فعلى المسلمين أن يذروا تلك الطريقة العتيقة وليفسكروا في أمبراطور اليابان الذي ورث صناعة الاختفاء عن الشعب وإيهامه . فلما علم أن ذلك يضرّ بالأمة رجع عنه وعلم الأمة كلها

﴿ المهديون وبعض شيوخ الطرق والمسلمون ﴾ ليفعل المسلمون بعد ظهور هذا التفسير ما فعله صديقنا (اللورد هيللي) الانجليزى (الذى لما اطلع على أن الألمان كشفوا في بلاد الآشوريين أن ابن الله البكر صلب كما صلب المسيح . وتلك الكتابة وجدت قبيل المسيح بألاف السنين) إذ قال « أىّ الابنين أتبع : الابن القديم . أم الابن الجديد ؟ لأتركهما معا وأتبع الاسلام » هكذا ليقول المسلم بأىّ المهديين أقتدى . أبا المهدي السودانى . أم ابن تومرت الخ . كلاء بل أتبع نفس القرآن وأنا أبشر المسلمين بأن هذه الطبقة ستظهر بعد ظهور هذا الكتاب

٢٠٥ ذكر حادثة دالة على ذم التقليد في الطب وهي المذكورة في سورة الشعراء وأن رجلاً رأى هرة لدغتهما أففى فتمرغت في نبات « رعرع أيوب » وانها كلما لدغت تمرغت فيه . ولكن لما قطعها ماتت . وأيضا يقول : « ان لعاب القط يمنع من السم » فكذب هذا كماوى في مصرنا في عصرنا وأثبت أن هذا النبات وهذا الريق لا بدفعان السم ولا يشفيان منه . فكتاب ابن أبى أصيبعة والمصرى الذى ادعى هذا كلاهما مخطئ

٢٠٦ ﴿ الحياة الاجتماعية وتبرّم أوروبا من حروفها الكتابية ﴾ وقول القوم إن حروفهم كثيرة تضيق نصف

الوقت في الكتابة والكتابة المختلة فائدتها ضئيلة . أما الحروف العربية فهي أقرب الى المختلة ولا تصحح الوقت . إذن أوروبا تحب ترك حروفها ومصطفى كمال يقترب منها وأيضا قلد أمان الله خان مصطفى كمال في قتل علماء الدين المعارضين فزال ملكه فهو تقليد محزن ، ومن الأحرار الذين تركوا التقليد المستر (سكلافالا) العضو الشيوعي أقام مظاهرة في لندن ضد (الكولونل لورنس) الذي أشعل الفتنة في أفغانستان ضد (أمان الله) فهذا الانجليزى حر ولكن أمثاله قليل في سبب العدل

٢٠٨ ومن نبذ التقليد في الزراعة أن الأشجار والزرع تنمو في نفس الماء في حياض وتوضع في الماء أقراص محتوية على العناصر السبعة التي تنغذى منها النبات ، وبهذه الوسيلة يمكن أن يظهر القمح والورد وأمثاله في أزمان قليلة وبنقود قليلة ، وبهذه الوسيلة أيضا يمكن الزرع في الصحارى والقفار وسطوح المنازل ويزيد المحصول نصف قيمته ويخلص من الآفات العارضة للزرع في نفس الأرض . أزهر الورد بهذه الطريقة في (٨٠) يوما . وزاد محصول البطاطس (٥٠) في المائة والنباتات الغذائية زاد محصولها مائة في المائة ، وبهذا يمكن أن يعيش ملايين من الناس على محاصيل في أرض لا تنبت الآن سوى الشوك الح

٢١٠ وأى نبع أو بحر في أرض فقراء يكفي ماؤه لغذاء أناس في أرض فقراء اليوم ، وسطوح المنازل تغطي بالزرع في الحياض ، وبالجملة فهذا انقلاب عظيم في حياة أهل الأرض

٢١١ ﴿تذكرة﴾ في أن الصيام للريض مع الجلوس في الشمس بطرق خاصة يمنع فقر الدم ، وهذا لمناسبة انه ﷺ سراج منير والقرآن يجب أن يكون نبراسا للمسلمين يزيل خرافاتهم ويجعلهم مغرمين بالعلوم العقلية كما ان ضوء الشمس يشفي الأبدان مع الصوم ﴿والتذكرة الثانية﴾ أن قوله تعالى - يعلم ما باج في الأرض - الخ يدخل فيه القطران الذي يستخرج منه مئات الألوان الزاهية التي بها اغترت بعض الأمم الاسلامية فحق عليهم آثار قوله تعالى - سرايلهم من قطران - وهذه أشبه بجنة المسيح السجال التي تكون لنا جهنم وهذا عجيب في القرآن ، والاستدلال على ذلك بقول بعض العقلاء ان النهافت على الملابس الأجنبية يورث العبودية في هذه الدنيا

٢١٢ ﴿خاتمة السورة﴾ وانها مبتدأة بالنعم الجزيلة وأن هنا أمتين شرقيتين أمة اليهود وأمة العرب . أما أمة اليهود أيام سليمان وداود عليهما السلام فقد شكرت النعمة ، وأما أمة سبأ فانها أعرضت فهلكت وأعقب ذلك بتعمير المقلدين وانهم لا ينفعهم الاحتجاج بالتقليد . وقد أرسل الله سيدنا محمدا ﷺ وسكن أتباعه أرض الله ومنها سبأ ، والحجة اليوم قائمة على أهل هذا الزمان وانهم لم يقوموا بالمحافظة على النعم في ديارهم فلم يجعلوا للماء سدودا ويستخرجوا ما في أرضهم من المجائب فان أعرضوا فان الله لا يرضى بذلك والأرض له هو سبحانه فهو يعطيها لمن يستخرجون كنوزها أيا كانوا والله لا يهلك الأمم في الدنيا اذا كانوا مصاحين لأرضه ، ألم تر أن اليابان والصين لما كاتتا جاهلتين أذهما أهل أوروبا ، فلما أخذنا في اصلاح بلادهما فرت أوروبا من ديارهم - وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون -

٢١٥ الانسان ونهضة الاستعمار وأن الأمة العاملة تبحث عن الأرض التي نام أهلها عن انتقان العمل فيها فتسخر أهلها لمصلحتها وتارة يستوطنونها . فعلى أهل اليمن وسائر بلاد العرب أن يأخذوا حذرهم ويستخرجوا كنوز أرضهم التي كنزها الله لهم . وهذا التفسير آخر انذار للمسلمين

## بشرى

نرفها الى السادة الشافعية

بهون الله تعالى تم إعادة طبع كتاب طالما اشتاق  
الطلاب لرؤياه بعد احتجابه عدة سنين . وكاد لا يوجد إلا في  
خزائن الخاصة مثل الكنز الثمين مع تعطش القلوب لرياه والأبصار  
لمرآه ألا وهو

## بشرى الكريم

بشرح

مسائل التعليم

تأليف

العلامة الكامل والهامم الفاضل الشيخ سعيد بن محمد  
باعشن على مقدمة الامام الولى الزاهد الشيخ عبد الله  
ابن عبد الرحمن بافضل الحضري في فقه مذهب الامام  
الشافعي رضى الله عنهم ونفعنا بهم أجمعين

ولتتمام النفع وضعنا بهامشه المقدمة الحضرية المذكورة . وهو  
واقع في جزأين مطبوعا طبعا متقنا ومصححا بغاية الاعتناء